الحياة الأدبية

بعد ظهور الإسلام

تأليف

د. محمد عبد المنعم خفاجي
الأستاذ والعميد بجامعة الأزهر

يطلب من ناشره
مكتبة الحسين التجارية
لصاحبها، محمود توفيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلمة الاولى

اللهم إنا نحمدك ونستعنيك ونستهديك ونشكرك ونسألك التوفيق والرعاية والتوجيه وبعد .

فهذا سفر جديد فى تاريخ الأدب العربى بعد ظهور الأسلام يشتمل على تصوير واسع للحياة الأدبية . فى عصر صدر الأسلام وعصر بنى أمية وصدر العصر العباسى .

وقد توخيت فيه الدقة والتحليل والدراسة لشتى ألوان الأدب ومظاهر نهضته فى هذه العصور البعيدة ؛ مع الأشارة إلى شتى المصادر والمراجع ؛ ومع تنظيم البحوث والاستقصاء فيها .

وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ؟

محمد عبد المنعم خفاجى

الاستاذ بكلية اللغة العربية

١٥/ ٩ / ١٩٤٩

منهج الدراسة بكلية اللغة العربية

تاريخ الأدب

تاريخ الأدب فى صـــدر الاسلام : آثار الاسلام فى لغة العرب وحياتها الاجتماعية . القرآن الكريم : نزوله وأسلوبه وإعجازه وجمعه وروايته وأثره فى اللغة والأدب . النثر ومميزاته فى أغراضه وألفاظه وأساليبه ومعانيه . أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثرها فى اللغة والأدب . الخطابة وأشهر الخطباء . الكتابة وأشهر الكتاب . الشعر وما طرأ عليه فى أغـــراضه وألفاظه وأساليبه وأشهر الشعراء المخضرمين .

تاريخ الأدب فى عهد بنى أمية : انتشار اللغة وقيامها بمقتضيات الملك والسياسة طروء اللحن ووضع النحو والنقط والشكل . بدء تدوين العلوم ، عناية الخلفاء والأمراء باللغة والأدب ، أشهر مجامع العلم والأدب .

النثر : الخطابة والخطباء ، الكتابة وأشهر الكتاب ، الأجوبة والمحاورات

الشعر : مميزاته وما طرأ عليه من أغراضه وألفاظه وأساليبه ومعانيه وأخيلته ، صـــيرورته حرفة للتكسب، طبقات الشعراء وطوائفهم كالعشاق والسياسيين والهجائيين ، فحول الشعراء . النقد الكلامى وأمثلة منه ، الموازنة الأدبية وأمثلة منها . الرواية والرواة . الأغانى وأثرها فى الشعر وأشهر المغنيين .

دراسة تاريخ واحد من كل من طائفة من الطوائف الأربع الآتية: دراسة استيعاب يعمد فيها إلى الوقوف على ما يستطاع من تفاصيل حياتهم الأدبية وكل ما له أثر فيها مــــع استنباط خصائص كل فى أقواله : معانيه ومبانيه وأسلوبه وأخيلته وتشبيهاته ومبتكراته ونقد ما هو خليق بالنقد من ذلك مع الموازنة بينه وبين نظير له إن أمكن ومع الإبانة عن أثر كل فى فنون الأدب ومنزلته من رجاله ، وهذه الطوائف :

أ — عمر بن الخطاب ، على بن أبى طالب رضى الله عنهما .

ب — حسان ، الحطيئة ، الخنساء .

ج — الحجاج ، زياد ، عبد الحميد الكاتب ، أبو حمزة ، قطرة بن الفجاءة ،
عبد الله بن الزبير ، قتيبة بن مسلم .

د — جرير ، الفرزدق ، الأخطل ، عمر بن أبى ربيعة ، جميل ،
ذو الرمة ، الكميت .

على ألا يتكرر واحد فى سنتين متتابعتين .

النصوص

١ — دراسة نصوص من القرآن الكريم

٢ - دراسة طائفة من جيد المنثور يختارها المدرس من الأحاديث النبوية ومن الخطب والرسائل والمحاورات فى صدر الإسلام وعهد بنى أمية دراسة فهم ونقد وموازنة لما يستحق الموازنة بغيره منها وذلك مما دون فى مثل صحيح البخارى ونهج البلاغة والعقد الفريد وأمالى القالى وكامل المبرد والبيان والتبيين على ألا يقل المقروء عن نحو ٦٠ صفحة وعلى أن يحفظ الطلبة من ذلك نحو ٢٠٠ سطر مع التعريف بكتاب من هذه الكتب وبيان منزلته فى موضوعه ومنهج مؤلفه .

٣ — دراسة قصائد ومقطعات يختارها المدرس من شعر صدر الاسلام وعهد بنى أمية قراءة وفهما ونقدا وموازنة لما يستحق الموازنة بغيره منها وذلك مما دون فى مجموعات الشعر ودواوين مثل: حسان، الخنساء، الحطيئة، جرير ، الفرزدق الأخطل ، عمر بن أبى ربيعة ، وفى مثل أمالى القالى على ألا يقل المقروء عن نحو ٤٠٠ بيت وعلى أن يحفظ الطلبة منه نحو ٢٠٠ بيت .

الحياة الأدبية

فى عصر صدر الاسلام

من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قيام دولة بنى أمية

١٢ ق هـ - ٤١ هـ

عصر صدر الاسلام

يفتتح العصر الثانى من عصور الأدب العربى وهـــو عصر صدر الاسلام ، ببعثة محمد صلوات الله عليه ، ودعوته وهو بمكة قريشاً والعرب والناس كافة إلى الاسلام عام ٦١٠ م ؛ وينتظم ما بعد ذلك مما امتد من عهد الرسول بمكة والمدينة (١) وعهد أبى بكر (٢) وعمر (٣) وعثمان (٤) وعلى (٥) والحسن بن على (٦) وينتهى بانتهاء عصر الخلفاء الراشدين وقيام دولة بنى أمية على يد معاوية بن أبى سفيان عام ٤١ هـ . ومدته ثلاثة وخمسون عاماً هجرياً .

وهو من أعظم العصور فى التاريخ الاسلامى أثراً ، وأكثرها فى حياة العرب والمسلمين والعالم والانسانية خطراً ؛ ففيه بدأت ونمت وازدهرت وانتشرت دعوة الاسلام دين البشرية الخالد ، ومنقذها الـــكريم من ضلال الجهل والسفه والاستعباد والطغيان والرق الفكرى والبشرى والاجتماعى ، وهاديها الأمين إلى شاطئ الأمن والاسلام والنور والحرية والمساواة ، وقائدها البر إلى حياة المدنية والعلم والثقافة وحرية الأنسان من العبودية والخوف والفقر والجور .

وناهيك به بعد ذلك عصراً ازدهرت فيه اللغة ، ونبه فيه شأن الأدب ، وصـــار فيه للسان العربى والشعب العربى السيادة والفوز والغلبة فى شتى الارجاء والأمصار .

---

(١) أى من عام ١٢ ق هـ إلى عام ١١ هـ [٦١٠ ٦٣٢ م] .
(٢) أى من ١١ — ١٣ هـ [٦٣٢ — ٦٣٤] .
(٣) ١٣ — ٢٣ هـ [٦٣٤ — ٦٤٤ م] .
(٤) ٢٤ — ٣٥ هـ [٦٤٤ — ٦٥٥ م] .
(٥) ٣٥ — ٤٠ هـ [٦٥٥ — ٦٦٠ م] .
(٦) ٤٠ — ٤١ هـ [٦٦٠ — ٦٦١ م] .

وكيف لا وقد افتتح بأروع جهاد عرفته الانسانية ، وبأعظم دعوة وصلت إلى الأرض من السماء ، وبثورة لم يعرف التاريخ قط لها نظيراً ، ثورة على الجمود البشرى واضطهاد الانسان لأخيه الانسان وعبودية الطوائف والشعوب للاكثرين عددا وعدداً ؛ ثورة فتحت صفحة جديدة فى حياة الانسانية ، وأحالت ظلام الحياة ضياء ونوراً وظلمها عدلا وأمنا وسلاما وحرية ، مما شهد به أفذاذ المفكرين والمؤرخين ودعاة الاصلاح .

ومن أولى من محمد بن عبدالله صلوات الله عليه بأن يرفع فى العالم منارة السلام ، وراية المدنية ، وأن يصل الأرض بالسماء ، ويسعى بالانسان ليبلغ ماينتظره من حضارة باهرة ، وحرية نادرة ، وحياة زاهرة ، فيها الأمن والأمل والرجاء ؛

صلى الله عليه ، ورفعه إلى أعلى عليين ، وأكرمه فى أمته كما أكرم أمته به ، إنه على مايشاء قدير .

هذا وعصر صدر الاسلام مستقل عن العصر الأموى ، لاختلاف المؤثرات التى أثرت فى الأدب العربى فى هذا العصر عنها فى عصر بنى أمية . وعلى ذلك سار كثير من الباحثين ومؤرخى الأدب ؛ وهو ما سرنا نحن عليه فى هذا الكتاب .

ولكن بعض الباحثين يجعل العصرين عصرا واحدا يبتدىء بانبثاق فجر الدعوة النبوية وينتهى بانتهاء عهد الدولة الأموية عام ١٣٢ هـ ، ومدته على ذلك ١٤٤ عاما وعلى ذلك سار أصحاب الوسيط[١] والزيات فى كتابه[٢] ، تاريخ الأدب العربى . وسواهما من الباحثين .

---

(١) ٩٤ الوسيط ط ١٩٢٥

(٢) ٧٨ المرجع ط ١٩٣٥

الجاهليون والمخضرمون والاسلاميون

والذين شهدوا هذا العصر العظيم من الشعراء[١] يسمون المخضرمين ، يقول ابن رشيق :

« طبقات[٢] الشعراء أربعة : جاهلي ، ومخضرم وهو الذى أدرك الجاهلية والاسلام ، وإسلامى، ومحدث. ثم صار المحدثون طبقات: أولى وثانية على التدريج وهكذا فى الهبوط إلى وقتنا الحاضر »

أما الجاهليون فأمرهم مشهور ذائع ، وهم الذين نشأوا فى جزيرة العرب قبل الاسلام من الشعراء والخطباء والبلغاء وأرباب الفصاحة واللسن والبيان ، وهذه الكلمة جمع لكلمة جاهلى من الجاهلية المأخوذة من الجهل ضد العلم، لما كان عليه العرب قبل الاسلام من أمية ظاهرة ، أو من الجهل ضد الحلم بمعنى السفه والطيش وسرعة الغضب لما كانوا عليه من الاسراع إلى الانتقام والأخذ بالثأر وشن الحرب لأتفه الأسباب

وأما المخضرمون[٣] فاذا تركنا حديث الاشتقاق اللغوى فان الغالب على من

---

(١) وقل أن يطلق ذلك الاسم على البلغاء والأدباء والخطباء مع أن مثل هذه الفنون الأدبية أخت الشعر وشبيهة به فى كثير من خصائص الفن

(٢) ١/٧٢ العمدة لابن رشيق طبع عام ١٩٢٥

(٣) من الخضرمة يقال أذن مخضرمة أى مقطوعة فكأن الشاعر انقطع عن الجاهلية إلى الاسلام ، وقيل : أسلم قوم فى الجاهلية على إبل قطعوا آذانها فسمى كل من أدرك الجاهلية والاسلام مخضرما ؛ وزعم هذا القائل أنه لا يكون مخضرما حتى يكون إسلامه بعد وفاة النبي وقد أدركه كبيرا ولم يسلم ، قال ابن رشيق : وهذا عندى خطأ لأن النابغة الجعدى ولبيدا قد وقع عليهما هذا الاسم [١/٧٢ العمدة فى ١٩٢٥ ، ٣٠٤ و٢/٣٠٥ المزهر طبع صبيح] . وقال أبو الحسن الأخفش هو من قولهم ماء خضرم إذا تناهى فى الكثرة والسعة فمنه سمى الرجل الذى شهد الجاهلية والاسلام مخضرما كأنه استوفى الأمرين [٢/٣٠٤ المزهر ، =

عاش فى هذا العصر أن يكون مخضرما إذ يغلب أن يكون قد أدرك الجاهلية والاسلام ، أما الذين نشأوا فى الاسلام وتأدبوا بآدابه وقالوا الشعر متأثرين بالعوامل الجديدة التى نشأت مع الحياة الاسلامية فهؤلاء إسلاميون يغلب عليهم أن يكونوا قد عاشوا فى دولة بنى أمية واستظلوا بظلها ، إذ من الثابت أن كثيرا من الشعراء الذين تأثروا بالاسلام ومبادئه قد بهرتهم بلاغة القرآن وفصاحته فانقطعوا عن قول الشعر وعقمت ألسنتهم وبلاغاتهم عن إنشاده ولم يستمر على صلة بينابيعه الثرة إلا هؤلاء الذين بعدوا عن روح الاسلام ولم يتأثروا به وعاشوا فى عزلتهم فى البادية ، فلما سكتت عنهم هذه الروعة قليلا بالفهم لهذه البلاغة المعجزة وبخضوعهم لآثار بيئتهم وحياتهم الجديدة بدأوا فى نظم الشعر ، ولم يعودوا إليه إلا وقد انتهى هذا العصر وبدأ عصر جديد هو العصر الأموى الحافل

فكلمة « الاسلاميون » إذاً تطلق على الشعراء الأمويين لأنهم عاشوا فى ظلال الاسلام وتأثروا بمبادئه وصاغوا حياتهم وفق مبادئه الخالدة إلى حد كبير .

وهى جمع لكلمة إسلامى من « الاسلام » الذى اختير علما لهذه العقيدة الجديدة بما تنطوى عليه من أمن وعدل وحق وخضوع مطلق له وتعاون ومسالمة للناس ، وهى كلمة تشير إلى جميع خصائص الدعوة النبوية الجليلة التى عم أثرها الناس والحياة والبشرية

= ١/١٧٢ العمدة] . وحكى كراعة على بن الحسن : شاعر محضرم بالحاء مأخوذ من الحضرمة وهى الخلطة لأنه خلط الجاهلية والاســـلام [٢/٢٠٥ المزهر ، ١/٧٣ العمدة]

الاسلام

وأثره فى حياة العرب الاجتماعية

جاء الاسلام والعرب قبائل موزعة ، وأحياء متخاصمة ، لا يجمعهم دين ، ولا يقرب بينهم نظام حكم واحد ، ولا يخضعون لرياسة موحدة ، ولا يركنون إلى شريعة اجتماعية منظمة .

فأبدلهم من ذلك كله نظاما موحدا ، وحياة كريمة مهذبة فى الاجتماع والسياسة والدين والدنيا ؛ ويظهر أثر الاسلام فى حياتهم الاجتماعية فيما يلى :

١ — اعترف الاسلام للانسان بحريته واستقلاله الفكرى والاجتماعى والمالى ، وجعله حراً طليقاً من كل قيد إلا من الخضوع لدين الله وللحاكم الأعلى الذى يحكم بما أمر الله ويسهر على حفظ الأمن والنظام بين الناس ، فرفع من كرامة الانسان وجعله خليفة له فى الأرض يعمرها ويمحو الظلام والجهل والفوضى والجمود منها بما وهبه الله من عقل وماحث عليه من العلم والتفكير والعمران التى هى أسباب وثيقة للمدنية والحضارة .

٢ — نظم الأسرة على أسس اجتماعية سليمة ، فشرع الزواج ، وجعله رباطا مقدسا بين المرأة والرجل ، وأباح للرجل فى حالات خاصة حرية الجمع بين عدة أزواج لا يتجاوز فى ذلك أربع زوجات مهما كان ، وأبطل كثيراً من العلاقات الأثيمة وحرم البغاء والزنا ، فحفظ الانساب ورفع من شأن المرأة وجعلها شريكة الرجل فى الحياة تقوم بشئون البيت وتربية الأولاد ، ويقوم هو بالسعى فى الأرض فى سبيل الرزق وكسب العيش له ولزوجه وأولاده ، وأباح للأرامل المتوفى عنهن أزواجهن الزواج بعد أن كان ولى المتوفى يعضلهن عن الزواج (١) ، وجعل للمرأة استقلالها المالى وجعل لها حظا كبيراً من الميراث ، وفرض نفقتها هى وأولادها على الزوج ، وحتم عليهما حسن التعهد للابناء والقيام بتربيتهم

---

(١) عضله : منعه

وتهذيبهم والسهر على تعليمهم حتى يبلغوا مبلغ الشباب إلى سوى ذلك من مظاهر تشريع الاسلام للاسرة .

٣ — ودعا الاسلام إلى أن يكون الناس والمجتمع إخوة متعا بين متعاونين فى الحياة ، وساوى بين الناس فى الحقوق والواجبات ؛ وهدم ماكانوا عليه من نظام الجماعة الفاسد ، وحرم دعوة العصبية الجامحة واستبدل بها دعوة الدين ؛ والطاعة لحاكم واحد يلزم شريعة الله ، وشرع كثيراً من الشرائع الاجتماعية التى تزيد فى وحدة المجتمع كالزكاة والاحسان وصلاة الجماعة ، والحج ، وألقى عبء حفظ النظام والسهر على الأمن على كاهل الحاكم الاكبر .

وحرم الاعتداء على أموال الناس وأعراضهم ودمائهم وحرياتهم ، وأباح الطيبات من الرزق ومن سبل المعيشة الشريفة ؛ التى تتفق وروح الاسلام .

وحارب الرذائل الاجتماعية والعادات الفاسدة والخرافات الكاذبة ، وأزال الفوارق الاجتماعية بين الناس والشعوب ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى .

أثره فى الحياة العقلية للامة العربية

١ — أول شىء للاسلام الكريم فى هذا الميدان، أنه حارب الأديان الفاسدة والعقائد الضارة ، ووجه الناس كافة إلى الله وحده لاشريك له ، فرفع من كرامة الانسان وشخصيته فى الحياة ، وحارب التقليد ، ودعا إلى استقلال الانسان بالتفكير ، ونبه من شأن العقل وحكمه فى كل شىء ، وبذلك حارب الاسلام الجمود والخمول والهوان وبعث العقل البشرى قويا فتيا يبحث فى أسرار الوجود والحياة .

٢ — وحارب الاسلام الأوهام الفاسدة التى تضعف من شأن العقل وتدعوه إلى الكسل والخوف وتبعث فيه روح الايمان الأعمى والتسليم المطلق ، وسلب الناس ماكانوا يزعمون من القدرة على تسخير مافى الوجود من غيب ، وجعل كل ذلك مرده إلى الله يعلم الغيب وماهو أخفى ، فزالت عن العقل ظلمات كثيفة كانت تحول بينه وبين الفهم والأدراك .

٣ — ودعا إلى العلم الصحيح والتفكير المستقل ؛ وبعث فى الناس حب المعرفة والثقافة ، وفرض على العالم إرشاد الجاهل وتهذيبه إلى غير ذلك من مقومات الحياة الصحيحة .

٤ — وبتشجيع الاسلام للمعرفة نشأت العلوم الاسلامية والفكرية وعكف العلماء على البحث والتنقيب مما كان أساس المدنية الاسلامية الباهرة
الى غير ذلك من مظاهر الرقى العقلى والفكرى البعيد

أثره فى حياة العرب السياسية

وأثر الاسلام فى حياة العرب السياسية واضح لا يحتاج الى بيان أو برهان

١ — فقد صار العرب يخضعون لحاكم واحد هو رسول الله وخلفاؤه من بعده فتجمعت الأهواء المتفرقة ، وتآلفت القلوب المتنافرة ، وتوحدت النظم المتباينة فى فى جزيرة العرب ، وأصبحت لهم وحدة سياسية واجتماعية كاملة فوق وحدتهم فى الدم والعنصر واللسان والدين

٢ — وفتح المسلمون كثيرا من البلاد والشعوب وحكموها فتمرن المسلمون على فنون الحكم وصار منهم الولاة والأمراء والقضاة والقواد ورجال الشرطة ، وقد سجل الكثير منهم مجدا يفخر به الدهر وترويه الأيام ، وأحسنوا معاملة أهل الأديان الأخرى والشعوب المحكومة ؛ شعارهم الحق والعدل و لإخاء والمساواة بين بنى الانسان كافة

٣ — وكسب الاسلام للعرب وحدتهم السياسية الكاملة فاستقلت بلاد العرب استقلالا كاملا ، بعد أن كانت البحرين والحيرة تخضع لنفوذ الفرس ، واليمن لنفوذ الحبشة والفرس ، وعرب غسان لنفوذ الروم

الإسلام

وأثره في الحياة الأدبية

وقد أثر الإسلام فى الحياة الأدبية تأثيرا كبيرا سواء فى ألفاظ اللغة أم فى أسلوبها أم فى فنون الأدب المختلفة من شعر ونثر وخطابة وكتابة أم فى أغراض كل فن منها ؛ مما سنبحثه باستقصاء فى الفصول الآتية :

ولقد جاء الإسلام والبلاغة العربية كثيرة متعددة النواحى رائعة التأثير دقيقة الأداء والتصوير ؛ يجرى الشعر على ألسنة العرب شعورا وطبعا وملكة ، وتحفل نواديهم الأدبية بالبليغ المأثور من جيد النثر خطابة ومحاورة ووصايا ونصائح وسواها ؛ والعرب يهزهم البيان ، ويملكهم بلاغة القول ، ولا يرون العبقرية إلا فى شعر يروى أو كلام بليغ يؤثر .

ومع ذلك فقد غير الإسلام من مجرى الحياة الأدبية تغييرا كبيرا واسعا .

وليس يرجع ذلك إلى ما اقتبسه المسلمون من البلاد المفتوحة من ثقافة وعلم وأدب وفن ؛ ولا إلى آثار مدنية وحضارة ، لأن العرب كانوا مايزالون يؤثرون البداوة والخشونة ، ولم يكونوا قد فرغوا بعد من قراع أعداء الدعوة ونضال خصوم الإسلام ؛ وإنما يرجع ذلك كله إلى المصدر الأول لثقافة المسلمين الدينية والعقلية والاجتماعية والأدبية ، وهو القرآن الكريم والكتاب المعجز ؛ الذى أحال خشونة الطباع عذوبة وسلاسة وقوة ، وبدل حوشية الألسنة سهولة ووضوحا وبلاغة ، وأورث العرب وضوحا فى التفكير ودقة فى التعبير والتصوير وروعة فى الحجة ورقة فى الأسلوب .

مما سيأتى تفصيله ، وإنما نكتفي الآن بشرح أثر الإسلام في اللغة العربية .

الإسلام

وأثره فى اللغة العربية

وحدة اللغة وذيوعها :

أثر الاسلام فى اللغة جد خطير ؛ لا يمكن تفصيل القول فيه تفصيلا ، وانما نكتفى بهذا الأجمال :

١ — جاء الأسلام والعرب لهجات مختلفة ، ولهجة قريش لها المنزلة الأولى بين هذه اللهجات بتأثير الأسواق ومواسم الحج ولنفوذ قريش الروحى والاقتصادى بين العرب وما كانوا عليه من ثقافة وخبرة وتجربة ، ونزل القرآن الكريم بلغة قريش فأيد هذه اللغة وأصبح لها السيادة والغلبة ، وكان من قريش ومن السلالات المضرية أبناء عمومتهم رجالات الدعوة وزعماء الدولة وأمرؤها وقوادها وقضاتها وحكامها وعمالها ، فكان لذلك أثر كبير فى انتحال العرب لغة قريش بعد قليل ، أما ماتو ورث من لغة حمير ، فلم يكن متميزا عن اللغة القرشية كثيرا سواء فى التصريف ام الاعراب أم الاسلوب ، بل كان أكثره ظاهرا فى اختلاف بعض الألفاظ عن بعض فى الدلالة على المعانى المتحدة فالكتع فى اللغة الحميرية هو الذئب فى لغة قريش وأنطى فى لهجة حمير بمعنى أعطى عند قريش والشناتر فى كلام الحميريين هى الأصابع فى لسان قريش وسامدون لغة حميرية وهى فى لهجة قريش الغناء ؛ وهكذا (١) الى غير ذلك مما له نظير فى لهجات المضريين أنفسهم كالسدفة فهى الظلمة عند تميم والضوء عند قيس :

ولقلة الخلاف بين الحميرية والقرشية فقد اندمجت لغة حمير كأخواتها فى لغة قريش التى أصبحت لها السيادة والغلبة على جميع اللغات واللهجات

(١) فالأرائك لغة حمير ، وكذلك : المعاذير ، والوزر ، والحور ، واللهو (وهو عندهم المرأة) ، الى غير ذلك مما تجد بعضه فى الأتقان [ص ٢٢٨ وما بعدها ج ١ ط ١٩٤١]

٢ — وهذه الفتوحات الاسلامية الباهرة أدت إلى انتشار العرب فى شتى البلاد المفتوحة وإلى ذيوع اللغة العربية فى أكثر هذه الأقطار ، وصارت هى اللغة الرسمية فيها ، وأصبح يلهج بها بعد قليل سكان سوريا ومصر وفلسطين وافريقيا الشمالية وصارت لغة الدين والسياسة والثقافة فى هذه البلاد وسواها

أغراض اللغة

وزادت أغراض اللغة بتأثير الدين الجديد وما نشأ عنه من نظام ومدنية وعمران وثقافة :

فقد استعملت فى شرح العقيدة الاسلامية والدعوة إليها وحجاج خصومها وتبيين مراميها واستنباط أحكامها كما استعملت فى حفظ نظام الملك ونشر الأمن والعدل بين الناس وفيما استدعته حياة الحضر الجديدة وشئون الثقافة والمعرفة

وفى إرشاد الناس إلى أحكام دينهم ، وتذكيرهم بأوامره ونواهيه

الى ما سوى ذلك من شتى الأغراض الجديدة التى تناولتها اللغة فى هذا العصر زيادة عما كانت عليه فى عصر ما قبل الاسلام . وبعد أن كانت اللغة فى الجاهلية تعبر عن عقول محدودة صارت تنطق عن عقول استضاءت بهدى القرآن وتأدبت بأدب الاسلام .

معانيها وأسلوبها

وظهر فى معانى اللغة الدقة والتفكير والفهم والعمق بما أفاده المسلمون من ثقافة القرآن والدين ومن خبرة وتجربة وادراك صحيح للحياة ؛ كما اتسعت مادة المعانى باتساع المشاهدات والمناظر والمعقولات والمعنويات ؛ وتعددت صور الخيال فى روعة وجمال تعبير بتجدد وتعدد صور المشاهدات التى انتزع منها ، والتى كانت مادة له

أما أسلوب اللغة فقد شاعت فيه العذوبة والسلاسة فى جزالة ، وأخذت بأطرافه القوة والجمال والوضوح وروعة التأثير وقوة الحجة وتأجج العاطفة والتهاب الشعور

ودقة الاحساس الأدبى ، وذلك لتأثرهم بالقرآن وبلاغته ، مما رقق من نفوسهم القاسية فسلست طباعهم وألسنتهم وملكاتهم فلم تقبل إلا السمح المهذب من الأساليب .

وبتأثير الاسلام بطل سجع الكهان وأضرابهم ممن يستنبئون الحصى ويزجرون الطير، وبطل الفجر فى الأسلوب فصار عفا كريما سمحا ينطق عن عاطفة دينية قوية ويصور حياة روحية واسعة ، وينم عن تأدب بأدب الاسلام وتأثر ببلاغة القرآن ولقد غلب عليهم الايجاز بادىء ذى بدء لعدم فراغهم من أعباء الدعوة والملك والفتوحات

ألفاظ اللغـــة

وبتأثير الأسلام وبلاغة كتابه الحكيم جانب المتكلمون حوشية الألفاظ والغريب من المفردات ولم يستعملوا منها إلا ماواءم الذوق وقبله الطبع فلم نعد نرى مثل مستشزر وسجنجل ومسرهد وماشابهها ، إنما تجدا لألفاظ العذبة الرشيقة اللطيفة التى تتم عن استحكام الطبع وقوة الذوق وغلبته

وكذلك دخلت بعض الألفاظ الأعجمية فى اللغة العربية وفى القرآن الكريم الكثير منها (١)

وهناك ألفاظ أخرى حور الأسلام فى معانيها ، فأخرجها من معناها إلى معنى جديد بينه وبين الأول مناسبة كالصلاة والاسلام والصيام والزكاة والمؤمن

---

(١) وقد عقد السيوط فى كتاب الاتقان فصلا عما وقع فى القرآن الكريم من ألفاظ أعجميه [٢٢١ ومابعدها جـ ١ الاتقان]
ومن ذلك . الابريق ، والديباج والدينار عن الفارسية ، والربيون والاسفار عن السريانية و «أواه» عن الحبشية وكذلك الطاغوت و «درى» و «الحواريون» عن النبطية ، والرقيم وفردوس والقسط عن الرومية إلى ماسوي ذلك من هذه الألفاظ .

والكافر والفاسق والمنافق وسوى ذلك ، مما لا يبعد عنك معانيها فى اللغة ونقلها الاسلام إلى معان جديدة .

وبعض الألفاظ منع الاسلام استعمال مدلولاتها أو أعاض عنها غيرها فماتت فمن الأول مثلا :

المرباع والنشيطة والفضول [١] ؛ ومن الثانى : نعم صباحا وعم مساء و « أبيت اللعن » الخ .

وقد أحدث الاسلام بعض الألفاظ الجديدة التى سميت « ألفاظا اسلامية » ومنها : المصحف وقد أطلق على القرآن الكريم وأول من استعمل هذه اللفظة كما يقولون هو أبو بكر الصديق بعد أن جمعت آيات الذكر الكريم وسوره فى الأوراق على عهده ؛ ومنها لفظ الجاهلية ، وقد ورد فى القرآن الكريم وأحدثه الاسلام للفترة التى كانت قبل بعثة محمد صلوات الله عليه .

---

(١) قال عبد الله بن عنمة يخاطب بسطام بن قيس :

لك المرباع منا والصفايا   وحكمك والنشيطة والفضول

المرباع : ما كان يأخذ الرئيس من ربع الغنيمة ، والفضول ما كان يأخذه مما فضل من القسمة ولا يمكن قسمته على الغزاة . والصفايا : ما كان يصطفيه لنفسه من الغنيمة . والنشيطة : ما كانوا يغنمونه عفوا فى طريقهم إلى الغارة

القرآن الكريم

تمهيد

القرآن كتاب الله المعجز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

آيات وسور اشتملت على أمور الدين والدنيا، وانتظمت سعادة الأولى والآخرة، ونزلت هدى ونورا للبشر كافة، وقضت على هذه الأوهام الباطلة والأساطير الكاذبة والعبادات الضالة والأديان المنحرفة؛ وأحالت الظلام ضياء والشقاء سعادة واليأس أملا والضلال هدى والهمجية مدنية والجهل علما ومعرفة وفنا وأدبا وثقافة نبع من معينها الزاخر كل من رغب فى الخير وطمح إلى السلام والنور؛ ونقلت الانسانية من عصر تسوده الفوضى وتذيع فيه مبادىء الطغيان والعبودية وسفك الدماء ونهب الأموال والأعراض إلى حياة فيها رضى وأمن، وطمأنينة وسلام، وحرية وعدل وإخاء، ومعرفة وعمران وحضارة، وحدود محدودة وضعت لسعادة الناس والجماعات والشعوب والانسانية قاطبة

قبس من الهدى والنور نزل به جبريل من السماء إلى الأرض على سيد الخلق وأكرم الرسل وأشرف من فى الوجود محمد صلوات الله عليه، فبلغه الناس، وبشر بدعوته العرب والبشر كافة، وأذاع مبادئه فى كل مكان؛ فحملت إلى العالم السلام والعدل والحرية، وفتحت صفحة جديدة فى تاريخ الانسانية، وأنقذت الناس من ضلال الجاهلية الأولى فتبارك الله رب العالمين.

« ألفاظ إذا اشتدت فامواج البحار الزاخرة، وإذا هى لانت فأنفاس الحياة الآخرة. ومعان بيناهى عذوبة ترويك من ماء البيان، ورقة تستروح منها نسيم الجنان، إذا هى بعد ذلك إطباق السحاب. توهموا السحر ماتوهموه فلما أنزل الله كتابه قالوا هو السحر المبين (١) ». وتصوروا الشعر ماتصوروه فلما سمعوا آياته

---

(١) ٢٨ ، ٢٩ إعجاز القرآن للرافعي ط ١٩٢٨

البينة ، وبلاغته المتدفقة ورأوا هدايته النادرة وفصاحته الباهرة ، ومافيه من روعة التصوير ودقة التعبير وشدة التأثير ؛ قالوا. إي والله إنه لشعر شاعر وسحر ساحر إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر ، كلا والقمر ، والليل إذا أدبر ، والصبح إذا أسفر ، إنها لاحدى الكبر ، وما هو بقول بشر ، إن هو إلا وحى يوحى ؛ ومعجزة تتحدى ، وبلاغة تتلى وتروى ، أشرقت بنوره السماء والارض واهتدت بهديه الملائكة والبشر أجمعون

نزول القرآن

وبينما كان الرسول الأعظم محمد بن عبد الله صلوات الله عليه يتعبد فى غار حراء من يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان للسنة الحادية والأربعين من ميلاده الكريم وسنه أربعون سنة وستة أشهر وثمانية أيام ، أى فى السادس من شهر أغسطس عام ٦١٠ م (١). إذ نزل عليه جبريل بالرسالة الألهية العظمى التى اصطفاه الله من بين الخلق لأدائها للبشر كافة هدى ونورا وشفاء لما فى الصدور

قال جبريل : يامحمد اقرأ

قال : ما أنا بقارىء

قال : اقرأ

قال : ما أنا بقارىء

قال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ، إقــرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم ».

فكانت أول سورة نزلت من القرآن الكريم (٢)

---

(١) سار على ذلك كثير من الباحثين ومنهم المرحوم الخضرى بك فى الجزء الأول من تاريخ الأمم الاسلامية وإن كان الرافعى يقول أن ابتداء الوحى كان بمكة عام ٦١١ م [٣٤ إعجاز القرآن]

(٢) يروى السيوطى آراء أخرى لبعض العلماء ، فبعض يزعم أن « ن » كانت أيضا أول مانزل من القرآن ، وآخرون يقولون « المدثر » ، وآخرون يقولون إنها الفاتحة الخ [راجع ٢٩ وما بعدها ج ١ من الاتقان ط ١٩٤١]

وأول سورة أعلنها الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة هى « والنجم إذا هوى »

وأول سورة نزلت بالمدينة بعد الهجرة هى « ويل للمطففين » .

استمر نزول القرآن بعد البعثة فى مكة قبل هجرة الرسول صلوات الله عليه ، ثم بعد الهجرة والرسول الأكرم بالمدينة حتى توفى إلى رحمة الله عام ١١هـ - ٦٣٢م

كان القرآن الكريم ينزل منجما مفرقا وفق الوقائع ومسايرة للحوادث وتدرجا فى التكاليف وتنقلا بالتشريع حسب الطباع ومدى استعداد النفوس ؛ وكانت آخر آية نزلت من القرآن الحكيم قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »[١] حيث نزلت فى حجة الوداع ونزل قبلها بقليل سورة براءة .

وتم نزول القرآن الكريم قبل وفاة الرسول صلوات الله عليه فى ثلاثة وعشرين عاما ما بين بعثته إلى وفاته ، كان فى ثلاث عشرة سنة منها يقيم بمكة ، وطنه لذى ولد وربى ونشأ فيه ، وفى عشر السنين الأخرى يقيم بالمدينة بعد هجرته صلى الله عليه وسلم من مكة حيث نشر الدعوة وحماها وأيدها

ومجموع سور القرآن الكريم أربع عشرة ومائة سورة، منها الطويل والقصير، ومنها ، ما نزل فى الموعظة والهداية ومانزل فى التوحيد ومحاربة الشرك والأهواء ، وما نزل فى التشريع ونظم العبادات والمعاملات وقوانين الأسرة والجماعة والحكومة الاسلامية ، وما نزل فى أمور الآخرة والغيب وشرح تطور الانسانية وقصص الأمم الماضية وبغيها ومصيرها المحتوم ، أو نزل فى شرح أسرار الوجود

---

(١) وفى الاتقان خلاف كثير حول آخر ما نزل من القرآن ، فقيل آخر آية نزلت « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة » وآخر سورة نزلت « سورة براءة » ، وقيل آخر آية نزلت آية الربا ؛ وقيل « واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله » وكان بين نزولها وبين موت الرسول أحد وثمانون يوما وقيل تسع ليال ، وقيل آخر براءة الخ [١/٤٤ الاتقان وما بعدها]

ومظاهر الغيب وأمور الآخرة ؛ وقد تشتمل السور على كثير من هـذه الأغراض الموحدة

والسور قسمان : مكى ومدنى

فالمكى منها على أرجح الآراء هو ما نزل قبل الهجرة ؛ والمدنى ما نزل بعدها[١]

والسور المدنية اثنتان وعشرون سورة تبلغ نحو ثلث القرآن الكريم وهى : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة والنور والأحزاب والقتال والفتح والحجرات والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق والتحريم والعصر

وما عدا هذه السور وهى اثنتان وتسعون سورة فهو مكى

موضوعات السور المكية والمدنية

أما السور المكية فأظهر موضوعاتها هى :

١ — الدعوة إلى توحيد الله ومحاربة الشرك والأوثان

٢ — تأييد رسالة محمد صلوات الله عليه وتحدى العرب بهذه المعجزة الخارقة ألا وهى القرآن الكريم

٣ — إثبات البعث والحساب والنشور واليوم الآخر والرد على من ينكر ذلك فى إفاضة وقوة حجة وتأثير

٤ — قص قصص الأمم القديمة وعنادها وحجاجها مع الرسل والأنبياء وإصرارها على الضلال وما حل بها من المثلات تبصرة وذكرى لقوم يؤمنون

٥ — محاربة التقليد ودعوة العقل البشرى الى الاستقلال بالتفكير واتباع الحق من العقائد والطاعات ونبذ الاوهام والأساطير والخرافات والتفكير فى نواميس الله فى الكون

---

(١) راجع ١/١٣ الاتقان للسيوطى ، وقيل المكى ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدنى ما نزل بالمدينة ، وقيل المكى ما كان خطابا لأهل مكة والمدنى ما كان خطابا لأهل المدينة [١٣ و ١/١٤ الاتقان] . هذا وتسمى السورة مكية إذا كان أغلبها مكيا وتسمى مدنية إذا كان أكثرها مدنيا

وأما أهم موضوعات السور المدنية فهى مايلى :

١ — تشريع النظم والقوانين للفرد والأسرة والجماعة والأمة لتسير الانسانية الى حياة كريمة مهذبة تليق بكرامة الانسان خليفة الله فى الارض ، الى الفضيلة والخير والعدل والحق والامن والسلم والعمران والحضارة

٢ — الدعوة إلى الفضائل ومحاربة الرذائل بكل سلاح وكل وسيلة

٣ — تقرير وحـــدة الانسانية والاخوة البشرية العامة وتعزيز الصلات الاجتماعية بين الانسان والانسان ، وإلغاء الفروق بين الطبقات والجماعات والشعوب ، ورفع كرامة الانسان الادبية فى الحياة ، وتعزيز شخصية الانسان وإيضاح رسالته ورسم الاهداف الكريمة التى يجب أن يسير إليها ويعمل لها فى الحياة

٤ — وضع شرائع الحرب والسلام التى تسير مع الانسانية العالية وتوافق مصالح البشر فى الحياة الدنيا على اختلاف الزمان والمكان

وعلى العموم فالسور المدنية احتوت على أكثر التشريع الاسلامى وأودعت أعظم الآداب الاجتماعية والسياسية التى تؤلف القلوب وتحوط الملك وتصون الشعوب[١] .

وقصارى الكلام أن القرآن كتاب هداية ونور ودين ودنيا وخير عام وهو دستور الانسانية المهذبة ووثيقة الحرية والمساواة والآخاء التى نالها الانسان على طول الأيام والأحقاب

أسلوب القرآن

وأسلوب القرآن نمط فريد من البلاغة والروعة وجلالة الروح وإشراق البيان وجمال الديباجة وقوة المنطق وعبقرية التصوير والتعبير

أسلوب جمع بين الجزالة والسلاسة والقوة والعذوبة وحرارة الايمان وتدفق البلاغة ؛ فهو السحر الساحر ، والنور الباهر ، والحق الساطع ، والصدق المبين

(١) ١٧ الأدب العربى فى صدر الاسلام لعبد الله عفيفى بك

نزل الذكر الحكيم فى أسلوب لا يضارعه أسلوب فلا هو شعر ولا هو سجع ولا هو مزاوجة ولا هو نثر مرسل ولا خطابة ، إنما هو نظم رائع رألفاظ عذبة ومعان سامية حصيفة ، وجلال وروعة ؛ جمع بلاغة جميع أساليب البيـــان ، وفصاحة شتى خصائص النظم ، واستوفى كل عناصر الاعجاز

تحـدى الله به العرب فعجزوا فتحداهم بسورة منه فبهروا ، فتحـداهم بأقصر سورة ثم بعدة آيات فخرسوا ؛ ولما سمعه فصحاؤهم وبلغاؤهم وأرباب البيان فيهم سجدوا له خاشعين ؛ وما إيمان عمر حين سمع « طه » ، وما فزع عتبة بن ربيعة وقوله : « والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر [١] » حين سمع « فصلت » وما تردد بلغاء العرب على الأماكن التى يتعبد فيها محمد ليلا ليسمعوا هذه البلاغة الباهرة خفية ، وماعجزهم بعد التحدى ، ما كل ذلك إلا دليل الاعجاز وعظمة البيان وجلال الاسلوب

ويقول أبو بكر الباقلانى المتوفى عام ٤٠٥ ﻫ فى كتابه « إعجاز القرآن » فى فصاحة الذكر الحكيم :

إن نظم القرآن على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من نظام كلام العرب ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختص به ، ويتميز فى تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد . وليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع والمعانى اللطيفة والفوائد الغزيرة ، والحكم الكثيرة ، والتناسب فى البلاغة والتشابه فى البراعة ، على هذا الطول وعلى هذا القدر . وإنما تنسب إلى حكيمهم كلمات معدودة ، وألفاظ قليلة ، وإلى شاعرهم قصـــائد محصورة يقع فيها أحيانا الاختلال والاختلاف والتعمل والتكلف ، والتجوز والتعسف . وقد جاء القرآن ، على كثرته وطوله ، متناسبا فى الفصاحة على ما وصفه الله تعالى به فقال : « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله » . « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » .

---

(١) ٣٨٧ / ٣ الكشاف للزمخشرى ط ١٣٥٤ ﻫ

ذلك إلى أن عجيب نظمه، وبديع تأليفه، لا يتفاوت ولا يتباين، على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف إليها من ذكر قصص ومواعظ، واحتجاج وحكم وأحكام؛ وإعذار وإنذار، ووعد ووعيد، وتبشير وتخويف، وأوصاف وتعليم أخلاق كريمة وشيم رفيعة وسير مأثورة، وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها؛ ونجد كلام البليغ الكامل والشاعر المفلق والخطيب المصقع يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور؛ فمن الشعراء من يجود في المدح دون الهجو، ومنهم من يبرز في الهجو دون المدح، ومنهم من يسبق في التقريظ: دون التأبين ومنهم من يجود في التأبين دون التقريظ ومنهم من يغرب في وصف الإبل أو الخيل أو سير الليل؛ أو وصف الحرب؛ أو وصف الروض؛ أو وصف الخمر، أو الغزل؛ أو غير ذلك مما يشتمل عليه الشعر ويتداوله الكلام. ولذلك ضرب المثل بامرىء القيس إذا ركب، والنابغة إذا رهب؛ وزهير إذا رغب؛ وهم لا خلاف في تقدمهم في صناعة الشعر؛ ولا شك في تبريزهم في مذهب النظم.

ومتى تأملت شعر الشاعر البليغ رأيت التفاوت في شعره على حسب الأحوال التي يتصرف فيها، فيأتي بالغاية في البراعة في معنى. فاذا جاء إلى غيره قصر عنه ووقف دونه، وبان الاختلاف في شعره، ثم نجد في الناس من يجود في الكلام المرسل، فاذا أتى بالموزون قصر ونقص نقصانا عجيبا؛ ومنهم من يوجد بضد ذلك. وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع مايتصرف فيه من الوجوه التي ذكرناها على حد واحد في حسن النظم وبديع التأليف والرصف، لاتفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا. وكذلك قد تأملنا ماتتصرف إليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة فرأينا الأعجاز في جميعها على حد واحد لايختلف

وهناك شيء آخر وهو ورود تلك المعاني التي يتضمنها في أصل الشريعة والأحكام والاحتجاجات في أصل الدين، والرد على الملحدين، بهذه الأساليب البديعة، وموافقة بعضها بعضا في اللطف والبراعة؛ مما يتعذر على البشر، وقد علم أن تخير الألفاظ للمعاني المتداولة المألوفة، والأسباب الدائرة بين الناس، أسهل

وأقرب من تخير الألفاظ لمعان مبتكرة ، وأسباب مؤسسة مستحدثة ، وبراعة اللفظ فى المعنى البارع أعجب من براعته فى المعنى المتداول المتكرر .

وللقرآن مزية أخرى غير ما تقدم ، وهى أنه من المقرر المعروف أن الكلام يبين فضله ورجحان فصاحته بأن تذكر منه الكلمة فى تضاعيف كلام ، أو تقذف مابين شعر ، فتأخذه الأسماع ، وتتشوف إليه النفوس ، ويرى وجه رونقه باديا غامرا سائر ما يقرن به ، كالدرة التى ترى فى سلك من خرز ، وكالياقوتة وسط العقد ، وأنت ترى الكلمة من القرآن يتمثل بها فى تضاعيف كلام كثير فاذا هى غرة جميعه ، وواسطة عقده ، والمنادى على نفسه بتميزه ، وتخصصه برونقه وجماله

وبعد فانك تجد فى كتاب الله الحكمة وفصل الخطاب مجلوة عليك فى منظر بهيج ومعرض رشيق ، ونظم أنيق غير متعاص على الأسماع ، ولا ملتو على الأفهام ، ولا مستكره فى اللفظ ؛ يمر كما يمر السهم ، ويضىء كما يضىء الفجر ؛ ويزخر كما يزخر البحر ؛ طموح العباب ؛ جموح على الطارق المنتاب ؛ كالروح فى البدن ، والنور المسبطر فى الأفق ؛ والغيث الشامل ؛ والضياء الباهر . « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

جمع القرآن

١ — كان بعض الصحابة يكتبون ماينزل من القرآن ـ ابتداء أو بأمر الرسول صلوات الله عليه — على مايتفق لهم من العسب والألواح والرقاع واللخاف (١) وقطع الأديم وعظام الأكتاف والأضلاع وكل ماصلح للكتابة

كان كل يكتب ماتيسر له كتابته ، وكان منهم بعض قليل كتبوا القرآن كله والاجماع على : على بن أبى طالب ومعاذ بن جبل وعبدالله بن مسعود وزيد ابن

---

(١) العسب : جمع عسيب وهو جريد النخل وكانوا يكشطون الخوص عنه ويكتبون فى الطرف العريض . واللخاف جمع لخفة بفتح فسكون وهى صفائح الحجارة .

ثابت [1] ؛ وقبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم عرض زيد القرآن عرضة على رسول الله صلوات الله عليه ، ففى عهده صلوات الله عليه كان القرآن مرتب السور والآيات ولكنه غير مجموع فى كتاب واحد

وكان يحفظ القرآن كله أو بعضه كثير من الصحابة فى عهده عليه الصلاة والسلام وتوفى الرسول صلى الله عليه والقرآن محفوظ فى صدور الصحابة وفى الرقاع التى كانوا يكتبون آياته وسوره فيها .

٢ — وتقلد أبو بكر خلافة المسلمين ونهض بعبء الدعوة النبوية وأخذ يحارب أهل الردة فى معارك كثيرة كان منها غزوة أهل اليمامة التى مات فيها كثير من الصحابة والقراء رضوان الله عليهم ويقال إن عدد من قتل فيها سبعون قارئا من الصحابة ، وخيف أن يكثر موتهم فى الغزوات والحروب .

ففزع أبو بكر وعمر عليهما رحمة الله من ذلك ، ورأى عمر جمع القرآن من صدور الصحابة ومن الألواح والعسب والأكتاف ، ويروى أنه دخل على أبى بكر فقال له : ياخليفة رسول الله إن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم باليمامة يتهافتون تهافت الفراش فى النار وإنى أخشى أن لايشهدوا موطنا إلا فعلوا ذلك حتى يقتلوا وهم حملة القرآن فيضيع القرآن وينسى ، فلو جمعته وكتبته [2]

فكر أبو بكر فى الأمر واستشار فيه الصحابة وكان يفزع من أن يضع شيئا لم يأمر به الرسول الاعظم صلوات الله عليه ؛ ولذلك قال أبو بكر لعمر : أفعل مالم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم !!

وأرسل أبو بكر إلى زيد بن يزيد يستشيره فى الأمر فكره ذلك فقال عمر

---

(١) يروى أن زيد بن ثابت تعلم الفارسية من رسول كسرى والرومية من حاجب النبى والحبشية من خادم النبى والقبطية من خادمه أيضا [ص ٦ ج ٣ العقد] وكان كتاب الوحى حول رسول الله نحو الأربعين منهم جلة الصحابة رضوان الله عليهم .

(٢) راجع فى ذلك الأتقان ١/٩٨ وما بعدها .

لهما : وما علينا لو فعلنا ذلك حتى ألهمهما الله به فأمر أبو بكر زيد بن ثابت بجمع القرآن كله من الرقاع وصدور الرجال ونسخه فى قطع الأديم والأكتاف والعسب وسمى أبو بكر هذه الألواح المكتوبة التى جمع فيها جميع القرآن الكريم مصحفا وحفظت هذه الصحف عند أبى بكر حتى توفى ثم عند عمر طول حياته ثم حفصة بنت عمر صدرا من ولاية عثمان .

وهذا الجمع الأول ؛ وقد حدث فى عهد أبى بكر على يد زيد بن ثابت (١) وباشراف الخليفة وعمر وكبار الصحابة وكان الغرض منه جمع نص القرآن الكريم فى مجموعة واحدة حتى لا يضيع شىء منه بموت الصحابة والقراء فى الغزوات والحروب .

وفى عهد عثمان تفرق الصحابة والقراء فى الأمصار فكان ابن مسعود فى الكوفة وأبو موسى الأشعرى فى البصرة والمقداد بن الأسود فى دمشق وأخذ عنهم أهل تلك البلاد وجوه القراءه والترتيل ؛ مما أدى إلى تعدد القراءات واختلاف المسلمين فى قراءة القرآن اختلافا كثيرا حتى كان الواحد منهم يقول للآخر ؛ قراءتى خير من قراءتك والآخر يقول : بل قراءتى ؛ واستمر الأمر على ذلك إلى أن شهد حذيفة بن اليمانى وهو صحابى جليل غزوة أذربيجان وغزوة إرمينية وشاهد هذا الاختلاف الكثير فلما عاد أنذر عثمان بعاقبة هذا الاختلاف الوبيل وحذره من سوء المصير إذا استمر هذا الاختلاف .

فأرسل عثمان إلى حفصة يستأذنها فى أخذ الصحف التى جمع فيها أبو بكر القرآن فأذنت له ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام وسعيد بن العاص بأن ينسخوها فى المصاحف، وأمرهم بأن يرجعوا فيما اختلفوا فيه إلى زيد بن ثابت ، وما اختلفوا فيه جميعا أن يكتبوه بلسان قريش فان القرآن نزل بلسانهم . فكتبوا مصحفا عرضوه على صحف حفصة فلم يختلف فى شىء فرد عثمان صحف حفصة إليها ، وفرح بما عمل فرحا شديدا ، وأمر الناس

---

(١) وكان يعاونه بعض كتاب الوحى وفيهم سالم مولى أبي حذيفة كما يروي

أن يكتبوا مصاحف ثم لما ماتت حفصة أرسل إلى عبد الله بن عمر فأخذ منه الصحف فغسلت غسلا

وكانت عدد المصاحف التى كتبها عثمان خمسة وقيل سته وقيل سبعة ، وبعث عثمان إلى كل قطر مصحفا ، فأرسل منها إلى الكوفة والبصرة ومكة والشام واليمن والبحرين وأبقى واحدا بالمدينة وهو مصحفه الذى سمى « الامام »

ويسمى عمل عثمان ذلك « جمعا ثانيا » للقرآن ، وقد قام به أربعه من جلة حفظة الذكر الحكيم وكتابه ، وكان الغرض من هذا الجمع القضاء على اختلاف المسلمين فى قراءات القرآن ولهجاته حتى لا يتطرق إلى المصحف تصحيف أو تغيير

وصدق الله العظيم حيث يقول : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »

فجمع أبى بكر إنما كان كما يقول السيوطى فى الاتقاق : « خشية أن يذهب من القرآن شىء بذهاب حملته لأنه لم يكن مجموعاً فى موضع واحد فجمعه فى صحائف مرتباً لآيات سوره على ما وقفهم عليه رسول الله وجمع عثمان لما كثر الاختلاف فى وجوه القراءات حين قرأوه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلك إلى تخطئه بعض فخشى من تفاقم الأمر فى ذلك فنسخ تلك الصحف فى مصحف واحد مرتبا سوره واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجاً بأنه نزل بلغتهم [١] » والله أعلم .

---

(١) والخلاصة أن القرآن :-

١ — كان سوره مرتبة الآيات فى عهد رسول الله صلى الله عليه

٢ — أما ترتيب سوره فلم يكن فى عهد رسول الله بدليل أن مصحف عثمان يخالف الترتيب المعروف اليوم لسور القرآن ، وما الخلاف بين مصحف ابن مسعود ومصحف أبى بن كعب ومصحف عثمان إلا خلاف فى ترتيب سور القرآن

٣ — كان الجمع الأول للقرآن فى عهد أبى بكر عام ١١ ﻫ ، وكان الجمع الثانى فى عهد عثمان عام ٢٥ ﻫ .

٤ — كان تقسيم المصحف ثلاثين جزء زمن الحجاج

رواية القرآن أو قراءاته .

١ — عن البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله (ص) قال « أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف »[1] .

المراد من الأحرف السبعة المذكورة غير القراءات السبع .

٢ — والمراد من الاحرف السبعة ورود بعض آياته على وجوه كثيرة :

ففي القاموس : « نزل القرآن على سبعة أحرف : سبعة لغات من لغات العرب وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه وإن جاء على سبعة أو عشرة أو أكثر » وفي اللسان « أراد بالحرف اللغة » وهذه اللغات متفرقة في القرآن فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة أهل اليمن وبعضه بلغة هوازن أو هذيل » . والأرجح أن الأحرف في اللغات والقراءات هي اللهجات وقد محى من اللغات ست وبقيت لغة قريش وهو الحرف الذي اختلفت القراءة فيه .

ومثال ذلك الاختلاف مارواه الفناري في حواشيه على « المواقف » عن الامام ابن قتيبة الهمذاني:

١ — ما يتغير فيه المعنى بسبب الزيادة : « وأنذر عشيرتك الأقربين ، ورهطك منهم المخلصين » فهذه الجملة الأخيرة لم توجد في القراءات المذكورة ، ولكنها نقلت في حديث ابن عباس . ولا يخفى أن لها معنى زائدا على قوله تعالى : « وأنذر عشيرتك الاقربين » .

ومثال مالا يتغير فيه المعنى قوله تعالى : « وما عملته أيديهم » وفي قراءة « وما عملت أيديهم » والمعنى واحد فيهما ، لان حذف الضمير العائد الى الموصوف جائز ، فهو كانه مذكور . فهذان وجهان من الاوجه السبعة : مالا يتغير فيه المعنى وما يتغير بسبب زيادة أو نقص .

---

(١) وورد أيضا « نزل القرآن على سبعة احرف كلها شاف كاف »

٢ وقد يكون تغير المعنى بسبب تغير نفس الكلمة بدون زيادة عليها أو نقص، وتحت هذا ثلاث صور :

ا — إحداها : أن تتغير الكلمتان تغير الشكل مع بقاء مادة الكلمة على حالها مثل « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل » و « البخل » بفتح الباء والخاء فى الكلمة الثانية « فان احرف البخل والبخل واحد » ومعناهما واحد » ولم يتغير سوى الشكل .

ب — ثانيتها : أن تتغير الكلمتان بتغير مادتهما مع اتحاد معناها كا « لصوف المنفوش » فى موضع « العهن المنفوش فان لفظهما مختلف ومعناها واحد . وقدقرأ كالصوف المنفوش ابن مسعود وسعيد بن جبير ومن ذلك ماإذاتغيرت الكلمتان بتغير حرف واحـــد منهما « كقوله تعالى : « ثم ننشرها لحما » فى قراءة . وفى أخرى « ثم ننشزها » بالزاى . وكذلك قوله : « حتى حين » وفى قراءة « عتى حين » فى لغة هذيل .

ج — ثالثها : أن تتغير الكلمتان فى الشكل والمعنى مع اتحاد مادتهما ، كقوله تعالى : « إن الساعة آتية أكاد أخفيها » بضم الهمزة ، بمعنى أكتمها ، وأخفيها بفتح الهزة بمعنى أظهرها . ومن ذلك تغير الفعل من أمر إلى ماض مع اختلاف المعنى ، كقوله تعالى : « فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا » و « بعد بين أسفارنا » فى قراءة ، فالاول فعل أمر ، والثانى فعل ماضى ، ومعناه على الاول ظاهر ، فقد كان بينهم وبين الشام قرى ظاهرة متقاربة فطلبوا بعدها لتكون تجارتهم عزيزة غالية الثمن . أما قراءة بعد ففيها إخبار منهم بغير الواقع جحوداً لنعمة الله . فهذه ثلاثة أوجه تضم إلى الوجهتين السابقين ، فيـــكون المجموع خمسة ، وبقى وجهان آخران :

٣ — وذلك بأن يكون التغيير راجعاً إلى أمر عارض للفظ ، وتحت هـذا صورتان :

ا — الصورة الاولى . أن يكون بسبب التقديم والتأخير ، كقوله تعالى . « وجاءت سكرة الحق بالموت » بدل « وجاءت سكرة الموت بالحق » .

ثانيتهما . أن يكون بسبب الاعراب ، كقوله تعالى : « إن ترن أنا أقل منك » وفى رواية « أنا أقل » بالضم ، وقوله تعالى : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، وفى قراءة « ولا يضار كاتب ولا شهيد » بفتح الراء وضمها .

فبان أن التغيير إما أن يكون راجعا الى زيادة كلمة أو نقص كلمة ، وإما أن يكون راجعا الى نفس الكلمة فى الشكل ، أو فى إبدالها بمرادفها ، أو إبدال فعل ماض بمضارع ؛ وإما أن يكون راجعا الى وصف الكلمة من تقديم وتأخير وإعراب .

وسبب نزول القرآن على هذه الأوجه السبعة : أن العربى مجبول على لغته ، فلو كلف بالقراءة على وجه واحد فانه يعسر عليه التحول ، وقد جاء النبى صلى الله عليه وسلم للناس بشريعة سمحة ليس فيها على الناس من حرج ، قال تعالى : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » ، فلو نزل القرآن على حرف واحد لعسر على باقى القبائل التحول عن لغتهم الى القراءة به . وليس المراد أن كل كلمة من القرآن تقرأ على هذه الأوجه ، بل المراد أن بعض القرآن نزل بلغة قريش وهو معظمه ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوزان ، وبعضه بلغة اليمن الخ . فمن سماحة الدين أن يسر الله حفظ القرآن وتلاوته على العرب فى أول أمرهم ، فأنزله على الأوجه التى ينطقون بها ، ولم يكلفهم التحول عن لغتهم لما يعلمه فى طباعهم من الحمية والتعصب للغاتهم . فلو كلفهم من أول الأمر النطق بلغة غير لغتهم لنفروا من تلاوة القرآن وشق عليهم حفظه ، وذلك كان شأن التشريع الاسلامى فى جميع أطواره ، فانه مبنى على مصالح الناس الصحيحة التى يترتب عليها سعادتهم فى الدنيا والآخرة ، ودفع المضار التى تؤذيهم أدبيا وماديا .

ومما ينبغى الالتفات اليه فى هذا المقام أن القرآن الكريم قد أنزله الله تعالى على هذه الأوجه التى ينطق بها العرب يومئذ بدون أن يتغير شىء من معناه الحكيم ، أو ينقص شىء من بلاغته وفصاحته التى تحدى بها جميع معارضيه من فحول البلاغة وأساطين البيان ، بل كان اختلافه فى التعبير آية أخرى من آيات إعجازه ، إذ لو نزل على وجه واحد ولغة واحدة لسهل على الآخرين أن يحتجوا

على عجزهم عن معارضته بنزوله على غير لغتهم ، فقطع الله على جميع العرب هذه الحجة المحتملة من أول الأمر . وأما ما روى عن عمر من أنه أنكر على ابن مسعود قراءته « حتى » : « عتى » بلغة هذيل وقال له: إن القرآن نزل بلغة قريش ، فقد اجابوا عنه بأن عمر قد راعى فى ذلك نزوله فى أول الأمر قبل أن يطلب النبى صلى الله عليه وسلم من ربه التخفيف عن الناس

وقد يكون عمر طلب من ابن مسعود أن يقرأ بلغة قريش ، لأن معظم القرآن قد نزل بلغة قريش ، وقد طال عهد الناس يومئذ بالاسلام ، فمن الحسن أن يجهد عمر لحملهم على قراءة القرآن بلغة واحدة ، ويمرنهم على ذلك ، دفعا لما عساه أن يحدث من الاختلاف فى كتاب الله تعالى . وأما قوله : فانه نزل بلغة قريش ؛ فانه يريد أن معظمه نزل بلغتهم . والحديث الذى معنا يدل على ذلك دلالة واضحة ، فان القرآن نزل أولا على وجه واحد ، فطلب النبى صلى الله عليه وسلم من ربه أن يزاد على ذلك الوجه ، ولم يزل يزاد له حتى انتهى الى هذه السبعة . وفى رواية مسلم أنه عليه الصلاة والسلام قال : إن أمتى لا تطيق ذلك . ومعنى هذا أنه لو نزل بلغة قريش خاصة لانصراف الآخرون عن تلاوته والنظر فيه . وهم حديثون عهد بالاسلام ، لم تذهب من صدورهم نزعة الجاهلية الأولى ، ولم يفارقهم التعصب الشديد للغتهم ؛ فعفا الله عنهم واستجاب لنبيه دعاءه فى شأنهم . وأنزل عليه القرآن على حسب لغاتهم ولغات قبائلهم المشهورة .

وليس الغرض أن كل كلمة قد اجتمعت فيها اللغات السبع ، بل اللغات السبع مفرقة فيه كما ستعرفه . على أن معظمه نزل بلغة قريش كما ذكرنا آنفا . ولا يرد أن لغات العرب أكثر من سبعة . لأن المراد أشهرها وأفصحها ،

أما علاقة هذه الأحرف السبعة بالقراءات السبع المعروفة . فهى أن القراءات السبع وغيرها بعض هذه الأحرف المذكورة فى الحديث . بمعنى أن ما نقله أئمة القراء متواترا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو بعض الأحرف التى نزل بها القرآن . لما بيناه من أن الأحرف السبعة المذكورة فى الحديث تشمل لغة معظم القبائل العربية . فالقراءات السبع المتواترة وغيرها لا تخرج عن لغات

العرب الفصيحية حسنا ، ولذا كان من المتعذر نقل مفردات الأحرف السبعة المذكوره فى الحديث كلها بطريق التواتر .

على أن عناية المسلمين الشديدة بكتاب الله تعالى . وحرصهم على تدوين كل مايتعلق به ، حمل بعض جهابذة العلماء على جمع الروايات المختلفة ، سواء كانت متواترة أو غير متواترة ، فى كتاب ضخم .

ومما لاخفاء فيه أن التواتر لم يقف عند القراءات السبع المعروفة ، بل قد تواتر غيرها أيضا . وقد وضع بعض المحققين ضابطا للقراءات المقبولة ، سواء كانت من السبع أو من غيرها وهو : « كل ما صح سنده واستقام وجهه فى العربية ووافق لفظه خط المصحف الامام ، فهو من القراءات المقبولة ، سواء كانت سبعة أو أكثر من ذلك » .

والحاصل : أن القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب ، وهى مختلفة فى كثير من نواحى التكلم ، فاقتضت الحكمة أن ينزل القرآن على نبيه مشتملا على كل لغات العرب المشهورة ، كى لاتقوم لهم حجة على عجزهم عن محاكاته والإتيان بمثله ، وكان المسلمون يومئذ قد غلبت عليهم الأمية ، فكانوا يحرصون على حفظ كل ماينقلونه عن رسول الله صلى الله عليه ، فنقلوا إلينا ما حفظوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متواترا على الضبط المتواتر من القراءات .

وقد يقال : هل الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن الكريم كتبت فى زمن النبى ؟ فنقول إن القرآن نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب الوقائع والأحوال فلم يكن نزوله مرتبا على الحالة التى هو عليها الآن . ومن البدهى أن ترتيبه على هذه الحالة بأمر الله عز وجل كما ستعرفه ، فكانت تنزل الآية أو الآيات فيأمر النبى كتبة الوحى الذين كانوا يعرفون الكتابة يومئذ فيكتبون ما يوحى إليه بنصه وشكله ، ويبلغه للناس فيحفظه القراء المشهورون بالحفظ كما أنزل بحسب لغاتهم المختلفة ، وهكذا ، حتى تم نزوله وترتيبه ، فعرض النبى صلى الله عليه وسلم القرآن كما هو على جبريل ، وبلغه للحفاظ مرتبا فحفظوه على حالته التى تواتر بها إلينا .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يباشر تحفيظ كبار الصحابة بنفسه زيادة على تعليم كتبة الوحى الذين كانوا على جانب عظيم من الذكاء والفطنة والأمانة. ومن الذين علمهم الرسول مباشرة عبد الله بن مسعود، فقد روى عنه البخارى أنه قال: « والله لقد أخذت من فى رسول الله بضعا وسبعين سورة ». وفى رواية لابن أبى داود أن ابن مسعود قال: « أخذت من فى رسول الله سبعين سورة، وإن زيد ابن ثابت لصبى من الصبيان ». فهذا صريح فى أن بن مسعود تلقى هذه السور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال عبد الله بن عمر: كانت تنزل السورة فنحفظها عن رسول الله صلى عليه وسلم ونتعلم حلالها وحرامها الخ. فهذا صريح فى أنهم كانوا يحفظونه سورا كاملة مرتبة على هذه الحالة التى تواترت إلينا.

ومما هو واضح أن العرب يومئذ كانت لهم مقدرة شديدة على الحفظ، حتى كان بعضهم يحفظ كل ما يسمعه من أول مرة. وقد سمع ابن عباس قصيدة عمر بن أبى ربيعة وهى تبلغ سبعين بيتا تقريبا مرة واحدة فحفظها حفظا جيدا وقرأها. فلم يعقهم الحفظ متفرقا عن الحفظ جملة واحدة كما قد يتوهم

وبالجملة: إن الحفاظ الذين كانوا يتلقون القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا على جانب عظيم من الضبط والذكاء والفطنة، ومنهم أبو بكر وعمر وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبى بن كعب وغيرهم من فحول الأذكياء وأساطين الحفاظ، فهؤلاء هم الذين حفظوا القرآن مرتبا على ما هو عليه بعد أن تم نزوله، ونقله عنهم غيرهم من القبائل، بحيث نقلت كل قبيلة ما يوافق لغتها التى نزل بها.

ومن هنا تعلم أنه لم تكن هناك حاجة إلى كتابة القرآن مرتبا، لأن الحفظ كان كافيا، ولكنه كتب متفرقا، وكانت الكتابة يومئذ على الجلد والأحجار الملساء ونحو ذلك، فلما توفى الرسول صلوات الله عليه قتل كثير من القراء، فتنبه عمر لذلك وقال لأبى بكر: أخشى أن يذهب القرآن بموت القراء فمن الصواب أن نجمع الآيات المتفرقة التى كتبت فى عهد الرسول مرتبة طبقا المحفوظ لنا، فوافق أبو بكر بعد تردد لأنه كان يحب الوقوف عند الحد الذي

تركهم عليه الرسول ، فجمعت آيات القرآن المتفرقة ورتبت وفقا للمحفوظ بدون تغيير فى الرسم الذى كانت عليه ، لأنها كانت مشتملة على كثير من لغات العرب التى نزل بها القرآن ، فكل مافعله أبو بكر رضى الله عنه أنه جعل كل آية بجوار صاحبتها حتى كملت كل سورة على حدة ، ولكنه لم يرتب السور ، ولم يحذف شيئاً من اللغات المدونة فيه .

فلما شاع القرآن بين العرب وانتشر الاسلام فى الأمصار والأصقاع ، وقرأت كل قبيلة بلغتها ، دب الخلف بين الناس ، وأخذ بعضهم يكفر صاحبه ويقول له : أنت تقرأ القرآن على غير ما أنزل ، لأن كل واحد كان يجهل ما نزل به القرآن من لغة الآخر فاستشار عثمان كبار الصحابة فى أن يجمع الناس على قراءة واحدة كى لا تحدث بين المسلمين فرقة ، فوافقوه على رأيه . فجمع القراء المشهورين ، ومنهم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الله بن عباس وغيرهم ، فكتبوا له المصحف بلغة قريش ، لأن معظم القرآن نزل بها ، وأقرهم على فعلهم سائر الصحابة يومئذ ، فبعث به الى الجهات المتفرقة ، وأمر بحرق ماعداه .

فعمل عثمان رضى الله عنه كان مشتملا على أمرين لم يعملهما أبوبكر .

أحدهما : أنه جعل الكتابة مقصورة على لغة واحدة بعد أن كانت بلغات متفرقة .

ثانيهما : أنه رتب سورة القرآن فجعل كل سورة عقب الأخرى على حسب الترتيب الذى تلقاه الحفاظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العالمين .

وقد أحسن عثمان رضى الله عنه ومن وافقه من أئمة الدين بذلك العمل الجليل كل الاحسان ، فقد سد على الذين فى قلوبهم مرض باب الاختلاق على كتاب الله المبين ، وحسم مادة التفرقة فى أصل الدين ومنبعه المعين . وذلك بتوفيق الله الذى قال : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » . فقد صدق وعده الذى وعد به ، فألهم عثمان وباقى أصحاب رسول الله الاعلام وسيلة حفظه ، ولولا ذلك لكان اختلاف لهجات

الحروب الكثيرة المتشعبة من أكبر العوامل التى أتاحت لأعداء الدين الفرص لتحريف ذلك الكتاب الكريم وتبديل عباراته كما بدل غيره من الكتب .

وقصارى القول أن الأحرف السبعة التى نزل بهما القرآن كانت مفرقة فيه ، فبعضه نزل بلغة قريش ، وهو معظمه ، وما نزل بهذه اللغة كتب بها أيضا ، وبعضه نزل بلغة هذيل ، وبعضه نزل بلغة اليمن فكتب بلغتهما ، وهكذا . ولا يخفى أن القبائل التى نزل بعضه بلغتها يجوز لها أن تقرأ جميعه بهذه اللغة لأن فى نزول بعضه بلغتها ترخيصا لها فى قراءته جميعه بهذه اللغة . فالذى حصل فى زمن أبى بكر رضى الله عنه هو أنه جمع الآيات المتفرقة سورا فجعل كل آية بجوار صاحبتها طبقا للمحفوظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدون زيادة ولا نقص ، فجعل كل سورة على حدة ولم يرتبه اكتفاء بترتيبه فى صدور الحفاظ ، على أنه لم يغير شيئا من المكتوب بل أبقاه على حاله ، وأما عثمان رضى الله عنه فقد كتب مصحفا بلغة قريش خاصة ورتبه طبق المحفوظ

ومن هذا تعلم أن الأحرف السبعة كان بعض القرآن مكتوبا بها فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، كما أنها كانت محفوظة يتداولها الحفاظ فى القبائل ، وأنها لم يوجد منها شىء فى مصحف عثمان ، لأنه كان مقصورا على لغة قريش .

أما السبب فى اختلاف القراءات السبع بعد أن جمع عثمان الناس على قراءة واحدة ؟ فقد أجاب عنه بعضهم بأن القرآن قد تواتر عن النبى صل الله عليه وسلم بلغات العرب على الوجه الذى تقدم ونقله القراء من الصحابة إلى الجهات المختلفة على هذه الحالة ، فتواتر نقله بلغات متعددة ، فلما كتب المصحف العثمانى وبعث به إلى تلك الجهات التى كان بها بعض القراء من الصحابة ، عملوا بما يمكنهم العمل به من ذلك المصحف ، فكل ما تلقوه متواترا عن الصحابة مما لا تدل عليه كتابة المصحف ثبتوا عليه وتركوا ما يخالف المصحف . وإليك نص عبارة الحافظ ابن حجر فى ذلك : إن السبب فى اختلاف القراءات السبع وغيرها أن الجهات التى وجهت إليها

المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة . وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل ، قال : فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعا من الصحابة بشرط موافقة الخط ، وتركوا ما يخالف الخط امتثالا لأمر عثمان الذى وافقه عليه الصحابة لما رأوا فى ذلك من الاحتياط للقرآن ، فمن ثم نشأ الاختلاف بين قراء الأمصار

وقد يكون عثمان رضى الله عنه لم يحرم قراءة القرآن باللغات التى تواترت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا لما عساه أن يترتب على ذلك من فرقة بين المسلمين ، فكتب مصحفه ليكون مرجعا يرجع إليه الناس عند الاختلاف ، فاذا قرأت قبيلة بلغتها المتواترةوأنكرت عليها الأخرى أمكنهم الرجوع إلى الأصل . وظاهر أن غرض عثمان ومن وافقه حفظ أصل القرآن وصون عباراته من التبديل والتحريف ، وذلك يحصل حتما بالاجماع على التمسك بنص ما كتب فى مصحفه ، أما غيره من المد والتسهيل والادغام والاظهار ونحو ذلك مما لا يترتب عليه تغيير فى نص القرآن فذلك مالا ضرر فيه ألبتة ، وإلى ذلك يشير قوله صلى الله عليه وسلم لعمر : « ياعمر : القرآن كله صواب مالم تجعل رحمة عذابا أو عذابا رحمة » .

وأخيرا نسوق إليك هذ الحديث الشريف ، وهو : روى أن عمر سمع هشام ابن حكيم يقرأ سورة الفرقان فاذا هو على حروف لم يتلقنها عمر من رسول الله قال . فكدت أساوره فى الصلاة وتصبرت حتى سلم فلببته بردائه ، وانطلقت به أقوده إلى رسول الله ، فسمع منى وسمع منه وقال لكل منا . كذلك أنزلت ؛ إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ماتيسر منه .

٢ — وبعد فقبائل العرب التى نزل القرآن بلهجاتها هى .
قريش سعد — ثقيف — خزاعة — هذيل — كنانة — اسد — ضبة — قيس واحلافها . ثم ارتفعت هذه اللغات وبقيت لغة قريش وأصبح القرآن يقرأ بلغة قريش .

والقراء السبعة الذين رووا القراءات السبع هم .

نافع بن أبي نعيم م ١٦٩ ﻫ

عبد الله بن كثير م ١٢٠ ﻫ

أبو عمرو بن العلاء م ١٥٤ ﻫ .

عبد الله بن عامر اليحصبي م ١١٨ ﻫ

عاصم بن بهدلة الأسدى م ١٢٨ ﻫ

حمزة بن حبيب الزيات م ١٥٦ ﻫ

على بن حمزة الكسائى م ١٨٩ ﻫ

وهنالك سبع روايات تم عليها الأجماع ، وثلاث قوية السند ولم تصل إلى الأجماع وأربع أخرى بين القوة والضعف فجملة ذلك كله أربع عشرة قراءة .

القرآن وأثره فى اللغة والادب

القرآن كتاب العربية وناموس شريعة محمد صلوات الله .

تعبد به المسلمون منذ بدأ الاسلام حتى اليوم وحفظوه ورددوه وقرأوه بلغات قريش التى نزل بها .

وكان له أثر عظيم فى اللغة العربية وآدابها مما يمكن تصويره فيما يلى :

ا — أثره فى اللغة :

١ — وحدة اللغة واللهجات العربية فى لغة قريش وهى أفصح لهجات العرب لفظا وأبلغها أسلوبا وأعذبها نظما ، وكان ذلك من أسباب وحدة المسلمين كافة إذ اتخذوا هذه اللغة القرشية لغتهم فزادتهم وحدة فى اللغة فوق وحدتهم فى الدين

٢ — حفظ القرآن الكريم العربية من العفاء والانقراض كما انقرضت من قبل لغات كثيرة أصبحت فى عداد اللغات الأثرية .

فأصبحت العربية لغة القرآن الذى كفل الله بقاءه إلى يوم الدين .

٣ والقرآن أول عامل فى ذيوع اللغة العربية وانتشارها فى شتى البلاد

والأصقاع ، وأصبحت هى لغة الدين والسياسة والأدب والثقافة والقراءة والكتابة فى شتى بلاد العالم الاسلامى الواسعة ، وكثير من البلاد التى فتحها المسلمون هجر أهلها لغتهم الأصلية وتعلموا العربية واتخذوها لهم لساناً ليفهموا بها القرآن قانون الدين الخالد ، وليتفاهموا بها مع الحاكمين ومن يعاشرونهم ويخالطونهم من العرب .

٤ — رفع القرآن من شأن النثر بعد أن كان المقام الأول للشعر وحده من بين سائر فنون الأدب

٥ وقد ساعد القرآن على تهذيب ألفاظ اللغة وأساليبها فهجر المسلمون الكثير من الحوشى والغريب والمتنافر واختاروا العذوبة والسلاسة والسهولة والرقة فى اللفظ والنظم

٦ — وسع القرآن الكريم نطاق اللغة باستحداث الألفاظ الاسلامية التى نقلت من معانيها إلى معان جديدة أتى بها القرآن الكريم كلفظ المؤمن والمنافق والاسلام والصلاة والصوم الخ

٧ والقرآن هو الذى دفع المسلمين إلى العناية بشتى العلوم الدينية والعربية ووضعها مما كانت هى أساس صرح المدنية الاسلامية الباهرة

أثره فى الأدب العربى

وللقرآن أثر كبير في الأدب العربى :

١ — فقد تأثر به المسلمون فى بلاغته وفصاحته وعذوبته ، فلانت أساليبهم وعذبت ألفاظهم ورقت طباعهم ، واقتبسوا منه فى شعرهم ونثرهم ، والحق أنه هو الذى خرج أعلام البلاغة وفحول البيان والأدب من قديم

٢ — أحيا القرآن الكريم فنونا أدبية جديدة ، كالقصص وأدب الزهد وأدب التاريخ وأبطل سجع الكهان والهجاء الكاذب والفخر بغير العمل الصالح والخلق الكريم إلى غير ذلك من شتى الفنون الأدبية المرذولة .

٣ — بتأثير القرآن عكف الأدباء والرواة على جمع اللغة وآدابها وأشعارها وحكمها وبلاغاتها وأمثالها ووصاياها وخطبها مما كان مادة الثقافة الأدبية العربية على مر الأيام

٤ - وبسببه وضعت علوم النقد والبلاغة لمعرفة وجه إعجاز الذكر الحكيم وكيف تحدى الله به العرب والناس كافة فلكهم الأعياء والعجز والقصور

ولا غرو فالقرآن الكريم أول كتاب كتب باللغة العربية وهو مصدر آداب العرب جميعها

ولقد عنى به الأوربيون عناية كبيرة ، فطبع أول طبعة فى أوربا فى فينيسيا عام ١٥٣٠ والثانية فى غمبرغ عام ١٦٢٤ ثم فى پادده عام ١٦٩٨ وفى بطرسبرج ١٨٨٧ وفى قازان عام ١٨٠٣ . كما ترجم إلى اللغات الأوربية الحية وظهرت أول ترجمة له لبيليياندر باللغة اللاتينية عام ١٥٤٣م

خصائص القرآن

١ — وخصائص القرآن البيانية وما اشتمل عليه من رائع الحكم والأمثال وبليغ المجاز ودقيق التشبيه وجيد الاستعارة والكناية وساحر الطباق والجناس . ومحكم الايجاز والاطناب المفيد ، كل ذلك كثير جدا . إلى حد يصعب بيان مداه إلا فى مؤلفات ضخمة . وقد تناول بعض هذه الخصائص السيوطى فى الاتقان والرافعى فى إعجاز القرآن . وعلى ضوء السيوطى كتب ملخصا صغيرا لها الأستاذ محمود مصطفى فى كتابه فى الأدب الاسلامى

وسنترك نحن الحديث عن ذلك فى هذا المجال

٢ أما خصائص القرآن فى :

ا — أغراضه ومقاصده . فان القرآن قد جال فى كل غرض . وهو فى كل موضوع يطرقه فى الاجتماع والسياسة والدين والتشريع والحكمة والقصص والزهد والتوجيه والأدب والتعليم والارشاد والوعد والوعيد ، كتاب الله الحكيم المعجز الصادق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

ب — وأما أسلوب القرآن : فقد سبق أن فصلنا الكلام فيه وراجع ما كتبه الرافعي عن أسلوب القرآن فى ص ٢٤٧ وما بعدها من كتابه « إعجاز القرآن »

ج — وأما معانيه فحسبك ماتشتمل عليه من صدق وحق ووضوح وجلال ، وهى من غير معين العرب الذى ينهلون منه . لقرب تناولها ووضوح صدقها واطمئنان النفوس إليها ولما تنتظمه من الحجة الباهرة والأدلة الساطعة والأحكام الصائبة والتشبيهات الرائعة ؛ وبحق إنه معجزة البيان وآية النبوة المحمدية

د — وأما ألفاظه فحسبك جزالتها وقوتها مع السلاسة والعذوبه ومع البعد عن الوحشى والغريب النافر والسوقى المبتذل والبعيد المعقد . ومافيها من سحر وجمال ورشاقة وخفة وما تنطوى عليه من أسرار الفصاحة وخصائص البيان والاعجاز

٣ — وأما بلاغة القرآن فهى حديث الدنيا ، والأمر الذى سلمته به فحول البلغاء وأساطين البيان على مر الأحقاب

أرأيت العرب وهم أفصح الفصحاء ومصاقع الخطباء كيف تحداهم القرآن الكريم على أن يأتوا بمثله ثم بعشر سور منه ثم بسور ولو من أقصر سوره ثم بآيتين أو آيات فى مثل بلاغته فعجزوا وقالوا شعر أو سحر أو كهانة أو أساطير الأولين.

كلا وربى إن هو إلا الضوء السافر ، والهدى الباهر ، والوحى الحق الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

ثم أرأيت ما يقول الوليد بن المغيرة فى القرآن وقد تردد على محمد خفية وخيفة وسمع منه : والله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى ولا برجزه ولا بقصيده ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذى تقول شيئا من هذا ووالله إن لقوله الذى يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وأنه ليعلو ولا يعلى عليه

ثم سمعت حديث اسلام عمر بعد أن سمع أخته وزوجها وهما يقرآن طه ، وحديث هذا الاعرابى الذى سمع قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر فسجد ، وقال : سجدت لفصاحته

لا وربك إنه السحر المبين ، والاعجاز البالغ والبلاغة النادرة ، وما هو بقول البشر إن هو إلا وحى يوحى ، وكتاب نزل من السماء إلى الارض نورا وهدى وخيرا وطمأنينة للقلوب والنفوس

إعجاز القرآن (١)

ونحن لن نتناول الأعجاز من شتى جوانبه ونواحيه ؛ وإنما نوجز لك القول إيجازاً ، ونتركك لذوقك ونفسك ، حتى تعرف أسرار الأعجاز ، وتقف على خصائصه .

---

(١) جعل عبد الله عفيفى وجوه الاعجاز فى :

١ — اشتمال القرآن على الأسلوب المنطقى والأسلوب العلمى

٢ — وما يشتمل عليه من قوة روحية خارقة .

٣ — وما أفاض فيه مما يجهلون من أحداث التاريخ .

[راجع كتابه تاريخ الأدب العربى فى أصدر الاسلام وبنى أميه]

وجعل المرحوم الأستاذ محمود مصطفى وجوه الاعجاز فى :

١ — ماانطوى عليه القرآن من الأخبار بالمغيبات .

٢ — ومانبأ به من أخبار الأمم الماضية .

٣ — وما اشتمل عليه من حسن تأليف والتئام كلم وتخير ألفاظ وحسن مقاطع ومطابقة هذا النظام لمقتضيات الأحوال مضموماً إلى ذلك جلال الغرض وسمو المعانى وصفاء الحكم وانطباق المثل .

ونفى أن يكون مرجع الاعجاز إلى ماذهب إليه البعض من الصرفه وأن العرب كانوا قادرين على معارضة القرآن لولا أن صرفهم الله عن ذلك كما نفى أن يكون الاعجاز لما أخبر به القرآن من قصص التاريخ الماضية أو لما اشتمل على من معان سامية ، كعلو حكمته ودقة تشريعه وظهور الفكرة فيه .

وذهب الاستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد فى مقال له بمجلة الازهر إلى خطأ =

ولعلك قد قرأت تحليل عبد القاهر وعلماء البلاغة للاية الكريمة : رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيئا ، أو شرحهم الآية الحكيمة : وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرسـاها ان ربى لغفور رحيم ، وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه كان فى معزل يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء قال لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ، وقيل يا أرض ابلعى ماءك وياسماء اقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين »

ولعلك على ذكر من هذه الوجوه البلاغية التى يذكرونها فى الموازنة بين قوله

= من يذهب إلى أن أعجاز القرآن فى أسلوبه وبلاغته فحسب لافى مادته الفكرية وما ينطوى عليه من مبادىء وقوانين ، لأن هناك جوانب للاعجاز تداول سائر النشاط الانسانى . الاجتماعى منه والاقتصادى والسياسى والنفسى والعلمى إلى غير ذلك من وجوه الرقى البشرى .

وكتب زميلنا الاستاذ أحمد الشرباصى بحثاً فى أسرار القرآن الكريم نشره بمجلة الأزهر ، عدد منها . أنه كتاب عربى مبين — واستعماله الكلمة الحاوية لكثير من المعانى ، والايجاز ، وأن الله تعالى لم يجعله أبوابا مستقلة وأنه يعرض قصص الانبياء والمرسلين فى صور مختلفة .

وكتب الأستاذ الجليل « السيد القاياتى » فى مجلة الأزهر ينفى أن يكون لأمية الرسول شأن فى صدق النبوة وقيام الأعجاز وأن يكون العرب قد وقعت منهم معارضة للقرآن .

وراجع الآراء القديمة فى إعجاز القرآن فى الاتقان ١٩٧ - ١١٢ ج٢ ط ١٩٤١ وقد ألف كثير منهم فى الاعجاز ومن أشهرهم عبد القاهر والباقلانى ولكنهم حاموا حول الاعجاز ولم يكتبوا فيه .

وراجع الكلام على الاعجاز فى إعجاز القرآن للرافعي ص ١٨٢ وما بعدها ط ١٩٢٨ .

تعالى « ولكم فى القصاص حياة » وقول اكثم بن صيفي : القتل أنفى للقتل .
ولعلك قرأت ما كتبه الزمخشرى فى بلاغة كثير من الآيات القرآنية الحكيمة أو ما كتبه فى قوله تعالى : « وما قدر الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون » الى قوله تعالى : واشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون » . أو ما دونه علماء البلاغة فى بلاغة الآيه الكريمه « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »

فكل ذلك لا يضيرك على أى حال فى فهم أسرار بلاغة القرآن وإعجازه وهو من جهة أخرى وسيلة لتربية ذوقك وملكتك فى النقد والبيان .

ولكننا نعود بك إلى فطرتك الأدبية وحدها فنطالبها بالفهم والنقد والحكم فى قضية الإعجاز ، وأنت تعلم أن الأمة العربية أمة تحب البلاغة وتعشقها وتجيدها ويهزها البيان الجيد والفصاحة الرائعة ، وفيها مقاول البلاغة ومصاقع الخطباء وأعلام الشعراء ، لاترى لأحد عليها فخرا ، ولا تحسب روعة البيان وسحر الكلام إلاها ؛ وكانت كما يقول الجاحظ . أكثر ما كانت شاعرا وخطيبا وأحكم ما كانت لغة فدعا أقصاها وأدناها إلى توحيد الله وتصديق رسالته وهو فى ذلك يحتج عليهم بالقرآن ويدعوهم صباح مساء إلى أن يعارضوه إن كان كاذبا بسورة واحدة أو بآيات يسيرة ، فكلما ازداد تحديا لهم بها وتقريعا لعجزهم عنها تكشف عن نقصهم ما كانوا مستورا وظهر منه ما كان خفيا ، فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة قالوا له أنت تعرف من أخبار الأمم مالا نعرف فلذلك يمكنك ما لا يمكننا ، قال . فهاتوها مفتريات ، فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا طمع فيه أحد يتكلفه ولو تكلفه لظهر ذلك ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامى عليه ويكابر فيه ويزعم أنه قد عارض وقابل وناقض ؛ فدل ذلك على عجز القوم مع كثرة كلامهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم وعارض شعراءه وأصحابه وخطباء أمته : والعرب لهم القصيد العجيب والرجز الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزه ، ولهم الأسجاع والمزدوج واللفظ المنثور ، ثم

يهتدى به أقصاهم بعد أن أظهر عجز أدناهم ، وهم أشد الخلق أنفة وأكثرهم مفاخرة والكلام سيد عملهم وقد احتاجوا إليه والحاجة تبعث على الحيلة فى الأمر الغامض فكيف بالظاهر الجليل المنفعة .

وبعد فأى أثر أدبى أعجبك : « كقفانبك من ذكرى حبيب ومنزل » لامرىء القيس ، وكمرثية ابن الرومى لولده :

بكاؤكما يشفى وإن كان لا يجدى   فجودا فقد أودى نظيركما عندى

وكوصف البحترى لأيوان كسرى :

صنت نفسى عما يدنس نفسى   وترفعت عن جدا كل جبس (١)

وكمرثية المعرى للفقيه الحنفى :

غير مجد فى ملتى واعتقادى   نوح باك ولا ترنم شاد

وكقصيدة ابن زيدون :

أضحى التنائى بديلا من تدانينا   وناب عن طيب لقيانا تجافينا

وكقصيدة المتنبى فى سيف الدولة :

أتوك يجرون الحديد كأنما   سروا بجياد ما لهم قوائم
وقفت وما فى الموت شك لواقف   كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة   ووجهك وضاح وثغرك باسم

أو قصيدته فى كافور :

عيد بأية حال عدت يا عيد   بما مضى أم لأمر فيك تجديد

أو قصيدة أبى تمام فى المعتصم وفتح عمورية :

السيف أصدق أنباء من الكتب   فى حده الحد بين الجد واللعب

أليس سر هذا الاعجاب هو خصائص هذا الأثر البيانية والأدبية ، وأليس مرجعه إلى صدق الشعور وحرارة العاطفة وروعة التصوير وجمال النظم وإحكام البيان ؟

(١) الجدا : العطاء . الجبس : الجبان اللئيم

فاذ إما وقفت أمام نهج البلاغة للأمام بن أبى طالب، أو كليلة ودمنة لابن المقفع، أو أمام البؤساء ترجمة حافظ بك ابراهيم أو حيال «ماجدولين» المنفلوطى أو مجنون ليلى لشوقى بك أو الأيام لطه حسين أو «على هامش السيرة» له أو «عبقرية عمر» للعقاد. فأعجبك وراعك، وسحرك ماتجد فى هذه الآثار الأدبية الكاملة من حذق وبراعة ولطف حيلة وبلاغة تصوير، أفليس مرجع ذلك كله إلى خصائص هذا الأثر الأدبية وشخصية مؤلفه الأديب أو الشاعر أو الخطيب أو الكاتب واكتمال فنه الأدبى، فى أثره المعجب؛ وألست تجد من ذلك الكثير من الآثار والنصوص

فاذا ماترقى بك ذوقك فى الحكم الأدبى، فقلت: أنا لا أستجيد من الآثار الأدبية إلا الآثار الخالدة على مر الأيام؛ والتى تقرؤها وتعيد قراءتها فتجد نفسك كما بدأت متلهفة معجبة مأخوذة بجلال هذا البيان وعظمته وعبقرية صاحبه، وتجد هذا الأثر الأدبى أمام ذوقك وطبعك غضا ناضرا باهرا كأنما كتبه صاحبه لساعتك التى أنت فيها، وتجد مافيه من حديث عن النفس الانسانية، وعن الحياة وعبرها وعظتها واحداثها، وعن البشر وأخلاقهم ومطامحهم وألوان تفكيرهم فى الحياة، وعن الأهداف المثلى للأنسانية كافة والمبادىء الشريفة التى يجب أن تكون دستور الأمم والجماعات والأفراد. تجد مافيه من ذلك كله جديدا كأنه كتب لهذا العصر ووصف الحياة التى يحياها الناس وتحياها أنت معهم فقل بربك هل تجد أثرا ترفعه فى نفسك الى هذه المنزلة وتراه مستوفيا لهذا الخصائص وتطمئن نفسك حين تقول هذا هو ضالتى المنشودة وطلبتى المأمولة وبغيتى المرتجاه؛ وهل تجد اثرا سلم له ذلك كله وسلم من القصور والعيب والمؤاخذة وسقطات الطبع والأسلوب والنظم والفكرة، وهل تجده له ذلك كله مع طوله وإحكامه وروعته وجدته ونبل دعوته واهدافه وجلال غايته ورسالته، وبعد مرماه وعمق منزعه وانه يتناول الأنسانية كافة والعصور قاطبة ويصلح لكل مكان وزمان، ولايبلى مهما توالت الأيام والعصور.

إى وربى إن هذا لهو الغاية البعيدة، والأمل المحال، والسر الدفين فى ضمير

الأيام ، والكنز المخبوء فى جوف صحراء عرضها السماء والأرض .

ولن تجده مهما حاولت أن تجده إلا فى كتاب واحد وأثر أدبى خالد ، وفى هذا البيان ذى المجد الطريف والتالد ؛ إى وربى إنك لن تجده إلا فى القرآن الكريم والذكر الحكيم والكتاب المعجز والأثر الخالد ، وفى هذا البيان الكامل والبلاغة الساحرة والفصاحة النادرة والآيات البينات الباهرة .

إى وربى ، وهل تجد أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، أو هل ترى نظما أحسن تأليفا وأشد تشاكلا وروعة من نظمه العجيب وأسلوبه الغريب المخالف لأساليب كلام العرب فى نظمها ونثرها ، أو هل تجد هذه الروعة التى تجدها له فى قلوب السامعين وأسماعهم سواء المصدق منهم والجاحد ، وتلك الجدة التى تراها له على مر الأيام وتوالى العصور ؟ .

وإذا لم تصعد إلى هذه المرتبة البعيدة إلا بكتاب واحد هو القرآن الكريم ، ثم حاولت الموازنة بينه كله أو بعضه أو القليل الأقل منه وبين ما سواه من الآثار الأدبية فلم تجد مجالا للموازنة ولا موضعا للمشابهة لبعد مابين الأثرين كبعد مابين السماء والأرض ؛ فهل ذلك إلا لأنه كتاب معجز وأنه آية الآيات والناطق بصدق إعجازه وعظمة بلاغته .

وقد يقول معاند أو مكابر : أين أنت وآداب اللغات وأين أنت وما فيها من آثار أدبية خالدة ، فلشكسبير وجوته وهوجو ولغيرهم من أفذاذ الغرب الكثير من الآثار الخالدات ، بل أين أنت من الكتب السماوية المقدسة ، وأين أنت من « مزمار داود » وحده ؛ أفلا يشبه أثر من هذه الآثار كلها القرآن الكريم فى مكانته وبلاغته وإعجازه . وأنا أقول لك أيها القارىء الكريم ، لعلك قد قرأت بعض الآثار الأدبية لهؤلاء الأعلام الخالدين فى الأدب ، ألست تجد شكسبير مثلا فى أية قصة من قصصه وفى جميع آثاره مترجما عن عواطف النفس الأنسانية معبرا عن آمالها وآلامها مجيدا الحديث عنها ولكن هل تجد له هذا السمو

(٤)

والرفعة ونبل الدعوة وجلال الغاية ، وعظمة الهدف والرسالة ودقة التحليل عن العواطف والمشاعر والنفوس الأنسانية كافة ، وهل تجد له هذا التوجيه الجديد للبشرية جميعا ، وهذا الدعم القوى لمبادىء العدالة والحق والحرية والآخاء والمساواة فى الحياة ؛ كلا وربك ولن تجد لأعظم من شكسبير شيئا من ذلك قليلا أو كثيرا ، فضلا عن خصائص الفن الأدبى الرائع الكامل التى لن تجد ما يشبهها فى غير القرآن الكريم . .

وهاك أروع مافى الكتب السماوية المقدسة وهو مزامير داود خذ أى قطعة منها وليكن « المزمور الأول » وهو بنصه كما فى الكتاب المقدس :

« طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار ، وفى طريق الخطاة لم يقف وفى مجلس المستهزئين لم يجلس ؛ ولكن فى ناموس الرب مشورته ، وفى ناموسه يلهج نهارا وليلا ، فيكون كشجرة مغروسة عند مجارى المياه ، التى تعطى ثمرها فى أوانه ، وورقها لا يذبل : وكل ما يصنعه ينجح

ليس كذلك الأشرار ، لكنهم كالعصافة التى تذريها الريح ، لذلك لا تقوم الأشرار فى الدين ، ولا الخطاة فى جماعة الأبرار ، لأن الرب يعلم طريق الأبرار ، أما طريق الأشرار فتهلك »

ونحن مع تقديرنا لهذا النص الدينى ومع علمنا بأنه مترجم نعود بك إلى ناحية أخرى فى الموازنة وهى أنه شتان مابين هذه الروح وروح القرآن الكريم ومن المحال الموازنة بين ذلك وبين مثل قوله تعالى : « قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » ، أو مثل قوله تعالى: « ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » ، أو مثل قوله تعالى : « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون » إلى غير ذلك من روائع بلاغات القرآن الكريم

وبعد فان القرآن كله معجز ، وهو نمط فريد رائع ومستوى رفيع شريف

من البلاغة والفصاحة والبيان والروعة والسحر والأخذ بجامع القلوب ومشاعر النفوس فكله منهج واحد فى النظم ودرجة واحدة فى الفصاحة «قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضهم ظهيرا (١) »

وأخيرا نقول لك إنك أيها الناقد الحصيف حين تحلل أثرا أدبيا ما ، تكشف عن كل مايتصل بهـذا الأثر من عوامل البيئة والعصر ومن شخصية صاحبه ، وتوازن بينه وبين مايشبهه من الآثار ، وتبين خصائص فنه الأدبى ومايوجه إليه من أهداف ومايدعو إليه من آراء وأفكار ثم تضعه بعد ذلك فى منزلته الصحيحة من البيان والأدب والتفكير الانسانى .

وهذا هو مانكلفك به حين تبحث عن قضية الاعجاز :

١ - فعليك أن تبحث عن البيئة الأدبية التى نزل فيها القرآن الكريم ، وأن توضح أنه كلام الله لا كلام بشر وأن تثبت ذلك بالحجج الدامغة

٢ - ثم عليك أن تحلل خصائصه الأدبية والفنية تحليلا كاملا وتوازن بينه وبين شتى الآثار الآدبية الخالدة

٣ - ثم عليك أن تحلل معانيه وأفكاره وأهدافه ودعواته .

٤ - وبعد ذلك تنقد وتحكم وتناقش .

ولضيق مجال النقد والبحث نقول لك أيها القارىء الكريم إن أظهر أسرار إعجاز القرآن الكريم تتجلى فيما يلى :

أ - بلاغة القرآن النادرة التى لايحيط بها وصف ولايستطيع أن يكشف خصائصها باحث ، ويكفيك ان علوم البلاغة والنقد والاعجاز قد وضعت

---

(١) وذهب بعض علماء البلاغة الى أن بلاغة القرآن تتفاوت مع الاعجاز [راجع تفصيل ذلك في كتب البلاغة وفي الاتقان للسيوطي ص ٢١٠ ج ٢]

للكشف عن مظاهر هذه البلاغة وأسرارها ثم هي للآن وبعد مضى اكثر من عشرة قرون من الزمان لاتزال فى أول الغاية (١)

٢ — روعة القرآن وجدته وأخذه بالافئدة والأسماع والمشاعر والعواطف والنفوس

٣ — عظمة تصويره للحياة الانسانية فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها وللنفس البشرية فى سلمها وحربها ولهوها وجدها وأملها وألمها وكفرها وإيمانها وللمثل العليا فى الحياة المهذبة الكريمة التى يعمل لها الانسان وتسير لشاطئها الأمين الانسانية

٤ — سمو الروح فى القرآن الكريم، فهو ليس كتاب قصص أو تسلية أو أدب أو حكمة أو فلسفة أو تاريخ أو اجتماع وإنما هو خلاصة لكل مافى الحياة من ثقافة وحقائق ويزيد على ذلك بأنه منهج كامل للحياة الروحية والاجتماعية والبشرية الكاملة الصحيحة السليمة، وما أجدرنا بأن نقول إنه هو كتاب الانسانية كافة

٥ — جلال أثره الأدبى فى لغة العرب وأدبهم وفى حياتهم بل وفى حياة المسلمين والعالم

٦ — خلوده على مر الأيام والأمكنة والعصور مع أنه تحدى ولا يزال يتحدى الناس كافة، ومع ما يشتمل عليه تاريخ العالم من أفذاذ المفكرين والأدباء والبلغاء

٧ — بساطة أسلوب القرآن الكريم ووضوحه وجماله وقوته وجزالته وعذوبته.

---

(١) وبلاغة القرآن أوسع مدى من البحث عن استعاراته وكناياته وتشبيهاته وأمثاله وحكمته وإيجازه ومجازه فهي تشمل كل خصائص الفن الأدبي والبياني في القرآن الكريم

٨ — شرف معانيه، وسمو حكمه، وجلال دعوته، وصدق حجته، وعمق منزعه، وعلو تصويره.

٩ — والدليل الآخر على الأعجاز هو عظمة أغراضه ومقاصده ورفعة مراميه ومناحيه، وعبقرية غاياته ورسالته، وتوجيهه البشرية كافه إلى حياة جديدة فيها الأمل والنعيم والسعادة، وفيها الخير المطلق والأمن والسلام، وفيها الرضاء والبشر والأخاء والحق والعدالة والحرية والمساواة بين الناس.

وصدق الله العظيم « تبارك الذى أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا »

أحاديث رسول الله

وأثرها في اللغة والأدب

البلاغة النبوية:

كان صلى الله عليه وسلم أبلغ العرب لسانا وأفصحهم بيانا وأعذبهم أسلوبا وأروعهم حكمة وأصدقهم قولا وأوضحهم عبارة وأطبعهم على البلاغة والفصاحة والبيان

وبلاغته النبوية تلي في منزلتها الأدبية الذكر الحكيم وهي هذه « البلاغة الانسانية التي سجدت الأفكار لآيتها وحسرت العقول دون غايتها لم تصنع وهي من الإحكام كأنها مصنوعة ولم يتكلف لها وهي على السهولة بعيدة ممنوعة . إن خرجت في الموعظة قلت أنين من فؤاد مقروح وإن راعت بالحكمة قلت صورة بشرية من الروح ، في منزع يلين فينفر بالدموع ويشتد فينزو بالدماء وإذا أراك القرآن أنه خطاب السماء للأرض أراك هذا أنه كلام الأرض بعد السماء »(١)

ولقد أخذ البلغاء والأدباء والمصاقع بهذه البلاغة الباهرة حتى لقد قال له أبو بكر : لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت الذي هو أفصح منك فمن أدبك ؟ . وحتى قال له علي رضي الله عنه وسمعه يخاطب وفد بني نهد : يارسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره فقال عليه الصلاة والسلام « أدبني ربي فأحسن تأديبي » ويقول الجاحظ في بلاغته صلى الله عليه وسلم :

« كلامه صلى الله عليه وسلم هو الكلام الذي قل عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجل عن الصنعة ، ونزه عن التكلف ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل

---

(١) ٣٦٤ إعجاز القرآن للرافعي

يامحمد : « وما أنا من المتكلفين » ، فكيف وقد عاب التشديق ، وجانب أصحاب التقعير ، واستعمل المبسوط فى موضع البسط ، والمقصور فى موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشى ، ورغب عن الهجين السوقى ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة ، وشيد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق ، وألقى الله عليه المحبة ، وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام ، ومع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته ، لم تسقط له كلمة ، ولا زلت به قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ، ولا أفحمه خطيب : بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ؛ ولا يحتج إلا بالصدق ، ولا يطلب الفلج إلا بالحق ، ولا يستعين بالخلابة ، ولا يستعمل المواربة ، ولا يهمز ولا يلمز ، ولا يبطىء ولا يعجل ، ولا يسهب ولا يحصر ؛ وما سمع كلام قط أعم نفعا ولا أصدق لفظا ، ولا أعدل وزنا ، ولا أجمل مذهبا ، ولا أكرم مطلبا ، ولا أحسن موقعا ، ولا أسهل مخرجا ، ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين فى فحواه ، من كلامه صلى الله عليه وسلم »

وهل تجد أبلغ أو أروع أو أعظم من بلاغته صلى الله عليه وسلم . فأنت حين تسمع خطبته النبوية الأولى فى أهله وعشيرته لما أنزل الله تعالى قوله الكريم « وأنذر عشيرتك الأقربين » :

« إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس ما كذبتكم ، ولو غررت الناس ما غررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله إليكم حقا وإلى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ولتجزون بالاحسان إحسانا ، وبالشر شرا ، وإنها للجنة أبدا ، أو النار أبدا ، وإنكم لأول من أنذر بين يدى عذاب شديد »

لا تجد إلا بلاغة وسحرا وجلالا وصدقا وحقا وروعة وكيف لا وقد أيد الله نبيه الكريم بمعجزة البيان فاختاره من قريش أبلغ العرب لسانا واصطفاه من أعلى بيوتها حيث البلاغة والفصاحة والبيان واللسن والحجة والمنطق ومقارعة

البلغاء ومحاورة الفصحاء. ثم أنشأه فى بنى سعد الذين خصوا من بين قبائل العرب بالفصاحة وحسن البيان ولذلك قال صلى الله عليه وسلم. «أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ونشأت فى بنى سعد بن بكر». ثم علمه لغات جميع قبائل العرب وأقدره على مخاطبة كل قبيلة بلهجتها

فلا جرم أن يكون المأثور عنه من الحديث صفوة اللغة وحلية البيان بعد القرآن يقتبس الأديب من لفظه، وينتفع البليغ بصوغه، ويستمد مفسر القرءان من أثره، ويستكمل الفقيه الأحكام الشرعية من نصه، ويشيد اللغوى صرحا للغة من كلمه، ويستظهر الحكيم بحكمته؛ إذ كان صلوات الله عليه لاينطق بلغو، ولا يقصد إلى غير توضيح قرءان، أو تقرير شرع، أو هداية إلى حق، أو تنفير من شر، أو حكمة ينتفع بها الناس فى أمور دينهم ودنياهم.

وإن شئت فانظر إلى هذا الكلام البليغ الشريف الذى ينبع من منبع الحق والنبوة فستجد وربك بلاغة ليس فوقها بلاغة.

لما أعطى رسول الله ما أعطى من مغانم حنين فى قريش وقبائل العرب ولم يكن فى الأنصار منها شىء وجد هذا الحى من الأنصار فى أنفسهم حتى كثرت منهم القالة، وحتى قال قائلهم: لقى والله رسول الله قومه! فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يارسول الله. إن هـــذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم لما صنعت فى هذا الفىء الذى أصبت: قسمت فى قومك، وأعطيت عطايا عظاما فى قبائل العرب. ولم يكن فى هذا الحى من الأنصار شىء قال: فأين أنت من ذلك ياسعد؟ قال: يارسول الله ما أنا إلا من قومى. قال: فأجمع لى قومك فى الحظيرة (١) فخرج سعد فجمع الأنصار فى تلك الحظـــيرة. فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون فردهم، فلما اجتمعوا إليه أتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار. فأتاهم رسول الله صلى الله عليه

(١) الحظيرة: أرض يضرب عليها سياج. وكانت حظـــيرة الأنصار إلى جانب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فحمد الله وأثنى عليه بالذى هو له أهل ، ثم قال : يامعشر الأنصار ماقالة [١] قد بلغتنى عنكم ، وموجدة وجدتموها فى أنفسكم ! ألم آتكم ضلالا فهداكم الله ؟ وعالة [٢] فأغناكم الله ؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا بلى لله ولرسوله المن والفضل . فقال ألا تجيبونى يامعشر الأنصار ! قالوا وبماذا نجيبك يارسول الله ؟ لله ورسوله المن والفضل . قال : أما والله لوشئتم لقلتم فصدقتم ولصدقتم [٣] أتيتنا مكذبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك . وعائلا فآسيناك وجدتم فى انفسكم يامعشر الأنصار فى لعاعة [٤] من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ! أفلا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فو الذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت أمرأ من الأنصار . ولو سلك الناس شعبا وسلك الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار [٥] اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار . قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم [٦] وقالوا : رضينا برسول لله قسما وحظا .

ذلك مثل صغير من أمثلة بلاغته التى تجمع بين السمو الروحى الأعظم والجمال الفنى النادر وإن شئت فقف عند قوله صلى الله عليه وسلم : « إن قوما ركبوا فى سفينة فاقتسموا ، فصار لكل رجل منهم موضع ، فنقر رجل منهم موضعه بفأس فقالوا له : ما تصنع ؟ قال : هو مكانى أصنع فيه ماشئت فان أخذوا على يده نجا ونجوا وإن تركوه هلك وهلكوا » .

---

(١) القالة : أحدوثه الشر ونقيضها القول (٢) عالة جمع عائل الكثير العيال مع قلة المال (٣) أدخلت اللام على صدقتم الثانية دون الأولى ، لأن الصدق أيسر

(٤) اللعاعة : البقية اليسيرة ، يقال لم يبق إلا لعاعة أى بقية يسيرة

(٥) الشعب بالكسر — ماانفرج بين جبلين ، أو الطريق فى الجبل ، وجمعة شعاب .

(٦) أخضل لحيته . بلها .

فستأخذك الروعة والأعجاب . وحسبك أن كلامه صلى الله عليه وسلم كله دين وتقوى وهداية ونور وروحية وحياة وقوة وجمال ، وكأنه هو ما يعنيه الرسول بقوله « إن من البيان لسحرا »

جوامع كلمه صلى الله عليه :

١ — قال صلى الله عليه وسلم فى دعائه ، اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ، وعين لا تدمع ؛ ونفس لا تشبع

ومن دعائه : اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبي وتجمع بها أمرى وتتم بها ثقتي ، وتصلح بها رغائبي وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى ، وتلهمنى بها رشدى ، وترد بها ألفتى ، وتعصمنى من كل سوء .

وكان رسول الله فى جنازة ، فبكى النساء فانتهرهن عمر ، فقال عليه الصلاة والسلام : دعهن ياعمر ، فان النفس مصابة والعين دامعة والعهد قريب

ومن جوامع كلمه قوله . لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه . وقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده . وقوله . اليد العليا خير من اليد السفلى . وقوله . الصبر عند الصدمة الاولى . وقوله : ترك الشر صدقة

وقال صلى الله عليه وسلم . إذا أعطاك الله خيرا فليبن عليك (١) وابدأ بمن تعول وارتضخ من الفضل (٢) ولاتدم على الكفاف . ولا تعجز عن نفسك (٣)

---

(١) فليبن عليك أى فليظهر عليك بالصدقة والمعروف وحسن الحال .
فابدأ بمن يلزمك أمرهم ، ومفهوم قوله . فابدأ بمن تعول لاتجعلهم فى العطاء

(٢) وارتضخ من الفضل أى اعط مما فضل من مالك شيئاً فشيئاً كما تفعل مرضخه . النوى حين ترضخه . أى تكسره شيئاً فشيئاً .

(٣) لاتعجز عن نفسك . أى لاتجمع لغيرك وتبخل على نفسك .

وأتى النبى صلى الله عليه وسلم برجل قد شحب وجهه ، وهزل جسمه ، وغارت عيناه لفرط صيامه وقيامه ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن هذا الدين متين (١) فأوغل فيه برفق فان المنبت (٢) لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إياكم وخضراء الدمن (٣) قيل يارسول الله وماخضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء فى منبت السوء .

وقال صلى الله عليه وسلم . إن روح القدس نفث فى روعى (٤) أن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها ، ألا فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب .

وقال صلى الله عليه وسلم : لاتزال أمتى بخير مالم تر الأمانة مغنما والزكاة مغرما

ومن رائع بلاغته صلوات الله عليه قوله : لا خير فى صحبة من لا يرى لك ما يرى لنفسه . وقوله : الناس كلهم سواء كأسنان المشط . وقوله : المرء كثير باخوانه . وقوله للأنصار : إنكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع . وقوله : ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه . وقوله : الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم . وقوله : لاتجن يمينك على شمالك . وقوله : علق سوطك حيث يراه أهلك

ومن بليغ حكمه صلى الله عليه وسلم قوله : لا يلدغ المؤمن جحر من مرتين (٥)

---

(١) إن هذا الدين متين : أى قوى رصين : ، ومن قوة الدين أن يروض النفس ولا يعنتها .

(٢) المنبت المنقطع فى طريقه ؛ سمى بذلك لانبتات ظهر ماىحله . أى انقطاعه

(٣) الدمن جمع دمنة ، وهى الفضلات المتلبدة ، وقد ينبت عليها النبات أخضر زاهيا ، وهو مر وخيم ،

(٤) الروع بضم الراء : القلب

(٥) قاله صلى الله عليه وسلم لأبى عزة الشاعر وكان كثيرا ما يستنفر المشركين ويحرض قريشا على قتال النبى فأسر يوم بدر وجىء به إلى النبى فشكا =

وقوله : هدنة على دخن . والدخن دخان النار يريد أن الصلح لم يذهب بالاحقاد كما أن النار يبقى شيء منها تحت الرماد فيستدل عليه بما يتصاعد عنه من دخان . وقوله : إن من البيان لسحرا . وقوله لأبى تميمه الجهيمى : إياك والمخيلة . فقال يارسول الله نحن قوم عرب فما المخيلة ؟ فقال عليه السلام سبل الأزار . وقوله : إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس إتقاء شره . وقوله : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا . وقوله : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه .

ومن حكمه قوله صلى الله عليه وسلم لأنجشة حادى إبله وفى هوادجها النساء : « رفقا بالقوارير » وهى كناية عن النساء . وقال صلى الله عليه وسلم . بعثت فى نفس الساعة . ومنها قوله : يا خيل الله اركبي ، وقوله : الآن حمى الوطيس(١) وقوله من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ، وقوله : الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، وقوله : اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ماتحب لنفسك تكن مسلما ، وقوله : الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله. وقوله : من لايرحم لايرحم ، وقوله . من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان

= إليه الفقر والعيال فرق له وخلى سبيله بعد أن عاهده ألا يعين عليه بشعره فأمسك عنه مدة ثم عاد إلى حاله الاولى فأسر يوم أحد فخاطب النبي بمثل خطابه الأول فقال النبي : لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين ثم قتله صبرا وقال لا يلسع المؤمن من جحر مرتين [٣٤ جـ ١ العمدة لابن رشيق ط ١٩٢٥]

(١) الوطيس . التنور ومجتمع النيران استعاره الرسول صلى الله عليه وسلم لأهوال الحرب .

خصائص البلاغة النبوية :

أما أسلوب الرسول صلوات الله وسلم عليه فهو السهل الممتنع والبلاغة القريبة البعيدة ، والفصاحة المعجزة الرائعة . والنمط الغريب والطريقة المحكمة والنظم العجيب

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجز غالبا ولذلك كانت كلماته حكم وجوامع وقال : « إنا معشر الأنبيا بكاء » ؛ وكان يكره الفضول والتشدق وخلابة القول وإلباس الباطل ثوب الحق ؛ وربما أطال صلوات الله عليه فى كلامه للارشاد والوعظ وتبليغ الرسالة ، وإن كان الغالب أن يقل كلامه ويخرج قصدا فى ألفاظه محيطا بمعانيه

هذا إلى إحكام الأسلوب فى غير تعقيد ولا تكلف مع الوضوح والسلاسة ومع التخير والرونق ومع العذوبة والجلالة ومع الأفراغ الجيد والسبك المحكم ومع الجزالة والقوة والأشراق وجودة التصوير والتأثير ، وحسن الأفهام والمهابة والحلاوة والروعة والقبول ، ومع تجنب سجع الكهان ومن شابههم

أما ألفاظه صلى الله عليه فقد نفى منها الوحشى والغريب والمبتذل والساقط والمستكره ونزهت عن الخطأ واللحن والقصور ، واختيرت اختيار الطبع المتمكن والفطرة السليمة فهى رشيقة جليلة قوية بليغة مشرقة عذبة تنطق عن سلامة الملكة وقوتها

وأما معانيه صلوات الله عليه فهى الحكمة الصادقة والأدب الرفيع والحق المنزه عن الريب والهدى والنور والرأى الناضج والبصيرة النافذة والألهام الذى وهبه الله أياه

وأما موضوع حديثه وكلام صلوات الله عليه فهو :

١ — تبليغ الدعوة وتأييد الرسالة والدعوة إلى الدين الحق الخالد الذي لا ريب فيه

٢ — شرح القرآن والارشاد إلى أحكامه وعبره وعظاته

٣ — تشريع النظم الاجتماعية والسياسية والعبادات الدينية لخير الفرد والمجتمع والأمة والانسانية

٤ — النعي على المشركين وتقبيح ماهم فيه من عناد وضلال وبهتان وتوجيه عقولهم وأربابهم بأبلغ بيان وأقوم حجة إلى الدين الحق والمحجة الواضحة

٥ — تقرير الايمان بالانبياء والمرسلين والملائكة واليوم الآخر

إلى غير ذلك من شتى الموضوعات النبيلة والأغراض السامية التي دعا إليها الرسول الكريم ، والتي هي من خصائص بلاغته صلى الله عليه وسلم

ولا بدع في كل ذلك ، فميلاده صلى الله عليه في بلاد العرب ونشأته في مكة ؛ وانحداره من قريش أبلغ العرب وأفصحهم ؛ وتربيته في بني سعد ، ومخالطته للعرب في مواسم الحج ورحلات التجارة ؛

وتمكن البلاغة والطبع والملكة من نفسه ؛ والمواقف الفذة الخالدة التي شهدها الرسول صلى الله عليه وسلم من الحرب ومشاهد الدعوة والغزوات والخطابة في الوفود وفي أنصار الرسالة والمامه بلغات العرب ولهجاتهم إلى غير ذلك ، كله من بواعث البلاغة واسباب الفصاحة في نفسه وحياته صلوات الله عليه

منزلة الحديث النبوي في البلاغة

وحديث رسول الله أفصح كلام العرب وأبلغ بيانهم وهو يلي في المنزلة الأدبية كتاب الله الحكيم

وسمو الروح وجلال الغاية وعظمة النفس واكتمال الشخصية وحرارة العقيدة وقوة العاطفة وتأجج الشعور وكهولة الرأي والتفكير والتجربة والفهم والادراك الصحيح

كل ذلك بعض أسباب هذه المنزلة الرفيعة السامقة التي وضع فيها الحديث النبوي الشريف ، والذي اصبح ميراثا خالدا في البيان العربي بصنعته المحكمة وطبعه القوي وصقله البديع ولفظه المونق وحكمته الناصعة ، مما بهر العرب ، فعجزوا عن الاتيان بمثل بلاغته صلوات الله عليه .

أثر الحديث في اللغة والأدب :

أما أثر الحديث النبوي في اللغة فيتلخص فيما يأتي

١ — أدخل الرسول صلى الله عليه كثيرا من التراكيب البيانية الجديدة فى اللغة العربية مما سبق ذكره

٢ — وزاد فيها ألفاظا جديدة، كتسميته «صفرا الأول» محرما، وكلفظ الزمارة للزانية، التى وردت فى حديث أبى هريرة «إن النبى نهى عن كسب الزمارة» وكلمة الصير بمعنى الشق فى قوله صلى الله عليه وسلم، «من اطلع من صير باب فقد دمر»

وللحديث الشريف أثر فى توسيع معانى بعض الألفاظ واشتقاق أخرى، مما لا داعى للأفاضة فيه

٣ — وساعد على توحيد لهجات العربية وعلى ذيوعها وخلودها فهو متمم للقرآن الكريم فى هذا السبيل.

٤ — وكان محورا لعلوم دينية وعربية كثيرة وضعت لدراسة الحديث النبوى الشريف.

أما أثر الحديث فى الأدب فيمكننا ايجازه فيما يلى:

١ — ساعد الحديث الشريف على تهذيب الألسنة، وتثقيف الطباع، والقضاء على عهد الحوشية والغرابة والمعاظلة والتعقيد فى البيان؛ وأحل محل ذلك السلاسة والسهولة والرونق والوضوح وسلامة الأسلوب والبيان

٢ - قضى على سجع الكهان، ورفع منزلة النثر، وهذب أغراض الأدب وفنونه

٣ — وقد خلد الحديث على مر الأيام والأجيال وأصبح موردا عذبا من الثقافة الأدبية على توالى العصور (١)

---

(١) راجع: أو ابد رسول الله وبلاغته فى البيان والتبيين ص ٢٧ ج ٢ وفى مصادر كتب الأدب والحديث، وراجع أمثال رسول الله فى العقد ص ٥٧ ج ٢

وراجع ماقاله الزبير بن عبد المطلب فى وصف ابن أخيه محمد صلوات الله فى الأمالي ١١٥ / ٢

الرسول والشعر

١ – كان صلى الله عليه وسلم يعرف منزلة الشعر ومكانته عند العرب ويقدره فقرب إليه الشعراء وكافأهم وسمع لهم واستنشدهم ، بل اتخذ له شعراء يؤيدون الدعوة ويهجون خصومها وأمرهم بقول الشعر ودعا لهم بتأييد الله . وذلك واضح مشهور

٢ – وكان صلى الله عليه وسلم عليما بالشعر وروايته ونقده ، ومن أولى منه بذلك وهو أفصح العرب وأصحهم ملكة وفطرة ؟

٣ ولا نعني بهذا أنه كان يقول الشعر فان الله عز وجل نزهه عن قوله ونفى عنه أن يكون قد علمه إياه

٤ – والروايات كثيرة في إعجاب الرسول بالشعر وفهمه له واستنشاده إياه وسماعه من الشعراء ومكافأته لهم ، وكان عصر الرسول صلى الله حافلا بالشعراء والبلغاء والخطباء والفصحاء

يقول أنس بن مالك : قدم علينا الرسول المدينة وما في الأنصار بيت إلا وهو يقول الشعر (١) . وكان شعراؤه (ص) : حسانا وكعبا وابن أبي رواحة (١)

وقال المفضل . ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله إلا و قد قال الشعر وتمثل به (٢)

ويقول الجاحظ : وكان لرسول الله شعراء ينافحون عنه وعن أصحابه بأمره وكان ثابت بن قيس خطيب رسول الله (٣)

---

(١) ٣٨٨ / ٣ العقد

(٢) ١٩ جمهرة أشعار العرب

(٣) ١٤٧ / ١ البيان

وقال صلى الله عليه وسلم . إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا (١).

وقال . الشعر كلام جزل تتكلم به العرب فى نواديها وتسل به الضغاين بينها (٢)

وموقف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعر والاعجاب به ومكافأة الشعراء وحمدهم وتوجيههم كثير (٣)

وموقف الرسول صلوات الله عليه من حسان ودعاؤه له معروف(٤)

وأنشد كعب بن زهير أمامه مدحته وغزله (٥) وكافأه الرسول حيث كساه بردا (٦)

ومدحه عباس بن مرداس فكساه الرسول حلة (٧)

واقرأ قصة وفود النابغة الجعدى على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨)

ففيها تصوير لمدى إعجاب الرسول بالشعر وتقديره للشعراء

وأذن الرسول لحسان بهجاء قريش(٩) وسمع شعر عمرو بن سالم الخزاعى يمدح فيه رسول الله ويستنصره على قريش الذين اعتدوا على خزاعة ـ حلفاء الرسول بعد الهدنة بين قريش ورسول الله (١٠)

---

(١) ١٤ الجمهرة فى أشعار العرب ط ١٩٢٦

(٢) ١٤ الجمهرة ، ١٠ حـ ١ العمدة ط ١٩٢٥

(٣) راجع ٣٨٢ — ٣٨٧ / ٣ العقد الفريد ، والجزء الأول من العمدة لابن رشيق ، ١٢ وما بعدها من دلائل الاعجاز

(٤) راجع ٩٠/٤ العقد ، ٣/٣٨٤ أيضا و ١٤ الجمهرة

(٥) ٣٩١ /٣ العقد (٦) ٣/٢٩٣ العقد ، ١٥ و ١٦ الجمهرة

(٧) ٣٩٣ و ٤٠١/٣ العقد

(٨) ١٨٦ حـ ١ العقد ، ١٦ الجمهرة

(٩) ٧/٣٩٥ العقد ، ٩٠/٤ أيضا ، و ١٤ جمهرة أشعار العرب

(١٠) ١٦ الجمهرة

ووفد قرة العامرى على رسول الله وأسلم فحباه وكساه بردين وحمله على فرس واستعمله على قومه فذكر ذلك قرة فى قصيدة طويلة [١]

ووفد عليه صلى الله عليه قيس بن عاصم التميمى [٢]

واستنشد رسول الله (ص) الشريد من شعر أمية مائة قافية وهو يقول: هيه، استحسانا لها [٣]

وأنشد الرسول بيت طرفة. « ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ». فقال. هذا من كلام النبوة (٤)

وأنشدت عائشه أمام الرسول شعرا لزهير بن جناب فيه حكمة، فقال لها (ص) صدق (٥)

وأنشدت عائشه أمامه شعرا فيه حكمة (٦)

ولما سمع صلى الله عليه وسلم شعر قتيلة أخت النصر بن الحارث بن كلدة لما قتله فى غزوة بدر قال. لو سمعت هذا قبل أن أقتله ما قتلته [٧]

ويذكر عبد القاهر فى دلائل الأعجاز كثيرا من الروايات التى تدل على رعاية الرسول صلى الله عليه للشعر واعجابه به ومكافأته عليه

ولعبد القاهر فى هذا المجال كلام كثير خلاصته:

١ ـ أن الرسول إذا كان قد روى عنه بعض الآثار فى التنفير من الشعر فانما كان يعنى بذلك الشعر الذى يخاصم الدعوة وينهج نهجا هو خلاف مبادئها العاليه

٢ ـ أن الرسول له مواقف كثيرة فى استحسان الشعر والارتياح لسماعه واستنشاده والأمر به

---

(١) ١٧ الجهرة (٢) ١٧ و ١٨ الجهرة

(٣) ٩٠ ح ٤ العقد الفريد لابن عبد ربه

(٤) ٣٨٠ / ٣ المرجع

(٥) ٣٨٢ و ٣٨٣ / ٣ المرجع

(٦) ١٤١ ج ١ العقد

(٧) ٩ و ١٠ / ١ الأغانى طبع

٣ ـ وكان عليه السلام ذا علم بالشعر وروايته، الى آخر ما كتبه عبد القاهر في هذا الباب

ولا يغض من الشعر أن الله عز وجل يقول في نبيه « و ما علمناه الشعر وما ينبغي له » لأن حكمة ذلك واضحة وهي .

١ ـ دفع الشبه عن القرآن وتنزيهه عن الشعر

٢ ـ أن الرسول كان في شغل بعظائم الأمور وهداية الأنسانية وبث كلمة الأسلام والسلام في الأرض

٣ ـ أنه لم يخلق شاعرا وإنما خلق مفكرا ومصلحا وزعيما روحيا للبشرية كافة

٤ ـ أن الشعر على ما كان عليه في عصر النبوة ووفق منهج الجاهلين فيه من الفجور والكذب والمبالغة والنفاق لا يليق بالنبي ولا ينبغي له

وهذا كله على أي حال لا يضيع من منزلة الشعر وليس معناه أن الرسول صلى الله عليه وسلم ينهى عن قوله

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهجون نهجه ويقفون موقفه حيال الشعر والأدلة على ذلك كثيرة

ويقول ابن رشيق : وليس من بني المطلب رجالا ونساء من لم يقل الشعر حاشا النبي [١] : ويقول في العباس بن عبد المطلب : « وكان شاعرا مفلقا حسن التهدى [١]

وتقول عائشه : علموا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم [٢] . ويقول المقداد بن الأسود : ما كنت أعلم أحدا من أصحاب رسول الله أعلم بشعر ولا فريضة من عائشة (٣) وكانت تروى ألف بيت للبيد وهل أقل ماتروى لغيره (٣)

---

(١) ١٥ / ١ العمدة ط ١٩٢٥

(٢) ٩٠ / العقد

(٣) ٣٨٢ / ٣ المرجع

وكان أبو بكر ذا حذق بالشعر ونقده روى عنه أنه قدم النابغة وقال : هو أحسنهم شعرا وأعذبهم بحرا وأبعدهم قعرا (١)

وكان على ناقدا ، روى عنه أنه فضل أمرأ القيس وقال فيه :

رأيته أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة وأنه لم يقل لرغبة ولا لرهبة (٢)

وعمر بن الخطاب وعلمه بالشعر ونقده له وبصره به وحكومته بين الشعراء ؛ كل ذلك مشهور وسيأتى

---

(١) المزهر ٢ / ٢٩٧

(٢) المزهر ٢ / ٢٩٧

النثر الفنى فى عصر صدر الاسلام

نماذج له .

١ روى عن عبدالله بن عباس رضوان الله عليهما قال: وفد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان [١] بن بدر بن وعمرو بن (١) الأهتم فقال الزرقان: يارسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب منهم آخذ لهم بحقهم وأمنعهم من الظلم وهذا يعلم ذلك ؛ (يعنى عمرا) فقال عمرو: أجل يارسول الله . إنه مانع لحوزته(٣) مطاع فى عشيرته شديد العارضة [٤] فيهم . فقال الزربرقان : أما إنه والله قد علم أكثر مما قال ، ولكنه حسدنى شرفى . فقال عمرو : أما لئن قال ماقال فوالله ما علمته إلا ضيق العطن [٥] زمن [٦] المروءة أحمق الأب لئيم الخال حديث الغنى ، فرأى الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال : يارسول رضيت فقلت أحسن ماعلمت وغضبت فقلت أقبح ماعلمت وما كذبت فى الأولى ولقد صدقت فى الثانية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة .

---

(١) الزبرقان هو حصين بن بدر التيمى ولاه رسول الله صدقات قومه وأقره أبو بكر وعمر على ذلك وقد وهم صاحب لسان العرب فنسبه الى فزارة .

(٢) عمرو بن الأهتم : سيد من سادات تميم وهو القائل :

ذرينى فان البخل ياأم مالك ... لصالح أخلاق الرجال سروق

لعمرك ماضاقت بلاد بأهلها ... ولكن أخلاق الرجال تضيق

(٣) الحوزة : الناحية . وفلان مانع لحوزته . أى يحمى حماه .

(٤) رجل شديد العارضة . ذو جلد وصرامة .

(٥) العطن . مبرك الإبل حول الحوض . ورجل رحب العطن . كثير المال واسع القدرة وضيق العطن عكسه

(٦) الزمن : المصاب بعاهة لايرجى زوالها ، ورواية الميدانى زمر المروءة والزمر القليل المروءة

ورواه أبو القاسم الزجاجي : وإن من الشعر لحكما . قال : ووجهه عندى أن من الشعر مايلزم المقول فيه كلزوم الحكم للمحكوم عليه إصابة للمعنى وقصدا للصواب .

٢ — قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما أدب به أمته وحضها عليه من مكارم الأخلاق وجميل المعاشرة وإصلاح ذات البين وصلة الأرحام : أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها : أوصانى بالإخلاص [١] فى السر والعلانية والعدل فى الرضا والغضب والقصد [٢] فى الغنى والفقر وأن أعفو عمن ظلمنى وأعطى من حرمنى وأصل من قطعنى وأن يكون صمتى فكرا [٣] ونطق ذكرا [٤] ونظرى عبرا [٥]

٣ — ومن حكمه صلى الله عليه وسلم نهيتكم عن قيل وقال [٦] وإضاعة المال وكثرة السؤال. وقال: اليد العليا خير من اليد السفلى(٧) . المرء كثير بأخيه [٨] استعينوا على حوائجكم بالكتمان (٩) أفضل الأصحاب من إذا ذكرت أعانك وإذا نسيت ذكرك ١٠ . لو تكاشفتم ما تدافنتم وما هلك امرؤ عرف قدره [١١] . رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم . حصنوا أموالكم بالزكاة [١٢]. العلماء ورثة الأنبياء(١٣) الخمر مفتاح كل شر. اتقو دعوة المظلوم فانها لينة الحجاب ١٤ .

---

(١) أن يكون باطنك كظاهرك (٢) الاقتصاد

(٣) لا أداع التفكر عند السكوت (٤) أتكلم بالحكمة والاعتبار

(٥) أعتبر بما أراه (٦) مالا طائل تحته من الكلام

(٧) المعطى خير من الآخذ (٨) الصحبة قوة

(٩) لاتفش أمرك فيفضى (١٠) يعنى يعينك على كل حال

(١١) لو علم بعضكم سريرة بعض لما كان هناك داع إلى التكاتم ومن عرف قدره جانبه الهلاك

(١٢) الزكاة صون للاموال

(١٣) لانهم يرشدون الناس ويهدونهم الصراط المستقيم

(١٤) تبلغ إلى الله تعالى

جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها . احذروا من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره [١] . زرغبا تزدد حبا . ماعال من اقتصد [٢] . خير الأمور أوسطها . إياك وما يعتذر منه . كل ميسر لما خلق له . الوحدة خير من جليس السوء . المستشير معان والمستشار مؤتمن [٣] . أنزلوا الناس منازلهم . إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه

٤ — تأبين أبي بكر الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم

دخل أبو بكر الصديق رضوان الله عليه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسجى (٤) بثوب فكشف عنه الثوب وقال : بأبي أنت وأمي ! طبت حيا وطبت ميتا وانقطع لموتك مالم ينقطع لموت أحد من الأنبياء من النبوة ، فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا أن موتك كان اختيارا منك لجدنا لموتك بالنفوس ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك ماء الشئون [٥] فأما ما لا نستطيع نفيه عنا (٦) فكمد وإدناف يتحالفان ولا يبرحان . اللهم فأبلغه عنا السلام اذكرنا يامحمد عند ربك ولنكن من بالك . فلولا ماخلفت من السكينة لم نقم لما خلفت من الوحشة اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا

٥ — تأبين السيدة عائشة لأبيها

لما توفي أبو بكر رضي الله عنه وقفت السيدة عائشة على قبره وقالت . نضر

---

(١) فان ضرره متوقع على كل حال ولا خير فيه

(٢) من استعمل الاقتصاد لا يفتقر

(٣) الشورى يتقوى بها المستشير والمستشار لا ينبغي أن يغش

(٤) سجى الميت : غطاه .

(٥) الشؤون . جمع شأن وهو مجرى الدمع الى العين ؛

(٦) الكمد . الحزن الشديد ، والادناف : ثقل المرض

الله وجهك يا أبت وشكر لك صالح سعيك؛ فلقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها وللآخرة معزا بأقبالك عليها ، ولئن كان أجل الحوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك وأعظم المصائب بعدها فقدك ، ان كتاب الله ليعد بحسن الصبر عنك حسن العوض عنـــك . وأنا أستنجز موعود الله تعـــالى بالصبر فيك واستقضيه بالاستغفار لك .

٦ — الاحنف بين يدى عمر :

وقدم الأحنف بن قيس التميمى على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أهل البصرة وأهل الكوفة . فتكلموا عنده فى أنفسهم وما ينوب كل واحد منهم وتكلم الأحنف فقال : يا أمير المؤمنين إن مفاتيح الخير بيد الله ، وقد أتتك وفود أهل العراق ، وان إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الأمم الخالية والملوك الجبابرة ومنازل كسرى وقيصر وبنى الأصفر [1] ؛ فهم من المياه العذبة والجنان المختلفة فى مثل حولاء السلى [2] وحدقة (٣) البعير تأتيهم ثمارهم غضة لم تخصر.(٤) وإنا نزلنا أرضـــا طرف فى فلاة وطرف فى ملح أجاج ، جانب منها منابت القصب وجانب سبخة نشاشة [5] لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها. يخرج الرجـل الضعيف منا يستعذب الماء من فرسخين وتخرج المرأة بمثل ذلك ترنق(٦)لولدها ترنيق العنز تخاف عليه العدو والسبع فألا ترفع خسيستنا وتنعش(٧)ركيستنا

(١) بنو الأصفر عند العرب : هم الروم .

(٢) السلى : غلاف رقيق يكون فيه المولود . والحولاء . جلدة خضراء مملوءة ماء تخرج مع الولد ، وهذا يكنون به عن الخصب وكثرة الماء والخضرة

(٣) قال فى اللسان . وفى حديث الأحنف نزلوا فى مثل حدقة البعير أى نزلوا فى خصب وشبهه بحدقة البعير لانها ريا من الماء .

(٤) خصر : برد

(٥) أرض سبخة نشاشة . لا يجف ثراها ولاينبت مرعاها

(٦) رنق الماء : صفاه

(٧) نعشه ، رفعه كانعشه ، والركيسة . الضعيفة

وتجبر فاقتنا وتزد فى عيالنا عيالا وفى رجالنا رجالا تصغر درهمنا وتأمر لنا بحفر نهر نستعذب به الماء هلكنا ، فقال عمر : هذا والله السيد

٧ — اسلام أبى ذر * :

قال أبو ذر (١) : كنت رجلا من غفار ، فبلغنا أن رجلا قد خرج بمكة يزعم أنه نبى ، فقلت لأخى : انطلق إلى هذا الرجل وكلمه . وأتنى بخبره ، فانطلق فلقيه ، ثم رجع ، فقلت : ماعندك ؟ فقال : والله لقد رأيت رجلا يأمر بالخير ، وينهى عن الشر ، فقلت له : لم تشفنى من الخبر !

فأخذت جراباً وعصا ، ثم أقبلت إلى مكة ، فجعلت لا أعرفه ، وأكره أن أسأل عنه ، وأشرب من ماء زمزم ، وأكون فى المسجد ، فمر بى على ، فقال : كأن الرجل غريب ؟ قلت : نعم ! فانطلق إلى المنزل وانطلقت معه لايسألنى عن شىء ولا أخبره .

فلما أصبحت غدوت إلى المسجد لأسأل عنه ، وليس أحد يخبرنى عنه بشىء ، فمر بى على ، فقال . أما آن للرجل أن يعرف منزله بعد ؟ قلت . لا ، قال . انطلق معى ، ثم قال . ماأمرك ؟ وما أقدمك هذه البلدة ؟ فقلت له إن كتمت على أخبرتك ! قال . فانى أفعل ، قلت له . بلغنا أنه قد خرج هاهنا رجل يزعم أنه نبى ، فأرسلت أخى ليكلمه ، فرجع ولم يشفنى من الخبر ، فأردت أن ألقاه ، فقال ، أما إنك قد رشدت ، هذا وجهى إليه فاتبعنى ، ادخل حيث أدخل ، فانى إن رأيت أحدا أخافه عليك قمت إلى الحائط كأنى أصلح نعلى ، وامض أنت

فمضى ومضيت معه حتى دخل ، ودخلت معه على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقلت له : اعرض على الإسلام ، فعرضه ، فأسلمت مكانى ، فقال لى . ياأباذر ،

---

* الزبيدى ص ٥٤ ج ٢ ، وقصص العرب

(١) هو من غفار ، وهى قبيلة من كنانة ، وأسلم أبو ذر بمكة ولم يشهد بدراً ولا أحداً ولا الخندق ، لأنه حين أسلم رجع إلى بلاد قومه ، حتى مضت هذه المشاهد ثم قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات بالربذة سنة ٣٢هـ

اكتم هذا الأمر ، وارجع إلى بلدك ، فاذا بلغك ظهورنا فأقبل ، فقلت : والذى بعثك بالحق لأصرخن به بين أظهرهم .

فجاء إلى المسجد ، وقريش فيه ، فقال ، يامعشر قريش ، إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فقالوا : قوموا إلى هذاالصابى[1] فقاموا فضربت لأموت ، فأدركنى العباس ، فاكب على ، ثم أقبل عليهم ، فقال ، ويلكم تقتلون رجلاً من غفار ومتجركم وممركم على غفار ! فأقلعوا عنى

فلما أن أصبحت فى الغد رجعت فقلت مثل ماقلت بالأمس ، فقالوا : قوموا إلى هذا الصابىء ، فصنع بى مثل ماصنع بالأمس ! وأدركنى العباس ، فأكب على ، وقال مثل مقالته بالأمس !

٨ - وفاة النبى (٢).

قال أبو ذؤيب(٣) الهذلى . بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل ، فأرجس أهل الحى خيفة عليه ، فبت بليلة ثابتة النجوم ، طويلة الأناة ، لاينجاب ديجورها (٤) ، ولايطلع نورها ! حتى إذا قرب السحر ، غفوت ، فهتفت لى هاتف يقول .

خطب أجل أناخ بالإسلام … بين النخيل ومعقد الآطام (٥)

قبض النبي محمد فعيوننا … تذرى الدموع عليه بالتسجام(٦)

فوثبت من نومى فزعا ، فنظرت إلى السماء ، فلم أر إلاسعد الذابح ، فتفاءلت

---

(١) صبأ ، خرج من دين إلى دين ،

(٢) بلوغ الأرب ص ٣١٥ ج ٣ ، نهاية الأدب ص ١٤٢ ج ٣ ، معاهد التنصيص ص ١٩٣ ج ١

(٣) أبو ذؤيب الهذلى شاعر مقدم من شعراء هذيل ، كان فى جند عبد الله بن سعد حينما فتح إفريقيا وعاد إلى مصر ومات بها .

(٤) الديجور : الظلام .

(٥) الأطم : القصروكل حصن مبنى بحجارة وكل بيت مربع السطح جمعه آطام

(٦) سجم الدمع : قطر وسال قليلا أو كثيرا

به ذبحاً يقع فى العرب ، وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات ، أو هو ميت عن علته .

فركبت ناقتى وسرت حتى أصبت فطلبت شيئا أزجره ، فعن لى شيهم [١] قد أرم [٢] على صل [٣] ، وهو يتلوى ، والشيهم يقضمه حتى أكله ، فزجرت ذلك شيئا مهما ، فقلت : تلوى الصل : انفتال [٤] الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أولت أكل الشيهم إياه : غلبة القائم على الأمر

فحثثت ناقتى حتى إذا كنت بالعلية [٥] زجرت الطير فأخبرنى بوفاته ونعب [٦] غراب سانحا بمثل ذلك ؛ فتعوذت من شر ما عن لى فى طريق ، ثم قدمت المدينة ، ولأهلها ضجيج كضجيج الحجيج ، أهلوا جمعا بالإحرام ، فقلت : مه ! قالوا : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجئت المسجد فأصبته خالياً ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبت بابه مرتجاً [٧] ، وقد خلا به أهله ، فقلت : أين الناس ؟ فقيل : فى سقيفة بنى ساعدة . صاروا إلى الأنصار .

فجئت السقيفة فوجدت أبا بكر ، وعمر رضى الله عنهما ، وأبا عبيدة وسالما وجماعة من قريش ، ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عبادة ومعهم شعراؤهم ، وأمامهم حسان بن ثابت ، وكعب ؛ فى ملأ منهم ، فأويت إلى الأنصار ، فتكلموا فأكثروا ، وتكلم أبو بكر ، فلله من رجل لا يطيل الكلام ، ويعلم مواضع الفصل .

---

(١) الشيهم : ذكر القنافذ
(٢) أرم عليه : عض
(٣) الصل ، الحية
(٤) انفتل عن الشيء ، انصرف
(٥) علية القوم : حلتهم
(٦) نعب الغراب : صاح . والسانح : ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك . والعرب تختلف فى العيافة ، فمنهم من يتيمن بالسانح ويتشاءم بالبارح ، ومنهم من يخالف ذلك
(٧) أرتج الباب : أغلقه .

والله لقد تكلم بكلام لم يسمعه سامع إلا انقاد له ، ومال إليه . وتكلم بعده عمر رضى الله عنه بكلام دون كلامه ، ومد يده فبايعه ، ورجع أبو بكر رضى الله عنه ، ورجعت معه ، فشهدت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهدت دفنه !

٩ — وصف عمر :

قال معاوية بن أبى سفيان لصعصعة بن صوحان : صف لى عمر بن الخطاب فقال كان عالما برعيته ، عادلا فى قضيته ، عاريا من الكبر ، قبولا للعذر ، سهل الحجاب ، مصون الباب ، متحريا للصواب ، رفيقا بالضعيف ، غير محاب للقريب ، ولا جاف للغريب

١٠ — وصف على :

قال معاوية لضرار الصدائى : ياضرار صف لى عليا ، قال : أعفنى ياأمير المؤمنين قال : لتصفنه قال : اما اذ لابد من وصفه فكان والله بعيد المدى [١] شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ماقصر ومن الطعام ماخشن ، وكان فينا كأحدنا يجيبنا اذا سألناه وينبئنا اذا استنبأناه ونحن مع تقريبه ايانا وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته ولا نبتدئه لعظمته ، يعظم أهل الدين ويحب المساكين لايطمع القوى فى باطله ولاييئس الضعيف من عدله . وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقعه وقد أرخى الليل سدوله [٢] وغارت نجومه وقد مثل فى محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم [٣] ويبكى بكاء الحزين ويقول : يادنيا اليك عنى ، غرى غيرى . ألى تعرضت أم الى تشوقت ؟

---

(١) المدى ، الغاية (٢) السدول جمع سدل وهو الستر

(٣) السليم : الملسوع وانما سمى كذلك تفاؤلا له بالسلامة كما سميت البيداء مفازة مع أنها مهلكة

هيهات هيهات! قد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها فعمرك قصير، وخطرك [١] حقير؛ وخطبك [٢] يسير، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق

فبكى معاوية حتى أخضلت (٣) دموعه لحيته وقال: رحم الله أبا الحسن فلقد كان كذلك فكيف حزنك عليه ياضرار؟ قال: حزن من ذبح واحدها فى حجرها

١١ — وللحسن بن على رضى الله عنهما المتوفى سنة ٤٩ ه

أيها الناس نافسوا فى المكارم وسارعوا فى المغانم ولا تحتسبوا بمعروف لم تعجلوه (٤) ولا تكسبو بالمطل ذما [٥] واعلموا أن حوائج الناس من نعم الله عليكم فلا تملوا النعم فتحول نقما، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه، وإن أعفى «٦» الناس من عفا عن قدرة ومن أحسن أحسن الله إليه والله يحب المحسنين

١٢ — وقال:

لا تكلف مالا تطيق ولا تتعرض لما لا تدرك ولا تعد بما لا تقدر عليه ولا تنفق إلا بقدر ما تستفيد ولا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت ولا تفرح إلا بما نلت من طاعة الله تعالى ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك أهلا له

١٣ — وللامام على كرم الله وجهه المتوفى سنة ٤٠ ه

أيها الناس احفظوا عنى خمسا فلو شددتم إليها المطايا حتى تنضوها (٧) لم تظفروا بمثلها ألا لا يرجون أحدكم إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه ولا يستحي أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم وإذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، ألا وإن الخامسة الصبر فان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد، من لا صبر له لا إيمان له، ومن لا رأس له لا جسد له ولا خير فى قراءة إلا بتدبر ولا فى عبادة إلا بتفكر ولا

---

(١) الخطر، القدر والمنزلة (٢) الخطب، الشأن

(٣) أخضله: بله

(٤) أى لاتعدوا بمعروف صنعتموه متأخرا

(٥) أى لاتماطلوا فتذموا

(٦) أعظمهم عفوا «٧» تنهكوها

فى حلم إلا بعلم، ألا أنبئكم بالعالم كل العالم من لم يزين لعباد الله معاصى الله ولم يؤمنهم مكره ولم يؤيسهم من روحه (١)

١٤ — وله :

البشاشة حبل الوداد (٢) والاحتمال قبر العيوب (٣) احذروا صولة (٤) الكريم إذا جاع وصولة اللئيم إذا شبع ، من نصب نفسه إماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه

١٥ — وله كرم الله وجهه إلى الحسن

يابنى اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك فأحب لغيرك ماتحب لنفسك واكره له ماتكرهه لها ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم وأحسن كما تحب أن يحسن إليك واستقبح من نفسك ماتستقبحه من غيرك وارض من الناس ماترضاه لهم من نفسك ولا تقل مالا تعلم وكل ما تعلم ولا تقل مالا تحب أن يقال لك ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً واعلم أن حفظ مافى يدك أحب إلى من طلب مافى يد غيرك ولا تأكل من طعام ليس لك فيه حق فبئس الطعام الحرام وجد فى تحصيل معاشك وإياك والاتكال على المنى فانها بضائع النوكى (٥)

١٦ — وله كرم الله وجهه فى الحكم :

البخل عار والجبن منقصة والفقر يخرس الفطن عن حجته (٦) والمقل (٧) غريب فى بلدته والعجز آفة والصبر شجاعة والزهد ثروة والورع جنة (٨) نعم القرين الرضا والعلم وراثة كريمة والآداب حلل مجددة (٩) والفكر مرآة صافية (١٠)

---

(١) يقطع أملهم من رحمته

(٢) طلاقة الوجه تجذب المحبة

(٣) من احتمل المكاره من غيره فقد دفن معايبه (٤) بطشه

(٥) الحمق (٦) أى يعجزه عن اقامتها

(٧) المعدم (٨) وقاية (٩) حلل لاتبلى

(١٠) يرى به الانسان عواقب الأمور والقصد التفكر فى الأشياء قبل مباشرتها

إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه [١] ماأضمر أحد شيئا إلا ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه إن ملاك العقل ومكارم الأخلاق صون العرض وأداء الفرض والوفاء بالعهد والانجاز للوعد

١٧ — وله كرم الله وجهه ينصح عامله بالبصرة

دع الاسراف مقتصدا واذكر فى اليوم غدا وامسك من المال بقدر ضرورتك (٢) وقدم الفضل ليوم حاجتك أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين وتطمع وأنت متمرغ فى النعيم تمنعه الضعيف والأرملة (٣) أن يوجب الله لك ثواب المتصدقين وإنما المرء مجزى بما أسلف وقادم على ماقدم والسلام

١٨ — ومن حكم الرسول :

رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم . التمسوا الرزق فى خبايا (٤) الأرض . ليس لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت . الخلق كلهم عيال الله فأحبهم اليه أنفعهم لعياله . جمال الرجل فصاحة لسانه . الجبان محروم . العالم والمتعلم شريكان فى الخير .

ومن حكم سيدنا أبى بكر الصديق

صنائع المعروف تقى مصارع السوء . ليست مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة . ثلاث من كن فيه كن عليه : البغى والنكث والمكر .

---

(١) المقصود أن الانسان بعمله لا بنسبه

(٢) بمعنى احفظ لنفسك من مالك ماتصرفه فى حاجات معيشتك وتصدق بالباقى ينفعك فى المآب يوم تحتاج فيه إلى مايزيد فى حسناتك لتمحى سيآتك

(٣) المحتاجة المسكينة (٤) وذلك انما يكون بحرثها وتقليبها للزراعة

كثير القول ينسى بعضه وانما لك ما وعى عنك .

ومن حكم سيدنا عمر بن الخطاب

من كتم سره كان الخيـار فى يده . أشقى الولاة من شقيت به رعيته . لايكن حبك كلفا (١) ولا بغضك تلفـا من يعرف الشركان أجدر أن يقع فيه . أعقل الناس أعذرهم للناس ؛ لاتؤخر عمل يومك الى غدك أبت الدرهم إلا أن تخرج أعناقها من يئس من شيء استغنى عنه

مايزع الله بالسلطـان أكثر مما يزع بالقرآن (٢) أنتم الى إمام فعال أحوج منكم الى إمام قوال يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك !

ومن حكم سيدنا على

رأى الشيخ خير من مشهد الغلام ، الناس أعداء ماجهلوا ، الناس من خوف الذل فى الذل ، الصبر مطية لاتكبو وسيف لاينبو ، اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه ، قيمة كل أمر مايحسن ، المرء مخبوء تحت لسانه ، استغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت تكن أسيره ، وأحسن الى من شئت تكن أميره ، خيرأموالك ما كفاك وخير اخوانك من واساك ، الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم ، ماهلك أمرؤ عرف قدره ، من عذب لسانه كثر اخوانه ، بشر مال البخيل بحادث أو وارث . بالبر يستعبد الحر . اعادة الاعتذار تذكير الذنب . إذا تم العقل نقص الكلام . كثرة الوفاق نفاق ، وكثرة الخلاف شقاق . من أكثر فكره فى العواقب لم يشجع . الشرف بالعقل والأدب ، لا بالأصل والنسب

---

(١) الكلف : فرط المحبة ،

(٢) يقول : ان الذين يردعون عن الشرور بواسطة القهر والحكم أكثر من يردعون بواسطة الدين لأن النـاس كما قيل عبيد العصا ، وإن الذين يؤثر فيهم الوزاع الديني قليل جدا

أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع . قلب الأحمق وراء لسانه ولسان العاقل وراء قلبه . يعيش البخيل فى الدنيا عيش الفقراء ويحاسب فى الآخرة حساب الأغنياء . الولايات مضامير [١] الرجال . الناس أبناء الدنيا ولا يلام الرجل على حسب أمه . من علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه . الحرمان خير من الامتنان .

١٩ — استمناح أعرابى لسيدنا على :

يروى أن أعرابيا وقف على على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال . إن لى إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك فان أنت قضيتها حمدت الله وشكرتك وان أنت لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك . فقال له على : خط [٢] حاجتك فى الأرض فانى أرى الضر عليك . فكتب الأعرابى على الأرض : إنى فقير . فقال على : ياقنبر (٣) ادفع إليه حلتى الفلانية . فلما أخذها مثل بين يديه فقال .

كسوتنى حلة تبلى محاسنها ... فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
إن الثناء ليحيى ذكر صاحبه ... كالغيث يحيى نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر فى عرف بدأت به ... فكل عبد سيجزى بالذى فعلا

فقال على . ياقنبر أعطه خمسين دينارا ، أما الحلة فلمسألتك وأما الدنانير فلأدبك .

---

(١) المضامير . جمع مضمار وهو الوقت أو الموضع الذى تضمر فيه الخيل لأجل السباق .

(١) انما دعاه الى كتابة حاجته رفقا به وصيانة لماء وجهه وتلك كانت عادته ، فقد ذكر صاحب العقد أنه رضى الله عنه . كان يقول لأصحابه من كانت له إلى منكم حاجة فليرفعها فى كتاب لأصون وجوهكم عن المسألة .

(٢) قنبر كجعفر : مولى على وخادمه .

٢٠ — وهذه كلمة أدبية معزوة الى أبي بكر وعمر بعثا بها الى علي :

روى عن ابي عبيدة انه قال :

لما استقامت الخلافة لابي بكر بين المهاجرين والأنصار ولحظ بعين الهيبة والوقار وان كان لم يزل كذلك بعد هنة كاده الشيطان بها فدفع الله عز وجل شرها ورحض عرها ويسر خيرها وازاح ضيرها ورد كيدها وقسم ظهر النفاق والفسوق من اهلها بلغ ابابكر الصديق رضى الله عنه عن علي بن ابي طالب رضى الله عنه تلكؤ وشماس وتهمهم ونفاس وكره ان يتمادى الحال وتبدو العداوة وتنفرج ذات البين ويصير ذلك دربة لجاهل مغرور او عاقل ذى دهاء او صاحب سلامة ضعيف القلب خوار العنان دعاني لحضرته وعنده عمر بن الخطاب وحده وكان يدمل ارضه بالسرجين وكان عمر قبساً له ظهيراً معه يستضىء برأيه ويستملي على لسانه ، فقال لي ياأبا عبيدة : ما ايمن ناصيتك وابين الخير بين عينيك وعارضيك ولقد كنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان المحوط والمحل المغبوط ، ولقد قال فيك في يوم مشهود : ابو عبيده امين هذه الامة وطل ما اعز الله بك الاسلام واصلح فساده على يديك ولم تزل للدين ملجأ وللمؤمنين دوحاً ولا هلك ركناً ولاخوانك ردأ قد اردتك لامر له مابعده خطره مخوف وصلاحه معروف ولئن لم يندمل جرحه بمسبرك ولم تستجب حيته لرقيتك فقد وقع اليأس وأعضل البأس واحتيج بعد ذلك الى ما هو امر من ذلك واعلق واعسر منه واغلق والله اسأل تمامه بك ونظامه على يديك فتأن له ياأباعبيدة وتلطف فيه وانصح لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولهذه العصابة غير آل جهداً ولا قال جداً والله كالئك وناصرك وهاديك ومبصرك وبه الحول والتوفيق ، امض الى علي واخفض جناحك له واغضض من صوتك عنده واعلم انه سلالة ابي طالب ومكانه ممن قد فقدناه بالامس صلى الله عليه وسلم مكانه ، وقل له :

« البحر مغرقة والبر مفرقة والجو اكلف والليل اغلف والسماء جلواء والارض صلعاء والصعود متعذر والهبوط متعسر والحق رؤف عطوف والباطل شنوف عنوف والعجب قادح الشرار والضغن رائد البوار والتعريض شجار الفتنة والقحة

ثوب العداوة وهذا الشيطان متكيء على شماله متحبل بيمينه نافج حضنيه لاهله ينتظر الشتات والفرقة ويدب بين الامة بالشحناء والعداوة عناداً لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولدينه ثالبا يوسوس بالفجور ويدلي بالغرور ويمني اهل الشرور ويوحي الى اوليائه بالباطل والزور دأباله مذ كان على عهد ابينا آدم صلى الله عليه وسلم وعاده منه منذ أهابه الله عز وجل في سالف الدهر لاينجى منه الا بعض النواجذ على الحق وغض الطرف عن الباطل ووطء هامة عدو الله وعدو الدين بالاشد فالاشد والاحد فالاحد واسلام النفس لله عز وجل فيما حاز رضاه وجنب سخطه ولا بد الآن من قول ينفع اذا ضر السكوت وخيف غبه ، ولقد اودك من أفاء ضالتك وصافاك من احيا مودته لك بعتابك وأراد الخير بك من آثر البقاء معك ماهذا الذى تسول لك نفسك ويدوى به قلبك ويلتوى به عليك رأيك ويتخاوص دونه طرفك ويسرى فيه ظعنك ويتراد معه نفسك وتكثر معه صعداؤك ولايفيض به لسانك أعجمة بعد إفصاح أتلبيس بعد ايضاح أدين غير دين الله عز وجل أخلق غير خلق القرآن أهدى غير النبي صلى الله عليه وسلم أمثلي يدب له الضراء او يمشي اليه الخمر أم مثلك ينقبض عليه الفضاء او يكسف في عينه القمر ماهذه القعقعة بالشنان وماهذه الوعوعة باللسان انك جد عارف باستجابتنا لله عز وجل ولرسوله عليه السلام وخروجنا عن أوطاننا واموالنا واولادنا واحبتنا هجرة الى الله تعالى عز ذكره ولنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم في زمان انت فيه في كن الصبي وخدر الغرارة غافل عما يشيب ويريب لاتعى مايراد ويشاد ولاتحصل مايساق ويقاد سوى ماانت جار عليه الى غايتك التى اليها عدى بك وعندها حط رحلك غير مجهول القدر ولا مجحود الفضل ونحن في اثناء ذلك نعاني احوالا تزيل الرواسى ونقاسي اهوالا تشيب النواصى خائضين غمارها راكبين تيارها نتجرع صابها ونشرج عيابها ونسوغ عبابها ونحكم اساسها ونبرم امراسها والعيون تحدج بالحسد والانوف تعطس بالكبر والصدور تستغرق بالغيظ والاعناق تتطاول بالفجر والشفار تشحذ بالمكر والارض تميد بالخوف ولانتظر عند المساء صباحا ولا عند الصباح مساء ولاندفع في نحر امرلنا الا بعد ان

نحسو الموت دونه ولانبلغ الى شى الا بعد جرع الغصص معه ولا نقوم منآداً الا بعد الياس من الحياة عنده فادين فى كل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالاب والام والخال والعم والنشب والسبد واللبد والهلة والبلة بطيب نفس وقرورعين ورحب اعطان وثبات عزائم وصحة عقول وطلاقة أوجه وذلاقة السن هذا الى خفيات اسرار ومكنونات اخبار كنت عنها غافلا ولولا حداثة سنك لم تكن عنها ناكلا كيف وفؤادك مشهوم وعودك معجوم وغيبك مخبور والقول فيك كثير والآن قد بلغ الله بك وارهص الخير لك وجعل مرادك بين يديك وعن علم أقول ما تسمع فارتقب زمانك وفلص اليه أردانك ودع التجسس والتعسس لمن لا يضلع اليك اذا خطا ولا يتزحزح عنك اذا عطا فالامر غض والنفوس فيها مض وانك اديم هذه الامة فلا تحلم لجاجا وسيفها العضب فلا تنب اعوجاجا وماؤها العذب فلا تحل اجاجا والله لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الامر فقال لى يا ابابكر هو لمن يرغب عنه لا لمن يرغب فيه ويجاحش عليه ولمن تضاءل له لا لمن ينتفخ اليه ولمن يقول هو لك لا لمن يقول هو لى والله لقدشاورنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصهر فذكر فتيانا من قريش فقلت أين أنت من على فقال إنى لأكره لفاطمة ميعة شبابه وحداثة سنه فقلت له متى كنفته يدك ورعته عينك حفت بهما البركة وسبغت عليهما النعمة مع كلام كثير خطبت به عنك ورغبته فيك وما كنت عرفت منك فى ذلك حوجاء ولا لوجاء فقلت ماقلت وأنا أرى مكان غيرك واجد رائحة سواك وكنت لك إذا ذاك خيراً منك الآن لى ولئن كان عرض بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كنى عن غيرك وان كان قال فيك فما سكت عن سواك وان يختلج فى نفسك شىء فهلم فالحكم مرضى والصواب مسموع والحق مطاع ولقد نقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما عند الله عز وجل وهو عن هذه العصابة راض وعليها حدب يسره ما يسرها ويكيده ما كادها ويرضيه ما أرضاها ويسخطه ما أسخطها ألم تعلم أنه لم يدع احداً من أصحابه وخلطائه واقاربه وشجرائه الا أبانه بفضيلة وخصه بمكرمة وافرده بخلالة لو

اصفقت الأمة عليه لكان عنده أبالتها وكفالتها وكرامتها وغزارتها أتظن أنه صلى الله عليه وسلم ترك الأمة نشرا سدى بددا عدى عباهل مباهل طلاحاً مفتونة بالباطل مغبونة عن الحق لا ذائد ولا حائط ولا ساقى ولا واقى ولا هادى ولا حادى كلا والله ما اشتاق إلى ربه تعالى ولا سأله المصير إلى رضوانه حتى ضرب الصوى واوضح الهدى وامن المهالك والمطاوح وسهل المبارك والمهايع وشدخ يافوخ الشرك باذن الله عز وجل وشرم وجه النفاق لوجه الله تعالى جده وجدع انف الفتنة فى ذات الله تبارك اسمه وتفل فى وجه الشيطان بعون الله جل ذكره وصدع بملء فيه ويده بأمر الله عز وجل وبعد فهؤلاء المهاجرون والأنصار عندك ومعك فى دار واحدة وبقعة جامعة إن استقالونى لك وأشاروا عندى بك فانا واضع يدى فى يدك وصائر إلى رأيهم فيك وإن تكن الأخرى فادخل فيما دخل فيه المسلمون وكن العون على مصالحهم والفاتح لمغالقهم والمرشد لضالهم والرادع لغاويهم فقد أمر الله عز وجل بالتعاون على البر وأهاب إلى التناصر على الحق ودعنا نقضى هذه الحياة الدنيا بصدور بريئة من الغل ونلق الله عز وجل بقلوب سليمة من الضغن (وبعد) فالناس ثمامة فارفق بهم واحن عليهم ولن لهم ولا تشق نفسك بنا خاصة فيهم واترك ناجم الحقد حصيداً وطائر الشر واقعاً وباب الفتنة غلقا فلا قال ولا قيل ولا لوم ولا تبيع والله عز وجل على ما نقول وكيل وبما نحن عليه بصير .

قال أبو عبيدة : فلما تهيأت للنهوض قال لى عمر كن لدى الباب هنية فلى معك نصيب من القول فوقفت ولا أدرى ما كان بعدى إلا أنه لحقنى ووجهه يندى تهللا وقال قل لعلى :

« الرقاد محلمه واللجاج ملحمه والهوى مفحمه ومامنا أحد إلا وله مقام معلوم وحق مشاع أو مقسوم ونبأ ظاهر أو مكتوم وان اكيس الكيسى من منح الشارد تألفاً وقارب البعيد تلطفا ووزن كل أمرىء بميزانه ولم يخلط خبره بعيانه ولم يجعل فتره مكان شبره ولا خيره مكان شره ولا خير فى معرفة مشوبة بنكرة ولا فى علم معتمل فى جهل ولسنا كجلدة رفغ البعير بين العجان وبين الذنب

وكل صال فبناره وكل سبيل فالى قراره وما كان سكوت هذه العصابة إلى هذه الغاية لعى وشى وكلامها اليـــوم لفتق اورق قد جدع الله بمحمد صـــلى الله عليه وسلم انف كل ذى كبر وقصف ظهر كل جبار وقطع لسان كل كذوب فماذا بعد الحق الا الضلال ما هذه الخنزوانة التى فى فراش رأسك وما هذا الشجا المعترض فى مدارج انفاسك وما هذه الوحرة التى اكلت شر اسيفك والقذاة التى اعشت ناظرك وما هذا الدخس والدس اللذان يدلان على ضيق الباع وخور الطباع وما هذا الذى لبست بسببه جلدة النمر واشتملت عليه بالشحناء والنكر لشد ما استسعيت اليها وسريت سرى ابن انقد اليها ان العوان لا تعلم الخمره وان الحصان لا تكلم خبرة وما احوج الفرعاء الى فال وما افقر الصلعاء الى حال لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر محبس ليس لاحد فيه ملمس ... ولم يسير فيك قولا ولم يستنزل فيك قرآناً ولم يجزم فى شأنك حكماً ولسنا فى كسروية كسرى ولافى قيصرية قيصر انماذلك لأخدان فارس وابناء الاصفر قوم جعلهم جزراً لسيوفنا وخزراً لرماحنا ومرمى لطعاننا وتبعاً لسلطاننا بل نحن فى نور نبوة وضياء رسالة وثمرة حكمة وأثرة رحمة وعنوان نعمة وظل عصمة بين امة مهدية بالحق والصدق مأمونة على الفتق والرتق لها من الله عز وجل قلب ابى وساعد قوى ويد ناصرة وعين باصرة أتظن ان أبا بكر الصديق وثب على هذا الامر مفتاتاً على هذه الامة خادعاً لها متسلطاً عليها أتراه امتلخ احلامها وأزاغ ابصارها وحل عقدها واحال عقولها واستل من صدورها حميتها وانتزع من اكبادها عصبيتها ونكث رشاءها وأنضب ماءها واضلها عن هداها وساقها الى رداها وجعل نهارها ليلا ووزنها كيلا ويقظها رقاداً وصلاحها فساداً إن كان هكذا ان سحره لمبين وان كيده لمتين كلا والله باى خيل ورجل وباى سنان ونصل وباى قوة ومنة وباى ايد وشدة وباى عشيرة واسرة وباى تدرع وبسطة لقد اصبح عندك بما وسمته منيع العقبة رفيع العتبة لا والله ولكن سلا عنها فولهت اليه وتطامن لهـــا فلصقت به ومال عنها فمالت اليه واشتمل دونها فاشتملت عليه حبوة حباه الله بها وعاقبة بلغه الله اياها ونعمة سربله الله جمالها ويد أوجب عليه شكرها وامة نظر الله

به لها ولطال ما حلقت فوقه فى ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت لفتها ولا يرتصد وقتها والله اعلم بخلقه وأرأف بعباده يختار ما كان لهم الخيرة وانك بحيث لا يجهل موضعك من بيت النبوة ومعدن الرسالة وكهف الحكمة ولا يجد حقك فيما آتاك ربك ولكن لك من يزاحمك بمنكب اضخم من منكبك وقرب امس من قربك وسن اعلى من سنك وشيبة اروع من شيبتك وسيادة لها رق من الجاهلية وفرع فى الاسلام والشريعة ومواقف ليس لك فيها من جمل ولا ناقة ولا تذكر منها فى مقدمة ولا ساقة ولا تضرب فيها بذراع ولا اصبع ولا تخرج ببازل ولا هبع فان عذرت نفسك فيما تهدر به شقشقتك من صاغيتك فاعذرنا فيما تسمع منا فى لين وسكون مما لا تبعده منه ولا تاصله عليه ولئن حدثت بهذا نفسك ليتنخشن عليك ما ينسيك الاولى ويلهيك عن الاخرى ولو علم من عرضنا به بما فى انفسنا له وعليه ولما سكت ولا تخذت انت وليجة الى بعض الارب. فاما ابو بكر الصديق فلم يزل حبة سويداء قلب رسول الله صلى عليه وسلم وعلاقة همه وعيبة سره ومثوى حزنه ومفزع رأيه ومشورته وراحة كفه ومرمق طرفه وذلك كله بمحضر الصادر والوارد من المهاجرين والانصار شهرته مغنية عن الدلالة عليه ولعمرى انك اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة لكنه اقرب قربة والقرابة لحم ودم والقربة روح ونفس وهذا فرق قد عرفه المؤمنون وكذلك صاروا اجمعين ومهما شككت فيه فلا تشك ان يد الله مع الجماعة ورضوانه لاهل الطاعة فادخل فيما هو خير لك اليوم وأنفع لك غدا والفظ من فيك ما تعلق بلهاتك وانفث سخيمة صدرك عن نفاثك فان يكن فى الامد طول وفى الاجل فسحة فستأ كله مريا او غير مرى وستشربه هنيا او غير هنى حين لا راد لقولك الا من كان منك ولا تابع لك الا من كان طامعا فيك يمض إهابك ويفرى قادمتك ويزرى على هديك هناك تقرع السن من ندم وتجرع الماء ممزوجا بدم وحينئذ تأسى على مامضى من عمرك ودرج من قومك فتود ان لو سقيت بالكاس التى ابيتها ورددت للحال التى استبريتها ولله تعالى فينا وفيك امر هو بالغه وغيب هو شاهده وعاقبة هو المجو لضرائها وسرائها وهو الولى الحميد الغفور الودود »

قال أبو عبيدة رضى الله عنه : فمشيت متزملا أتوجى كأنما اخطو على أم رأسى فرقاً من الفرقة وشفقاً على الامة حتى وصلت الى على فى خلاء فأبثثته بثى كله وبرئت اليه منه ورفقت به فلما سمعها ووعاها وسرت فى اوصاله حمياها قال حلت معلوطة وولت مخروطة حل لاحليت النفس أدنى لها من ان اقول لعا

احـــدى لياليك فهيسى هيسى لاتنعمى الليـــلة بالتعريس

نعم ياأباعبيدة أكل هذافى انفس القوم يحتبون عليه ويضطبعون به قال ابو عبيدة فقلت لاجواب لك عندى انما أنا قاض حق الدين وراتق فتق الاسلام للمسلمين وساد ثلمة الامة يعلم الله ذلك من جلجلان قلبى وقرارة نفسى قال على رضى الله عنه والله ما كان قعودى فى كسر هذا البيت قصداً للخلاف ولا انكاراً للمعروف ولا زراية على مسلم بل لما وقذنى به رسول الله صلى الله عليه وســـلم بفراقه واودعنى من الحزن بفقده وذلك انى لم اشهد بعده مشهداً الا جدد لى حزنا وذكرنى شجواً وان الشوق الى اللحاق به كاف عن الطمع فى غيره فقد عكفت على عهد الله أنظر فيه وأجمع ماتفرق منه رجاء ثواب معد لمن اخلص عمله وسلم لعلمه ومشيئة ربه على انى ماعلمت ان التظاهر على واقع ولا عن الحق الذى سبق الى دافع واذ قد أفعم الوادى بى وحشد النادى من اجلى فلا مرحباً بما ساء احداً من المسلمين وفى النفس كلام لولا سابق قول وسالف عهد لشفيت غيظى بخنصرى وبنصرى وخضت لجته بأخمصى ومفرقى لكنى ملجم الى ان ألقى الله عز وجل وعنده احتسب ما نزل بى وانا غاد الى جماعتكم ومبايع لصاحبكم وصابر على ماساءنى وسركم ليقضى الله امراً كان مفعولا وكان الله على كل شىء شهيداً . قال ابو عبيدة : فعدت الى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فقصصت القول على غرة ولم اختزل شيئاً من حلوه ومره وذكرت غدوه الى المسجد فلما كان صباح يومئذ وافى على يخرق الى ابى بكر فبايعه وقال خيراً ووصف جميلا وجلس زميتاً واستأذن للقيام ونهض فشيعه عمر تكرمة له واستثارة لما عنده فقال له على ماقعدت عن صاحبكم كارهاً له ولا اتيته فرقاً منه وما اقول ما اقول لعلة وانى لأعرف مسمى طرفى ومخطى قدمى ومنزع قوسى وموقع سهمى ولكنى قد ازمت على فأسى ثقة بالله فى الابالة فى الدنيا

والآخرة ، فقال له عمر كفكف غربك واستوقف سربك ودع العصا بلحائها والدلاء برشائها فانا من خلفها ووراثها ان قدحنا اورينا وان متحنا اروينا وان جرحنا ادمينا وان نصحنا اربينا ولقد سمعت اما ثيلك التى لغوت بها عن صدر أكل بالجوى ولو شئت لقلت على مقالتك ما اذا سمعته ندمت على ما قلته ، زعمت انك قعدت فى كسر بيتك لما وقذك به رسول الله صلى الله عليه وسلم بفراقه افراق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقذك وحدك ولم يقذ سواك بل مصابه اعظم واعز من ذلك فان من حق مصابه ان لايصدع شمل الجماعة بكلمة لا عصام لها ولا يزرى على اخبارها بما لا يؤمن كيد الشيطان فى عقباها هذه العرب حولنا والله لو تداعت علينا فى مصبح يوم لم نلتق فى ممساه وزعمت ان الشوق الى اللحاق به كاف عن الطمع فى غيره فمن الشوق اليه نصرة دينه وموازرة اولياء الله تعالى جده ومعاونتهم فيه وزعمت انك عكفت على عهد الله عز وجل تجمع ما تبدد منه فمن العكوف على عهده النصيحة لعباده والرقة على خلقه وبذل ما يصلحون به ويرشدون إليه وزعمت أنك لم تعلم أن التظاهر عليك واقع ولك عن الحق الذى سبق إليك دافع فاى تظاهر وقع عليك وأى حق لك ليط دونك وقد علمت ما قالت الأنصار لك بالامس سراً وجهراً وما تقلبت عليه بطناً وظهراً فهل ذكرتك أو أشارت بك أو وجدنا رضاها عنك هؤلاء المهاجرون من الذى قال بلسانه تصلح لهذا الأمر أو اومأ بعينه أوهمهم فى نفسه اتظن أن الناس قد ضلوا من أجلك وعادوا كفاراً زهداً فيك وباعوا الله عز وجل ورسول الله صلى الله عليه وسلم تحاملا عليك لا والله ولكنك اعتزلت تنتظر الوحى وتتوكف مناجاة الملك لك ، ذلك أمر طواه الله عز وجل بعد محمد صلى الله عليه وسلم اكان الأمر معقوداً بانشوطة أو مشدوداً باطراف ليطه كلا والله أن الغيابة لمحلقة وان الشجرة لمورقة ولا عجماء بعد حمد الله إلا وقد فصحت ولا عجفاء إلا وقد سمنت ولا بلهاء إلا وقد فطنت ولا شوكاء إلا وقد نقحت ومن أعجب شأنك قولك لولا سابق قول وسالف عهد لشفيت غيظى وهل ترك الدين لاحد من أهله أن يشفى غيظه بيده ولسانه تلك جاهلية قد استأصل الله شأفتها ودفع عن الناس آفتها واقلع

جرثومتها وهوولبها وغور سيلها وأبدل منها الروح والريحان والهدى والبرهان وزعمت أنك ماجم فلعمرى ان من اتقى الله عز وجل وآثر رضاه وطاب ماعنده أمسك لسانه وأطبق فاه وجعل سعيه لما وراءه. قال على رضى الله عنه: والله مابذلت مابذلت وأنا أريد نكثه ولا اقررت وأنا أريد حولا عنه وأن أخسر الناس صفقة عند الله عز وجل من آثر النفاق واحتضن الشقاق وبالله سلوة من كل كارث وعليه التوكل فى كل الحوادث ارجع يا ابا حفص ناقع القلب فسيح البال مبرود الغليل فصيح اللسان فليس وراء ما سمعته وقلته إلا ما يشد الازر ويحط الوزر ويضع الاصر ويجمع الألفة ويرفع الكلفة ويوقع الزلفة بمعونة الله عز وجل وحسن توفيقه

٢١ — كتاب على إلى الاشتر النخعى :

وكتب للاشتر النخعى لما ولاه على مصر واعمالها عهداً يجمع كثيراً من المحاسن وهو: « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ماأمر به عبد الله على أمـــير المؤمنين مالك بن الحارث الاشتر فى عهده اليه حين ولاه مصر جباية خرجها وجهاد عدوها واستصلاح أهلها وعمارة بلادها . أمره بتقوى الله وايثار طاعته واتباع ماامر به فى كتابه من فرائضه وسننه التى لايسعد احد الا باتباعها ولايشقى الا مع جحودها واضاعتها وان ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه فانه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره واعزاز من عزه . وامره ان يكسر نفسه عند الشهوات ويزعها عند الجمحات فان النفس امارة بالسوء الا مارحم الله . ثم اعلم يامالك انى قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور وان الناس ينظرون من امورك فى مثل ماكنت تنظر فيه من امور الولاة قبلك ويقولون فيك ماكنت تقول فيهم وانما يستدل على الصالحين بما يجرى الله لهم على السن عباده فليكن احب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح فاملك هواك وشح بنفسك عما لايحل لك فان الشح بالنفس الانصاف منها فيما احبت او كرهت واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولاتكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم اكلهم فانهم صنفان اما أخ لك فى الدين او نظير لك فى الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على ايديهم فى العمد

والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذى تحب ان يعطيك الله من عفوه وصفحه فانك فوقهم ووالى الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفاك امرهم وابتلاك بهم ولاتنصبن نفسك لحرب الله فانه لايدى لك بنقمته ولاغنى بك عن عفوه ورحمته ولاتندمن على عفو ولا تبجحن بعقوبة ولاتسرعن الى بادرة وجدت منها مندوحة ولاتقولن انى مؤمر آمر فأطاع فان ذلك ادغال فى القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير . وإذا أحدث لك ماانت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة فانظر الى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على مالا تقدر عليه من نفسك فان ذلك يطامن اليك من طماحك ويكفيك عنك من غربك ويفىء اليك بما عزب عنك من عقلك . واياك ومساماة الله فى عظمته والتشبه به فى جبروته فان الله يذل كل جبار ويهين كل مختال . انصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك فانك الا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله ادحض حجته وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب وليس شىء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم فان الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد . وليكن أحب الأمور إليك أوسطها فى الحق واعمها فى العدل واجمعها لرضا الرعية فان سخط العامة يجحف برضا الخاصة وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة، وليس أحد من الرعية أثقل على الوالى مؤنة فى الرخاء واقل معونة له فى البلاء واكره للانصاف واسأل بالالحاف واقل شكراً عند الاعطاء وابطأ عذراً عند المنع وأضعف صبراً عند ملمات الدهر من أهل الخاصة وإنما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للاعداء العامة من الأمة فليكن صغوك لهم وميلك معهم . وليكن أبعد رعيتك منك وأشناهم عندك أطلبهم لمعائب الناس فان فى الناس عيوباً الوالى أحق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها فانما عليك تطهير ماظهر لك والله يحكم على ماغاب عنك فاستر العورة مااستطعت يستر الله منك ماتحب ستره من رعيتك . اطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب عن كل مالا يصح لك ولا تعجلن إلى تصديق ساع فان

الساعي غاش وان تشبه بالناصحين . ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جباناً يضعفك عن الأمور ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله .

إلى أن قال : ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في الزلة ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه أوقفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشف الامور وأصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لايزدهيه اطراء ولا يستميله إغراء وأولئك قليل ثم اكثر تعاهد قضائه وافسح له في البذل ما يزيل علته وتقل معه حاجته إلى الناس وأعطه من المنزلة لديك مالا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظراً بليغاً فان هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الاشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا .

ثم ختمه بقوله :

والواجب عليك ان تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة او سنة فاضلة او أثر عن نبينا صلى الله عليه وآله او فريضة في كتاب الله فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت اليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك الى هواها وأنا اسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة ان يوفقني واياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه مع حسن الثناء في العباد وجميل الاثر في البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة وان يختم لي ولك بالسعادة والشهادة انا اليه راغبون ، والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا والسلام

النـــثر

ومميزاته فى أغراضه وألفاظه وأساليبه ومعانيه

تمهيـــد :

١ ـ الادب قسمان : شعر ونثر ؛ فالشعر هو الـكلام الموزون المقفى المعتمد على الخيال. والنثر هو ما خلا من الوزن والتقفية. والشعر يعتمد على الخيال والعاطفة، ويثير الشعور والوجدان. والنثر غالبا مما يعتمد على الحقائق ويركن إلى صدق التعبير، وقد يعتمد على الخيال ويتعمد إثارة العواطف، ويصاغ فى أســاليب شبيهة بأساليب الشعر فيسمى شعرا منثورا.

٢ ـ والنثر نوعان : أحدهما ما يدور فى كلامنا المألوف إذا تحدث الناس بعضهم إلى بعض فى حاجاتهم ومصالحهم فيرسلونه إرسالا على سجيتهم وعلى ما تدعو إليه الحاجة والمصلحة، وهذا ما نسميه لغة التخاطب، وهـذا لا يعنى به الادب وليس قسما منه، فليس شعرا، وهو فى الوقت نفسه ليس هو النثر الذى يحفظ ويروى ويتأدب به الذى هو أحــد قسمى الادب، وإنما هو كلام عادى لم يقصد أصحابه فيه غالبـــا إلى الاجادة ولا إلى جمال فنى وإنمـا أرادوا تأدية ما فى نفوسهم من المعانى وتحقيق ما تقتضيه منافعهم من الاغراض.

والثانى هو مايسمى نثرا فنيا وهو ما حوى أفـكارا منظمة، فى عرض جميـل جذاب وصياغة جيدة السبك فصيحة الاسلوب، وهذا هو الذى يعد قسيما للشعر فى باب الادب، وأهم أنواعـه : الخطابة، والـكتابة الفنيـــة. والـكتابة عنـد الاوربيين : وصف أو قصص، وعنـــد العرب : رسائل وقصص ومناظرة وجدل وتاريخ.

٣ ـ ولـكن هل الشعر هو السابق فى النشأة الأدبية أو النثر الفنى ؟

يرى الدكتور طه حسين ومن اتبعـــه مقلدين فى ذلك بعض المستشرقين

كالمسيو مرسيه الفرنسي أن الشعر أسبق في الوجود من النثر الفني [1]. ويستدلون على ذلك بما يأتي [2]:

ا — الشعر في آداب الأمم الأوربية سابق على النثر فعند اليونان كانت قصائد هوميروس تنشد ويتغنى بها قبل أن يؤلف كتاب أو يظهر نثر فني، وفي الأدب الانكليزي ترى أن قدم الآثار الأدبية عند الانكليز القدماء القصائد التي تصف أعمال « بيولف » وهي ترجع إلى القرن السادس أو السابع الميلادي. فقد ظلت الأمم تتمتع بأدب الشعر قبل أن ينشأ فيها أدب النثر.

ب — كثرة الشعراء في العهد الأول لأدب أي أمة من الأمم وزيادتهم زيادة بينة على كتاب النثر.

حـ — ومن أقوى الأسباب التي قدمت نشأة الشعر على نشأة النثر في رأيهم أن الأدب المنثور يتطلب معرفة بالكتابة والكتابة متأخرة في تاريخ كل أمة فقصائد هوميروس انتشرت وذاعت وتناقلها الناس قبل أن تذيع الكتابة وكذلك روى الرواة الشعر العربي القديم قبل أن تذيع الكتابة، ومنشىء الأدب المنثور لابد له من تدوين ما يخطر له

د — الشعر يعتمد على الخيال في حين يعتمد النثر الفني على المنطق والتفكير والخيال يسبق التفكير في حياة الأفراد والجماعات

هـ الجماعات الساذجة نجد عندها كلاما موزونا دون أن نجد عندها نثرا فنيا صحيحا.

و — الشعر متصل بالغناء فالناس يغنون شعرا قبل أن يغنوا نثرا لأنهم يجدون في الشعر أوزانا تلائم تقطيع الغناء وانغامه

---

(١) راجع ص ٣٣ / ١ النثر الفني لزكي مبارك

(٢) ص ١٠ ١٢، ١٧٣ وما بعدها التوجيه الادبي ط ١٩٤٠. الباب السابع من كتاب أصول النقد الادبي للشايب، ٣٦٤ - ٣٦٨ من كتاب الادب الجاهلي لطه حسين. وراجع في ذلك البحث: الطبع والصنعة للهياوى و ٣٧/١ الحيوان للجاحظ

أما الدليل الأول فلا يدل على شيء ، بل هو إن دل فانما يدل على ضياع النثر لعدم تدوينه وبقاء الشعر لأنه يعلق بالحافظة ويخلد بالرواية .

ومن أجل ذلك بقي الشعر وأخبار الشعراء معروفة لم يعف عليها النسيان وهو السبب فى كثرة الشعراء فى العصور الأولى من عصور آداب الأمم كثرة كبيرة وفى زيادتهم على الكتاب ورجال النثر وبذلك نجد الدليل الثانى منهارا .

ولعدم وجود الكتابة فى العصور القديمة التى هى وسيلة لتخليد النثر الفنى ضاع أغلب مالدى الأمم من نثر فنى ، فكيف إذا يستدلون على سبق الشعر للنثر باحتياج الأدب المنثور للكتابة فى تدوينه ، وبذلك تجد الدليل الثالث لايكاد يسير نحو الهدف خطوة واحدة.

وزعمهم أن الشعر يعتمد على الخيال والنثر على المنطق والتفكير صحيح فى الأول مبالغ فيه فى الثانى فلم لا يكون النثر الفنى فى بدء نشأته قد اعتمد على الخيال أيضا كالشعر ، ولم لا يكون هذا النثر قد اعتمد على المنطق والتفكير على حسب عقلية الأمة وثقافتها ومقدار تفكيرها فى هذه العصور القديمة . وبذلك نجد الدليل الرابع لايؤدى إلى غاية .

وأما أن الأمم التى لم تصعد درجة فى الحضارة لها شعر وليس لها نثر فنى فخطأ فى الرأى ، فان هذه الجماعات الساذجة يوجد بجانب مالديها من شعر نثر فنى ملائم لعقلياتهم ومظهره الأمثال والحكم والتجارب والنصائح ، وذلك يشاهد كثيرا فى بيئتنا المصرية العامية التى يمثل بها هؤلاء تأييدا لرأيهم من سبق الشعر للنثر وبذلك لايمكننا التعويل على الدليل الخامس .

وأما أن الشعر غنى من قديم قبل أن يغنوا نثرا فمنشأ ذلك أن الشعر أصلح للغناء من النثر لموسيقاه وقافيته، فكيف يتركونه ويغنون بنثر فنى لا يلائم الغناء.

والحق أن النثر وجد أولا ثم تحول إلى النثر الفنى ، ثم نشأ بعد ذلك الشعر ، ويؤيد هذا الرأى إجماع كثير من المستشرقين على أن السجع كان المرحلة الأولى التي عبرها النثر إلى الشعر فى الأدب العربى القديم .

ويؤيده أيضا وجود الكتب الدينية السماوية من قديم الأجيال فى الأمم التى أنزلت لها ، وذلك قبل أن نسمع بالشعر والشعراء . ولعل هذه الكتب هى التى أدت إلى نشأة النثر الفنى فى العصور القديمة البعيدة قبـــل أن يوجد الشعر بزمن طويل .

ويؤيده أيضا إجماع الباحثين أو شبه إجماعهم على أن النثر أسبق من الشعر (١)

٤ — وبعد فالنثر مرسل ومزدوج ومسجوع .

فالمسجوع كما فى سورة الكوثر ، والسجع هو ما أتحدت فاصلتاه أو فواصله فى الحرف الأخير مثل : من عاش مات ، ومن مات فات .

والمزدوج هو ما اتحدث فواصله فى وزنها لافى الحرف الأخير منها مما نسميه تقفيه . مثل قوله تعالى : ونمارق مصفوفه ، وزرابى مبثوثه .

والمرسل هو ماخلت فواصله من الاتحاد فى الوزن والقافيه معا مثل : «لايلاف قريش ، إيلا فهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت ، الذى اطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف »

شبهة للمستشرقين :

فالنثر الأدبى أو الفنى إذا هو الكلام الذى يصور العقل والشعور ولا يتقيد بوزن ولا قافية .

ويرى بعض الباحثين من الأدباء المحدثين ومن بينهم الدكتور طه حسين أن القرن الأول الهجرى لم يكن فيه نثر فنى يعتد به ، إنما كان الشأن للشعر ، والقرآن لايصح عده نثرا ولا شعرا (٢) ، وقد احتذى الدكتور فى ذلك حذو والأستاذ مرسيه الفرنسى وهو أول من ذهب إلى ذلك وإلى أن النثر الفنى فى الأدب العربى يبتدىء بأبن المقفع (٣) ، وابن المقفع فى نظر هؤلاء ، أول ممثل للتطورات

---

(١) راجع ١٧ تاريخ الأدب العربى للزيات وسواه

(٢) ٣٢ / ١ النثر الفني (٣) ٣٨ / ١ المرجع

الجديدة فى الأنشاء للعربى [١] » ، و « هو أول مؤلف الأنشاء الأدبى فى اللغة العربية » [٢] ، وقد آمن الدكتور طه بهذا الرأى وبأن الشعر أسبق من النثر الفنى فى آداب اللغة العربية ، وأذاع ذلك فى كثير من مؤلفاته [٣]، وقد ثار بعض الباحثين فى وجه هذه النظرية وهاجموها [٤]

وهذه النظرية — وهى أن الشعر سبق النثر الفنى فى الوجود — نجد أصولها عند أرسطو فى كتابه « الشعر » فهو يقول فيه : « والأقدم من الأشعار الأقصر ، والأولون كانو يقررون الاعتقاد فى النفوس بالتخييل الشعرى ثم نبغت الخطابة بعد ذلك فحاولوا تقرير الاعتقادات بالاقناع » [٥] ، فأرسطو يرى أن الشعر وجد قبل الخطابة وهى نوع من أنواع النثر ، وقد عمم بعض المحدثين من المستشرقين ذلك الحكم فذهبوا إلى أن الشعر أسبق من النثر الفنى وجودا ، « على أن بعض كبار المستشرقين من علماء الألمان كجلد زهر وبر وكلمان على الرأى القائل بأن السجع كان المرحلة التى عبرها النثر إلى الشعر عند العرب » [٦] ، وهـذا يهدم المذهب الجديد السابق .

ونحن لا نميل إلى هذا المذهب الجديد ولا نؤيده ، فالقرآن أثر من آثار النثر

---

(١) ٧ مجلة الأدب والفن عدد نوفمبر ١٩٤٥ من مقال للأستاذ جب بعنوان خواطر فى الأدب العربى .

(٢) ص ٩ المرجع السابق

(٣) ١٢ التوجيه الأدبى ، ٣٦٤ — ٣٦٨ الأدب الجاهلى ، ١٥ و ١٦ المجمل فى تاريخ الأدب العربى ، و « من حديث الشعر والنثر »

(٤) راجع ٥٨ — ٦٦ تاريخ الأدب فى العصر الجاهلى للأستاذ محمد هاشم ، ٣٣ / ١ النثر الفنى .

(٥) راجع الفن التاسع من الشفاء ، وهو « الشعر »

(٦) ٦٢ الأدب الجاهلى لمحمد هاشم

الفنى ، وكذلك الكتب الدينية والأدبية القديمة التى يشير إليها القرآن الكريم ، وكثير من الأمم القديمة كان لها نثر فنى قبل الميلاد بكثير ، فلليونانيين آثار كبيرة فى الخطابة من قبل الميلاد بقرون عديدة ، وللرومانيين آثارفيها قبل الميلاد وبعده[١] فلم لا يكون للعرب نثر فنى بعد الميلاد بخمسة قرون ، على أن لعبد الحميد الكاتب آثارا كبيرة فى النثر الفنى وهو قبل ابن المقفع على أى حال ، والقدماء من النقاد يؤيدون سبق النثر للشعر ، فابن رشيق يقول « وكان الكلام كله منثورا فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعراقها فتوهموا أعاريض جعلوها موازين للكلام فلما تم لهم وزنه سموه شعرا [٢] » ، وكذلك كثير من الباحثين كالزهاوى [٣] وسواه

وإذا فالنثر الفنى فى الأدب العربى وجد قبل القرآن بقليل وصاحب نزول القرآن وتأثر به تأثرا عظيما ، ثم نما وازدهر بعد عصر النبوة على يد كثير من أعلام النثر إلى أن نبغ فيه عبد الحميد الكاتب وابن المقفع وسواهما

وصف للنثر الفنى فى صدر الاسلام :

وبعد فقد كان للعرب فى جاهليتهم نثر فنى [٤] ، بقى فى ماروى لنا من أمثالهم

---

(١) راجع ٦٥ — ٧٣ التوجيه الأدبى

(٢) ٨ / ١ العمدة

(٣) راجع الجزء الأول من « سحر الشعر »

(١) هذا وينكر طه حسين وجود نثر فنى فى الجاهلية لأن كل مايضاف إلى عرب الجنوب منتحل بدليل عدم ظهور لهجاتهم فيه إذا جاء كله بلغة قريش التى لم يكن لهم بها علم ولأنهم كان لهم لغة معروفة كتبوا بها وتركوا لنا فيها نصوصا منثورة كشفها المستشرقون وهى لاتوافق لغة قريش فى شىء . فكل مايضاف الى اليمنيين عنده من نثر مرسل أو مسجوع أو خطابة فى الجاهلية منتحل . أما عرب الشمالية فيرى رفض مايضاف الى ربيعة وغيرها من عرب العراق والبحرين والجزيرة ويتردد فيما ينسب إلى مصر . وهذا هو موقفه بالنسبة للشعر الجاهلى أيضا . [راجع الادب الجاهلى]

وحكمهم ووصاياهم وخطبهم ومنافراتهم ومفاخراتهم ومحاوراتهم ونثر كهانهم.
ثم نزل القرآن الكريم وجاءت الدعوة النبوية الكريمة واختلف العرب حيالها بين مكذب ومصدق، فكثرت دواعي الحجاج والكلام والخطابة، واخذ النثر ينمو ويزدهر ويسمو ويقوى،

وتتلمذ على القرآن والحديث اعلام من البلغاء والخطباء والفصحاء فنهجوا نهجهما فى تأييد الدعوة ونشر الرسالة والإرشاد إلى الحق والخير والاسلام، وتحميس الجنود والتبشير بالنصر. فكان لذلك كله أثر فى نهضة النثر الفنى بعد عصر النبوة.

ولقد كان فى كلام الله وحديث رسول ألوان رائعة كثيرة من المعانى الشريفة والأساليب الرفيعة والألفاظ الساحرة فاقتدى العرب بهما، ونهلوا من موردهما وأخذوا يصوغون أدبهم على مثالهما.

فاتسعت أغراض النثر واستحكمت أساليبه وعذبت ألفاظه، وعمقت معانيه.

ومن الجدير بالذكر هنا أن القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف جعلا للنثر دولة ووضعاه فى منزلة أسمى من منزلة الشعر، فأصبح هو أهم ألوان الأدب فى ذلك العصر الكريم.

موضوعات النثر الفنى:

شملت موضوعات النثر الفنى فى هذا العصر مايأتى:

١ – الدعوة إلى العقيدة الاسلامية وبيان مبادئها وغاياتها وأهدافها المثلى الكريمة.

٢ – بيان السياسة الشرعية والاجتماعية فى عهود الخلفاء الى ولاتهم وقضاتهم وقوادهم: كعهد على رضى الله عنه الى الأشتر النخعى وعهد عمر إلى أبى موسى الأشعرى.

٣ – الخطابة فى الأمور الجامعة والحوادث المفاجئة وفى المناسبات الكثيرة.

٤ – وكتبت به الرسائل الدينية والسياسية التي تصدر عن الخليفة أو عن ولاته

٥ — واصبح أداة الدعوة والدولة ولسان المدنية الأسلاميه كافة .

وهذه اغراض لم يكن للعرب من قبل إلف بها إنما هى أغراض جديدة وجه الدين الجديد العرب إليها .

معانى النثرا لاسلامى :

ومعانى النثر الأسلامى فى هذا العصر كانت :

١ — تنبع من معين النبوة وأدب القرآن الكريم ، من الدعوة الى التوحيد والخلق والفضيلة والحق والخير والأخاء الانسانى وتقرير الايمان بالله وانبيائه وكتبه وملائكته واليوم الآخر

٢ — وكانت تصدر عن عقل خصب وذهن متوقد وتفكير منظم ، وملكات حصيفة تثقفت بثقافة الأسلام وكتابه الحكيم

٣ — وصارت المعانى منظمة والأفكار مرتبة بعد الخلط الذى كانت عليه فى الجاهلية .

٤ — وتمتاز بظهور حرارة الأيمان وقوة العقيدة فيها وبغلبة الروح الدينى عليها .

٥ — وهى فوق ذلك كله صورة للحياة الأسلامية فى هذا العصر الكريم بما اشتمل عليه من فتوحات وانتصارات وأحداث سياسية وثورات فكرية واجتماعية

أسلوب النثر الإسلامى :

١ — ويمتاز أسلوب النثر الإسلامى بحسن سبكه وجمال رصفه وقوة نظمه وأحكام فصوله والتئام أجزائه وذلك من تأثرهم بالقرآن الكريم والحديث النبوى الجليل .

٢ — كما يمتاز ببعده عن الغرابة والاستكراه والسجع المتكلف والخطأ فى مقامات الكلام ومقتضيات الأحوال

٣ — وبكثرة مافيه من اقتباس من القرآن وكلام الرسول صلوات الله عليه

٤ — وبقوته ووضوحه وجلاله وسلاسته ، مما تجده واضحا فى الآثار الفنية الأدبية التى حفل بها هذا العصر

ألفاظه :

وقد بعدت ألفاظ النثر الاسلامى عن الغرابة والوحشيةوالابتذال ،واختيرت اختيارا جيدا ، ووضعت فى مواضعها الملائمة ووشيت بالبلاغة والعذوبة والسحر وبعدت عن الخطأ وسلمت من العيب واللحن والقصور

وهذا كله من أثر بلاغة القرآن والحديث فى ألسنة المسلمين فى هذا العهد

موازنة بين النثر الجاهلى ونثرصدر الاسلام

كان الجاهليون لايحفلون بانتقـــاء الالفاظ والتعمق فى المعانى وترتيبها ، ولا يولعون بالتأنق فى صوغ العبارات وسجع الـكلام ، ولا يبعدون الشقة بين طرفى الجملة وبخاصة الحـكمة والمثل، على قصد منهم إلى الايجاز فى الالفاظ ، وتعمد الى استيفاء المعنى من غير إخلال ، اعتماداً على سليقة المتفهم لـكلامهم ودقيق كناياتهم . أما النثر الاسلامى فيمتاز بما يأتى :

١ — اتساع وجوه الـكلام ومقاصده لاتساع الملك ودواعى السياسة وشعائر الدين .

٢ — عناية أهل هذا العصر بعض العناية بتهذيب ألفاظهم ، فهجروا بعضاً وحرصوا على آخر ، وسعد من بين هذه الألفاظ بالاستعمال والرواج مادار فى عبارات القرآن والسنة ، مع حفلهم بتوليد الحديث من القديم

٣ — تأنقهم فى صوغ عباراتهم ومحاكاتهم فيها لأساليب الـكتاب والسنة ، واقتباسهم منهما واستشهادهم بهما ، وبقائهم على اتباع خطة الايجاز أول هذا العصر ، وميلهم الى الاطناب أواخره ،

٤ — ترتيبهم للمعانى والأفكار بدون تغلغل فيها ؛ ويظهر ذلك جليـــا فى الخطب التى كانوا يدونها قبل القول ، وفى الرسائل التى كانت تدور بين الخلفاء والأمراء أخريات هذا العصر

أهم ألوان النثر الفنى فى صدر الاسلام

أولا — الخطابة

نماذج للخطابة فى العصر :

١ — خطب رسول الله ذات يوم فحمد الله بما هو أهله ، ثم أقبل على الناس فقال :

أيها الناس إن لكم معالم [١] فانتهوا لى معالمكم ، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم ، فان العبد بين مخافتين : أجل قد مضى لايدرى ما الله فاعل فيه ، وأجل باق لايدرى ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الممات ، فو الذى نفس محمد بيده مابعد الموت من مستعتب [٢] ، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار

٢ — وخطب صلى الله عليه وسلم فقال :

أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا قد كتب ، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب ، وكأن الذى نشيع من الأموات سفر [٣] ، عما قليل إلينا راجعون ، نبوئهم أجداثهم [٤] ، ونأكل من تراثهم ، كأنا مخلدون بعدهم ، ونسينا كل واعظة ، وأمنا كل جائحة [٥] .

---

(١) جمع معلم وهو مايستدل به على الشىء

(٢) أى من استرضاء

(٣) سفر : مسافرون .

(٤) الأجداث جمع جدث (كسبب) : وهو القبر ، ونبوئهم : ننزلهم .

(٥) الجائحة : ، المهلكة من الجوح : وهو الاهلاك والاستئصال كالاجتياح .

طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، طوبى لمن أنفق مالا اكتسبه من غير معصية ، وجالس أهل الفقه والحكمة ، وخالط أهل الذل والمسكنة ، طوبى لمن زكت وحسنت خليقته ، وطابت سريرته ، وعزل عن الناس شره ، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعته السنة ، ولم تستهوه البدعة [١] .

٣ — الخطبة المدنية الأولى :

لما كانت أول جمعة للنبي الكريم بالمدينة خطب المسلمين ، فقال :

الحمد لله ، أحمده واستعينه ، وأستغفره ، واستهديه ، وأومن به ولا أكفره وأعادى من يكفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . أرسله بالهدى والنور والموعظة : على فترة من الرسل وقلة من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنو من الساعة ، وقرب من الأجل ؛ من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصه فقد غوى وفرط [٢] وضل ضلالا بعيدا ، وأوصيكم بتقوى الله فانه خير ما أوصى به المسلم المسلم : أن يحضه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله ، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك ذكراً ، وإن تقوى الله يوقى مقته ، ويوقى عقوبته ، وإن تقوى الله يبيض الوجوه ، ويرضى الرب ، ويرفع الدرجة ، خذوا بحظكم ، ولا تفرطوا فى جنب الله ، قد علمكم الله كتابه ، ونهج لكم سبيله ، ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين ، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادوا أعداءه ، جاهدوا فى الله حق جهاده ، هو اجتباكم وسماكم المسلمين ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حى عن بينة ، فأكثروا من ذكر الله ، واعلموا لما بعد اليوم ؛ فانه من يصلح مابينه وبين الله يكفيه الله مابينه وبين الناس ، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس ولا يملكون منه ، الله أكبر ، ولا قوة إلا بالله .

---

(١) طوبى : مؤنث أطيب .

(٢) فرط : ظلم واعتدى

٤ — خطبة الوداع :

إن الحمد لله ، نحمده ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله : أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثكم على طاعة الله ، وأستفتح بالذى هو خير

أما بعد أيها الناس : إسمعوا منى أبين لكم ، فانى لاأدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا. أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ! اللهم اشهد ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذى ائتمنه عليها ، وإن ربا الجاهلية موضوع [١] . وإن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب ، وإن دماء الجاهلية موضوعه وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعه غير السدانة والسقاية [٢] والعمد قود [٣] وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر ، ففيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من الجاهلية .

أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ، ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم ، أيها الناس :

---

(١) وضع الدين أسقطه . وقد أسقط الرسول ربا الجاهلية فلا يؤدى فضله

(٢) يريد بمآثر الجاهلية ما كان يستأثر به بعضهم على بعض كالحقوق التى كان يتوارثها سادات العرب . قال الشاعر :

لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيط والفضول

فالمرباع ما يأخذه الرئيس من الغنيمة وهو ربعها ، والفضول ما امتنع على القسمة لقلته وخص به .

وسدانة الكعبة خدمتها وتولى أمرها وفتح بابها وإغلاقه ، وفعلها سدن يسدن — كنصر — وقد كانت السدانة لبنى عبد الدار ، فأقرهم الرسول صلى الله عليه وسلم عليها والسقاية إرواء الحاج ، وقد كانت فى أسر من قريش .

(٣) القود : قتل النفس بالنفس أو القصاص عامة .

إنما النسيء (١) زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاما ليواطئوا (٢) عدة ما حرم الله . وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض — إن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهرا فى كتاب يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم : ثلاثه متواليات ، وواحد فرد . ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب الذى بين جمادى وشعبان(٣) ألا هل بلغت ، اللهم ، اشهد . إن لنسائكم عليكم حقا ، وإن لكم عليهن حقاً . لكم ألا يوطئن فرشكم غيركم . ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بأذنكم ، ولا يأتين بفاحشة(٤) فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تعضلوهن(٥) وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح ، فان انتهين وأطعنكم ، فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عوان(٦) لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقو الله فى النساء واستوصوا بهن خيراً . أيها الناس . إنما المؤمنون إخوة فلا يحل لامرىء مال أخيه إلا عن طيب نفسه ، ألا هل بلغت ، اللهم اشهد فلا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم أعناق بعض فانى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا . كتاب الله وأهل بيتى ، ألا هل بلغت ، اللهم أشهد أيها الناس إن ربكم

---

(١) النسيء : شهر كانت العرب تؤخره فى الجاهلية ، وذلك أنهم كانوا يكرهون أن يتوالى عليهم ثلاثة أشهر حرم لا يغيرون فيها . فكانوا ينسئون المحرم ويؤجلونه إلى صفر .

(٢) ليواطئوا عدة ماحرم الله : أى ليوافقوا ويطابقوا عدة الشهور .

(٣) إنما حدد رجب ، لأن العرب كانت تؤخره من شهر إلى شهر كما تشاء أهواؤهم إذا أرادوا الحرب أو السلام .

(٤) كل قبيح من القول والفعل فهو فاحشه ، ومن الفاحشة خروج المرأة من دار زوجها بغير إذنه ، وتطاولها عليه بالهجر من القول .

(٥) عضل الزوج زوجته أساء عشرتها حتى تنزل له عن حقها عنده .

(٦) العوانى جمع عانية : أى أسيرة .

واحد وإن أباكم واحد، كلكم لادم وآدم من تراب اكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم قال. فليبلغ الشاهد منكم الغائب، أيها الناس ان الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لوارث وصية فى أكثر من الثلث والولد للفراش وللعاهر الحجر من دعى الى غير أبيه أو تولى الى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لايقبل الله منه صرفاً ولا عدلا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٥ — ولأمير المومنين أبى بكر رضى الله عنه المتوفى سنة ١٣ ﻫ

قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه أيها الناس انى وليت عليكم ولست بخيركم فان رأيتمونى على حق فأعينونى وإن رأيتمونى على باطل فسددونى أطيعونى ما أطعت الله فيكم فاذا عصيته فلا طاعة لى عليكم ألا إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

٦ — خطبة أبى بكر يوم السقيفة.

وخطب أبو بكر رضى الله عنه يوم السقيفة (١) لحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«إن الله بعث محمدا رسولا إلى خلقه، وشهيدا على أمته، ليعبدوا الله ويوحدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى، ويزعمون أنها لهم عنده شافعة، ولهم نافعة، وإنما هى من حجر منحوت، وخشب منجور (٢)، ثم قرأ: «ويعبدون من دون الله ما لايضرهم ولاينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله»؛ وقالوا «مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى (٣)» فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم. فخص

(١) هى سقيفه بنى ساعدة، وقد اجتمع الأنصار فيها يوم قبض النبى صلى الله الله عليه وسلم وقالوا نولى هذا. الأمر بعد محمد عليه الصلاة والسلام سعد بن عبادة

(٢) النجر: نحت الخشب.

(٣) الزلفى. القربة.

الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه ، والإيمان به ، والمواساة له ، والصبر معه على (١) شـــدة أذى قومهم لهم ، وتكذيبهم إياهم ؛ وكل الناس لهم مخالف زار (٢) عليهم ، فلم يستوحشوا لقلة عددهم ، وشنف (٣) الناس لهم وإجماع قومهم عليهم ، فهم أول من عبد الله فى الأرض ، وامن بالله وبالرسول ؛ وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ؛ ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم .

وانتم يامعشر الأنصار من لا ينكر فضلهم فى الدين ، ولا سابقتهم العظيمة فى الإسلام ؛ رضيكم الله أنصارا لدينه ورسوله ، وجعل إليكم هجرته ، وفيكم جلة (٤) أزواجه وأصحابه ، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم ، فنحن الأمراء ، وأنتم الوزراء ، لاتفتاتون بمشورة ، ولا تقضى دونكم الأمور » ؛

٧ — وصية أبى بكر ليزيد بن أبى سفيان

ووصى أبو بكر رضى الله عنه يزيد بن أبى سفيان حين وجهه لفتح الشام فقال .

« إنى قد وليتك لأبلوك (٥) وأجربك واخرجك (٦) ، فان أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك ، وإن أسأت عزلتك ؛ فعليك بتقوى الله فانه يرى من باطنك مثل الذى يرى من ظاهرك ، وإن أولى الناس بالله أشدهم توليا له ، وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا إليه بعمله ؛ وقد وليتك عمل خالد (٧) ، فاياك وعبية (٨) الجاهلية ، فان الله يبغضها ويبغض أهلها

---

(١) على بمعنى مع .

(٢) زرى عليه زراية : عابه .

(٣) شنف له كفرح : أبغضه وتنكره .

(٤) جلة . جمع جليل .

(٥) بلاه يبلوه ، امتحنه واختبره

(٦) خرجه ، دربه وعلمه

(٧) هو جالد بن سعيد بن العاص ، وكان أبو بكر سيره إلى الشام أولا ثم عزله

(٨) العبية ، بضم العين وكسرها ، الكبر والفخر ، وفى الحديث « إن الله قد وضع عنكم عبية الجاهلية » يعنى الكبر

وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم ، وأبدأهم بالخير ، وعدهم إياه ، وإذا وعظتهم فأوجز ، فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضا ، وأصلح نفسك يصلح لك الناس ، وصل الصلوات لأوقاتها ، باتمام وكوعها وسجودها ، والتخشع فيها ، وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم ، وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ، ولاتريثهم (١) فيروا خللك ، ويعلموا علمك ، وأنزلهم فى ثروة (٢) عسكرك ، وأمنع من قبلك من محادثتهم ، وكن أنت المتولى لكلامهم ؛ ولاتجعل سرك لعلانيتك ، فيختلط أمرك ، وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة ، ولاتخزن عن المشير خبرك ، فتؤتى من قبل نفسك

وأسمر بالليل فى أصحابك تأتك الأخبار ، وتنكشف عندك الأستار ، وأكثر حرسك ، وبددهم فى عسكرك ، وأكثر مفاجآتهم فى محارسهم بغير علم منهم بك ، فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه فى غير إفراط ، وعقب (٣) بينهم بالليل ، وأجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة ، فانها أيسرهما لقربها من النهار ولا تخف من عقوبة المستحق، ولا تلجن فيها ، ولا تسرع إليها، ولا تخذلها مدقعاً (٤) ، ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده ، ولا تجسس عليهم فتفضحهم ، ولا تكشف الناس عن أسرارهم ، واكتف بعلانيتهم، ولا تجالس العبائين (٥)، وجالس أهل الصدق والوفاء ، وأصدق اللقاء ، ولا تجبن فيجبن الناس ، واجتنب

---

(١) من الريث ، وهو الإبطاء

(٢) الثروة : كثرة العدد من الناس

(٣) عقبه تعقيبا : جاء بعقبه .

(٤) لا تخذ : من خذا يخذو كنصر ، وخذى يخذى كرضى : إذا استرخى والمدقع : الملصق بالدقعاء (وهى الأرض) أو الهارب أو أشد الهزلى هزالا ، أى ولا تضعف ولا تجبن أمام تنفيذ العقوبة ، وهو مقابل لقوله : ولا تسرع إليها .

(٥) من عبث كفرح ، أى لعب .

الغلول (١) ، فانه يقرب الفقر ، ويدفع النصر ، وستجدون قوما حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له .

٨ — خطبة لعمر بن الخطاب :

وخطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذ ولى الخلافة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس : إنى داع فأمنوا ، اللهم إنى غليظ فلينى لأهل طاعتك بموافقة الحق ، ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وأرزقنى الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة (٢) والنفاق ، من غير ظلم منى لهم ، ولا اعتداء عليهم .

اللهم إنى شحيح فسخنى فى نوائب المعروف ، قصدا من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة ، واجعلنى أبتغى بذلك وجهك والدار الآخرة .

اللهم ارزقنى خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين .

اللهم إنى كثير الغفلة والنسيان ، فألهمنى ذكرك على كل حال ، وذكر الموت فى كل حين .

اللهم إنى ضعيف عن العمل بطاعتك ، فأرزقنى النشاط فيها ، والقدرة عليها بالنية الحسنة التى لا تكون إلا بعزتك وتوفيقك .

اللهم ثبتنى باليقين والبر والتقوى ، وذكر المقام بين يديك والحياء منك ، وأرزقنى الخشوع فيما يرضيك عنى ، والمحاسبة لنفسى ، وإصلاح الساعات ، والحذر من الشبهات .

اللهم ارزقنى التفكر والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك ، والفهم له ، والمعرفة بمعانيه ، والنظر فى عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيت ، إنك على كل شىء قدير .

٩ — وصيته لسعد بن أبى وقاص

---

(١) الغلول : الخيانة .

(٢) الدعارة : الفجور .

ووصى عمر بن الخطاب رضى الله عنه سعد بن أبى وقاص حين أمره على حرب العراق فقال .

ياسعد سعد بنى وهيب ، لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصاحب رسول الله ، فان الله عز وجل لايمحو السيء بالسيء ، ولكنه يمحو السيء بالحسن ، فان الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعاقبة ويدركون ماعنده بالطاعة فانظر الأمر الذى رأيت النبي (ص) عليه فالزمه فانه الأمر

١٠ — وخطب أيضاً فقال :

أيها الناس اتقوا الله فى سريرتكم وعلانيتكم وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولاتكونوا مثل قوم كانوا فى سفينة فأقبل أحدهم على موضع يخرقه فمنعوه فقال : هو موضعى ولى أن أحكم فيه فان أخذوا على يده سلم وسلموا وأن تركوه هلك وهلكوا معه وهذا مثل ضربته لكم رحمنا الله واياكم

١١ — وخطب اذ ولى الخلافة

صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : يأيها الناس انى داع فأمنوا اللهم انى غليظ فلينى لأهل طاعتك وموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة وأرزقنى الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم منى لهم ولا اعتداء عليهم اللهم انى شحيح فسخنى فى نوائب المعروف قصداً من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة واجعلنى ابتغى بذلك وجهك والدار الآخرة اللهم ارزقنى خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين اللهم انى كثير الغفلة والنسيان فألهمنى ذكرك على كل حال وذكر الموت فى كل حين اللهم انى ضعيف عند العمل لطاعتك فارزقنى النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التى لاتكون الا بعزتك وتوفيقك اللهم ثبتنى باليقين والبر والتقوى وذكر المقام بين يديك والحياء منك وارزقنى الخشوع فيما يرضيك عنى والمحاسبة لنفسى واصلاح الساعات والحذر من الشبهات اللهم ارزقنى التفكر والتدبر بما يتلوه لسانى من كتابك والفهم له والمعرفة بمعانيه والنظر فى عجائبه والعمل بذلك مابقيت انك على كل شيء قدير .

١٢ — آخر خطبة خطبها عثمان :

وكانت آخر خطبة خطبها عثمان بن غفان رضى الله عنه .

« إن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركنوا إليها ، إن الدنيا تفنى والآخرة تبقى ، فلا تبطرنكم الفانية ، ولا تشغلنكم عن الباقية فآثروا (١) ما يبقى على ما يفنى ، فان الدنيا منقطعة ، وإن المصير إلى الله .

اتقوا الله جل وعز ، فان تقواه جنة (٢) من بأسه ، ووسيلة عنده ، واحذروا من الله الغير (٣) ، والزموا جماعتكم ، لا تصيروا أحزابا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا »

١٣ — خطبة أم الخير بنت الحريش فى وقعة صفين

وكتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش بن سراقة البارقى برحلها ، وأعلمه أنه مجازيه بالخير خيرا ، وبالشر شرا بقولها فيه . فلما ورد عليه كتابه ركب إليها فأقرأها كتابه ، فقالت ، أما أنا فغير زائغة عن طاعة ولا معتلة بكذب ، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين ، لأمور تختلج فى صدرى فلما شيعها وأراد مفارقتها ، قال لها يا أم الخير ، إن أمير المؤمنين كتب إلى أنه مجازينى بقولك فى بالخير خيرا ، وبالشر شرا ، فما لى عندك ؟ قالت : يا هـذا لا يطمعك برك بى أن أسر بباطل ، ولا يؤيسك معرفتى بك أن أقول فيك غير الحق .

فسارت خير مسير ، حتى قدمت على معاوية ، فأنزلها مع الحرم ، ثم أدخلها فى اليوم الرابع ، وعنده جلساؤه ، فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال لها . وعليك السلام يا أم الخير ، بحق ما دعوتنى بهذا الاسم ؟ قالت : مه يا أمير المؤمنين ، فان بديهة (٤) السلطان مدحضة (٥) لما يجب علمه ،

---

(١) آثروا : فضلوا وقدموا

(٢) جنة : وقاية

(٣) غير الدهر ، أحداثه المغيرة

(٤) البديهة ، أول كل شىء وما يفجأ منه

(٥) المدحضة ، المزلة

ولكل أجل كتاب، قال: صدقت فكيف حالك ياخالة ؟ وكيف كنت فى مسيرك؟ قالت : لم أزل يا أمير المؤمنين فى خير وعافية حتى صرت إليك ،فأنافى مجلس أنيق، عند ملك رفيق ، قال معاوية . بحسن نيتى ظفرت بكم قالت : يا أمير المؤمنين ، يعيذك الله من دحض (١) المقال ، وما تردى (٢) عاقبته ، قال . ليس هذا أردنا ، أخبرينا كيف كان كلامك إذ قتل عمار (٣) بن ياسر ؟ قالت ، لم أكن والله زورته (٤) قبل ، ولارويته بعد ، إنما كانت كلمات نفثها لسانى عند الصدمة ، فان أحببت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت ، فالتفت معاوية إلى جلسائه فقال ، أيكم يحفظ كلامها ؟ فقال رجل منهم ، أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين قال : هات ، قال كأنى بها بين بردين زئبريين (٥) كثيفى النسج وهى على جمل ارمك (٦) ، وبيدها سوط منتشر الضفيرة ، وهى كالفحل يهدر (٧) فى شقشقة تقول

« يا أيها الناس ، اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم، إن الله قد أوضح لكم الحق ، وأبان الدليل ، وبين السبيل ، ورفع العلم ، ولم يدعكم فى عمياء مدلهمة (٨) ، فأين تريدون ، رحمكم الله ؟ أفراراً عن أمير المؤمنين ، أم فراراً من الزحف ، أم رغبة عن الإسلام ، أم ارتداداً عن الحق ؟ أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول . « ولنبلونكم

---

(١) دحضت الحجة دحضا من بات نفع : بطلت ودحضت رجله ، زلقت ، ومكان دحض زلق

(٢) تردى، تهلك

(٣) عماربن ياسر ، من اصحاب الإمام على ، قتل يوم صفين

(٤) زور الشىء ، حسنه وقومه وهذبه

(٥) الزئبر ، مايعلو الثوب الجديد كالذى تراه فى القطيفة ، فى رواية اخرى عليهابرد زبيدى نسبة الى زبيد « بفتح الزاى » بلد باليمن

(٦) وصف من الرمكة بالضم وهى لون الرماد .

(٧) يهدر . يصوت ، والشقشقة . شىء يخرجه البعير من فيه إذا هاج .

(٨) أدلهم الظلام . كثف وأسود .

حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ، ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول :

اللهم قد عيل الصبر ، وضعف اليقين ، وانتشرت الرغبة ، وبيدك يارب أزمة القلوب ، فأجمع الكلمة على التقوى ، وألف القلوب على الهدى ، واردد الحق إلى أهله ، هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل (١) والرضي التقي ، والصديق الأكبر ، إنها إحن بدرية (٢) وأحقاد جاهلية ، وضغائن أحدية (٣) ، وثب بها معاوية حين الغفلة ، وليدرك ثارات بني عبد شمس (٤) ، ثم قالت :

قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ، صبراً يامعشر المهاجرين والأنصار ، قاتلوا على بصيرة من ربكم ، وثبات من دينكم ، فكأني بكم غدا وقد لقيتم أهـــل الشأم كحمر مستنفرة ، فرت من قسورة (٥) ، لاتدرى أين يسلك بها من فجاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وعما قليل ليصبحن نادمين ، حين تحل بهم الندامة ، فيطلبون الاقالة ولات حين مناص ، إنه من ضل والله عن الحق وقع في الباطل .

---

(١) تعني الامام عليا كرم الله وجهه .

(٢) الاحن جمع إحنة وهي الضغينة والحقد ، تومىء إلى ما كان من قتل علي يوم بدر أخا معاوية (حنظلة بن أبي سفيان) وجده لأمه (عتبة بن ربيعة) وخاله (الوليد بن عتبة) .

(٣) تشير إلى ما كان من هند زوج أبي سفيان (أم معاوية) في غزوة أحد ، إذ بقرت بطن حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم بعد قتـــله ، وأخذت كبده فلاكتها ثم أرسلتها .

(٤) هو الجد الثالث لمعاوية ، فهو . معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس .

(٥) القسورة . الأسد

ألا إن أولياء الله استقصروا عمر الدنيا فرفضوها ، واستطابوا الآخرة فسعوا لها ، فالله الله أيها الناس ، قبل أن تبطل الحقوق ، وتعطل الحدود ، وتقوى كلمة الشيطان ، فالى أين تريدون ـ رحمكم الله ـ عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصهره وأبى سبطيه (١) ، خلق من طينته ، وتفرع من نبعته[٢] وجعله باب دينه ، وأبان ببغضه المنافقين ، وهاهوذا مفلق الهام (٣) ، ومكسر الأصنام صلى والناس مشركون ، وأطاع والناس كارهون ، فلم يزل فى ذلك حتى قتل مبارزى بدر ، وأفنى أهل أحد ، وهزم الأحزاب ، وقتل الله به أهل خيبر ، وفرق به جمع هوازن (٤) ، فيالها من وقائع زرعت فى قلوب قوم نفاقا ، وردة وشقاقا ، وزادت المؤمنين إيمانا .

قد اجتهدت فى القول ، وبالغت فى النصيحة ، وبالله التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله .

فقال معاوية : يا أم الخير ما أردت بهذا الكلام إلا قتلى ، ولو قتلتك ماحرجت[٥] فى ذلك ، قالت : والله مايسوؤنى يابن هند أن يجرى قتلى على يدى من يسعدنى الله بشقائه ، قال : هيهات ياكثيرة الفضول ! ماتقولين فى عثمان ابن عفان رحمه الله ؟ قالت . وما عسيت أن أقول فى عثمان ؟ استخلفه الناس وهم به راضون ، وقتلوه وهم له كارهون . قال معاوية : يا أم الخير ، هذا ثناؤك الذى

---

(١) هما الحسن والحسين رضى الله عنهما ، والسبط . ولد الابن والابنة

(٢) النبعة فى الأصل واحدة النبع وهو شجر تتخذ منه القسى والسهام .

(٣) الهام جمع هامة . وهى الرأس .

(٤) كانت غزوة بدر الكبرى فى السنة الثانية للهجرة ، وغزوة أحد فى السنة الثالثة ، وغزوة الأحزاب (غزوة الخندق) فى الخامسة ، وغزوة خيبر فى السابعة ، وغزوة هوازن (غزوة حنين) فى الثامنة ، وفى كلها أبلى الإمام على بلاء حسنا ، تفصل أنباءه كتب التاريخ .

(٥) حرج : أثم .

تذنين ؟ قالت . لكن الله يشهد — وكفى بالله شهيدا — ماأردت بعثمان نقصا ، ولقد كان سباقا إلى الخيرات ، وإنه لرفيع الدرجة غدا ، قال . فماتقولين فى طلحة [١] بن عبيد الله ؟ قالت . وما عسى أن أقول فى طلحة ؟ اغتيل من مأمنه ، وأتى من حيث لم يحذر ، وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة ، قال . فما تقولين فى الزبير ؟ قالت : وما أقول فى ابن [٢] عمة رسول صلى الله عليه وسلم وحواريه [٣] وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وأنا أسألك بحق الله يامعاوية — فان قريشا تحدث أنك أحلمها — أن تعفينى من هذه المسائل ، وتسألنى عما شئت من غيرها ، قال . نعم ، ونعمة عين (٤) ، قد أعفيتك منها ، ثم أمر لها بجائزة رفيعة وردها مكرمة .

١٤ — خطبة الإمام على بعد التحكيم :

وخطب الإمام على كرم الله وجهه بعد التحكيم فقال :

« الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح [٥] ، والحدث [٦] الجلل ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ليس معه إله غيره ، وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله .

أما بعد ، فان معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة وتعقب الندامة وقد كنت أمرتكم فى هذه الحكومة أمرى ، ونخلت لكم مخزون رأيى ،

---

(١) طلحة والزبير من كبار الصحابة ، خرجا مع السيدة عائشة بعد مقتل عثمان إلى البصرة وقتلا فى وقعة الجمل .

(٢) أم الزبير هى : صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٣) الحوارى : الناصر أو ناصر الأنبياء .

(٤) أى افعل ذلك إنعاما لعينك وإكراما .

(٥) من فدحه الدين أى أثقله

(٦) الحدث الحادث .

لو كان يطاع لقصير أمر [١]، فأبيتم على إباء المخالفين الجفاة، والمنابذين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه، وضن الزند بقدحه، فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن [٢] :

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى   فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد

١٥ — خطبة الإمام على وقد أغار النعمان بن بشير على عين التمر :

وفى سنة ٣٩ هـ فرق معاوية جيوشه فى أطراف على، فبعث النعمان بن بشير الأنصارى فى ألفين فأتوا عين التمر [٣] فأغاروا عليها، وبها عامل لعلى فى ثلثمائة، فكتب إلى على يستمده، فأمر الناس أن ينهضوا إليه فتثاقلوا، فصعد المنبر فتشهد ثم قال :

« منيت [٤] بمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت، لا أبا لكم ! ماتنتظرون بنصركم ربكم ؟ أما دين يجمعكم، ولا حمية تحمشكم (٥) ؟ أقوم فيكم مستصرخا، وأنا دينكم متغوثا(٦)، فلا تسمعون لى قولا، ولا تطيعون لى أمرا، حتى تكشف الأمور عن عواقب المساءة! فما يدرك بكم ثأر، ولا يبلغ بكم مرام ! دعوتكم إلى نصر إخوانكم فجرجرتم [٧] جرجرة الجمل الأسر [٨]، وتثاقلتم تثاقل

(١) قصير . هو مولى جذيمة الأبرش، وكان قد أشار على سيده ألا يأمن الزباء ملكة الجزيرة، وقد دعته إليها ليتزوجها، فخالفه وقصد إليها فقتلته، فقال قصير . « لا يطاع لقصير أمر » فذهبت مثلا

(٢) هو دريد بن الصمة .

(٣) بلد على الفرات شمالى الكوفة .

(٤) منيت : بليت

(٥) حمش كفرح : غضب، وأحمشه : أغضبه .

(٦) قائلا : واغوثاه .

(٧) الجرجرة : صوت يردده البعير فى حنجرته، وأكثر ما يكون ذلك عند الاعياء والتعب .

(٨) الجمل الأسر : المصاب بداء السرر (كسبب) وهو وجع فى الكركرة (بكسر الكافين) وهي رحي زور البعير .

النضو الأدبر (١) ، ثم خرج الى منكم جنيد متذائب ضعيف (٢) ، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » .

١٦ — خطبة الإمام على وقد أغار الضحاك بن قيس على الحيرة :

ووجه معاوية الضحاك بن قيس فأغار على الحيرة (٣) ، وغنم من أموال أهلها ، وبلغ ذلك عليا فاستصرخ الناس ، فتقاعدوا عنه ، فقام فيهم خطيبا فقال :

« أيها الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم ، كلامكم يوهى الصم (٤) الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء ، تقولون فى المجالس كيت وكيت (٥) ، فاذا جاء القتال قلتم حيدى حياد (٦) .

ماعزت دعوة من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم ، أعاليل بأضاليل (٧) ، دفاع ذى الدين المطول (٨) ، هيهات لايمنع الضيم الذليل :

---

(١) النضو ، البعير المهزول ، والأدبر ، المجروح .

(٢) جنيد ، مصغر جند ، متذائب ، مضطرب ، من قولهم ، تذاءبت الريح أى اضطرب هبوبها .

(٣) بلد شمال الكوفة .

(٤) يوهى ، يشق ويخرق ، والصم جمع أصم ، وهو الحجر الصلب المصمت

(٥) كيت وكيت بفتح آخرهما ، ويكسر ، أى كذا وكذا .

(٦) حيدى حياد ، كلمة يقولها الهارب الفار ، من حاد حيد انا أى مال وانحرف ، أى ابعدى وتنحى عنى أيتها الحرب وهى نظيرة قولهم « فيحى فياح » أى اتسعى .

(٧) الأضاليل جمع أضلولة بالضم ؛ وهى الضلال ؛ وفى كتب اللغة « العلالة بالضم والتعلة كتحية والعلة بالفتح ؛ ما يتعلل به » وليس فيها كلمة أعاليل ولا مفردها ؛ ولابد أن تكون جمع أعلولة بالضم كأضاليل وأعاجيب وألاعيب ... الخ ، والمعنى إن أقوالكم هذه تعلل بأباطيل لا جدوى لها .

(٨) المطول ، مبالغة فى ماطل .

ولا يدرك الحق إلا بالجد ، أى دار بعد داركم تمنعون ؟ ومع أى إمام بعدى تقاتلون ؟ المغرور والله من غررتموه ، ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسهم الأخيب ، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل [١] .

أصبحت والله لا أصدق قولكم ، ولا أطمع فى نصركم ، ولا أوعد العدو بكم ، ما بالكم ؟ ما دوائكم ؟ ما طبكم ؟ القوم رجال أمثالكم ! أقولا بغير علم ، وغفلة من غير ورع ، وطمعا فى غير حق ؟ »

١٧ — ولما بايع المسلمون أبا بكر بالخلافة يوم السقيفة بايعوه بعدها فى المسجد البيعة العامة ، وبعدها خطب الناس فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه بالذى هو أهله .

أما بعد فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم : فان أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى .

الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى منكم الضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع أحد منكم الجهاد فى سبيل الله ، فانه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلا عمهم الله بالبلاء . أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم .

قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله ! »

١٨ — ومن خطبة عثمان فى الوعظ قال بعد حمد الله والثناء عليه :

إنكم فى دار قلعة [٢] وفى بقية أعمار . فبادروا آجالكم بخير ماتقدرون عليه

---

(١) سهم أفوق ، مكسور الفوق « بضم الفاء » والفوق : مدخل الوتر من السهم والناصل ، العارى عن النصل .

(٢) لا دوام لها .

فلقد أتيتم : صبحتم أو مسيتم . ألا وإن الدنيا طويت على الغرور ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور [١] : اعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا فانه لا يغفل عنكم . أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها [٢] ومتعوا بها طويلا ؟ ألم تلفظهم؟ ارموا الدنيا حيث رمى بها الله ، واطلبوا الآخرة ، فان الله قد ضرب لها مثلا ، فقال عز وجل : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه [٣] الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً . المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا » .

ومن خطبه رضي الله عنه :

أما بعد . فان الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركنوا إليها . إن الدنيا تفنى والآخرة تبقى ، فلا تبطرنكم [٤] الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى ، إن الدنيا منقطعة ، وإن المصير إلى الله . اتقوا الله عزوجل فان تقواه جنة من بأسه ووسيلة عنده واحذروا من الله الغير [٥] ، والزموا جماعتكم ألا تصيروا أحزاباً واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً .

---

(١) الغرور (بالفتح) الدنيا أو ماغرك أو يخص بالشيطان وهو أيضاً ما يتغرغر به . وبالضم مصدر غر أو جمع غار .

(٢) عمر الرجل المكان (كنصر) أقام به . والعمارة (بالكسر) ما يعمر به المكان وبالضم أجرة الإقامة به وبالفتح كل ما يلبس على الرأس .

(٣) ذراه فرقه فى الهواء .

(٤) البطر . كفر النعمة .

(٥) أى أحداثه التى تغير حال الشيء ، قيل هو مفرد وجمعه أغيار ، وقيل جمع غيرة كعنب جمع عنبة .

١٩ — خطبة السيدة فاطمة الزهراء

حين بويع أبو بكر ومنعها ميراثها فى فدك :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم » . فان تفردوه تجدوه أبى دون نسائكم وأخا ابن عمى دون رجالكم . فبلغ النذارة صادعا بالرسالة ، مائلا على مدرجة المشركين [١] ضاربا لثبجهم [٢] آخذا بكظمهم [٣] يجذ الاصنام [٤] وينكت الهام [٥] حتى هزم الجمع وولوا الدبر وتفرى الليل عن صبحه وأسفر الحق عن محضه ونطق زعيم الدين وخرست شقاشق الشياطين وكنتم على شفاحفرة من النار مذقة الشارب(٦) ، ونهزة الطامع وقبسة العجلان ، وموطىء الاقدام تشربون الطرق (٧) ، وتقتاتون الورق (٨) ، أذلة خاشعين ، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم ، فانقذكم الله برسوله صلى الله عليه وسلم بعد اللتيا والتى وبعد ما منى بهم (٩) الرجال وذؤبان العرب ، كلما حشوا نارا للحرب ونجم قرن للضلال ، ففرت فاغرة من المشركين قذف باخيه فى لهواتها فلا ينكفى ء حتى يطأ سماخها باخمصه ، ويخمد لهبها بحده مكدودا فى ذات الله قريبا من رسول الله سيدا فى أولياء الله وأنتم فى بلهنية وادعون آمنون

حتى إذا اختار الله لنبيه دار أنبيائه ظهرت حسكة النفاق ، ونطق كاظم الغاوين ،

---

(١) مائلا على مدرجة المشركين أى معترضا طريقهم .
(٢) الثبج من الناس عليتهم وأشرافهم .
(٣) الكظم مخرج النفس .
(٤) الجذ : المكسر .
(٥) النكت . الضرب بطرف القضيب .
(٦) المذقة . الشربة من اللبن المخلوط .
(٧) الطرق الماء المشوب بابوال الأبل وأرواثها .
(٨) تريد بالورق ورق الشجر .
(٩) جمع بهمة — بضم الباء — الشجاع الشديد البأس .

ونبغ خامل الآفلين ، وهدر فنيق (١) المبطلين يخطر فى عرصاتكم وأطلع الشيطان رأسه صارخا بكم ، فوجدكم لدعائه مستجيبين، وللعزة فيه ملاحظين، فاستنهضكم فوجدكم خفافا، وأحمشكم فألفاكم غضابا فوسمتم غير إبلكم ، وأوردتموها غير شربكم . هذا والعهد قريب والكلم رحيب ، والجرح لما يندمل بدار ، أزعمتم خوف الفتنة ألا فى الفتنة سقطوا وأن جهنم لمحيطة بالكافرين ، فهيهات منكم وأنى بكم تؤفكون ، وهذا كتاب الله بين ظهركم ، زواجره بينة ، وشواهده لائحة ، وأوامره واضحة ، أرغبة عنه تدبرون ، أم بغيره تحكمون ، بئس للظالمين بدلا ، ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين .

ثم لم تريثوا أختها (٢) إلا ريث أن تسكن نفرتها تسرون حسوا فى ارتغاء (٣) ونصبر منكم على حز المدى وأنتم اللائى تزعمون أن لا إرث لنا أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ، ويها معشر المهاجرة ، أفى الكتاب أن ترث أباك ولا أرث أبيه ؟ لقد جئت شيئاً فريا (٤) فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله ، والزعيم محمد ، والموعد القيامه ؛ وعند الساعة يخسر المبطلون ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون .

٢٠ — وخطب أبو بكر رضى الله عنه حين أشار عليه الصحابة بترك المرتدين من العرب وشأنهم لأنه لاطاقة لمن بقى من المسلمين بالحرب

أيها الناس : من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله

---

(١) الفنيق : الجمل الفحل

(٢) تريد أنكم منعتم ابن عم رسول الله حقه فى الخلافة ثم اتبعتم هذه المظلمة مظلمة أخرى من غير إمهال .

(٣) الارتغاء صوت الابل أى تتهزون اضطراب الاصوات لتنتفعوا بما أردتم والحسوشرب الطائر

(٤) تخاطب أبا بكر رضى الله عنه .

حى لا يموت ، أيها الناس أأن كثر أعداؤكم وقل عددكم ركب الشيطان منكم هذا المركب ! والله ليظهرن هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون ، قوله الحق ووعده الصدق : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون — وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » .

أيها النـاس ، والله لو أفردت من جمعكم لجاهدتهم فى حق الله حق جهاده حتى أبلغ من نفسى عذرا أو أقتل مقتلا ، والله أيها الناس لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه واستعنت بالله ، إنه خير معين .

٢١ — من خطبة لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه فى استنفار أهل الشام . فقال أف لكم لقد سئمت عتابكم ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً ؟ وبالذل من العز خلفاً ، إذا دعوتكم الى جهاد عدوكم دارت أعينكم كأنكم من الموت فى غمرة ، ومن الذهول فى سكرة ، يرتج عليكم حوارى فتعمهون ، فكأن قلوبكم مألوسة (١) فأنتم لا تعقلون ، ما أنتم لى بثقة سجيس الليالى (٢) وما أنتم بركن يمال بكم ، ولا زوافر (٣) عز يفتقر اليكم : ما أنتم إلا كابل ضل رعاتها ، فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر ، لبئس لعمـــر الله شفر نار الحرب أنتم ، تكادون ولا تكيدون وتنتقص أطرافكم فلا تمتعضون لا ينام عنكم وأنتم فى غفلة ساهون ، غلب والله المتخاذلون ، وأيم الله إنى لأظن بكم أن لو حمس الوغى واستحر الموت قد انفرجتم عن ابن أبى طالب انفراج الرأس ، والله أن امرءا يمكن عدوه من نفسه يعرق لحمه ويهشم عظمه ويفرى جلده لعظيم عجزه ، ضعيف ماضمت عليه جوانح صدره .

---

(١) الألس والمؤالسة . الخداع والخيانة والغش والسرق

(٢) سجيس الليالى أى أبد الدهر

(٣) الزوافر جمع زافرة : الأنصار والعشيرة ، يقال جاءنا ومعه زافرته أى قومه ورهطه .

٢٢ - ومن كلام عائشة أم المؤمنين :

بلغها أن أقواماً يتناولون أبا بكر رضى الله عنه ، فأرسلت إلى أزفلة [١] من الناس فلما حضروا اسدلت أستارها وعلت وسادها ، ثم قالت .

أبي وما أبيه !! أبي والله لاتعطوه (٢) الأيدى ، ذلك طود منيف ، وظل مديد هيهات كذبت الظنون ، أنجح إذ أكديتم (٣) ، وسبق إذ ونيتم ، سبق الجواد إذا استولى على الأمد ، فتى قريش ناشئاً ، وكهفها كهلا ، يفك عانيها ، ويريش [٤] ، مملقها ، ويرأب شعبها (٥) ، ويلم شعثها ، حتى حليته قلوبها ؛ ثم استشره (٦) فى دين الله ، فما برحت شكيمته [٧] فى ذات الله عز وجل حتى اتخذ بفنائه مسجداً يحيي فيه ما أمات المبطلون ، وكان رحمه الله غزير الدمعة ، وقيذ (٨) الجوانح شجي النشيج (٩) ، فانعطفت إليه نسوان مكة وولدانها يسخرون منه ويستهزئون به « الله يستهزى بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون » فأكبرت ذلك رجالات قريش فحنت قسيها ، وفوقت سهامها ، وامتثلوه [١٠] غرضاً ، فما فلوا له صفاة ، ولاقصفوا

«١» الجماعة

«٢» لا تتناوله

«٣» جبنتم

«٤» يعطى ويفضل من راش السهم إذا جعل فيه ريشا ليكون أسد له وكذلك المحسن يقوى الفقير على الحياة

«٥» الشعب : الصدع

«٦» جد واجتهد .

«٧» أنفته وحميته

«٨» عليل

«٩» الشجى الحزين ، النشيج ، صوت البكاء

«١٠» نصبوه

له قناة ، ومر عـــلى سيسائه (١) حتى إذا ضرب الدين بجرانه (٢) ، وألقى بركه ، ورست أوتاده ، ودخل الناس فيه أفواجا ، ومن كل فرقة أرسالا وأشتاتا ، اختار الله لنبيه ماعنده ، فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم نصب الشيطان رواقه ، ومد طنبه ، ونصب حبائله ، وأجلب بخيله ورجله ، واضطرب حبل الاســـلام ، ومرج (٣) عهده ، وماج أهله ، وبغى الغوائل ، وظنت رجال أن قد أكثب نهزها (٤) ، ولات حين الذى يرجون ، وأنى والصديق بين أظهرهم ؟ فقام حاسراً مشمرا فجمع حاشيته ، ورفع قطريه ، فرد رسن الاسلام على غربه ، ولم شعثه بطبه ! وأقام أوده بثقافه ، فابذعر النفاق بوطئه ، وانتاش الدين فنعشه (٥) ، فلما أراح الحق على أهله ، وقرر الرءوس على كواهلها ، وحقن الدماء فى أهبها ، أتته منيته ، فسد ثلمته بنظيره فى الرحمة ، وشقيقه فى السيرة والمعدلة ، ذاك ابن الخطاب لله أم حفلت له ، ودرت عليه !! لقد أوحدت به ، ففنخ الكفرة ودیخها (٦) وشرد الشرك شذر مذر ، وبعج الأرض وبخعها(٧) ، فقاءت أكلها ، ولفظت جنيها ، ترأمه ويصدف عنها ، وتصدى له ويأباها ، ثم وزع فيها فيئها وودعها كما صحبها . فأرونى ماترتابون ، وأى يومى أبى تنقمون ؟ أيوم إقامته إذ عدل فيكم ، أم يوم ظعنه وقد نظر لكم ؟ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

ثم أقبلت على النــاس بوجهها ، فقالت ، أنشدكم الله ، هل أنكرتم ممـا قلت شيئاً ؟ قالوا : اللهم لا

«١» شدته ، والسيساء ، عظم الظهر ، والعرب تضرب به مثلا للشدة

«٢» الجران ، الصدر وكذلك البرك

«٣» اختلط

«٤» أكثب ، قرب ، النهز ، اختلاس الشيء والظفر به مبادرة .

«٥» رفعه

«٦» صغرها

«٧» بعج الأرض وبخعها شقها

وصف الخطابة فى صدر الاسلام

تمهيد :

علمت أن القرآن رفع من منزلة النثر ، فاحتل المكانة التى كانت للشعر من قبل . وذلك لأن الاسلام رفع من شأن العقل ، ولابتذال الشعر بالتكسب به ، ولأن العقيدة الجديدة — وهى ما هى — تستلزم الخطابة وتستدعيها ؛ فضلا عن كثرة التنازع السياسى والدينى بعد عصر عمر

وإذا كانت هذه هى منزلة النثر عامة فان الخطابة احتلت الذروة من بين ألوان النثر خاصة فى هذا العصر ، عصر صدر الاسلام . والخطابة هى كما تعلم فن إقناع الجماهير واستمالتهم والتأثير فيهم ؛ وقد كان هذا العصر أعظم العصور الأدبية خطرا وأكبرها أثراً فى الخطابة ، فقد بلغت الغاية واستكملت عناصرها الفنية والأدبية ؛ وظهر الكثير من أعلام الخطباء ومصاقع البيان ؛ وإمامهم هو الرسول الأعظم ، والخطيب الأول ، محمد صلوات الله عليه

أسباب رقى الخطابة

١ — الثورة الروحية الكبرى التى قام بها قائد الانسانية الأعظم وهاديها الكريم محمد صلوات الله عليه ؛ وماتحتاج إليه من فن الخطابة بين أنصار الدعوة وخصومها ، فان ذلك كان أهم سبب لرقى الخطابة فى هذا العهد

٢ — رفع الاسلام من شأن العقل وخفضه من غلواء العاطفة ، ودعوته إلى الأقناع بالمنطق والحجة والقول الصادق المبين

٣ — ابتذال الشعر بالتكسب به رفع من منزلة الخطابة ونوه بها

٤ — الرقى السياسى والاجتماعى ، فقد أصبحت العرب أمة واحدة ، لها رئيس أعلى ، ونظمت شئونها الاجتماعية تنظيما استدعى الخطابة ، سواء كان من الخليفة أو قواده أو عماله أم من أفراد الأمة وخطبائها ، أم فى مجالس القضاء والشورى والفصل فى الأمور

٥ — سلامة الملكات وقوة الطبـــاع وعذوبة الألسنة ، والقدرة على

الارتجـــال ، وذيوع آثار بلاغة القرآن والحـديث فى النفوس والعقول والأذواق (١)

٦ — كثرة الخلافات حول الخلافة بعد موت الرسول وبعد مقتل عمر ، ومايستلزمه ذلك من كثرة فن الخطابة والحجـــاج بين الآراء والأفكار والأحزاب السياسية

٧ — كثرة الحاجة إليها فى شئون الدين والاجتماع والسياسة إلى غير ذلك ذلك من أسباب رقى الخطابه ونهضتها وقوتها فى هذا العصر الكريم

أغراض الخطابة

وأغراض الخطابة فى هذا العصر كثيرة منوعة ، ومن أهمها :

١ — الدعوة إلى الدين وحجاج المشركين ، ونضال المنكر بين بالحق والصدق والبيان المبين

٢ — الدفاع عن الرأى حين اختلف الأنصار والمهاجرون فيمن يلى الخلافة بعد الرسـول ، وحين اختلف المسلمون بعد عمر فيمن يختـارونه لهذا المنصب الرفيع ، وحين انقسم المسلمون بعـد ذلك إلى شيعة وخوارج وإلى أنصـار لعلى ومؤيدين لمعاوية وبنى أمية

٣ — الحض على قتال أعـداء المسلمين ، وتحميس الجند وتشجيعهم حين ملاقاة الأعداء ، والتبشير بالنصر وسوى ذلك مما دعت إليه الفتوحات الاسلامية الكثيرة

« ١ » وإذا كان قدورد عن بعض الرجال فى هذا العصر آثار قليلة جدا من العى والعجز فهذا نادر ضئيل جدا . كما ورد فى الكامل أن يزيد بن أبى سفيان ولاه أبو بكر ولاية فى الشام فصعد على المنبر فتكلم فارتج عليه ، فقطع الخطبة وقال . سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عى بيانا ، وأنتم إلى أمير فعال أحوج منكم إلى أمير قوال ، فكان ذلك منه بلاغة ما بعدها بلاغة اعتذار ، مما أشاد به عمرو بن العاص حين سمع هذه الكلمات »

٤ — الخطب فى الشئون الدينية من جماعة وصلاة عيدين وحج ومن وعظ وإرشاد وحض على الاستمساك بعروة الدين ومبادىء الاسلام

٥ — شرح خطة سياسية أو رأى دينى أومنهج اجتماعى أوغير ذلك مما استلزمته الحياة الاسلامية فى ذلك العهد البعيد

أسلوب الخطابة

١ — تمتاز الخطابة الاسلامية بصفاء الاسلوب ومتانته وشدةوقوته تأثيره ووصوله إلى قرارة النفوس وامتلاكه للشعور والوجدان

٢ — كما تمتاز بترك التكلف وهجران السجع المتعمد ، وإيثارالطبع وماتمليه الملكة الموهوبة الملهمَة

٣ - كثرة الحكم وظهور العاطفة الدينية وذيوع الاقتباس من أسلوب الذكر المبين ومحاكاته فى الاقناع والتأثير وجمال التصوير وبلاغة التعبير

٤ — وكانت تبدأبحمد الله والثناء عليه وتختم بمثل « أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم » : وكان أبو بكر يختم خطبه بقوله ، اللهم اجعل خيرزمانى آخره وخير عملى خواتمه وخير أيامى يوم ألقاك ، وكان عمر يلزم فى آخر خطبه قوله « اللهم لاتدعنى فى غمرة ولاتأخذنى على غرة ولا تجعلنى من الغافلين »

٥ - وقد كانوا يسيرون فى خطبهم على طرفى الايجاز والاطناب اتباعا لمقتضيات الأحوال والمقامات

ألفاظها

وألفاظ الخطابة فى هذا العصر ألفاظ القرآن فى عذوبتها وجمالها وسهولتها والبعد عن الحوشى والغريب والمبتذل والمتنافر فيهافوق سلامتها من الخطأ والعيب واللحن ، وفوق مافيها من موسيقى وروعة وجلال وقوة تأثير

هيئة الخطيب :

وقد ظل الخطباء فى هذا العصر على ما ألفوه من لبس العمامه والاشتمال بالرداء واختصار المخصرة وكان صلى الله عليه وسلم يعتمد على عصا فى السلم وعلى قوس فى الحرب إلى أن اتخذ المنبر وكانوا يقومون على شرف ويخطبون من

قيام إلى غير ذلك من المظاهر التى كانوا يحرصون عليها فى الخطابة لتتم للخطيب روعة التأثير والاقناع

معانى الخطابة فى صدر الأسلام :

ومعانى الخطابة فى هذا العصر لاتخرج عما علمت من الحكمة والصدق والحق والخير والطهر.

وهى مع ذلك مرتبة منظمة صادرة عن عقلية موهوبة مهذبة مثقفة

فضلا عن دقتها وعمقها ووضوحها وجلالها وتأثيرها

ومنهلهم الذى كانوا ينهلون منه هذه الحكمة ؛ هو القرآن الشريف والحديث النبوى الخالد.

وسمو الروح، وعظمة الأيمان ؛ وقوة العقيدة وجـــلال الغاية ؛ كل هذه خصائص ظاهرة لمعانى الخطابة فى الاسلام

وهى مع ذلك مرتبطة الأجزاء، سليمة المنطق ؛ مرتبة مهذبة واضحة

أشهر الخطباء

وقد امتاز هذا العصر بكثرة الخطباء البلغاء كثرة رائعة عجيبة

وفى صدر الخطباء الخطيب الأول والامام الأكبر والزعيم الروحى الاعظم محمد صلوات الله عليه، وقد مربك طرف من بلاغاته وخطابته صلى الله عليه

ومن الخطباء. أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعائشة وخالدوعبدالله بن عباس وعبد الله بن الزبير، وابو عبيدة عامر بن الجراح، ومعاوية ؛ وسواهم من اعـــلام الخطباء والبلغاء، رضوان الله عليهم أجمعين

ومن الخطباء المشهورين، عطارد بن حاجب بن زراره وكان الخطيب عند النبي صلى الله عليه كما يقول الجاحظ(١)

(١) ٢١٤ ح ١ البيان والتبيين.

أعلام الخطباء فى العصر الإسلامى

على بن أبى طالب

المتوفى عام ٤٠ هـ

أسرته :

هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، جده عبد المطلب ابن هاشم سيد قريش وزعيمها وعلمها المشهور

ووالده ابو طالب ، كان شريفا عظيما ، اشتغل بالتجارة فى الجاهليه ، ولما مات أبوه ورث عنه السقاية والرفاده . وهو الذى كفل ابن أخيه محمد صلوات الله عليه ، وشمله بالرعاية والعون والتأييد ، ولما تعاهدت قريش على مقاطعة بنى هاشم وبنى المطلب قال :

ألا أبلغا عنى — على ذات بينها — لويا وخصا من لؤى بنى كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خط فى أول الكتب
أفيقوا أفيقوا قبل أن تحفر الزبى ويصبح من لم يجن ذنباً كذى الذنب
ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حربا عوانا وربما أمر على من ذاقه حلب الحرب
فلسنا ورب البيت نسلم أحمدا لعزاء من عض الزمان ولا كرب

وظل كذلك إلى أن توفاه الله عليه رحمته .

أما والدته فهى فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، وهى أول هاشمية ولدت هاشميا . أسلمت وهاجرت الى المدينة وماتت فى حياة الرسول .

وعلى خليفة المسلمين بعد عثمان ؛ وابن عم الرسول صلى الله عليه ، وزوج ابنته ، ووالد الحسن والحسين رضوان الله عليهما ، ورابع الخلفاء الراشدين وإمام الخطباء من المسلمين بعد رسول الله

مولده ونشأته :

ولد رحمه الله بمكة بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم باثنتين وثلاثين سنة (وقبل الهجرة بثمان سنين)

ونشأ بها النشأة العالية ، فى كفالة الرسول كأحد أولاده . ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان متزوجا خديجة ، وكانت ذات مال كثير ، وكان الرسول يتجر فيه فحصل له ربح وفير ، فلما أصيبت قريش بالقحط والمجاعة ، قال الرسول لعمه العباس : « إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، والناس فيما ترى من الشدة ، فانطلق بنا فلنخفف من عياله : تأخذ أنت واحدا وأنا واحد » . وكان لأبى طالب من من الذكور أربعة أولاد ، كل واحد بينه وبين الذى يليه عشر سنين ، وكان أسنهم طالبا ، فعقيلا ، فجعفراً ، فعليا ؛ فلما جاء الاسلام أسلم على فجعفر فعقيل ، أما طالب فمات على الكفر كأبيه . وكان إسلام على وهو صغير فى السنة الثامنة أو العاشرة من عمره قبل أن يتدنس بشيء من رجس الجاهلية ، ولذلك قيل فيه . « كرم الله وجهه » لأنه لم يسجد لصنم قط

ولما علم أبوه باسلامه وصلاته مع الرسول قال له :« أى بنى : أى شيء الذى أنت عليه » ؟ قال : « ياأبت آمنت بالله ورسوله ! وصدقت ما جاء به واتبعته » . فقال له « أما إنه لم يدعك إلا الى الخير فالزمه » .

وكان ذا منزلة سامية عند الرسول صلى الله عليه والصحابة والمسلمين كافة

كان على جانب كبير من التقوى ، وكان أوفرهم نصيبا وأكرمهم مددا من الرسول ، ولهذا كانت إليه الفتوى فى حياة الرسول وبعده ، حتى ضرب به المثل بعد وفاة الرسول فقيل : « قضية ولا أبا حسن لها » . قال عبد الله بن عباس : « قسم علم الناس على خمسة أجزاء ، فكان لعلى منها أربعة ولسائر الناس جزء شاركهم فيه فكان أعلمهم به » . وقال عبد الله ابن مسعود : « كان على رضى الله عنه أفرض أهل المدينة وأقضاهم » . يريد أعلمهم بعلم الميراث والفصل فى القضايا بين الناس . ومن دلائل عبقريته أنه كان يسأل عن الأمور المشكلة فيجيب فيها على البديهة ويحل مشكلات المسلمين الدينية والاجتماعية ، وكان بطلا مقداما ،

وفارسا شجاعا ، وعلما من أعلام الاسلام ، كما كان خطيبا مصقعا ، وبليغا مفوها ، ومستشاراً مؤتمناً عند أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما .

ألوان من حياته :

١ — وجهاد على رضوان الله عليه فى نشر الدعوة فى حياة الرسول الكريم ذائع مشهور

وتعلمون موقفه الخالد ليلة الهجرة ، وكيف نام فى الموضع الذى ينام فيه الرسول ليلة الهجرة ليفدى الرسول ، ويضمن نجاح هجرته مع أنه كان يعلم مايترقبه من قتل وتعذيب .

ثم هاجر على إلى المدينة وأقام فيها مع الرسول الكريم ، يكمل ثقافته الدينية بما يتلقاه من الرسول ، وكان من كتاب الوحى ، واشترك فى غزواته ومشاهده ماعدا غزوة تبوك .

٢ — وتوفى رسول الله صلوات الله وولى الخلافة أبو بكر بعده فحنق كثير من المسلمون ، ولكن عليا كان كريما رائع التضحية ومايضرب به من المثل العظيمة ، فوقف مع أبي بكر يشد أزره ؛ ويسند ظهره ، ويشير عليه فى المشكلات ، وتوفى أبو بكر وتولى الخلافة عمر ، فكان على له ظهيراً معينا ، كان يشير عليه بالصواب والرشد إذا تفاقمت الأمور واشتدت الخطوب .

ثم قام عثمان بعد عمر بالخلافة فبايعه على وظل يعاونه إلى أن تفاقمت الأمور وقامت الثورة على عثمان ومات فيها قتيلا ، ويروى أن عثمان كتب إلى على وهو محاصر فى داره :

أما بعد :

فقد بلغ السيل الزبى ، وجاوز الحزام الطبيين ، وطمع فى من لايدفع عن نفسه ، ولم يغلبك مثل مغلب ، فأقبل إلى صديقاً كنت أوعدوا :

فان كنت مأكولا فكن خير آكل
وإلا فأدركني ولما أمزق

فبعث إليه بابنيه : الحسن والحسين يدافعان عنه . ولكنهما لم يستطيعا مقاومة الجماهير الثائرة فقتل عثمان

٣ — خلافته :

وبويع على بالخلافة بعد عثمان على كره منه سنة ٣٥ ﻫ فأخذ معاويه بن أبي سفيان يؤلب بنى أمية عليه لأنه لم يأخذ بدم عثمان ؛ وقد كان الثوار يوم بويع لعلى مجتمعين ولم تغمد سيوفهم ، فرأى رضى الله عنه أن من الحكمة تركهم حتى تخمد نار الفتنة وتتم البيعة ، ورأى معاوية أنه يجب الأخذ بدم عثمان قبل الشروع فى البيعة ؛ وانضم إليه فى هذا أهل الشام وطائفة من أهل مصر والعراق .

قضى رحمه الله فى الخلافة نحو خمس سنوات من ذى الحجة عام ٣٥ ﻫ الي رمضان عام ٤٠ ﻫ .

وقد كانت الأحداث التى وقعت فى خلافته أحداثا عظيمة جعلته فى كفاح دائم وحروب مستمرة

خرجت عليه عائشة بالبصرة ومعها طلحة والزبير ، ومعركة الجمل مشهورة ثم استمرت الحروب بينه وبين معاوية بن أبي سفيان سجالا ، ومنها موقعة صفين ثم كان أمر التحكيم الذى قبله على على كره منه ، وخدع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعرى فيه .

ثم انتهى الأمر بقتل الخوارج لعلى بيد عبد الرحمن بن ملجم المرادى ، رحمة الله عليه بالكوفة فى السابع عشر من رمضان عام ٤٠ ﻫ ودفن بها وعمره ثلاثة وستون عاما وتولى بعده ابنه الحسن خلافة المسلمين ثم تنازل عنها لمعاوية عام ٤١ ﻫ .

نهج البلاغة للامام على

وهو كتاب جليل ، وأثر أدبى خالد ، بعد كلام الله وكلام رسوله .

جمع فيه الشريف الرضى م ٢٠٦ ﻫ كل ما ينسب للامام على من خطب

ووصايا ونصائح وحكم وأمثال ومواعظ وآراء ومحاورات ورسائل وعهود ، وقيل ان الذى قام بجمعه هو الشريف المرتضى م ٤٢٦ ﻫ
والشيعة على أن الكتاب بجملته وتفصيله لأمير المؤمنين على ، وذهب بعض الباحثين الى أنه منحول مفترى عليه
أما حجج الذين ينفون نسبته عن على فأهمها :

١ أن فى الكتاب أقوالا شديده اللهجة فى حق بعض الصحابه كما فى الخطبة الشقشقية السابقة ولكن بعض الباحثين يؤيدون نسبة هذه الخطبة اليه

٢ــ مافى الكتاب من أفكار عميقة واصطلاحات صوفية متأخره . واصطلاحات كلامية أيضا لم توجد فى عصره .

٣ - مافى بعض رسائل الكتاب من طول كثير ممايدع للشك مجالا فى صحة نسبتها إلى الامام على كما فى عهد على الى الاشتر النخعى .

٤ ــ خلو الكتب المؤلفة قبل الشريف الرضى من كثير مما فى نهج البلاغة

وقد ذهب كثير من الباحثين إلى نسبة الكتاب لعلى

ولكن مما لاريب أن بعضا مما فى الكتاب منتحل مدخول ، لاتصح نسبته إلى الأمام ، ولاداعى لتفصيل القول فى ذلك ، فلهذا موضوع آخر غير هذا المكان هذا وقد تثقف بثقافة نهج البلاغة كثير من عاشق الأدب ودارسيه فى القديم والحديث . ولايزل إلى اليوم من أهم كتب الأدب والثقافة الدينية والعربية

والكتاب على الاسلوب فخم العبارة مصقول البيان ا لطيف الروح ينحدر إلى النفس بسهوله

وموضوعات الكتاب كما يقول الرضى ثلاثة : اولها الخطب والأوامر ، وثانيها . الكتب والرسائل ، وثالثها الحكم والمواعظ .

ويمتاز مع ذلك بطوله وضخامته وبأهمية مافيه من آراء فى الأخلاق والسياسة والدين والاجتماع وبأنه ثروة فكرية وأدبية واسعة .

بلاغة على

وعلى كريم الله وجهه فى الذروة من البلاغة والفصاحة والبيان وهو أخطب الخطباء بعد رسول الله صلوات الله ولذلك أسباب :

١ — أسرته وبيئته ومكانهما فى البلاغة

٢ — تأثره ببلاغة القرآن والرسول

٣ — كانت حياته كلها كفاح ونضال وجهاد وهذا من أهم مايبعث على الخطابة ويدعو إليها

٤ — نشأته وطبعه من صغره على البيان واللسن الفصاحة

٥ — قوة عارضته ، وحدة ذكائه وعبقريته ، وجليل شخصيته وحبه للصراحة والرأى الواضح . وكل ذلك مما يبعث الخطابة ويعين عليها

وتمتاز خطابته بخصائص كثيرة من أهمها :

١ — تمثيلها لحياته وشخصيته وآرائه وعقيدته فى الحياة

٢ — بلاغة أسلوبه وإحكامه وإشراقه واستمداده من أسلوب الذكر الحديث والبلاغة النبوية الشريفة

٣ — دقة معانيه وإحكامها وترتيبها وجلالها وعظمة الروح فيها وعلو الافق مما لا يكون إلا لمثل على كرم الله وجهه

٤ — جزالة ألفاظه إذا استثنينا منها هذه الألفاظ الاصطلاحية الكثيرة

ويقول فيه الرضى :

كان أمير المؤمنين على عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ، ومنشأ البلاغة ومولدها ؛ ومنه عليه السلام ظهرت مكنونها ، وعنه أخذت قوانينها ... من أجل هذا كان إذا خطب فهو أخطب العرب بعد رسول الله ، وإذا كتب كان أبلغ الناس قولا وأصدقهم وصفا وأسيرهم مثلا رضى الله عنه

بعض آثار من كلام على

١ — ومما قاله عليه السلام قبل موته

أنا بالأمس صاحبكم ، واليوم عبرة لكم ، وغدا مفارقكم ، إن أبق فأنا ولي دمي ، وان أفن فالفناء ميعادي ، وأن أغفر فالعفو لي قربة ؛ وهو لكم حسنة . فاعفو واصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله ما فجأني من الموت وارد كرهته ، ولا طالع أنكرته وما كنت إلا كقارب ورد . وطالب وجد وما عند الله خير للأبرار

ومن دعائه عليه السلام :

اللهم إني أعوذ بك أن أفتقر في غناك ، أو أضل في هداك ، أو أضام في سلطانك ، أو أضطهد والأمر لك

٢ — وقال من وصية لولده محمد بن الحنفية حين أعطاه الراية يوم الجمل

« تزول الجبال ولا تزل . عض على ناجذك (١) أعر الله جمجمتك (٢) تدفى الأرض قدمك (٣) . أرم ببصرك أقصى القوم ، وغض بصرك ؛ واعلم أن النصر بيد الله سبحانه »

٣ — ومن كلامه عليه السلام يصف بيعته بالخلافة ويرد على من زعم أن البيعة له أخذت قسرا

بسطتم يدي فكففتها ؛ ومددتموها فقبضتها ، ثم تداككتم على تداك الابل الهيم (٤) على حياضها يوم ورودها ، حتى انقطعت النعل وسقط الرداء وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير وهدج (٥) ، إليها الكبير ، وتحامل نحوها العليل وحسرت إليها الكعاب .

---

(١) أي احرص على أن يكون الأمر لك

(٢) أي لاتشعر نفسك أن رأسك الآن لك بل أعرها الله جل ذكره وهذا آثر قول في الاستهانة بالنفس يوم الروع

(٣) تدفعل أمر من وتد — بفتح التاء — الوتد ثبته

(٤) تداككتم تزاحمتم والهيم جمع هيماء وهي التي برح بها العطش

(٥) هدج مشى مشية ضعف

٤ — ومن كلامه فى التحريض على القتال لما أغار سفيان الاسدى على الانبار وقتل عامله عليها :

حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال : أما بعد : فان الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة عنه [١] ألبسه الله الذل، وسيماء [٢] الخسف [٣] وديث بالصغار [٤]. وقد دعوتكم إلى حرب هؤلاء القوم ليلا ونهاراً، وسرا وإعلاناً وقلت لكم أغزوهم من قبل أن يغزوكم، فوالذى نفسى بيده ما غزى قوم قط فى عقر [٥] دارهم إلا ذلوا ؛ فتخاذلتم وتواكلتم، وثقل عليكم قولى، واتخذتموه وراءكم ظهريا حتى شنت عليكم الغارات [٦] .

هذا أخو غامد قد بلغت خيله الأنبار، وقتل حسان البكرى، وأزال خيلكم عن مسالحها [٧] وقتل منكم رجالا صالحين. وقد بلغنى أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، فينزع حجلها وقلبها ورعاثها [٨]، ثم انصرفوا موفورين (٩)، ما نال رجلا منهم كلم (١٠) ولا أريق لهم دم. فلو أن رجلا مسلما مات من دون هذا أسفاً ما كان عندى فيه ملوما، بل كان به عندى جديرا. ياعجباً كل العجب ! ! عجب يميت القلب، ويشغل الفهم، ويكثر الأحزان، من تضافر هؤلاء القوم على باطلهم، وفشلكم عن حقكم حتى أصبحتم غرضا ترمون ولا ترمون، ويغار عليكم ولا تغيرون، ويعصى الله فيكم

(١) رغب (كفرح) فيه أراده. وعنه كرهه. وإليه ابتهل، ورغب (ككرم) اشتد نهمه.

(٢) علامة. (٣) الذل. (٤) ديث : وصم، والصغار الذل.

(٥) عقر : وسط.

(٦) قال المبرد : قوله شنت عليكم الغارات يقول صبت. يقال شننت الماء وكذلك فسرها صاحب القاموس المحيط.

(٧) جمع مسلحة وهى الثغر حيث يخشى طروق العدو.

(٨) الحجل : الخلخال، القلب، السوار، الرعاث جمع رعثة وهى القرط.

(٩) تأمين لم ينقص منهم أحد. (١٠) جرح.

وترضون ، إذا قلت أغزوهم فى الشتاء قلتم هذا أوان قر وصر (١) ، وإن قلت لكم اغزوهم فى الصيف قلتم هذه حمارة (٢) القيظ . أنظرنا ينصرم الحر عنا ، فاذا كنتم من الحر والبرد تفرون ، فأنتم والله من السيف أفر ، ياأشباه الرجال ولا رجال ، ويا طغام (٣) الأحلام ، ويا عقول ربات الحجال (٤) والله لقد أفسدتم على رأيي بالعصيان ، ولقد ملأتم جوفى غيظاً حتى قالت قريش : ابن أبى طالب رجل شجاع ولكن لا رأى له فى الحرب لله درهم (٥) !! ومن ذا يكون أعلم بها منى وأشد لها مراساً ، فو الله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ولقد نيفت اليوم على الستين ، ولكن لا رأى لمن لا يطاع (يقولها ثلاثاً) ، فقام إليه رجل ومعه أخوه ، فقال يا أمير المؤمنين : أنا وأخى هذا كما قال الله تعالى : «رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى » فمرنا بأمرك ، فو الله لننتهين إليه ولو حال دونه جمر الغضى وشوك القتاد ، فدعا لهما بخير ، ثم قال لهما وأين تقعان مما أريد .

٥ — الخطبة الشقشقية :

أما والله لقد تقمصها ابن أبى قحافة ، وانه ليعلم أن محلى منها محل القطب من الرحى ، ينحدر عنى السيل ، ولا يرقى إلى الطير ، فسدلت دونها ثوبا وطويت

---

(١) القر بالضم : البرد ، ويوم قر بالفتح وليلة قرة كذلك باردة والقرة بالكسرة البرد والرجل مقرور . والصر : الريح الشديدة كالصرصر .

(٢) حمارة القيظ شدته ومثلها صبارة الشتاء .

(٣) الطغام : السفلة من الناس والواحد طغامة .

(٤) الحجال جمع حجلة وهى الستر . أى ذوات الخدور كناية عن النساء أو جمع حجل بكسر فسكون وهو الخلخال .

(٥) الدر : النفس ، واللبن ، والعمل ، والمراد من نسبة الدر إلى الله بأحد هذه المعانى هو تعظيمه لأن الشيء إذا نسب إلى العظيم كان عظيما .

عنها كشحا ، وطفقت رتئى به بين أن أصول بيد جذاء [١] أو أصبر على طخية عمياء [٢] يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه ، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى ، فصبرت وفى العين قذى ، وفى الحلق شجا ، أرى تراثى نهبا ، حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده ، ثم تمثل بقول الأعشى :

شتان مايومى على كورها ويوم حيان أخى جابر [٣]

فياعجبا بينا هو يستقيلها فى حياته ، اذ عقدها لآخر بعد وفاته ، لشد ماتشطرا ضرعيها فصيراها فى حوزة خشناء يغلظ كلمها ، ويخشن مسها ، ويكثر العثار فيها ، والاعتذار منها ، فصاحبها كراكب الصعبة [٤] ان أشنق لها خرم وأن أسلس لها تقحم

فمنى الناس .لعمر الله بخبط وشماس ، وتلون واعتراض ، فصبرت على طول المدة وشدة المحنة ، حتى إذا مضى لسبيله ، جعلها فى جماعة (٥) زعم أنى أحدهم فيا لله وللشورى ، متى اعترض الريب فى مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر ، لكنى أسففت إذ أسفوا ، وطرت إذ طاروا ، فصغا رجل منهم

---

(١) اليد الجذاء المقطوعة

(٢) الطخية قطعة من الغيم والسحاب

(٣) كان حيان ابن السمين نديما للأعشى وهو فى هذا البيت يشكو تفاوت مابينه وبينه فهو يسير فى الرمضاء على كور ناقته بينا نديمه يقيم فى رفاهة العيش

(٤) الصعبة من النياق التى لم تركب ولم ترض وأشنق الرجل ناقته إذا كفها بالزمام ؛ وخرم أى قطع أنفها .

(٥) هؤلاء الجماعة أهل الشورى هم : على وعثمان وطلحة والزبير وعبدالرحمن ابن عوف .

لضغنه [١] ، ومال الآخر لصهره ، مــــع هن وهن [٢] ، إلى أن قام ثالث القوم ، نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه (٣) ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الابل نبتة الربيع ، إلى أن انتكث فتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته ، فما راعنى إلا والناس كعرف الضبع إلى ، ينثالون على من كل جانب ، حتى لقد وطيء الحسنان ، وشق عطفاى ، مجتمعين حول كربيضة الغنم [٤] ، فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ، ومرقت أخرى ، وقسط آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول :

تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فســـادا والعاقبة للمتقين

بلى والله لقد سمعوها ووعوها ، ولكنهم حلت الدنيـــا فى أعينهم وراقهم زبرجهـا ، أما والذى فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، لولا حضور الحـاضر ، وقيـام الحجة بوجود الناصر ، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم ، لألقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بـــكأس أولهـا ، ولألفيتم دنيا كم هذه عندى من عفطة عنز .

قالوا : وقام إليه رجل من أهل السواد ، عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا فاقبل ينظر فيه ، فقال له ابن عباس رضى الله عنهما ، ياأمير المؤمنين

---

(١) صغا : مال وهذا الذى يرى على رضى الله عنه أنه صغا لضغنه هو طلحة ابن عبيد الله والذى مال لصهره هو عبـد الرحمن بن عوف وكان زوجا لأخت عثمان رضى الله عنه

(٢) هن من الألفاظ التى يكنى بها عن شيء يجب ستره

(٣) نافجا حضنيه أى رافعا لهما ، والحضن ما بين الابط والكشح والنثيل الروث والمعتلف موضع العلف

(٤) ربيضة الغنم القطعة الرابضة منها

لو أطردت خطبتك من حيث أفضيت ! فقال هيهات يا ابن عباس ! تلك شقشقة[1] هدرت ثم قرت ، قال ابن عباس فوالله ما أسفت على كلام قط كأسفى على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد

حول هذه الخطبة

وينكر كثيرون هذه الخطبة لما تشتمل عليه من اتهام للخلفاء الثلاثة رضوان الله عليهم مما لا يصدر مثله عن أمير المؤمنين على رحمه الله مع جلاله وعفته وتسامحه وفرط أدبه وفضله وكرمه

٦ — ومن الحكم لعلى بن أبى طالب :

إيمان المرء يعرف بإيمانه . أدب المرء خير من ذهبه . أداء الدين من الدين . أحسن إلى المسيء تسد . إخوان هذا الزمان جواسيس العيوب . أخوك من واساك بنشب لا من واساك بنسب . بشر نفسك بالظفر بعد الصبر . بركة المال فى أداء الزكاة ، بع الدنيا بالآخرة تربح . بكاء المرء من خشية الله تعالى قرة العين . باكر تسعد . بطن المرء عدوه . بركة العمر حسن العمل . بلاء الإنسان من اللسان . بشاشة الوجه عطية ثانية . توكل على الله يكفيك . تدارك فى آخر العمر ما فاتك فى أوله . تكاسل المرء فى الصلاة من ضعف الايمان . تغافل عن المكروه توقر . ثلمة الدين موت العلماء . ثبات الملك بالعدل . ثواب الآخرة خير من نعيم الدنيا . ثناء الرجل على معطيه مستزيد . جد بما تجد . جولة الباطل ساعة وجولة الحق إلى قيام الساعة . جودة الكلام فى الاختصار . جليس المرء مثله . جليس المرء غنيمة . جالس الفقراء تزد شكرا . جل من لا يموت . حياء المرء ستره . حموضات الطعام خير من حموضات الكلام . خف الله تأمن غيره . خالف نفسك تسترح . خير الأصحاب من يدلك على الخير . خليل المرء دليل عقله . خوف الله يجلو القلب . خلو القلب خير من ملء الكيس . خير المال ما أنفق فى سبيل الله . دليل عقل المرء فعله ودليل علمه قوله . دوام السرور برؤية الاخوان

---

(١) الشقشقة ما يخرجه البعير من فيه إذا هاج .

دولة الأرذال آفة الرجال . دين الرجل حديثه . دولة الملوك فى العدل . دار من جفاك تخجيلا . دم على كظم الغيظ تحمد عواقبك . ذنب واحد كثير وذكر وألف طاعة قليل . ذكر الأولياء ينزل الرحمة . ذليل الخلق عزيز عند الله . ذكر الموت جلاء القلب . ذكر الشباب حسرة . رؤية الحبيب جلاء العين . رفاهية العيش فى الأمن . رسول الموت الولادة . زيارة الحبيب إطراء المحبة . زوايا الدنيا مشحونة بالرزايا . زيارة الضعفاء من التواضع . زينة الباطن خير من زينة الظاهر . سيرة المرء تنبي عن سريرته . سمو المرء التواضع . شين العلم الصلف . شمروا فى طلب الجنة . شيبك ناعيك . شحيح غنى أفقر من فقير سخى صدق المرء نجاته . صحة البدن فى الصوم . الصبر يورث الظفر . صلاة الليل بهاء النهار . صلاح الانسان فى حفظ اللسان . صاحب الأخيار تأمن الأشرار . صمت الجاهل ستره . صلاح الدين فى الورع وفساده فى الطمع . ضل سعى من رجا غير الله تعالى . ضرب الحبيب أوجع . ضل من ركن إلى الأشرار . طاب من وثق بالله . طلب الأدب أولى من طلب الذهب . ظلم المرء يصرعه ظلامة المظلوم لاتضيع . ظمأ المال أشد من ظمأ الماء . ظل عمر الظالم قصير وظل عمر الكريم فسيح . عش قنعاً تكن ملكا . عيب الكلام تطويله . عاقبة الظالم وخيمة . غدرك من دلك على الاساءة . فاز من ظفر بالدين . فخر المرء بفضله أولى من فخره بأصله . فاز من سلم من شر نفسه . فسدت نعمة من كفرها . قبول الحق من الدين . كلام الله دواء القلب . كفران النعمة مزيلها . كفى بالشيب داء . كمال العلم فى الحلم . لين الكلام قيد القلوب . من كثر كلامه كثر ملامه . مجلس العلم روضة من رياض الجنة . مصاحبة الأشرار ركوب البحر . نسيان الموت صدأ القلب . نم آمنا تكن فى أمهد الفرش . نضرة الوجه فى الصدق . ولاية الأحمق سريعة الزوال وحدة المرء خير من جليس السوء . هم السعيد آخرته وهم الشقى دنياه . هلاك المرء فى العجب . هربك من نفسك أنفع من هربك من الأسد . لادين لمن لا مروءة له . لا فقر للعاقل . يعمل النمام فى ساعة فتنة أشهر . يسود المرء قومه بالاحسان إليهم

٧ — ومن روائع الحكم ودرر الكلم من كلام على بن ابي طالب

الدين يعصم . الدنيا تسلم ، الصيانة رأس المروءة . الحق سيف قاطع . العجب عنوان الحماقة . البشاشة حبل المودة . الارتقاء إلى الفضائل صعب . الانحطاط إلى الرذائل سهل . السكوت عن الأحمق جوابه . إمام عادل خير من مطر وابل . المحسن حي وإن نقل إلى منازل الاموات . العاقل إذا سكت فكر وإذا نطق ذكر وإذا نظر اعتبر . الداعي بلا عمل كالقوس بلا وتر إعجاب الرجل بنفسه عنوان ضعف عقله ، أحسن الجود عفو بعد مقدرة ، بركوب الاهوال تكسب الاموال ، بالسخاء يستر العيوب ، تكلموا تعرفوا فان المرء مخبوء تحت لسانه ، ثوب التقى أشرف الملابس ، ثوب الآخرة ينسي مشقة الدنيا ، ثروة العاقل فى علمه وثروة الجاهل فى ماله ، ثلاث يوجبن المحبة الدين والتواضع والسخاء . جهاد النفس أفضل الجهاد . حسن الأدب يستر قبح النسب . حلاوه الظفر تمحو مرارة الصبر . حد اللسان يقطع الأوصال . خير الثناء ماجرى على ألسنة الأخيار . دوام الفتن من أعظم المحن رب سكون أبلغ من كلام . زلة العالم كانكسار السفينة تغرق وتغرق معها غيرها . زخارف الدنيا تفسد العقول الضعيفة . سلاح اللئام قبح الكلام . سمع الأذن لاينفع مع غفلة القلب . شر الناس من لايبالى أن يراه الناس مسيئاً شيئآن لا يعرف فضلهما إلا من فقدهما الشباب والعافية صمتلك حتى تستنطق أجمل من نطقك حتى تسكت . صوم النفس عن لذات الدنيا أفضل الصيام . صدر العاقل صندوق سره . ضع فخرك واحطط كبرك وكما تزرع تحصد وكما تدين تدان . ضعف البصر لا يضر مع استنارة البصيرة . طوبى لمن غلب نفسه ولم تغلبه ومن ملك هواه ولم يملكه . طلب الثناء بغير استحقاق خرق . ظن العاقل أصح من يقين الجاهل . ظرف الرجل تنزهه عن المحارم ومبادرته إلى المكارم . عليك بالآخرة تأتك الدنيا صاغرة . عند الامتحان يكرم المرء أو يهان . عجيب لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء . عجيب لمن يجهل نفسه كيف يعرف ربه . عبد الشهوة أذل من عبد الرق . عبد المطامع أسير لا يفك أسره . عاشر أهل الفضائل تنبل . عداوة الأقارب أمس من لسع العقارب . غاية المعرفة أن يعرف المرء نفسه . غنى المؤمن بالله . غنى العاقل فى حكمته . غنى الجاهل فى قنيته . فى الذكر حياة القلوب . فى رضا الله نيل المطلوب فى الدنيا عمل ولا حساب وفى الآخرة

الحساب ولا عمل . فى الاستشارة عين الهداية . فقد البصر أهون من فقد البصيرة . قد يبعد القريب . قد يلين الصليب . قلة الأكل تمنع كثيرا من أعلال الجسم . قل الحق وإن كان عليك . قليل الحق يدفع كثير الباطل كما أن قليل النار يحرق كثير الحطب . كل طير يأوى إلى شكله ، كل شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه ، كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا العلم فانه يتسع ، كم يفتح بالصبر من غلق . كيف ينجو من الله هارب . كيف يسلم من الموت طالبه ، كن عالما ناطقا أو مستمعا واعيا ، كلام الرجل ميزان عقله ، كلما قاربت أجلا فأحسن عملا ، وليس من عاده الكرام تأخير الانعام ، للشدائد تذخر الرجال ، من توقر وقر ، ومن تكبر حقر ، من استشار العاقل ملك ، من استبد برأيه هلك ، ماحقر نفسه إلا عاقل . ما أعجب برأيه إلا جاهل ، نعم الادام الجوع ، هدى من أطاع ربه ، وخاف ذنبه ، هلك أمرؤ لا يعرف قدره ، هانت عليه نفسه من أمر عليه لسانه ، وقروا كباركم توفركم صغاركم ، وقار الشيب أجمل من نضارة الشباب ، لا تثقن بعهد من لا دين له ، لا تعدما تعجز عن الوفاء به ، لا تثق بمن يذيع سرك ، لا يسترقك الطمع فقد جعلك الله حرا . يستدل على الكريم بحسن بشره وبذل خيره يستدل على إدبار الدول بأربع : تضييع الأصول والتمسك بالفروع وتقديم الأرذال وتأخير الأفاضل ، يبلغ الصادق بصدقه مالا يبلغه الكاذب باحتياله

٨ — وعن على بن أبي رافع ، قال: كنت على بيت مال على بن أبي طالب وكاتبه ، فكان فى بيت ماله عقد لؤلؤ كان أصابه يوم البصرة فأرسلت إلى بنت على بن أبي طالب فقالت لى : إنه قد بلغنى أن فى بيت مال أمير المؤمنين عقد لؤلؤ ، وهو فى يدك وأنا أحب أن تعيرنيه أتجمل به فى يوم الأضحى ، فأرسلت إليها : عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام يابنت أمير المؤمنين ، فقالت : نعم عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام فدفعته إليها وإذا أمير المؤمنين رآه عليها فعرفه . فقال لها : من أين جاء إليك هذا العقد ، فقالت : استعرته من ابى رافع خازن بيت مال أمير المؤمنين لأتزين به فى العيد ثم أرده ، فبعث إلى .

أمير المؤمنين لجنته فقال لى : أتخون المسلمين يا ابن أبى رافع ، فقلت معاذ الله أن أخون المسلمين ، فقال : كيف أعرت بنت أمير المؤمنين العقد الذى فى بيت مال المسلمين بغير إذنى ورضاهم ، فقلت : يا أمير المؤمنين إنها بنتك وسألتنى أن أعيرها تتزين به ، فأعرتها إياه عارية مضمونة مردودة على أن ترده سالما إلى موضعه . فقال : رده من يومك وإياك أن تعود إلى مثله فتنالك عقوبتى إلى مثله ثم قال ويل لابنتى لو كانت أخذت العقد على غير عارية مردودة مضمونة لكانت إذن هاشمية قطعت يدها فى سرقة . فبلغت مقالته ابنته فقالت له يا أمير المؤمنين أنا ابنتك وبضعة منك فمن أحق بلبسه منى فقال لها : يابنت ابن أبى طالب لا تذهبى بنفسك عن الحق أكل نساء المهاجرين والانصار يتزين فى مثل هذا العيد بمثل هذا فقبضته منها ورددته إلى موضعه .

ووصف على رضى الله عنه الدنيا وقد سئل ذلك ، فقال .

وما أصف لك من دار أولها عناء وأخرها فناء ، من صح فيها أمن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فتن ، حلالها حساب وحرامها عذاب (١)

وراجع وصف على رضى الله عنه لرسول الله (٢)

وراجع وصف ضرار الصدائى لعلى رضى الله وقد طلب منه ذلك معاوية (٣)

ووصف الحسن البصرى لعلى بن ابى طالب (٤)

وجواب على رضى الله عنه لمن سأله عن الأيمان (٥)

وصيغة صلاته على النبى صلى الله عليه وكان يعلمها أصحابه (٦)

وقد سبق ذكر كثير من آثاره فى نماذج الخطابة والنثر الفنى

---

(١) ٢/١٢٦ الأمالى
(٢) ٢/٦٩ الأمالى
(٣) ٢/١٤٧ الأمالى
(٤) ١٧٠ و ١٩٤ النوادر ـ الأمالى
(٥) ١٧١ النوادر
(٦) ١٧٣ النوادر

الامام علي والشعر

وينسب لأمير المؤمنين علي رضي الله ديوان شعر كبير، وهو مطبوع متداول، ونسب إليه ابن رشيق شعراً في الجزء الاول من العمدة .

والحق أن أكثر ما ينسب لعلي من الشعر منتحل، لأنه لم يفرغ للشعر ولم يؤثر عنه إلا القليل منه .

وليس بمعقول أن يكف لبيد عن الشعر ويخوض فيه مثل الأمام علي كرم الله إلى هذا الحد الذي يصوره لنا الديوان المنسوب إليه .

هذا وأكثر ماينسب لعلي تصح نسبته لغيره ولاداعي للأفاضة في ذلك كله، وان كان جل شعره في الزهد والحكمة والموعظة، ومما نسب إليه قصيدة طويلة سموها القصيدة الزينبيه ومطلعها :

صرمت حبالك بعد وصلك زينب ... والدهر فيه تصرم وتقلب

ومما نسب اليه قوله يرثى النبي صلى الله عليه وسلم :

أمن بعد تكفيني النبي ودفنه ... باثوابه آسى على هالك ثوى
رزئنا رسول الله فينا فلن نرى ... بذاك عديلا ماحيينا من الورى
لقد غشيتنا ظلمة بعد موته ... نهارا فقد زادت على ظلمة الدجى
وكنا برؤياه نرى النور والهدى ... صباحا مساء راح فينا أو اغتدى
فيا خير من ضم الجوانح والحشا ... ويا خير ميت ضمه الترب والثرى
كان أمور الناس بعدك ضمنت ... سفينة نوح حين في البحر قد سما
وضاق فضاء الارض عنهم برحبه ... لفقد رسول الله إذ قيل قد مضى
فقد نزلت بالمسلمين مصيبة ... كصدع الصفا لاشعب للصدع في الصفا
فلن يستقل الناس تلك مصيبة ... ولن يجبر العظم الذى منهم وهى
وفي كل وقت للصلاة يهيجها ... بلال ويدعو باسمه كلما دعا
ويطلب أقوام مواريث هالك ... وفينا موازيث النبوة والهدى

وقوله :

لقد خاب من غرته دنيا دنية ... وما هى ان غرت قرونا بطائل
وقلت لها غرى سواى فاننى ... عزوف عن الدنيا ولست بجاهل
وما أنا والدنيا فان محمداً ... رهين بقفر بين تلك الجنادل
وهبها أتتنا بالكنوز ودرها ... وأموال قارون وملك القبائل
أليس جميعا للفناء مصيرها ... وتطلب من خزانها بالطوائل
فغرى سواى اننى غير راغب ... لما فيك من عز وملك ونائل
وقد قنعت نفسى بما قد رزقته ... فشأنك يادنيا وأهل الغوائل
فانى أخاف الله يوم لقائه ... واخشى عقابا دائما غير زائل

عمر بن الخطاب

نسبه وأسرته ونشأته :

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عدى بن كعب بن لؤى . وأمه بنت هاشم بن المغيرة من بنى مخزوم .

ولد لثلاث عشرة سنة مضت من ميلاد الرسول صلوات الله عليه — عام ٥٨٤ —

ونشأ فى مكة شجاعا أبيا بطلا صريحاً لا يرى فيما يعتقد أنه الحق هوادة ولا مجاملة ، وكان يسفر بين قريش وقبائل العرب .

ثم بعث الرسول صلوات الله وسنه ٢٧ سنة ، وحارب الاسلام حربا شديدة ثم أسلم وأعلن إسلامه فى العام السادس من البعثة وهاجر بعد الرسول صلوات الله عليه فى غير خيفة أو خفية . وحضر مع الرسول صلى الله عليه غزواته كلها . وكان يستمع لمشورته ورأيه ، وكان هو وأبو بكر بمنزلة الوزيرين لرسول الله . وقد صاهره الرسول فتزوج بنته حفصة ، ولما مات الرسول كان لعمر الفضل فى إعلان البيعة لأبى بكر ، فكان لأبى بكر بمنزلة الوزير الأول يشير عليه ويعينه ، وكان أبو بكر يحيل عليه الفصل فى القضايا والمشكلات .

خلافته :

وتوفى أبو بكر عام ١٣ ﻫ ، وكان قدعهد بالأمر بعده إلى عمر ، وكان بدء خلافته يوم الثلاثاء ٢٢ جمادى الثانية عام ١٣ ﻫ = ٢٣ أغسطس ٦٣٤ م .

وفى عهده زادت الفتوحات الاسلامية ، وانتشرت الدعوة الاسلاميه فى الشرق والغرب ، وانتصر المسلمون على فارس والروم انتصارات ساحقة . ومصرت الكوفة والبصرة ودونت الدواوين .

وكان مثلا أعلى فى العدالة والديمقراطية والتفانى فى إعزاز كلمة الاسلام

ورفع شأن المسلمين ، وكان مثالا للرحمة والبر والعطف على الرعية والصرامة في الحق والجد في نشر الاسلام .

وقتل عليه رضوان الله عام ٢٣ هـ

بلاغة عمر :

كان عمر أديبا يتذوق الأدب وينقد الشعر ، ويروى المأثور من بلاغة الجاهليين .

وكانت له آراء دقيقة في نقد الشعر ، كما كانت له مواقف كريمة في رعاية الشعراء وتوجيههم وتشجيعهم .

وله بعض المأثور من الشعر مما سجل صاحب العمدة وسواه آثاراً منه .

وله كثير من الخطب والرسائل والوصايا والنصائح ، والكلمات الحكيمة والأمثال الذائعة والآراء الحصيفة .

وكان رحمه الله خطيبا بليغا ومفوها مؤثرا ، قوى الحجة شديد العارضة رائع الأسلوب والديباجة تنبع معانيه من ينابيع الحكمة والنبوة ، وتتنوع موضوعات خطابته بحسب المقامات والأحوال .

وقد مر بك الكثير من نماذج نثره في الخطب والوصايا والنصائح والحكم .

وهاك آثارا قليلة أخرى لهذا العبقري العظيم :

* * *

من خطبة له لما بلغه أن قوما يفضلونه على أبي بكر الصديق رحمه الله، فوثب مغضباً حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم قال:

أيها الناس: إني سأخبركم عني وعن أبي بكر: إنه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب، ومنعت شاتها وبعيرها [1]، فأجمع رأينا كلنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن قلنا له: ياخليفة رسول الله، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقاتل العرب بالوحي والملائكة، يمده الله بهم وقد انقطع ذلك اليوم فالزم بيتك ومسجدك، فانه لاطاقة لك بقتال العرب، فقال أبو بكر الصديق أوكلكم رأيه على هذا؟ فقلنا نعم، فقال والله لأن أخر [2] من السماء، فتخطفني الطير أحب إلي من أن يكون هذا رأيي. ثم صعد المنبر، فحمد الله وكبره، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم أقبل على الناس، فقال: ايها من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فان الله حي لايموت. أيها الناس: أئن كثر أعداؤكم، وقل عددكم ركب الشيطان منكم هذا المركب؟ !! والله ليظهرن الله هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون. قوله الحق، ووعده الصدق. بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه [3] فاذا هو زاهق [4] وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بأذن الله والله مع الصابرين، والله يأيها الناس لوأفردت من جميعكم لجاهدتهم في الله حق جهاده حتى أبلي بنفسي عذراً [5] أو أقتل قتلا. والله أيها الناس

(١) أي منعت زكاتها.

(٢) أسقط.

(٣) دمغه: أصاب دماغه.

(٤) زهق الشيء: هلك، والباطل: اضمحل.

(٥) يقال أبلاه عذراً: قدمه إليه فقبله. والمعنى هنا فعل مايعذر معه أي لم يقصر

لو منعونى عقالا لجاهدتهم(١) عليه، واستعنت الله عليهم وهو خير معين(٢)؛ ثم نزل: فجاهد فى الله حق جهاده حتى أذعنت العرب بالحق.

***

وقد سبق لعمر كثير من الآثار فى نماذج النثر الفنى والخطابة(٣)

---

(١) عقال: زكاة عام من الابل والغنم وقيل العقال الحبل الذى تعقل به الفريضة فكأن يعطى معها.

(٢) وقد تقدمت هذه الخطبة لأبى بكر فى صفحة ١٢١

(٣) راجع ص ٧٢ و٧٦ و٨٠ و٨٥ و١٠٩ و١١٠ من هذا الكتاب

بعض مواقف عمر من الشعراء

١ – عمر وأبو كلاب بن أمية *

عن عروة بن الزبير قال: هاجر كلاب بن الأسكر إلى المدينة فى خلافة عمر ابن الخطاب، فأقام بها مدة، ثم لقى ذات يوم طلحة بن عبد الله، والزبير بن العوام فسألهما: أى الأعمال أفضل فى الاسلام؟ فقالا: الجهاد. فسأل عمر فاغزاه فى جيش، وكان أبوه قد كبر وضعف، وخرج معه أخ له آخر، فانبعث أمية يقول:

يا أم هيثم ماذا قلت؟ أبلانى — ريب المنون وهذان الجديدان (١)
إما ترى حجرى قد رك(٢) جانبه — فقد يسرك صلبا غير كذان (٣)
إما ترينى لا أمضى إلى سفر — إلا معى واحد منكم أو اثنان
يا ابنى أمية، إنى عنكما غانى — وما الغنى غير أنى مرعش فانى
يا ابنى أمية، إلا تشهدا كبرى — فان نايكما والثكل مثلان
إذ يحمل الفرس الأحوى(٤) ثلاثتنا — وإذ فراقكما والموت سيان
أصبحت هزءا لراعى الضأن أعجبه — ماذا يريبك منى راعى الضان؟
انعق بضانك فى نجم (٥) تحفره — من الأباطح واحبسها بجمدان (٦)
إن ترع ضاناً فانى قد رعيتهم — بيض الوجوه بنى عمى وإخوانى

فلما طالت غيبة كلاب ع.ه قال:

لمن شيخان قد نشدا كلابا — كتاب الله إن رقب الكتابا

---

* المحاسن والمساوى ص ٥٨٨ طبع ليبزج، ذيل الأمالى ص ١٠٨،
(١) الجديدان: الليل والنهار (٢) رك. ضعف (٣) الكذان: الرخو
(٤) الأحوى: الأسود (٥) النجم: ما نجم من النبات على غير ساق (٦) جمدان جبل بطريق مكة وواد.

تنفض مهده شفقا عليه ... وتجنبه أباعرنا [١] الصعابا
إذا هتفت حمامة بطن واد ... على بيضاتها دعوا كلابا
تركت أباك مرعشة يداه ... وأمك ما تسيغ لها شرابا
أناديه وولانى قفاه ... فلا وأبى كلاب ما أصابا
فان مهاجرين تكنفاه ... ليترك شيخه ؛ خطئا وخابا
وإن أباك حين تركت شيخ ... يطارد أينقا شسبا [٢] طرابا
إذا بلغ الرسيم [٣] فكان شدا [٤] ... يخر ، فخالط الذقن الترابا

فبلغت أبياته عمر فلم يرد كلابا ، فاهتز أمية واختلط [٥] جزعا عليه ، وتغنت الركبان بشعر أبيه فبلغه ، فأنشأ يقول .

لعمرك ما تركت أبا كلاب ... كبير السن مكتئبا مصابا
وأما لا يزال لها حنين ... تنادى بعد رقدتها كلابا
لكسب المال أو طلب المعالى ... ولكنى رجوت به الثوابا

ثم أتاه يوما وهو فى مسجد الرسول ، وحوله المهاجرون والأنصار ، فوقف عليه ثم أنشأ يقول :

أعاذل قد عذلت بغير علم ... ولا تدرين عاذل ما ألاقى
فاما كنت عاذلتى فردى ... كلابا إذ توجه العراق
ولم أقض اللبانة من كلاب ... غداة غد وأذن بالفراق
فلا والله ما باليت وجدى ... ولا شفقى عليك ولا اشتياقى

---

(١) جمع بعير .
(٢) الشسب : جمع شاسب وهو النحيف اليابس ضمراً .
(٣) الرسيم : سير الأبل
(٤) الشد . الحضر والعدو ... (٥) فسد عقله

سأستعدى على الفاروق ربا له حج الحجيج على اتساق
وأدعو الله مجتهداً عليه ببطن الأخشبين[١] إلى دفاق[٢]

فلما أنشدها عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص أن رحل كلاباً، فرحله.

فلما قدم دخل إليه فقال: ما بلغ من برك بأبيك؟ قال: كنت أبره وأكفيه أمره، وكنت أعتمد — إذا أردت أن أحلب لبناً — أغزر ناقة فى إبلة وأسمنها فأسقيه.

فبعث عمر إلى أميه من جاء به إليه. فأدخله يتهادى، وقد ضعف بصره وانحنى فقال له: كيف أنت يا أبا كلاب؟ قال: كما ترانى يا أمير المؤمنين. قال: فهل لك من حاجة؟ قال: نعم: أشتهى أن أرى كلاباً، فأشمه شمة، وأضمه ضمة قبل أن أموت. فبكى عمر ثم قال: ستبلغ من هذا ما تحب إن شاء الله تعالى.

ثم أمر كلاباً أن يحتلب لأبيه ناقة كما كان يفعل، ويبعث إليه بلبنها. ففعل؛ فناوله عمر الإناء وقال: دونك هذا يا أبا كلاب. فلما أخذه وأدناه إلى فمه، قال: نعم والله يا أمير المؤمنين، إنى لأشم رائحة كلاب من هذا الاناء. فبكى عمر وقال: هذا كلاب عندك حاضراً قد جئناك به. فوثب إلى ابنه وضمه إليه وقبله وجعل عمر يبكى ومن حضره وقال لكلاب ألزم أباك فجاهد فيهما ما بقيا

٢ — عمر وأبو محجن الثقفى *:

كان أبو محجن[٣] الثقفى من المعاقرين للخمر، المحدودين فى شربها، أقام

---

(١) الأخشبان، جبلا مكة، أبو قبيس والأحمر، وجبلا منى

(٢) دفاق، موضع أو واد.

* المهذب ص ٤٨ ج ٢، الخزانة ص ٥٥٣ ج ٣، الأغانى ص ١٣٨ ج ٢٠ الكامل لابن الاثير ص ٢٣٢ ج ٢، المسعودى ص ٤٢٣ ج ١

(٣) أبو محجن اسمه وكنيته على المشهور، أسلم سنة ٩ هـ، وسمع من النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه، وكان جوادا كريما من الفرسان المشهورين فى الجاهلية والإسلام مات سنة ٣٠ هـ

عليه عمر بن الخطاب الحد مراراً، وهو لا ينتهي، فنفاه إلى جزيرة في البحر، وبعث معه حرسيا (١) فهرب منه ولحق بسعد بن أبي وقاص، وهو في حربه مع الفرس — وكانت حرب القادسية.

ولما بلغ عمر كتب إلى سعد بحبسه، فحبسه في القصر، وتطلع أبو محجن إلى الحرب، فرآها مشتعلة، فذهب إلى سلمى بنت أبي حفص زوج سعد، فقال لها: هل لك في خير؟ قالت: وماذاك! قال تخلين عني وتعيرينني البلقاء (٢)، فلله علي إن سلمني الله أن أرجع إليك حتى تضعي رجلي في قيدي، فقالت. وما أنا وذاك فرجع يرسف في قيوده، ويقول:

كفى حزناً أن تردى الخيل بالقنا ... وأترك مشدودا على وثاقيا
إذا قمت عناني الحديد وغلقت ... مصاريع من دوني تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير واخوة ... فقد تركوني واحداً لا أخاليا
وقد شف جسمي أنني كل شارق (٣) ... أعالج كبلا (٤) مصتما قد برانيا
فلله درى يوم أترك مؤثقا ... وتذهل عني أسرتي ورجاليا
حبيسا عن الحرب العوان وقد بدت ... وإعمال غيري يوم ذاك العواليا
ولله عهد لا أخيس (٥) بعهده ... لئن فرجت ألا أزور الحوانيا (٦)

فقالت سلمى. إني استخرت الله ورضيت بعهدك واطلقته:

فاقتاد أبو محجن الفرس؛ وأخرجها ثم ركبها، ودب عليها، وفي ذلك اليوم أظهر من شجاعته عجباً. ولما تحاجز أهل العسكرين أقبل أبو محجن حتى دخل القصر، ووضع نفسه عن دابته، وأعاد رجليه في القيد وقال.

لقد علمت ثقيف غير فخر ... بأنا نحن أكرمهم سيوفا

---

(١) الحرسي. واحد حرس السلطان.
(٢) البلقاء، فرس سعد بن أبي وقاس.
(٣) أصل الشارق: اليوم الذي فيه الشمس، والمراد كل يوم.
(٤) الكبل القيد (٥) خاس بالعهد. غدر ونكث
(٦) الحانية. الدكان

وأ كثرهم دروعا سابغات ... وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفا
فان احبس فقد عرفوا بلائى ... وإن أطلق أجرعهم حتوفا

فقالت له سلمى : يا أبا محجن ، فى أى شيء حبسك هـذا الرجل ؟ فقال : أما والله ماحبسنى بحرام أكلته ولا شربته ، ولكنى كنت صاحب شراب فى الجاهلية وأنا امرؤ شاعر ، يدب الشعر على لسانى ، فينفثه أحيانا ، فحبسنى لأنى قلت :

إذا مت فادفنى إلى أصل كرمة ... تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى بالفـلاة [١] فاننى ... أخاف إذا مامت أن لا أذوقها

فذهبت إلى سعد وأخبرته خبر أبى محجن ، فدعا به وأطلقه ، وقال . اذهب فما أنا مؤاخـذك بشيء تقوله حتى تفعله ، فقال . والله لا أجبت لسانى إلى قبيح أبداً

٣ — عمرو الحطيئة والزبرقان بن بدر *

قدم الزبرقان على عمر فى سنة مجدبة ، ليؤدى صدقات قومه ، فلقيه الحطيئة بقرقرى [٢] ، ومعه ابناه أوس وسوادة وبناته وامرأته ، فقال له الزبرقان — وقد عرفه ولم يعرفه الحطيئة : أين تريد ؟ قال : العراق ، فقد حطمتنا هـذه السنة ، قال : وتصنع ماذا ؟ قال : وددت أن أصادف بها رجلا يكفينى مئونة عيالى ، وأصفيه مدحى أبدا .

فقال له الزبرقان : قد أصبته ، فهل لك فيه يوسعك لبنا وتمرا ، ويجاورك أحسن جوار وأكرمه ؟ فقال الحطيئة : هذا وأبيك العيش ، وما كنت أرجو هذا كله ، قال فقد أصبته ، قال : عند من ؟ قال : عندى ؛ قال ومن انت ؟ قال . الزبرقان بن بدر . قال . وأين محلك ؟ قال : اركب هذه الابل ، واستقبل مطلع الشمس ، وسل عن القمر [٣] حتى تأتى منزلى .

---

(١) الفلاة . الأرض المهلكة .

* الأغانى ص ١٨٠ ج ٢ ، نهاية الأرب ص ٢٩٧ ج ٣ ، ذيل زهر الآداب ص ٢٢٧ ، ابن أبى الحديد ص ١٠٣ ج ٣ ، الكامل ص ٣٤٨ و ٣٥٤ ج ١

(٢) قرقرى : أرض باليمامة فيها قرى وزورع كثيرة ونخيل .

(٣) الزبرقان . البدر ، وسمى به الحصين بن بدر لحسنه ، وكان رسول الله قد استعمل الزبرقان على صدقات قومه وأقره أبو بكر ، توفى أيام معاوية سنة ٤٥ هـ وكان فصيحاً شاعرا .

ثم كتب إلى أمه ، وكان اسمها أم شذرة : أن أحسنى إليه وأكثرى له من التمر واللبن . وكان الحطيئة دميما سيء الخلق ، لا تأخذه العين ، ومعه عيال كذلك ، فلما رأت أم شذرة حاله هان عليها ، وقصرت [1] به .

ونظر بغيض [2] وبنو أنف الناقة إلى ما تصنع به أم شذرة ، فأرسلوا إليه : أن ائتنا ، فأبى عليهم وقال : إن من شأن النساء التقصير والغفلة ، ولست بالذى أحمل على صاحبها ذنبها ، فلما ألح عليه بنو أنف الناقة قال لهم : لست بحامل على الرجل ذنب غيره ، فان تركت وجفيت تحولت اليكم ، فأطمعوه ووعدوه وعداً عظيما .

فلما لم يجبهم دسوا إلى هنيدة زوجة الزبرقان : أن الزبرقان إنما يريد أن يتزوج ابنته مليكة — وكانت جميلة كاملة — فظهرت من المرأة للحطيئة جفوة ، وهى فى ذلك تداريه ، ثم أرادوا النجعة [3] ، فقالت له أم شذرة : قد حضرت النجعة ، فاركب أنت وأهلك هذا الظهر إلى مكان كذا وكذا ، ثم رده إلينا حتى نلحقك ، فانه لا يسعنا جميعا ، فأرسل إليها : بل تقدمى أنت . فأنت أحق بذلك ، ففعلت .

وتثاقلت عن رده إليه ، وتركته يومين أو ثلاثة ، وألح بنو أنف الناقة عليه ، وقالوا له : قد تركت بمضيعة ، فلما ألحوا عليه أجابهم ، فقال : أما الآن فنعم ! أنا صائر معكم ، وتحمل معهم . فضربوا له قبة ، وربطوا بكل طنب من أطنابها جلة [4] هجرية ، وأراحوا [5] عليهم إبلهم ، وأكثروا له من التمر واللبن ، وأعطوه لقاحا [6] وكسوة .

---

(١) قصرت به . لم تكرمه ولم تبلغ ما يرضيه .

(٢) كانت بغيض وأنف الناقة ينازعون الزبرقان الشرف، وكانوا أشرف من الزبرقان إلا أنه قد كان استعلاهم بنفسه .

(٣) النجعة : طلب الكلأ فى موضعه .

(٤) الجلة : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر يكنز فيه .

(٥) إراحة الابل : ردها فى العشى .

(٦) اللقاح : جمع لقوح وهى الناقة الحلوب .

فلما قدم الزبرقان سأل عنه ، فأخبر بقصته ، فركب فرسه ، وأخذ رمحه ، وسار حتى وقف على نادى القريعيين ، فقال : ردوا على جارى ! فقالوا : ما هو لك بجار ، وقد اطرحته وضيعته ، فألم (١) أن يكون بين الحيين حرب ؛ فحضرهم أهل الحجا من قومهم ، ولاموا بغيضا وقالوا : أردد على الرجل جاره ، فقال : لست مخرجه وقد آويته ، وهو رجل حر مالك لأمره ، فخيروه ، فان اختارنى لم أخرجه ، وإن اختاره لم أكرهه .

فخيروا الحطيئة فاختار بغيضا ورهطه ، فجاء الزبرقان ووقف عليه ، وقال له : أبا مليكة ، أفارقت جوارى عن سخط وذم ؟ قال . لا ، فانصرف وتركه .

وجعل الحطيئة يمدح القريعيين من غير أن يهجو الزبرقان ، وهم يحضونه على ذلك ويحرضونه فيأبى ويقول . لا ذنب للرجل عندى ، حتى أرسل الزبرقان إلى رجل من النمر بن قاسط فهجا بغيضا ، فقال .

أرى إبلى بجوف الماء حلت ... وأعوزها به الماء الرواء (٢)
وقد وردت مياه بنى قريع ... فما وصلوا القرابة مذ أساءوا
تحلا (٣) يوم ورد الناس إبلى ... وتصدر وهى محنقة (٤) ظماء
ألم أك جار شماس بن لأى ... فأسلمنى وقد نزل البلاء
فقلت . تحولى يا أم بكر ... إلى حيث المكارم والعلاء
وجدنا بيت بهدلة بن عوف ... تعالى سمكه ودحا الفناء (٥)
وما أضحى لشماس بن لأى ... قديم فى الفعال(٦) ولا رباء (٧)
سوى أن الحطيئة قال قولا ... فهذا من مقالته جزاء

---

(١) ألم . قرب (٢) الرواء . الكثير .
(٣) تحلأ . تمنع (٤) محنقة . ضامرة
(٥) دحا الفناء . عظم واتسع
(٦) الفعال . اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه
(٧) الرباء . الطول والمنة والفضل

فحينئذ قال الحطيئة يهجو الزبرقان ، ويناضل عن بغيض قصيدته التي يقول فيها :

والله مامعشر لاموا امرءا جنبا [١] | فى آل لأى بن شماس بأكياس [٢]
ماكان ذنب بغيض ، لا أبالكم ، | فى بائس جاء يحدو آخر الناس
لقد مريتكم (٣) لو أن درتكم [٤] | يوما يجىء بها مسحى وإبساسى [٥]
وقد مدحتكم عمدا لأرشدكم | كيما يكون لكم متحى [٦] وإمراسى [٧]
لما بدالى منكم عيب أنفسكم | ولم يكن لجراحى فيكم آسى
أزمعت يأسا مبينا من نوالكم | ولن ترى طارداً للحر كاليأس
ماكان ذنب بغيض أن رأى رجلا | ذا فاقة حل فى مستوعر شاسى [٨]
جاراً لقوم أطالوا هون منزله | وغادروه مقيما بين أرماس [٩]
ملوا قراه وهرته [١٠] كلابهم | وجرحوه بأنياب وأضراس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها | واقعد فانك أنت الطاعم [١١] الكاسى
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه | لا يذهب العرف بين الله والناس

---

(١) الجنب : القريب

(٢) جمع كيس : اللبيب الفطن والمراد بالمعشر الزبرقان ورهطه

(٣) مرى الناقة يمريها : مسح ضرعها ، والمراد مداراتهم ومدحهم ليدروا عليه بالعطاء

(٤) الدرة اللبن

(٥) الإبساس : أن تدعو الناقه باسمها وتلاطفها لتدر

(٦) المتح : أن يقف الرجل فوق البئر ليجذب الدلو

(٧) الامراس : وضع حبل البئر فى البكرة بعد أن انزلق منها

(٨) المستوعر : المكان الوعر ، والشاسى : المكان الغليظ المرتفع

(٩) الرمس : القبر وجمعه أرماس ، والهون : المذلة : أى تركوه كالميت

(١٠) هرته الكلاب : نبحته . وهو كناية عن أن كان غريبا مضطهدا بينهم

(١١) الطاعم . المطعوم . والكاسى . المكسو

ما كان ذنبي أن فلت معاولكم من آل لاى صفاة [١] أصلها راسى
قد ناضلوك فسلوا من كنائنهم مجدا تليدا ونبلا غير أنكاس [٢]

فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب ، فرفعه عمر اليه واستنشده فأنشده ، فقال عمر . ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة ، فقال الزبرقان : أو ما تبلغ مروءتى إلا أن آكل وألبس ، فقال عمر . على بحسان ، فجيء به ، فسأله ؛ فقال . أتراه هجاه ؟ قال . نعم وسلح عليه ! فحبسه عمر ، فقال فى الحبس .

أعوذ بجدك إنى امرؤ سقتنى الأعادى اليك السجالا [٣]
فانك خير من الزبرقان أشد نكالا وأرجى نوالا
تحنن على هداك المليك فان لكل مقام مقالا
ولا تأخذنى بقول الوشاة فان لكل زمان رجالا
فان كان ما زعموا صادقا فسيقت اليك نسائى رجالا [٤]
حواسر لى يشتكين الوجا [٥] يخفضن آلا (٦) ويرفعن آلا

فلم يلتفت عمر اليه ، حتى قال .

ماذا تقول لأفراخ بذى (٧) مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الإمام الذى من بعد صاحبه ألقت إليك مقاليد النهى البشر
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر [٨]

---

(١) الصفاة . الحجر الصلد الضخم لا ينبت (٢) أنكاس . جمع نكس ، وهو أضعف السهام ، ومعنى البيت . أن العرب كانوا إذا أسروا أسيرا خيروه بين التخلية ، وجز الناصية والأسر ، فان اختار جز الناصية جزوها له ، وخلوا سبيله ، ثم جعلوا ذلك الشعر فى كنائنهم ، فاذا افتخروا أخرجوه وأروهم مفاخرهم (٣) السجال . جمع سجل وهو الدلو العظيمة مملوءة (٤) جمع رجلة ، أى راجلة (٥) الوجا . الحفا وقيل شدته (٦) الآل . عمد الخيمة (٧) ذو مرخ . واد بالحجاز (٨) الأثر ، واحدها أثرة ، ومعناها الاستئثار والمكرمة

فامنن على صبية بالرمل مسكنهم   بين الأباطح تغشاهم بهـا القرر(١)
أهلى فداؤك كم بينى وبينهم   من عرض داوية(٢) يعمى بها البصر

فبكى عمر حين قال : « ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ » ؛ فقال عمرو بن العاص ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء، أعدل من رجل يبكى على تركه الحطيئة! فقال عمر : على بالكرسى ، فأتى به ، فجلس عليه ؛ ثم قال ، أشيروا على فى الشاعر فانه يقول الهجر ، وينسب بالحرم ، ويمدح الناس ويذمهم بغير ما فيهم . ما أرانى إلا قاطعا لسـانه ، ثم قال ، على بالطست ، فأتى بهـا ثم قال ، على بالمخصف(٣) ، على بالسكين ، لابل على بالموسى فهو أوحى(٤) ! فضج الحطيئة وقال ، إنى والله يا أمير المؤمنين قد هجوت أبى وأمى وامرأتى ونفسى ؛ فتبسم عمر ، ثم قال . ما الذى قلت ؟ قال ، قلت لأبى وأمى

ولقد رأيتك فى النساء فسؤتنى   وأبا بنيك فسـاءنى فى المجلس

وقلت لأبى خاصة

فبئس الشيخ أنت لدى تميم   وبئس الشيخ أنت لدى المعالى

وقلت لأمى خاصة

تنحى واجلسى منى بعيـداً   أراح الله منك العالمينا
أغربالا(٥) إذا استودعت سرا   وكانونا(٦) على المتحدثينا ؟
حياتك ما علمت حيـاة سوء   وموتك قد يسر الصالحينا

وقلت لامرأتى

أطوف ما أطوف ثم آتى   إلى بيت قعيـدته لكاع

وقلت لنفسى

أبت شفتاى اليوم إلا تكلما   بسوء فما أدرى لمن أنا قائله
أرى لى وجهاً شوه الله خلقه   فقبح من وجه وقبح حامله

---

(١) القرر . جمع قرة ، وهى البرد   (٢) الداوية ، الفلاة الواسعة
(٣) المخصف ، مخرز الاسكافى   (٤) أوحى ، أسرع   (٥) الغربال . النمام
(٦) الـكانون . الثقيل من الناس ، وقيل الكانون ، الذى يجلس حتى يحصى الأخبار والأحاديث

فقالوا : لايعود يا أمير المؤمنين ، وأشاروا إليه أن قل : لا أعود ، فقال ، لاأعود يا أمير المؤمنين ، فقال له النجاء ! ثم قال له عمر : ياحطيئة كأنى بك عند فتى من قريش ، قد بسط لك نمرقة (١) ، وكسر لك أخرى وقال . غننا ياحطيئة ، فطفقت تغنيه بأعراض الناس (٢) !

قال ابن أسلم : فما انقضت الدنيا حتى رأيت الحطيئة عند عبيد الله بن عمر قد بسط له نمرقه ، وكسر له أخرى وقال : غننا ياحطيئة ، فجعل يغنيه ، فقلت له : ياحطيئة أتذكر قول عمر ؟ ففزع وقال . يرحم الله ذلك المرء أما أنه لو كان حياً مافعلت !

عمر والشعر

وكان عمر رضى الله عنه :

١ — راوية للشعر يتمثل به فى كثير من مواقفه

٢ — بل كان شاعرا روى صاحب العمدة والعقد بعض آثاره ، وروى عنه « رووا أولادكم ما سار من المثل وحسن من الشعر » (٣)

٣ — وكان ذا بصر بالشعر ونقده وفهمه .

٤ — وكان يحنو على الشعراء ويكافئهم ويوجههم إلى الخير ويرشدهم إلى حفظ أعراض المسلمين وشرفهم وكرامتهم

وكتب الأدب مشحونة بكثير من الروايات الأدبية حول ذلك

---

(١) النمرقة الوسادة .

(٢) يروى أن عمر رضى الله عنه لما أطلق الحطيئة أراد أن يؤكد عليه الحجة فاشترى منه أعراض المسلمين جميعا بثلاثة الاف درهم فقال الحطيئة فى ذلك

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع شتما يضر ولا مديحا ينفع
ومنعتنى عرض اللئيم فلم يخف ذمى وأصبح آمنا لايفزع

(٣) البيان والتبيين ج١ ٢١٢

قال عمر بن الخطاب :

امرؤ القيس سابق الشعراء ، خسف[1] لهم عين شعر فافتقر [2] عن معان عور [3] أصح بصر[4]

ويقول عمر : النابغة أشعر شعراء غطفان[5] وزهير أشعر الناس (٦)

وأعجب ببيت لزهير [7] وببيت لعبدة بن الطبيب (٨)

وروى عنه أنه مدح زهيرا بأنه كان لا يعاظل فى الكلام ولا يقول إلا الحق

وموقف عمر لما استعداه الزبرقان على الحطيئة معروف وقد سبق ذكره [9]

وكذلك موقفه من رهط تميم ابن مقبل لما استعدوه على النجاشي وقد هجاهم

وكان عمر شاعرا وكذلك أبو بكر وعلى ، وعلى أشعر الثلاثة[10]

وقال عمر لابنه عبد الرحمن : يابنى احفظ محاسن الشعر يحسن أدبك . وقال : ارووا من الشعر أعفه [11]

وكان عمر أعلم الناس بالشعر[12]

وراجع ذكر ما دار بين متمم بن نويرة وعمر ورثاه متمم له بعد وفاته فى «النوادر» (١٣)

---

(١) من الخسف وهى البئر التى حفرت فى حجارة فخرج عنها ماء كثير

(٢) أى فتح ، من الفقر وهو فم القناة .

(٣) يريد أن امرأ القيس من اليمن وأهل اليمن ليست لهم فصاحة نزار فجعل لهم معانى عورا فتح امرؤ القيس أصح بصرها فانه يمانى النسب نزارى الدار والمنشأ . (٤) ٢٩٦ جـ ٢ المزهر طبع صبيح .

(٥) ٣٧٩ جـ ٣ العقد (٦) ٣٧٩ و ٣٨٠ جـ ٣ المرجع (٨) ٣٨٦ جـ٣ العقد

(٧) ٢٨٧ جـ ٣ العقد

(٩) وراجعه فى العقد ص ٤٠٨ جـ ٣ و٣٣ ر٢، وفى البيان والتبيين ٢٢٤ جـ٢ وراجع رأيه فى الشعر فى العقد ص ٢٨٦ جـ ٣

(١٠) ٣٨٨ر٣ العقد (١١) ١٨ الجمهرة

(١٢) ١٦٩ و ١٧٠ جـ ١ البيان وراجع تحكيمه فى الشعر فى ص ١٦٩ جـ١

(١٣) ١٧٨ النوادر ملحق بالأمالي

آثار أخرى لعمر

وكتب عمر بن الخطاب إلى ابنه وهو غائب .

أما بعد فانه من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ومن شكر زاده ومن أقرضه جزاه فاجعل التقوى جلاء بصرك وعماد ظهرك فانه لا عمل لمن لا نية له ولا أجر لمن لا حسنة له ولا جديد لمن لاخلق له (١)

رسالة عمر فى القضاء الى أبى موسى الأشعرى (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم :

من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس : سلام عليك ، أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة . فافهم إذا أدلى اليك ، فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له . آس (٣) بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك (٤) ، ولا ييئس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر . والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا . لا يمنعك قضاء قضيته اليوم ، فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك أن ترجع الى الحق ؛ فان الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل . الفهم الفهم فيما تلجلج (٥) فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة (٦) . اعرف الأشباه والأمثال ، فقس الامور عند ذلك ، واعمد الى أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهى اليه ، فاذا أحضر بينته أخذت له

---

(١) ٥٥ / ٢ الأمالى

(٢) من رجال المسلمين الأعلام ، ولى قضاء البصرة حين بعث اليه عمر بهذه الرسالة . وله موقف مشهور فى التحكيم بين على ومعاوية .

(٣) آس بين الناس : سو بينهم . (٤) الحيف : الميل أى ميلك معه لشرفه .

(٥) تلجلج : تردد حتى كان موضع حيرة .

(٦) الكتاب : القرآن الكريم والسنة ما أثر عن النبى من قول أو فعل أو تقرير .

بحقه ، وإلا استحللت عليه القضية ، فانه أنفى للشك وأجلى للعمى . المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا فى حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا فى ولاء أو نسب [١] ؛ فان الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والايمان (٢) . وإياك والقلق والضجر (٣) والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات ، فان الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن به الذخر ، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس . ومن تخلق [٤] للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله (٥) ، فما ظنك بثواب غير الله عز وجل فى عاجل رزقه وخزائن رحمته ، والسلام (٦) .

كتاب عمر الى أبى عبيدة ومعاذ بن جبل جوابا عن رسالتهما إليه ينصحانه .

بسم الله الرحمن الرحيم .

من عمر بن الخطاب إلى أبى عبيدة عامر بن الجراح ومعاذ بن جبل ، سلام عليكما فانى أحمد الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد : فقد جاءنى كتابكما تزعمان أنه بلغكما أنى وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها [٧] يجلس بين يدى الصديق والعدو والشريف والوضيع ؛ وكتبتما أن أنظر كيف أنت يا عمر عند ذلك ، وأنه لا حول ولا قوة لعمر عند ذلك إلا بالله وكتبتما تحذرانى ما حذرت به الأمم قبلنا ، وقديما كان اختلاف الليل والنهار بآجال الناس «٨» يقربان كل بعيد ويبليان كل

---

(١) ظنين : متهم أى ينتسب الى غير أبيه أو يدعى الى غير مواليه ، فليس أهلا للشهادة . (٢) درأ : دفع يريد منع الحدود .

(٣) القلق والضجر ضيق الصدر وقلة الصبر .

(٤) أى أظهر للناس فى خلقه خلاف نيته .

(٥) شانه . ضد زانه والمراد قبحه وأظهر نفاقه .

(٦) يريد ماذا يكون ثواب الناس بجانب رزق الله فى الدنيا ورحمته فى الآخرة .

(٧) الأحمر كناية عن العجم ، والأسود عن العرب والمراد جميع المسلمين .

(٨) اختلافهما بآجال الناس الخ : تعاقبهما على قضاء الأعمار .

جديد ، ويأتيان بكل موعود ، حتى يصير الناس إلى منازلهم من الجنه أو النار ، ثم توفى كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب . كتبتما تزعمان أن أمر هذه الأمة ، يرجع فى آخرز مانها أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة ولستم بذلك وليس هذا ذلك الزمان ، ولكن زمان ذلك حين تظهر الرغبة والرهبه ، فتكون رغبة بعض الناس إلى بعض إصلاح دينهم ورهبة بعض الناس إصلاح دنياهم . وكتبتما تعوذانى بالله أن أنزل كتابكما منى سوى المنزل الذى نزل من قلوبكما . وإنما كتبتما نصيحة لى . وقد صدقتما . فتعهدانى منكما بكتاب ، فلا غنى بى عنكما . والسلام عليكما !

ثانيـــا — الـكتابة الفنية

فى عصر صدر الاسلام

نماذج لها :

١ ـ كتاب الرسول الى المنذر بن ساوى

من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى : سلام عليك ، فانى أحمـد الله الذى لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً عبـده ورسوله . أما بعد فانى أذكرك الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وإنه من يطع رسلى ويتبع أمرهم فقد أطاعنى ومن نصحهم فقد نصح لى . وأن رسلى قد أثنوا عليك خيراً وإنى قد شفعتك فى قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوت عن أهـل الذنوب فاقبل منهم ، وإنمـا مهما تصلح فلن نعزلك ، ومن أقام على يهوديتـه أو نصرانيته فعليه الجزية .

٢ ـ كتابه صلى الله عليه وسلم الى كسرى أبرويز

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ، سـلام على من اتبـع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله عز وجل ، فانى أنا رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الـكافرين . واسلم تسلم فان توليت فانما أثم المجوس عليك .

٣ ـ كتابه إلى النجاشي

بسم الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشه إني أحمد اليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم البتول الطيبة الحصينة حملته من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ، وإني أدعوك الى الله وحده لا شريك له وأن تتبعني وتؤمن بالذى جاءني فأنى رسول الله ، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بعثت اليكم ابن عمي جعفرا ومعه نفر من المسلمين والسلام على من اتبع الهدى

٤ ـ كتابه صلى الله عليه وسلم لبنى ضمرة بالموادعة :

هذا كتاب من محمد صلى الله عليه وسلم لبنى ضمرة بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وأن لهم النصر على من ناوأهم ، وأن لا يحاربوا فى دين الله مابل بحر صوفة ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم إذا دعاهم لنصره أجابوه، عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله ، ولهم النصر على من بر منهم واتقى .

٥ ـ صلح الحديبية بينه صلى الله عليه وسلم وبين قريش .

باسمك اللهم ، هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو : اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليه ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وأن بيننا عيبة مكفوفة وأنه لا إسلال ولا إغلال ، وأنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، وأنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، فاذا كان عاما قابلا خرجنا عنك فدخلتها باصحابك فأقمت بها ثلاثا وإن معك سلاح الراكب والسيوف فى الركب فلا تدخلها بغير هذا .

٦ ـ كتابه صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل يعزيه بابن له مات

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل سلام عليكم فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر ، ورزقنا وإياك الشكر ، ثم إن أنفسنا وأهالينا وموالينا من مواهب الله السنية وعوارفه المستودعة نمتع بها إلى أجل معدود وتقبض لوقت معلوم ، ثم افترض علينا الشكر إذا أعطى والصبر إذا ابتلى ، وكان ابنك من مواهب الله الهنيئة وعوارفه المستودعة متعك به من غبطة وسرور وقبضه عنك بأجر كثير.

واعلم أن الجزع لا يرد ميتا ولا يدفع حزناً . فأحسن الجزاء وتنجز الموعود وليذهب أسفك ما هو نازل بك فكأن قد

٨ – من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم الأنصارى حين ولاه اليمن:

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى الحارث بن كعب عمرو بن حزم الأنصارى ليفقههم فى الدين، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه ، وأمر فيه بأمره . ومنه :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا بيان من الله ورسوله « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » عقد من محمد النبى رسول الله لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن .

أمره بتقوى الله فى أمره كله ، فـ « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » وأمره أن يأخذ بالحق كما أمر به الله ، وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم فى الدين ، وينهى الناس فلا يمس أحد القرآن إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذى لهم وبالذى عليهم ، ويلين للناس فى الحق ، ويشتد عليهم فى الظلم ، فان الله عز وجل كره الظلم ونهى عنه وقال : « ألا لعنة الله على الظالمين » ويبشر الناس بالجنة وبعملها ، وينذر بالنار وبعملها ، ويستألف الناس حتى يتفقهوا فى الدين) .

٩ — كتاب أبي بكر إلى أهل الردة :

وكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى قبائل العرب التي ارتدت عن الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم — سنة إحـــدى عشرة هجرية — كتابا واحدا ، ونصه .

بسم الله الرحمن الرحيم . من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليـه وسـلم إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة ، أقام على إسلامه أو رجع عنه .

سلام على من اتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهـدى إلى الضلالة والعمى ، فاني أحمـد [١] إليـكم الله الذي لا إله إلا هو . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأقر بما جاء به ، وأكفر من أبي وأجاهده .

أما بعد ، فان الله تعالى أرسل محمدا بالحق من عنده الى الخلق « بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا » ، « لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فهدى الله للحق من أجاب إليه ، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذنه من أدبر عنه ، حتى صار الى الاسـلام طوعا وكرها ، ثم توفى الله رسوله صـلى الله عليه سلم وقد نفذ لأمر الله ، ونصح لأمته ، وقضى الذي عليه ا وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الأسلام في الكتاب الذي أنزله فقال : « إنك ميت وأنهم ميتون وقال . « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون » ، وقال للمؤمنين « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين » فمن كان إنما يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان إنما يعبد الله وحده لا شريك له فان الله له بالمرصاد ، [٢] حي قيوم [٣] لا يموت ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، حافظ لأمره منتقم من عدوه بجزيه .

---

(١) أي أحمده معك ، فاقام إلى مقـام مع ، وقيل معناه أحمد إليك نعمـة الله وأحدثك بها .

(٢) المرصاد الطريق ، وفلان يرصد فلانا أي يقعد له على طريقه يترقبه ، والمعنى أن الله يرصد كل إنسان حتى يجزيه بأعماله لا يفوته منها شيء .

(٣) القيوم . الدائم القيام بتدبير خلقه وحفظه .

(٤) السنة : فتور يتقدم النوم

وإنى أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله وما جاءكم به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وأن تهتدوا بهداه ، وأن تعتصموا بدين الله ، فان كل من لم يهده الله ضال ، وكل من لم يعافه مبتلى ، وكل من لم يعنه مخذول ، فمن هداه الله كان مهتديا ومن أضله كان ضالا ، قال الله تعالى : « من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا » ولم يقبل منه فى الدنيا عمل حتى يقربه ، ولم يقبل منه فى الآخرة صرف ولا عدل[1] .

وقد بلغنى رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر الإسلام وعمل به ، اغترارا بالله ، وجهالة بأمره ، وإجابة للشيطان ، قال الله جل ثناؤه : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا » وقال جل ذكره : « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير » .

وإنى أنفذت إليكم « فلانا » فى جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين باحسان ، وأمرته ألا يقاتل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه الى داعية الله ، فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحا ، قبل منه وأعانه عليه ، ومن أبى أمرته أن يقاتله على ذلك ، ثم لا يبقى على أحد منهم قدر عليه ، وأن يحرقهم بالنيران ، ويقتلهم كل قتلة ، وأن يسبى النساء والذرارى ، ولا يقبل من أحد إلا الاسلام ، فمن اتبعه فهو خير له ، ومن تركه فلن يعجز الله .

---

(١) الصرف . التوبة ، والعدل . الفدية ، وقيل الصرف . القيمة ، والعدل . المثل ، وأصله فى الفدية ، يقال . لم يقبلوا منهم صرفا ولا عدلا ، أى لم يأخذوا منهم دية ولم يقتلوا بقتيلهم ، رجلا واحدا ، ، ثم جعل بعد فى كل شىء حتى سار مثلا فيمن لم يؤخذ منه الشىء الذى يجب عليه وألزم أكثر منه .

وقد أمرت رسولى أن يقرأ كتابى فى كل مجمع لكم ، والداعية الآذان ، فاذا أذن المسلمون فأذنوا ، كفوا عنهم ، وإن لم يؤذنوا عاجلوهم ، وإن أذنوا سألوهم ما عليهم ، فان أبوا عاجلوهم ، وإن أقروا قبل منهم وحملهم على ما ينبغى لهم .

١٠ — كتاب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص .

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى عمرو بن العاص والى مصر ، وقد استبطأ ورود الخراج من قبله :

« من عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص :

سلام عليك ، فانى أحمد اليك الله الذى لا إله الا هو ، أما بعد : فقد عجبت من كثرة كتبي إليك فى إبطائك بالخراج ، وكتابك الى ببنيات (١) الطرق ، وقد علمت أنى لست أرضى منك إلا بالحق البين ، ولم أقدمك إلى مصر اجعلها لك طعمة ولا لقومك ، ولكنى وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن سياستك فاذا أتاك كتابى هذا فاحمل الخراج ، فانما هو فىء المسلمين ، وعندى من قد تعلم ، قوم محصورون ، والسلام » .

١١ — رد عمرو على عمر

فكتب إليه عمرو بن العاص :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص . سلام عليك فانى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد . فقد أتانى كتاب أمير المؤمنين يستبطئنى فى الخراج ، ويزعم أنى أعند(٢) عن الحق ، وأنكب(٣) عن الطريق ، وإنى والله ما أرغب عن مصالح ما تعلم ، ولكن أهل الأرض استنظرونى

---

(١) بنيات الطرق : الأباطيل .

(٢) عند عن الطريق كنصر وسمع وكرم عنودا : مال .

(٣) نكب عنه كنصر وفرح نكباً (كشمس وسبب) .

الى أن تدرك غلتهم ، فنظرت للمسلمين ، فكان الرفق بهم خيرا من أن نخرق(١) بهم ، فيصيروا الى بيع ما لا غنى بهم عنه ، والسلام »

١٢ — كتاب عمر إلى سعد بن أبي وقاص :

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص ، وقد أمره على حرب العراق .

« أما بعد . فانى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فان تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش اخوف عليهم من عدوهم ، وانما ينصر المسلمون : بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن انا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضل (٢) علينا فى القوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، فاعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله ، ولا تقولوا ان عدونا شر منا ، فان يسلط علينا ، فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى اسرائيل — لما عملوا بمساخط — كفار المجوس ، فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ، واسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم أسال الله تعالى ذلك لنا ولكم

وترفق بالمسلمين فى مسيرهم ، ولا تجشمهم مسيراً يتعبهم ، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم ، حتى يبلغوا عدوهم — والسفر لم ينقص قوتهم — فانهم سائرون إلى عدو مقيم ، حامى الأنفس والكراع (٣) ، وأقم بمن معك فى كل جمعة يوما وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ، ويرمون (٤) أسلحتهم وأمتعتهم ، ونح

---

(١) الخرق كقفل وسبب ضد الرفق وفعله كفرح .

(٢) الفضل : الزيادة .

(٣) الكراع من كل شيء طرفه ، واسم يجمع الخيل .

(٤) رمه كضرب ونصر : أصلحه .

منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة ، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه ، ولا يرزأ [١] أحداً من أهلها شيئا ، فان لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها ، كما ابتلوا بالصبر عليها ، فما صبروا لكم فتولوهم خيرا ، ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح .

وإذا وطئت أرض العدو فاذك [٢] العيون بينك وبينهم ، ولا يخف عليك أمرهم ، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن الى نصحه وصدقه ، فان الكذوب لا ينفعك خبره ، وان صدقك فى بعضه ، والغاش عين عليك ، وليس عينا لك .

وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع ، وتبث السرايا [٣] بينك وبينهم ، فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم ، وتتبع الطلائع عوراتهم ، وتنق [٤] للطلائع أهل الرأى والبأس من أصحابك ، وتخير لهم سوابق الخيل ، فان لقوا عدوا كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك ، واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد والصبر على الجلاد ، ولا تخص بها أحد بهوى فتضيع من رأيك وأمرك أكثرمما حابيت به أهل خاصتك ، ولا تبعثن طليعة ولا سرية فى وجه تتخوف فيه غلبة أو ضيعة أو نكاية ، فاذا عاينت العدو فاضمم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك ، وأجمع إليك مكيدتك وقوتك ، ثم لا تعاجلهم المناجزة ، مالم يستكرهك القتال ، حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله ، وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها ، فتصنع بعدوك كصنعه بك .

ثم أذك أحراسك على عسكرك ، وتيقظ من البيات جهدك ، ولا تؤتى بأسير ليس له عقد إلا ضربت عنقه، لترهب به عدو الله وعدوك ، والله ولى أمرك ومن معك وولى النصر لكم على عدوكم والله المستعان » .

---

(١) رزأه ماله : أصاب منه شيئاً .
(٢) أذكى عليه العيون : أرسل عليه الجواسيس
(٣) السرايا جمع سرية كغنيه . وهى القطعة من الجيش .
(٤) تنقاه : اختاره .

١٣ - كتاب معاوية إلى علي .

وكتب معاويه بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب حين شجر بينهما الخلاف :

« بسم الله الرحمن الرحيم ؛ من معاويه بن صخر إلى علي بن أبي طالب .

أما بعد . فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت برىء من دم عثمان ، لكنت كأبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم أجمعين ولكنك أغريت بدم عثمان المهاجرين وخذلت عنه الانصار : فأطاعك الجاهل ، وقوى بك الضعيف ؛ وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان ، فان فعلت كانت (١) شورى بين المسلمين ، وإنما كان الحجازيون هم الحكام على الناس والحق فيهم فلما فارقوه كان الحكام على الناس أهل الشام . ولعمرى ماحجتك عليهم كحجتك على طلحة والزبير ؛ لأنهما بايعاك ولم أبايعك ، وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة ؛ لأن أهل البصرة أطاعوك ؛ ولم يطعك أهل الشام ؛ فأما شرفك فى الإسلام ؛ وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضعك من قريش فلست أدفعه » .

١٤ — رد علي على معاوية .

فكتب إليه الإمام علي :

«بسم الله الرحمن الرحيم » من علي بن أبي طالب الى معاوية بن صخر .

أما بعد . فقد أتاني كتابك كتاب امرىء ليس له بصر يهديه ، ولا قائد يرشده دعاه الهوى فاجابه ، وقاده فاتبعه ، زعمت أنك انما أفسد عليك بيعتى خفرى (٢) بعثمان ، ولعمرى ما كنت إلا رجلا من المهاجرين ، أوردت كما أوردوا ، وأصدرت كما أصدروا ، وما كان الله ليجمعهم على ضلال ، ولا ليضربهم بالعمى ، وما أمرت فلزمتنى خطيئة الأمر ؛ ولا قتلت فأخاف على نفسى قصاص القاتل . وأما قولك إن أهل الشام هم حكام أهل الحجاز . فهات رجلا من قريش الشام

---

(١) كانت أى الخلافة .

(٢) خفر به كضرب خفرا وخفورا : نقض عهده وغدره .

يقبل فى الشورى ، أو تحل له الخلافة ، فان سميت كذلك المهاجرون والأنصار ، ونحن نأتيك به من قريش الحجاز .

١٥ — وصية أبى بكر إلى عمر رضى الله عنه :

إنى مستخلفك من بعدى وموصيك بتقوى الله ، إن لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار وعملا بالنهار لا يقبله بالليل ، وأنه لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة فانما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل ويحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفا إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم ، فاذا ذكرتهم قلت إنى أخاف ألا أكون من هؤلاء ، وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ؛ ولم يذكر حسناتهم فاذا ذكرتهم قلت إنى لأرجو ألا أكون من هؤلاء ، وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغبا راهبا ، ولا يتمنى على الله غير الحق ولا يلقى بيده إلى التهلكة . فاذا حفظت وصيتى فلا يكن غائب أحب اليك من الموت وهو آتيك ، وإن ضيعت وصيتى فلا يكن غائب أبغض اليك من الموت ولست بمعجز الله

١٦ — وكتب عمر رضى الله عنه الى أبى موسى الأشعرى :

أما بعد فان للناس نفرة عن سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركنى واياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة ، وأهواء متبعة ، ودنيا مؤثرة ، فأقم الحدود ولو ساعة من نهار . واذا عرض لك أمران أحدهما لله والآخر للدنيا فآثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا ، فان الدنيا تنفد والآخرة تبقى ، وكن من خشية الله على وجل ، وأخف الفساق وأجعلهم يدا يدا ورجلا رجلا ، واذا كانت بين القبائل نائرة وتداعوا بالفلان فانما تلك نجوى الشيطان فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا إلى أمر الله وتكون دعواهم الى الله وإلى الامام ، وقد بلغ أمير المؤمنين أن ضبة تدعو بالضبة !! وإنى والله ما أعلم أن ضبة ساق الله بها خيرا قط ولا منع بها من سوء قط فاذا جاءك كتابى هذا فانهكهم عقوبة حتى

يفرقوا إن لم يفقهوا ، وعـد مرضى المسلمين واشهد جنائزهم ، وافتح بابك وباشر أمرهم بنفسك ، فانما أنت امرؤ منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملا وقد بلغ أمير المؤمنين أنه فشا لك ولاهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها فاياك ياعبد الله أن تكون البهيمة التى مرت بواد خصب فلم يكن لها همة إلا السمن ؛ وانما حتفها فى السمن ، وأعلم أن للعامل مردا الى الله فاذا زاغ العامل زاغت رعيته وان أشقى الناس من شقيت به رعيته والسلام .

١٧ — وكتب على رضى الله عنه كتاب حلف بين ربيعة واليمن

هذا ما اجتمع عليه أهل اليمن حاضرها وباديها وربيعة حاضرها وباديها أنهم على كتاب الله يدعون اليـه ويأمرون به ويجيبون من دعا اليه وأمر به لا يشترون به ثمنا ولا يرضون به بدلا وأنهم يدا واحـدة على من خالف ذلك . لاينقضون عهدهم لمعتبة عاتب ولا لغضب غاضب ولا لاستذلال قوم قوما ولا لمسبة قوم قوما على ذلك شاهدهم وغائبهم ، وسفيههم وعالمهم ، وحليمهم وجاهلهم ثم ان عليهم بذلك عهد الله وميثاقه ان عهد الله كان مسئولا ، وكتبه على بن أبى طالب

١٨ — وكتب إلى عبد الله بن عباس يعظه

أما بعد فان المرء قد يسره درك مالم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه . فليكن سرورك بما نلت من آخرتك . وليكن أسفك على مافات منها وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحا ، ومافاتك منها فلاتأس عليه جزعا ، وليكن همك فيما بعد الموت (١)

(١) وفى ٩٤/٢ الأمالى برواية أخرى

وصف الكتابة فى صدر الاسلام

تمهيد :

١ — تعلمون أن الكتابة انتقلت من الأنبار والحيرة على يد بشر بن عبد الملك أخى أكيدر بن عبد الملك الكندى صاحب دومة الجندل ، وأن بشرا خرج إلى مكة وتزوج بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان ، فعلم جماعة من أهل مكة ، فكثر من يكتب بها من قريش

قال رجل من أهل دومة الجندل من كندة يفتخر على قريش بذلك :

لا تجحدوا نعماء بشر عليكمو فقد كان ميمون النقيبة أزهرا
أتاكم بخط الجزم حتى حفظتمو من المال ما قد كان شتى مبعثرا
فاجريتم الاقلام عودا وبدأة وضاهيتمو كتاب كسرى وقيصرا

وعرف خط أهل الحجاز بالحجازى ، ولما نشأت الكوفة أدخل عليه كتابها شيئا من الزخرف والتحسين فسمى الخط الكوفى

٢ - والكتابة على أى حال آكد أسباب الحضارة ، وأوثق وسائل العمران وكلما ازدادت شئون الحضارة واتسعت مذاهب الملك ، وتعددت مناحى التفكير ومناهج الثقافة ، ازدادت الحاجة إليها وازداد الكتاب إقبالا عليها وافتنانا فى مناحيها وتجويدا فى لغتها ومعانيها وتنويعا فى موضوعاتها وأغراضها

حالة الكتابة فى عصر النبوة :

ولما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم كان بمكة نفر ممن يحسنون الكتابة ويبلغون نحو السبعة عشر ، ثم لما هاجر الى المدينة ووقعت غزوة بدر وأسر المسلمون نحو سبعين رجلا من قريش وغيرهم ، جعل الرسول صلى الله عليه فداء كل من يعجز عن دفع المال تعليم الكتابة لعشرة من فتيان المدينة فلا يطلق سراحه الا بعد تعليمهم فكثرت الكتابة فى المدينة ، وأخذت تنتشر فى كل ناحية دخلها الاسلام فى حياة الرسول وبعده

وبلغ عدد كتابه عليه السلام ثلاثه واربعين كاتبا منهم زيد بن ثابت ومعاوية واختلف فى كونه صلى الله عليه وسلم يقرأ ويكتب ؛ فمن قال بذلك استدل بقوله تعالى رسول من الله يتلو صحفا مطهرة وبحديث البخارى انه عليه الصلاة والسلام فى غزوة الحديبية اخذ الكتاب ليكتب فكتب ؛ ومن قال إنه امى استدل : بقوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، وبحديث البخارى نحن امة امية لا نكتب ولا نحسب وليس مايمنع من أن الرسول صلوات الله عليه كان أميا قبل بعثته لتتم له المعجزة ثم بعد أن تحققت أميته وتقررت بذلك معجزته ، تعلم الكتابة وعرفها

وكان على كرم الله وجهه ، وعائشة وصفية من أمهات المؤمنين ، يحسنون الكتابة .

ولم يلحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى إلا رقد أناف الكتاب على خمسمائة ، بين رجل وامرأة وفتى .

وفى العهد النبوى كتب القرآن الكريم ، ورسائل النبى صلى الله عليه وسلم إلا الأقيال والأمراء والملوك ، وكتبت عهود الصلح بينه وبين قريش وغيرهم ممن دخل فى ذمة المسلمين

« وكان كتابه صلى الله عليه وسلم نوعين :

كتاب وحى ، وكتاب أعمال . ومن بين كتاب الأعمال :

الزبير بن العوام ؛ وجهل بن الصات ، وكانا يكتبان الصدقات ، والمغيرة بن شعبة والحصين بن نمير وكانا يكتبان التداين والمعلاملات ، وحديفة بن اليمان ، وكان يكتب خرص النخل .

الكتابة بعد عهد النبوة :

ولما توفى رسول الله صلوات الله واتسعت الفتوحات الاسلامية ، كثرت الحاجة إلى الكتابة ؛ وقام الكتاب بأعمال الدعوة والدولة ، فكتبوا القرآن واستخدمهم الخلفاء فى كتابة رسائلهم إلى العمال والولاة والقواد ، وفى وصاياهم إلى قضاتهم ، ورسائلهم إلى أهل الأمصار ، وفى كتابة وثائق الصلح ونصائح الخليفة وتوجيهاته فى الحرب والسلم .

وكان الخليفة أو الوالى يكتب بيده أو يملى على بعض الكتاب ، ولم تكن قد صارت بعد صناعة فنية كما حدث فى عهد بنى أمية وبنى العباس .

بواعث الكتابة الأدبية فى هذا العصر :

وكانت الحاجة إلى الكتابة كثيرة :

١ — فقد كان المسلمون فى حاجة إليها لتدوين القرآن ولكتابة رسائل الدعوه إلى الاسلام

٢ — كما كانوا فى حاجة إليها فى شئون الملك والسياسة ، والحرب والسلم وفى كتابة العهود والمصالحات والمنشورات والوصايا والنصائح

٣ — الحاجة إليها فى تدوين الدواوين وتنظيمها

٤ — وساعد على ذلك معرفة الخط وانتشار الكتابة فى مكة والمدينة وسواهما من الأمصار . ويروى أن زيد بن أرقم بن يغوث والعلاء بن عقبه كانا يكتبان بين القوم فى قبائلهم ومياههم وفى دور الأنصار بين الرجال والنساء .

تدوين الدواوين :

لما اتسعت الفتوحات فى عهد عمر وكثرت موارد الدوله ووفرت الغنائم احتاجت الدولة إلى انشاء الدواوين لضبط مواردها ومصارفها وضبط أعطيات المسلمين ويقول الفخرى :

« كان المسلمون هم الجنود وكان قتالهم لأجل الدين لا لأجل الدنيا وكان لا يزال فيهم دائما من يبذل شطرا صالحا من ماله فى وجوه البر والقربى وكانوا لا يريدون على نصرهم إسلامهم ونصرهم لنبيهم جزاء إلا من عند الله تعالى ولم يفرض النبى صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر رضى الله عنه عطاء مقررا ولكن كانوا إذا غزوا وغنموا أخذوا نصيبا من الغنائم قررته الشريعة لهم وإذا ورد إلى المدينة مال من بعض البلاد أحضر إلى مسجد رسول الله وفرق فيهم حسب ما يراه وجرى الأمر على ذلك مدة خلافة أبى بكر فلما كانت سنة خمس عشرة من الهجرة فى خلافة عمر رأى أن الفتوح قد توالت وأن كنوز الأكاسرة قد

ملكت وأن المحمول من الذهب والفضة والجواهر النفيسة والثياب الفاخرة قد تتابعت فرأى التوسيع على المسلمين وتفريق تلك الأموال فيهم . ولم يكن يعرف كيف يصنع وكيف يضبط ذلك وكان بالمدينة بعض مرازبة الفرس فلما رأى حيرة عمر قال له ياأمير المؤمنين إن للأكاسرة شيئا يسمونه ديونا ، جميع دخلهم وخرجهم مضبوط فيه لايشذ منه شيء وأهل العطاء مرتبون فيه مراتب لايلاحظ عليها خلل فتنبه عمر وقال : صفه لى . فوصفه المرزبان فعظمه عمر لذلك ودون الدواوين »

وقد عهد الخلفاء بالكتابة فى الدواوين إلى العرب والموالى والمتعربين وظلت كتابة الخراج فى الأقاليم بلغة أهـــل المصر ففى العراق وفارس بالفارسية وفى الشام بالرومية وفى مصر بالقبطية حتى حذقها من العرب طائفة فحولت بعد ذلك الكتابة فى الدواوين إلى اللغة العربية وذلك فى عصر بنى أمية وسيأتى تفصيل ذلك إنشاء الله

أسلوب الكتابة فى صدر الاسلام :

ويمتاز أسلوب الكتابه فى هذا العصر بما يأتى .

١ — سهولتها ووضوحها وقصدها إلى الغرض وبعدها عن التكلف وخلوها من عبارات التفخيم

٢ — ميلها إلى الايجاز . حتى لقد كتب خالد بن الوليد إلى عياض بن غنام رسالة وهو محاصر بدومة الجندل يقول فيها .

« من خالد إلى عياض : إياك أريد »

٣ — وكانت الرسائل تبدأ باسمك اللهم ثم يقول من فلان الى فلان ثم يلى ذلك غالبا قولهم : السلام عليكم او السلام على من اتبع الهدى ، ثم يثنون بقولهم « إنى أحمد الله إليك » ، ثم يأتى الكاتب غالبا بأما بعد ، ويذكر غرضه الذي يكتب لأجله ، ويختمها بقوله والسلام عليك ورحمة الله »

ومن مثل ذلك كتابه (ص) الى خالد بن الوليد وكان قد بعثه الى بنى الحرث فأجابوه إلى الأسلام وهاك نصه :

من محمد رسول الله الى خالد بن الوليد

سلام عليك فانى احمد اليك الله الذى لا إله الا هو اما بعد :

فانى كتابك جاءنى مع رسولك يخبرنى بأن بنى الحارث قد أسلموا قبل ان تقاتلهم ، وأجابوا الى مادعوتهم اليه من الاسلام وشهدوا أن لااله الا الله وان محمد عبده ورسوله وان قد هداهم الله بهداه فبشرهم وانذرهم واقبل وليقبل معك وفدهم .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

ثالثا — التوقيعات

نماذج للتوقيعات فى هذا العصر

توقيع لأبى بكر إلى خالد بن الوليد وقد استأذنه فى ملاقاة العدو :

ادن من الموت توهب لك الحياة

عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص وقد استأذنه فى بناء دار الأمارة بالكوفة :

ابن ما يستر من الشمس ويكن من المطر

ووقع عمر على شكوى لأهل مصر من مروان بن الحكم :

فان عصوك فقل إنى برىء مما تعملون.

ووقع على فى كتاب للحسين ضمن شيئا من أمر عثمان بن عفان :

رأى الشيخ خير من مشهد الغلام

ووقع فى كتاب الحصين بن المنذر أحد قواده بصفين حين شكا إليه من إسراع القتل فى جيشه :

بقية السيف أنمى عددا

ووقع عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص : كن لرعيتك كما تحب أن يكون لك أميرك

ووقع عثمان بن عفان فى قصة رجل شكا عيلة : قد أمرنا لك بما يقيمك وليس فى مال الله فضل للمسرف

ووقع على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى كتاب جاءه من الأشتر النخعى فيه بعض ما يكره : من لك بأخيك كله. وفى كتاب صعصعة بن صوحان يسأله فى شىء : قيمة كل امرىء ما يحسن

الشعر

فى صدر الاسلام

نماذج من شعر المخضرمين

قال أبو قيس صرمة بن أبى أنس من عباد بنى النجار من الأنصار، ومن أول من اسلم عند قدوم رسول الله المدينة :

سبحوا الله شرق كل صباح　　طلعت شمسه وكل هلال (١)
عالم السر والبيان لدينا　　ليس ما قال ربنا بضلال (٢)
وله الطير تستريد وتأوى　　فى وكور من آمنات الجبال (٣)
وله الوحش بالفلاة تراها　　فى حقاف وفى ظلال الجبال (٤)
يابنى الأرحام لا تقطعوها　　وصلوها قصيرة من طوال
واتقوا الله فى ضعيف اليتامى　　ربما يستحل غير الحلال
وأعلموا إن لليتيم وليا　　عالما يهتدى بغير السؤال
ثم مال اليتيم لا تأكلوه　　إن مال اليتيم يرعاه والى
يابنى التخوم لا تخزلوها　　إن خزل التخوم ذو عقال (٥)

---

(١) يريد: سبحوا الله صباحا ومساء .

(٢) البيان هنا : الظهور ويريد به العلانية ، أى أنه سبحانه يعلم السر والعلانية وله الطير ، أى له من الخلق الطير .

(٣) تستريد : تذهب وتجيء فى طلب الرزق .

(٤) الحقاف جمع حقف وهو المعوج من الرمل .

(٥) التخوم : جمع تخم كفرح وهى حد الأرض بين الجارين ، والمعنى لا تقتطعوا منها شيئا ليس لكم أو لا تقتطعوا صلة الجوار بينكم وفى رواية لا تظلموها ، ويروى هذا البيت لأحيحة بن الجلاح — ومعنى « ذو عقال » ذو مرض صعب البرء وأصل العقال التواء فى قوائم الدابة .

يابنى الأيام لاتأمنوها واحذروا مكرها ومر الليالى
وأعلموا أن مرها لنفاد الـ خلق ماكان من جديد وبالى
أجمعوا أمركم على البر والتقوى وترك الخنا وأخذ الحلال

وقال حسان بن ثابت الأنصارى شاعر رسول الله فى انتصار المسلمين على المشركين فى وقعة بدر :

عرفت ديار زينب بالكثيب كخط الوحى فى الورق القشيب (١)
تداولها الرياح وكل جون من الوسمى منهمر سكوب (٢)
فامسى رسمها خلقا وأمست يبابا بعد ساكنها الحبيب (٣)
فدع عنك التذكر كل يوم ورد حرارة الصدر الكئيب
وخبر بالذى لا عيب فيه بصدق غير أخبار الكذوب
بما صنع المليك غداة بدر لنا فى المشركين من النصيب (٤)
غداة كأن جمعهم حراء بدت أركانه جنح الغروب (٥)
فلاقيناهم منا بجمع كأسد الغاب مردان وشيب
أمام محمد قد وازروه على الأعداء فى لفح الحروب
بأيديهم صوارم مرهفات وكل مجرب خاظى الكعوب (٦)

---

(١) الوحى هنا الكتابة ، والرسالة . والقشيب الجديد
(٢) الجون : الأسود من السحاب لتراكمه والوسمى أول المطر .
(٣) اليباب : الخراب
(٤) أى خبر بما صنع الله لنا من النصيب ، أى بما أحسن لنا واختار لنا
(٥) حراء جبل قرب مكة وفيه الغار الذى كان يتعبد فيه رسول الله قبل نزول الوحى . والمعنى كأن جمع المشركين جبل حراء عند غروب الشمس فيكون مسودا مدهاما ، وكذلك يكون الجيش المدجج بالحديد والدرع
(٦) خاظى الكعوب غليظها صلبها يريد الرمح أى بأيديهم سيوف مرهفة ورماح غليظة مكتنزة .

بنوا الأرس الغطارف وازرتها ... بنوا النجار فى الدين الصليب (١)
فغادرنا أبا جهـل صريعـا ... وعقبة قد تركنا بالجبوب (٢)
وشيبة قد تركنـا فى رجال ... ذوى حسب إذا نسبوا حسيب
ينـاديهم رســول الله لمـا ... قذفناهم كبا كب فى القليب (٣)
الم يجـدوا كلامى كان حقــا ... وأمر الله يأخـــذ بالقـلوب
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا ... صدقت وكنت ذا رأى مصيب

وقال كعب بن زهير :

لو كنت أعجب من شىء لأعجبنى ... سعى الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لأمور ليس يدركها ... والنفس واحدة والهم منتشر
فالمرء ماعاش ممـــدود له أمل ... لا ينتهى العمر حتى ينتهى الأثر

وقال النابغة الجعدى :

ولا خير فى حلم إذا لم يكن له ... بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

وقال الأشتر النخعى من أصحاب على رضى الله عنهما :

بقيت وفرى وانحرفت عن العلا ... ولقيت أضيافى بوجه عبوس (٤)

---

(١) الغطارف جمع غطريف وهو السيد الشجاع ، والصلب القوى. ويريد بالدين دين الإسلام .

(٢) الجبوب : موضع ببدر

(٣) القليب : البئر ، وقد قذف رسول الله بقتلى المشركين فى بئر هناك وخاطبهم بعد دفنهم فقال : هل وجدتم ماوعد ربكم حقا؟ والكباكب جمع كبكبة وهى جماعة من الناس .

(٤) أى بقيت مالى ولم أنفقه فيما يكسبنى رفعة القدر .

إن لم أشن على ابن حرب غارة ... لم تخل يوما من نهاب نفوس (١)
خيلا كأمثال السعالى (٢) شزبا ... تعدو ببيض فى الكريهة شوس
حمى الحـــديد عليهم فكأنهم ... ومضان برق أو شعاع شموس

وقال الحطيئة يمدح :

نزور امرأ يؤتى على الحمد ماله ... ومن يؤت أثمان المحامد يحمد
يرى البخل لا يبقى على المرء ماله ... ويعلم أن البخل غير مخلد
كسوب ومتلاف إذا ما سألته ... تهلل واهـــتز اهتزاز المهند
متى تأته تعشو إلى ضوء ناره ... تجد خير نار عندها خير موقد (٣)

وقال معن بن أوس المزنى فى استصلاح ذى القربى :

وذى رحم قلمت أظفار ضغنـــه ... بحلمى عنه وهو ليس له حلم (٤)
يحاول رغمى لا يحاول غـــيره ... وكالموت عندى أن يحل به الرغم (٥)
فان أعف عنه أغض عينا على قذى ... وليس له بالصفح عن ذنبه علم
وأن انتصر منه أكن مثل رائش ... سهام عدو يستهاض بها العظم (٦)

---

(١) يريد بابن حرب معاوية .

(٢) السعالى : الغيلان ، والشزب جمع شازب وهو الضامر ، والشوس : جمع أشوس وهو السيد المترفع أنفة .

(٣) تعشو : تقصد .

(٤) الضغن : الحقد (٥) الرغم : الذل

(٦) راش السهم : الزق عليه الريش ، وذلك أعون على تسديده وسرعته ، واستهاض العظم وهاضه واهتاضه : كسره بعد الجبور .

صبرت على ما كان بينى وبينه ... وما تستوى حرب الأقارب والسلم
وبادرت منه النأى والمرء قادر ... على سهمه مادام فى كفه السهم
ويشتم عرضى فى مغيبى جاهداً ... وليس له عندى هوان ولا شتم
إذا سمته وصل القرابة سامنى ... قطيعتها ، تلك السفاهة والاثم
فان أدعه للنصف يأب ويعصنى ... ويدع لحكم جائر ، غيره الحكم
فلولا اتقاء الله والرحم التى ... رعايتها حق وتعطيلها ظلم
إذن لعلاه بارقى وخطمته ... بوسم شنار لا يشاكهه وسم (١)
ويسعى إذا أبنى ليهدم صالحى ... وليس الذى يبنى كمن شأنه الهدم
يود لو أنى معدم ذو خصاصة ... وأكره جهدى أن يخالطه العدم (٢)
ويعتد غنما فى الحوادث نكبتى ... وما إن له فيها سناء ولا غنم (٣)
فما زلت فى لينى له وتعطفى ... عليه كما تحنو على الولد الأم
وخفض له منى الجناح تألفا ... لتدنيه منى القرابة والرحم
وقولى إذا أخشى عليه ملمة ... ألا أسلم فداك الخال ذو العقد والعم
وصبرى على أشياء منه تريبنى ... وكظمى على غيظى وقد ينفع الكظم
لأستل منه الضغن حتى استللته ... وقد كان ذا ضغن يضيق به الجرم (٤)
رأيت انثلاما بيننا فرفعته ... برفقى واحيائى وقد يرقع الثلم
وأبرأت غل الصدر منه توسعا ... بحلمى كما يشفى بالأدوية الكلم (٥)
فداويته حتى ارفأن نفاره ... فعدنا كأنا لم يكن بيننا صرم (٦)
وأطفأت نار الحرب بينى وبينه ... فأصبح بعد الحرب وهو لنا سلم

---

(١) البارق : السيف ، وخطمه : ضرب أنفه أو جعل عليه الخطام أو قهره .
الوسم : أثر الكى ، وشاكهه : شابهه

(٢) الخصاصة : الفقر . (٣) السناء : الرفعة .

(٤) الجرم : الخلق . (٥) الكلم : الجرح .

(٦) أرفأن : سكن بعد نفار ..

وللامام على كرم الله وجهه المتوفى سنة ٤٠ هـ

فى النصائح

صن النفس واحملها على ما يزينها(١) تعش سالما والقول فيك جميل
ولا ترين الناس إلا تجملا نبا بك دهر أو جفاك خليل(٢)
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد عسى نكبات الدهر عنك تزول
يعز غنى النفس إن قل ماله ويغنى غنى المال وهو ذليل
ولا خير فى ود امرىء متلون إذا الريح مالت مال حيث تميل(٣)
جواد إذا استغنيت عن أخذ ماله وعند احتمال الفقر عنك بخيل
فما أكثر الاخوان حين تعدهم ولكنهم فى النائبات(٤) قليل

وللخنساء المتوفاة سنة ٢٤ هـ

أعينى جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجواد الجميل ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد (٥) رفيع العما دساد (٦) عشيرته أمردا (٧)

---

(١) يعنى احفظ النفس مما يشينها واجبرها على ما يزينها . (٢) يعنى ولا تظهر للناس إلا ماتتجمل به ومعنى نبا بك دهر أنه لم يساعدك وجفاك هجرك . (٣) متلون متقلب ومعنى ميله حيث تميل الريح أنه غير ثابت . (٤) النائبات الشدائد وعندها تعرف الاخوان .

(٥) النجاد ككتاب حمائل السيف وطولها كناية عن طول الجسم الدال على الشجاعة .

(٦) العماد الابنية الرفيعه جمع عماد وهى كناية عن السيادة والشرف .

(٧) يعنى أن سيادته ابتدأت من صغره .

إذ القوم مدوا أياديهم إلى المجد مد إليه يدا (١)
فنال الذى فوق أيديهم من المجد ثم مضى مصعدا (٢)
يحمله القوم ماعالهم وإن كان أصغرهم مولدا (٣)
وإن ذكر المجد ألفيته تأزر بالمجد ثم ارتدى (٤)

وللعباس بن مرداس المتوفى سنة ١٦ هـ

ترى الرجل النحيف فتزدريه (٥) وفى أثوابه أسد مزير (٦)
ويعجبك الطرير فتبتليه فيخلف ظنك الرجل الطرير (٧)
فما عظم الرجال لهم بفخر ولكن فخرهم كرم وخير (٨)
بغاث الطير أكثرها فراخاً وأم الصقر مقلات نزور (٩)

---

(١) يعنى يد واحدة منه تغنى عن أيد كثيرة ·

(٢) يعنى ينال على هينة ما يتعب فيه الاقوام وزيادة ·

(٣) يعنى يكلفونه ما يحتاجون إليه على صغر سنه عنهم ·

(٤) يعنى وجدته منفردا بالمجد

(٥) فتزدريه تحتقره

(٦) المزير الشديد القلب القوى الظاهر المزارة.

(٧) الطرير ذو المنظر والرواء فتبتليه تختبره فيخلف ظنك تلقاه على خلاف ما كنت تعتقده فيه .

(٨) الخير بكسر الخاء الكرم والشرف .

(٩) بغاث الطير شرارها والمقلات التي لا تفرخ إلا واحدا والنزور القليلة الفراخ .

ضعاف الطير أطولها جسوما ... ولم تطل البزاة (١) ولا الصقور
لقد عظم البعير (٢) بغير لب ... فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبي بكل وجه (٣) ... ويحبسه على الخسف الجرير (٤)
وتضربه الوليدة بالهراوى ... فلا غير لديه ولا نكير (٥)
فان أك فى شراركم قليلا ... فانى فى خياركم كثير

ولأبي الاسود الدولي م ٦٩ هـ

أترك مجاراة السفيه (٦) فانها ... ندم وغب بعد ذاك وخيم (٧)
يأيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا (٨) ... كيما يصح به وأنت سقيم
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا ... أبدا وأنت من الرشاد (٩) عديم
إبدأ بنفسك فانهها عن غيها (١٠) ... فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويهتدى ... بالقول منك وينفع التعليم
لاتنه عن خلق وتأتى مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

ولحسان بن ثابت المتوفى سنة ٥٤ هـ

وهو شاعر النبي صلى الله عليه وسلم فى بيان أوصافه

---

(١) البزاة جمع باز وهو طائر صيد . (٢) البعير الجمل . (٣) يعنى يتوجه به أين شاء ومتى أراد وكيف شاء . (٤) الخسف حبس الدابة بلا علف والجرير حبل يكم به الجمل ليحبس عن الأكل . (٥) الوليدة الصبية والهراوة هى العصا وغير مصدر غار يغار والنكير الانكار .

(٦) مجاراة السفيه محاكاته فى السفة . (٧) الغب العاقبة والوخيم السيء

(٨) السقام المرض . (٩) الرشاد الهدى . (١٠) الغي الضلال

لسانى وسيفى صارمان كلاهما (١) ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودى(٢)
وإن أك ذا مال كثير أجد به وإن يهتصرعودى على الجهد يحمد(٣)
فلا المال ينسينى حيائى وعفتى (٤) ولا واقعات الدهر يفلان مبردى (٥)
وإنى لمعط ما وجدت وقائل لموقد نارى ليلة الريح أوقد (٦)
وإنى لقوال لذى البث (٧) مرحبا وأهلا إذا ما جاء من غير مرصد
وإنى لحلو تعترينى مرارة(٨) وإنى لتراك لما أعود

وكان النضر بن الحارث شديد العداوة لله ولرسوله فلما أسر يوم بدر أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقتله على بن أبى طالب رضى الله عنه صبرا (٩) . فعرضت للنبى أخته قتيلة بيت الحارث فأنشدته :

يا راكبا ان الأثيل مظنة من صبح خامسة وأنت موفق (١٠)

---

(١) صارمان قاطعان . (٢) يعنى أن لسانى يدرك به مالا يدرك بالسيف

(٣) الاهتصار الادناء وأمالة نحو الاغصان والجهد الفاقة والحاجة يعنى وإن تطلب منى حاجة أقضها وان كنت معدما

(٤) يعنى لا أطغى عند الاستغناء

(٥) واقعات الدهر تصرفاته وحوداثه والفل الثلم والمبرد الحديدة يسحل بها الحديد وغيره والمعنى أن حوادث الدهر لا تقعد من همتى .

(٦) يعنى ليلة البرد والريح التى يصعب فيها إيقاد النيران .

(٧) البث الشكوى من حاجة ومن غير مرصد من غير انتظار ولا وعد .

(٨) يعنى حلو للفكاهة مر الجد.

(٩) الصبر : الحبس ، وصبر الانسان على القتل : نصبه ليقتل .

(١٠) الأثيل . واد بنواحى المدينة قرب بدر، تقول أنك ستدرك الأثيل صبح الليلة الخامسة إذا لم يعقك عائق .

أبلغ به ميتا بأن تحيــة ... ما إن تزال بها النجائب تخفق (١)
منى إليه وعبرة مســفوحة ... جادت بواكفها وأخرى تخنق (٢)
هل يسمعن النضر إن ناديته ؟ ... إن كان يســمع ميت لا ينطق
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه ... لله أرحام هنــاك تشقق (٣)
قسرا يقاد الى المنية متعبا ... رسف المقيد وهو عان موثق (٤)
أمحمد هأنت ضنء كريمة ... فى قومها والفحل فحل معرق (٥)
ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق (٦)
فالنضر أقرب من قتلت قرابة ... وأحقهم ان كان عتق يعتق
لو كنت قابل فدية لفديته ... بأعز ما يغــلى به من ينفق (٧)

فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها ودمعت عيناه وقال لأبى بكر: لو كنت سمعت شعرها ما قتلته .

وقالت الخنساء وهى مخضرمة

قذى بعينك أم بالعين عوار ... أم زرفت اذ خلت من أهلها الدار
كأن عينى لذكراه اذا خطرت ... فيض يسيل على الخدين مدرار
تبكى لصخرهى العبرى وقد ولهت ... ودونه من جديد الترب أستار

---

(١) خفق السهم أسرع وناقة خيفق سريعة جدا .
(٢) وكف الدمع : سال (٣) ناشه إذا تناوله .
(٤) الرسف والرسيف : مشى المقيد ، والعانى الأسير .
(٥) رواية اللسان : ولأنت ضنء نجيبة وهى أقوم لأن ها التنبيه إذا دخلت على الضمير وجب أن يتبع باشارة ، والضنء : النسل ، ورجل معرق أى أصيل
(٦) الحنق : شدة الاغتياظ وأحنقه غيره فهو محنق .
(٧) أغلى بالشيء وغالى به . طلب فيه ثمنا غاليا أو اشتراه بثمن غال .

تبكى خناس على صخر وحق لها ... إذ رابها الدهر إن الدهر ضرار
لابد من ميتة فى صرفها عبر ... والدهر فى صرفه حول وأطوار
قد كان فيكم أبو عمرو يسودكم ... نعم المعمم للداعين نصار
صلب النحيزة وهاب اذا منعوا ... وفى الحروب جرىء الصدر مهصار
ياصخر وراد ماء قد تناذره ... أهل الموارد ما فى ورده عار
مشى السبنتى الى هيجاء معضلة ... له سلاحان أنياب وأظفار
وما عجول على بو تطيف به ... لها حنينان إعلان وإسرار
ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت ... فانما هى أقبال وأدبار
لاتسمن الدهر فى أرض وان رتعت ... فانما هى تحنان وتسجار
يوماً بأوجد منى يوم فارقنى ... صخر وللدهر إحلاء وإمرار
وإن صخراً لوالينا وسيدنا ... وان صخرا إذا نشتو لنحار
وإن صخراً لمقدام إذا ركبوا ... وأن صخراً إذا جاعوا لعقار
وإن صخراً لتأتم الهداة به ... كأنه علم فى رأسه نار
جلد جميل المحيا كامل ورع ... وللحروب غداة الروع مسعار
حمال ألوية هباط أودية ... شهاد أندية للجيش جرار
فقلت لما رأيت الدهر ليس له ... معاتب وحده يسدى ونيار
لقد نعى ابن نهيك لى أخا ثقة ... كانت ترجم عنه قبل أخبار
فبت ساهرة للنجم أرقبه ... حتى أتى دون غور النجم أستار
لم تره جارة يمشى بساحتها ... لريبة حين يخلى بيته الجار
ولا تراه وما فى البيت يأكله ... لكنه بارز بالصحن مهمار
ومطعم القوم شحما عند مسغبهم ... وفى الجدوب كريم الجد ميسار
قد كان خالصتى من كل ذى نسب ... فقد أصيب فما للعيش أوطار
مثل الردينى لم تنفد شبيبته ... كانت تحت طى البرد أسوار
جهم المحيا تضىء الليل صورته ... أباؤه من طوال السمك أحرار
مورث المجد ميمون نقيبته ... ضخم الدسيعة فى العزاء مغوار

فرع لفرع كريم غير مؤتشب ... جلد المريرة عند الجمع فخار
طلق اليدين لفعل الخير ذو فجر ... ضخم الدسيعه بالخيرات أمار
ليبكه مقتر أفنى حريبته ... دهر وحالفه بؤس وإقتار
ورفقة حار حاديهم بمهلكة ... كأن ظلمتها فى الطخية القار
لا يمنع القوم أن سألوه خلعته ... ولا يجاوزه بالليل بالليل مرار

وقال الحطيئة يمدح آل لأى

ألا هبت أمامة بعد هدء ... تعاتبنى وما قضت كراها
فقلت لها أمام ذرى عتابى ... فان النفس مبدية ثناها
وليس لها من الحدثان بد ... اذا ما الدهر من كثب رماها
فهل ابصرت أو خبرت نفساً ... اتاها فى تمنيها مناها
كانى ساورتنى ذات سم ... نقيع لا يبلائمها رقاها
لعمر الراقصات بكل فج ... من الركبان موعدها مناها
لقد شدت حبائل آل لأى ... حبالى بعد ما ضعفت قواها
ومن يطلب مساعى آل لأى ... تصعده الأمور إلى علاها
كرام يفضلون قروم سعد ... أولى إحسابها وأولى نهاها
وهم فرع الذرى من آل سعد ... اذا ما عد من سعد ذراها
وخطة ما جد فى آل لأى ... اذا ما قام قائلها قضاها
إذا أعوجت قناه الأمر يوماً ... أقاموها لتبلغ منتهاها
ويبنى المجد راحل آل لأى ... على العوجاء مضطمراً حشاها
وتسعى للسياسة آل لأى ... فتدركها وما اتصلت لحاها
لعمرك إن جارة آل لأى ... لعف جيبها حسن ثناها

وقال أبو ذؤيب الهذلى وكان له أولاد سبعه فماتوا كلهم إلا طفلا يرثيهم .

أمن المنون وريبه يتفجع ... والدهر ليس بمعتب من يجزع

قالت أمامة ما لجسمك شاحبا ... منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
أو ما لجسمك لا يلائم مضجعا ... إلا أقض عليك ذاك المضجع
فاجبتها أما لجسمى أنه ... أودى بنى من البلاد فودعوا
أودى بنى وأعقبونى حسرة ... بعد الرقاد وعبرة ما تقلع
سبقوا هوى وأعنقوا لهواهم ... فتخرموا ولكل جنب مصرع
فبقيت بعدهم بعيش ناصب ... وإخال إنى لاحق مستتبع
ولقد حرصت بأن أدافع عنهم ... وإذا المنية أقبلت لا تدفع
وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع
فالعين بعدهم كأن حداقها ... سملت بشوك فهى عورة تدمع
حتى كأنى للحوادث مروة ... بصفا المشرق كل يوم تقرع
وتجلدى للشامتين أريهم ... أنى لريب الدهر لا اتضعضع
والنفس راغبة اذا رغبتها ... وإذا ترد إلى قليل تقنع

وصلى متمم بن نويرة الصبح مع أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، ثم أنشد :

نعم القتيل إذا الرياح تناوحت ... تحت البيوت قتلت يا ابن الأزور
أدعوته بالله ثم قتلته ... لو هو دعاك بذمة لم يغدر
لا يضمر الفحشاء تحت ردائه ... حلو شمائله عفيف المئزر

ثم بكى حتى سالت عينه العوراء ، قال أبو بكر : ما دعوته ولا قتلته ، فقال متمم يرثى أخاه مالكا وهى التى تسمى أم المراثى .

لعمرى وما دهرى بتأبين مالك ... ولا جزعا مما ألم فأوجعا
لقد غيب المنهال تحت درائه ... فتى غير مبطان العشيات أروعا
ولا برما يهدى النساء لعرسه ... إذا القشع من برد العشاء تقعقعا
تراه كظل السيف يهتز للندى ... إذا لم تجد عند امرىء السوء مطمعا
فعينى هلا تبكيان لمالك ... إذا هزت الريح الكثيب الممرعا
وأرملة تدعو بأشعث محثل ... كفرخ الحبارى ريشه قد تمزعا

وما كان وقافا إذا الخيل أحجمت ولا طالبا من خشية الموت مفزعا
ولا بكهام سيفه من عـدوه إذا هو لاقى حاسرا أو مقنعا
أبى الصبر آيات أراها وأننى أرى كل حبل بعد حبلك أقطعا
وإنى متى ما أدع باسمك لم تجب وكنت حريا أن تجيب وتسمعا
تحيته منى وإن كان نائما وأمسى ترابا فوقه الأرض بلقعا
فان تكن الأيام فرقن بيننا فقد بان محمودا أخى حين ودعا
فعشنا بخير فى الحياة وقبلنا أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
وكنا كندمانى جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
فما شارف حنت حنينا ورجعت أنيناً بأبكى شجوها الترك أجمعا
ولا ذات أظآر ثلاث روائم رأين مجرا من حوار ومصرعا
بأوجد منى يوم قام بمالك مناد فصيح بالعراق فأسمعا
سقى الله أرضا حلها قبر مالك رهام الغوادى المزجيات فأمرعا

وقال أبو سفيان يذكر موقفه وبلاءه يوم أحد :

ولو شئت نجتنى كميت طمرة ولم أحمل النعماء لابن شعوب
فما زال مهرى مزجر الكلب منهم لدن غدوة حتى دنت لغروب
أقاتلهم وأدعى يآل غالب وأدفعهم عنى بركن صليب
فبكى ولا ترعى مقالة عاذل ولا تسأمى من عبرة ونحيب
أباك واخوانا له قد تتابعوا وحق لهم من عبرة بنصيب

وسلى الذى قد كان فى النفس إننى قتلت من النجار كل نجيب
ومن هاشم قرماً نجيباً ومصقعاً وكان لدى الهيجاء غير هيوب
فآبوا وقد أودى الحلائب منهم لهم خدب من مقبط وكئيب
أصابهم من لم يكن لدمائهم كفيا ولا فى خطة بضريب

فاجابه كعب بن مالك

ذكرت القروم الصيد من آل هاشم ... ولست لزور قلته بمصيب
أتعجب أن أقصدت حمزة منهم ... نجيباً وقد سميته بنجيب
ألم يقتلوا عمرا وعتبة وابنه ... وشيبة والحجاج وابن حبيب
غداة دعا العاصى عليا فراعه ... بضربة عضب بله بخضيب

ولما كان يوم فتح مكة دخل أبو سفيان بن حرب على الرسول صلى الله عليه وسلم فأنشده .

لعمرى انى يوم أحمل راية ... لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله ... فهذا أوانى حين أهدى وأهتدى!
وهاد هدانى غير نفسى ونالنى ... مع الله من طردت كل مطرد
أصد وأنأى جاهدا عن محمد ... وأدعى ولو لم أنتسب من محمد
هم ماهم من لم يقل بهواهم ... وان كان ذا رأى يلم ويفند
أريد لأرضيهم ولست بلائط ... مع القوم مالم أهدفى كل مقعد
فقل لثقيف لا أريد قتالها ... وقل لثقيف تلك غيرى أوعدى
وما كنت فى الجيش الذى نال عامرا ... وما كان من جرى لسانى ولايدى
قبائل جاءت من بلاد بعيدة ... نزائع جاءت من سهام وسرد

وقال الحطيئة (١) .

وطاوى ثلاث (٢) عاصب البطن مرمل (٣) ... ببيداء لم (٤) يعرف لساكنها رسما (٥)

---

(١) هو أبو مليكة جرول بن أوس بن مالك نشأ منبوذا لا يعرف له أهل ولا وطن وقد انتسب الى قبائل مختلفة وشعره فى الطبقة الأولى من القوة والجزالة لولا أنه أكثر من قبيح الهجاء ،

(٢) أى مقيم ثلاث ليالى على الطوى : أى الجوع .

(٣) المرمل : الذى نفد زاده . (٤) صحراء .

(٥) رسم الدار ماكان من آثارها لاصقا بالأرض .

أخي جفوة[١] فيه من الانس وحشة ... يرى البؤس فيها من شراسته نعمى
وأفرد في شعب[٢] عجوزا ازاءها ... ثلاثة أشبال تخالهم بهما[٣]
حفاة عراة ما اغتذوا خبز ملة[٤] ... ولا عرفوا للبر مذ خلقوا طعما
رأى شبحا وسط الظلام فراعه ... فلما رأى ضيفا تشمر واهتما
فقال هيا رباه ضيف ولا قرى ! ... بحقك لا تحرمه تا الليلة اللحما
فقال ابنه لما رآه بحيرة ... أيا أبت اذبحني ويسر لهم طعما
ولا تعتذر بالعدم على الذى طرأ ... يظن لنا مالا فيوسعنا ذما
فروى قليلا ثم أحجم برهة ... وان هو لم يذبح فتاه فقدهما
فبيناهما عنت على البعد عانة ... قد أنتظمت من خلف مسحلها انظما
عطاشا تريد الماء فانساب نحوها ... على أنه منها إلى دمها أظما
فأمهلها حتى تروى عطاشها ... فأرسل فيها من كنانته سهما
فخرت نحوص ذاب جحش سمينة ... قد اكتنزت شحما وقد طبقت لحما
فيابشره إذ جرها نحو قومه ... ويا بشرهم لما رأوا كلمها يدمى
وباتوا كراما قد قضوا حق ضيفهم ... وما غرموا غرما وقد غنموا غنما

وقال مالك بن الريب المازنى : يرثى نفسه ويصف قبره وكان خرج مع سعيد ابن عفان أخى عثمان بن عفان لما ولى خراسان ، فلما كان ببعض الطريق أراد أن يلبس خفه فلدغته أفعى . فلما أحس بالموت أنشأ يقول :

دعانى الهوى من أهل أود وصحبتى ... بذى الطبسين فالتفت ورائيا
فما راعنى إلا سوابق عبرتى ... تقنعت منها إن ألام ردائيا

---

(١) الجفوة : الوحشة .
(٢) الشعب : الطريق فى الجبل .
(٣) جمع بهمة : الصغير من أولاد الضأن والمعز
(٤) الملة : الرماد الحار

ألم ترنى بعت الضلالة بالهدى　　وأصبحت فى جيش بن عفان غازيا (١)
فلله درى حين اترك طائعا　　بنى باعلى الرقتين وما ليا
تقول ابنتى لما رأت وشك رحلتى　　سفارك هذا تاركى لا أباليا
ألا ليت شعرى هل بكت أم مالك　　كما كنت لو غادى نعيك باكيا
إذامت فاعتادى القبور وسلمى　　عليهن اسقين السحاب الغواديا
ترى جدثا قد جرت الريح فوقه　　ترابا كلون القسطلانى هابيا (٢)
فياصاحبى رحلى دنا الموت فاحفرا　　برابية انى مقيم لياليا
وخطا بأطرف الأسنة مضجعى　　وردا على عينى فضل ردائيا
ولا تحسدانى بارك الله فيكما　　من ألأرض ذات العرض ان توسعاليا
خذانى فجرانى ببردى اليكما　　فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا
تفقدت من يبكى على فلم أجد　　سوى السيف والرمح الردينى باكيا
وادهم غربيب يجر لجامه　　إلى الماء لم يترك له الموت ساقيا
وبالرمل لو يعلمن علمى نسوة　　بكين وفدين الطبيب المداويا
عجوزى وأختاى اللتان أصيبتا　　بموتى وبنت لى تهيج البواكيا
لعمرى لئن غالت خراسان هامتى　　لقد كنت عن بابى خرسان نائيا
تحمل أصحابى عشاءا وغادروا　　أخائقة فى عرصة الدار ثاويا

---

(١) مالك شاعر فاتك كان يقطع الطريق، وكان من أحسن الناس وجها وأرقهم حديثا ، فمر به سعيد فى طريقه الى خراسان وتألفه واتخذه فى خاصته .

(٢) القسطلانى نسبة الى قسطلان ، وهو الغبار الساطع ، والهابى التراب الدقيق .

يقولون لاتبعد وهم يدفنوننى وأين مكان البعد إلا مكانيا (١)

ومن الرثاء قول أم حكيم زوج عبيد الله بن العباس أمير اليمن من قبل على بن أبى طالب عليه السلام ، وكان معاوية قد أرسل قائده الطاغية بسر بن أرطاة إلى اليمن ، ففر من وجهه عبيدالله ، فعمد بسر إلى طفليه الصغيرين فذبحهما بمدية فقالت ترثيهما :

يامن أحس بابنىّ اللذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يامن أحس بابنى اللذين هما مخ العظام فمخى اليوم مختطف
نبئت بسرا وما صدقت ما زعموا من قولهم ومن الافك الذى اقترفوا
أنحى على ودجى ابنى مرهفة مشحوذة وكذاك الاثم يقترف
حتى لقيت رجالا من أرومته شم الأنوف لهم فى قومهم شرف
فالآن ألعن بسرا حق لعنته هذا لعمر أبى بسر هو السرف
من دل والهة حيرى مدلهة على صبيين حلا اذ غدا السلف

وقالت فيهما وهو مما يتغنى به :

ألا يامن رأى الأخوين أمهما هى الشكلى
تسائل : من رأى ابنيها ؟ وتستسق فلا تسقى
فلما استيأست رجعت بعبرة واله حيرى
تتابع بين ولولة وبين مدامع تترى

وكان كعب بن مالك الأنصارى أحد من عاون عثمان على الثائرين وشهر سلاحه فلما ناشد عثمان الناس أن يغمدوا سيوفهم انصرف ولم ير أن الأمر يخلص اليه ولا يجترىء القوم على قتله فلما قتل وقف كعب بن مالك على مجلس الأنصار فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشدهم :

من مبلغ الأنصار عنى آية رسلا تقص عليهم التبيانا
ان قد فعلتم فعلة مذكورة كست الفضوح وأبدت الشنآنا
بقعودكم فى داركم وأميركم يعشى ضواحى داره النيرانا

(١) راجعها كاملة فى ذيل الأمالى ١٣٥ — ١٤٠

بينا يرجى دفعكم عن داره ... ملئت حريقا كابيا ودخانا
حتى إذا خلصوا إلى أبوابه ... دخلوا عليه صائماً عطشانا
يعلون قلته السيوف وأنتم ... متلبثون مكانكم رضوانا
الله يعلم أننى لم أرضه ... اكم صنيعا يوم ذاك وشانا
يالهف نفسى إذ أقول ولا أرى ... نفرا من الأنصار لى أعوانا
والله لو شهد ابن قيس ثابت ... ومعاشر كانوا له أخوانا
وأبو دجانة وابن أقرم ثابت ... وأخو المشاهد من بنى عجلانا
ورفاعة العمرى وابن معاذهم ... وأخو معاوى لم يخف خذلانا
قوم يرون الحق نصر أميرهم ... ويرون طاعة أمره إيمانا

وكان ورقة بن نوفل يمر ببلال بن رباح وهو يعانى العذاب الأليم من قريش لإيمانه بالله وكان يحتمل هذا العذاب صابراً محتسبا وهو يقول : أحد أحد فكان ورقة يقول أحد أحد يا بلال ! والله لئن قتلتموه لأتخذنه حنانا — أى قديسا — وقال فى ذلك :

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم ... أنا النذير فلا يغرركم أحد
لاتعبدن إلها غير خالقكم ... فان دعوكم فقولوا بيننا جدد
سبحان ذى العرش سبحانا نعوذ به ... وقبل قد سبح الجودى والجمد
مسخر كل ما تحت السماء له ... لاينبغى أن يناوى ملكه أحد
لاشىء مما نرى تبقى بشاشته ... يبقى الا له ويودى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ دان الشعوب به ... والجن والأنس يجرى بينها البرد

وقال زيد بن عمرو بن نفيل

عزلت الجن و الجنان عنى ... كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا إبنتيها ... ولا صنمى بنى طسم ادير
ولا غنما أدين وكان ربا ... لنا فى الدهر إذ حلمى صغير
أربا واحدا أم ألف رب ... أدين إذا تقسمت الامور

ألم تعلم بأن الله أفنى رجالا كان شأنهم الفجور
رأينا المرء يعثر ذات يوم كما يتروح الغصن النضير

وقال عبد الله بن الزبعرى حين أسلم يعتذر إلى النبي صلى الله عليه وسلم مما هجاه به وهو مشرك :

يا رسول المليك إن لسانى راتق مافتقت إذ أنا بور
إذ أجارى الشيطان فى سنن الغى ومن مال ميله مثبور
آمن اللحم والعظام بما قلت فنفسى الفدا وأنت النذير

وقال

منع الرقاد بلابل وهموم والليل معتلج الرواق بهيم
مما أتانى أن أحمد لامنى فيه فبت كأننى محموم
يا خير من حملت على أوصالها عيرانة سرح اليدين رسوم
إنى لمعتذر اليك من الذى أسديت إذ أنا فى الضلال أهيم
أيام تأمرنى بأغوى خطة سهم وتأمرنى به مخزوم
فاغفر فدا لك والداى كلاهما ذنبى فانك راحم مرحوم
وعليك من أثر المليك علامة نور أضاء وخاتم مختوم
مضت العداوة فانقضت أسبابها ودعت أواصر بيننا وحلوم

وقال أبو دهبل الجمحى يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :

إن البيوت معادن فنجاره ذهب وكل بيوته ضخم (١)
عقم النساء فما يلدن شبيهه إن النساء بمثله عقم
متهلل بنعم بلا متباعد سيان منه الوفر والعدم (٢)

(١) البيوت المراد بها القبائل المعادن جمع معدن وهو منبت الجوهر ، النجار : الأصل ، وكل بيوته ضخم أى أن القبائل التى اكتنفته من أخواله وأعمامه شريفة عظيمة مثل هاشم وأمية ومخزوم .

(٢) متهلل بنعم : أى فرح بقول نعم . بلا متباعد : أى بعيد من قول لا ، وسيان : مثلان ، الوفر : المال الكثير ، العدم : قلة المال :

وقال متمم بن نويرة (١)

لقد لامنى عند القبور على البكا ... رفيقى لتذراف الدموع السوافك (٢)
فقال أتبكى كل قبر رأيته ... لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك (٣)
فقلت له : إن الشجا يبعث الشجا ... فدعنى فهذا كله قبر مالك (٤)

---

(١) شاعر مخضرم صحابى قتل أخوه مالك فى خلافة أبى بكر أيام الردة فحزن عليه ورثاه بمراث بليغة منها هذه الأبيات

(٢) التذراف : جريان الدموع . السوافك : المراد منها المسفوكة .

(٣) ثوى : أقام . اللوى والدكادك : اسما موضعين .

(٤) الشجا : الحزن .

الشعر

وما طرأ عليه فى أغراضه وألفاظه وأساليبه ومعانيه

تمهيـــد :

ا — كان الشعر فى الجاهلية ميدان البلاغة ومجال الفصاحة ، وشغل العرب الشاغل ، وسجل أيامهم الخالدة ومفاخرهم التليدة ، والناطق بمآثرهم ، والمعبر عن آمالهم ، والذائد عن أعراضهم وأحسابهم

وكان للشعر أثره فى نفوسهم وحياتهم ، وللشعراء منزلتهم العالية عند الخاصة والعامة ، وكان يقوله الصغير والكبير والرجل والمرأة والفتى والفتاة ، والبطل الممجد فى معارك الصحراء ، والصعلوك الفقير فى وصف حياته ونفسيته ومطامحه ؛ وأنتم تعلمون الكثير عن منزلة الشعر والشاعر فى الجاهليه مما سبق تفصيله لكم فى الأدب الجاهلى .

ب — وكان يذكي الشعرفى نفوس العرب فى الجاهلية بواعث كثيرة أهمها :

١ — هذه البلاغة والملكات القوية السليمة العالية .

٢ — ما كان فيه العرب من حرية ومن فراغ .

٣ — كثرة الحروب والخلافات بينهم ، مما كان يؤجج روح الشاعرية فيهم ، ويشعل ملكات البيان فى نفوسهم.

٤ — انقيادهم للعصبية وانتصارهم لها وسيرهم وراءها وتحكمها فى نفوسهم وحياتهم ، والعصبية تثير الفخر وتدعو الى الهجاء وتحمل على الحماسة . مما يستدعى الشعر ويستطلبه . إلى غير ذلك من الأسباب .

الشعر فى صدر الاسلام :

١ — جاء الاسلام بهذه الدعوة الروحية العظمى ، وتلك الثورة الانسانية الكبرى .

نزل يهدى النفوس ، ويوقظ العقل ، ويهذب الخلق ، وينظم حياة الفرد والأسرة والجماعة والأمة والانسانية كافة تنظيما يوائم أسمى مبادىء العدالة والحرية والآخاء الانسانى المنشود .

واختلف الناس حيال هذه الدعوة الكبرى فى بدء النبوة ، فمن مصدق ومكذب ، مؤمن وجاحد ، وانتصر المسلمون لدينهم المجيد ، وشبت خصومات وخلافات كثيرة ، بدأت بالحجاج والحوار والنضال باللسان ، ثم انتقلت إلى السيف والرمح والسنان فكثرت الحروب والغزوات بين الرسول والمشركين بعد الهجرة .

وهذه الخلافات وتلك الثورة الكبرى من أعظم ما يبعث على الشعر ويستدعيه

واتخذ رسول الله له شعراء يؤيدون الدعوة ويدافعون عنها ويهجون خصومها وهم : حسان وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحه . أما شعراء المشركين فمنهم عمرو بن العاصى وأبو سفيان وضرار بن الخطاب وعبد الله بن الزبعرى .

وكثرت المنافرات والمفاخرات الأدبية بين أنصار الرسول وأنصار المشركين من الشعراء ، وسجل التاريخ الأدبى طائفة كبيرة من هذه المحاورات والمفاخرات وكان لحسان فى ذلك المجال الحظ الأوفى .

وقد ساعد شعراء الرسول فى هذه المعركة الأدبية إيمانهم الثابت وتأجج عواطفهم وامتلاؤها بالرغبة فى الذود عن الاسلام والرسول بكل ما يستطيعون ويملكون ، وبلاغاتهم وطباعهم الأدبية الأصيلة ، ثم تأثرهم ببلاغة القرآن والرسول واحتذاؤهم لها ، فوق تأييد الله ورسوله فى دفاعهم الجبار عن دينه وكتابه وشريعته الخالدة المقدسة .

٢ — ثم انتهى الصراع الحربى فى جزيرة العرب وألقى المشركون كافة السلاح أمام المسلمين ودخلوا فى الدين الجديد وآمنوا بمحمد ودينه ، فسكنت الأمور واطمأنت النفوس وهدأت الخواطر وأخذ الناس يتأدبون بآداب الدين ويرعون أحكامه فى عباداتهم ومعاملاتهم وحياتهم .

فتركوا كثيرا من مفاخر جاهليتهم الباطلة ، وتقاليد بداواتهم الزائفة ،

وتحاكموا إلى الله ورسوله فيما شجر بينهم من خلاف ، فأعرضوا عن الخمر والزنا والقمار والكذب والزور ، وتركوا الهجاء الكاذب والفخر الباطل والغزل الفاحش ، وهجروا حب الانتقام والأخذ بالثار وشن الحروب لأوهى الأسباب ، وأصاخوا إلى داعي الله ونداء الحق ، وأعرضوا عن اللغو والفجور والتشبيب بالنساء

هنالك ضعف الشعر ، وبطلت أغراضه أو الكثير منها ، وفتر الداعي إليه ، بتأثير هذا الوازع الديني القوى ، ولما أعجبهم من بلاغة القرآن وروعته وعظمته وسموه ، وحسان وحديث ضعف شعره فى الاسلام مشهور ، حتى تعجب النقاد من ذلك ، وقال الثعالبي : « كان حسان يقول الشعر فى الجاهلية ، فيجيد جدا ، ويغبر فى نواصى الفحول ، ويدعى أن له شيطانا يقول الشعر على لسانه كعادة الشعراء فى ذلك ؟ ويقول مثل قوله فى بنى جفنة ملوك غسان

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن ماوية الكريم المفضل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

فلما أدرك الاسلام . وتبدل الشيطان ملكا تراجع شعره وكاد يرك فى قوله، ليعلم أن الشيطان أصلح للشاعر وأليق به وأذهب فى طريقه من الملك » [1]

٣ أما الشعراء فكانوا إزاء ذلك ، وحيال تأثرهم بالاسلام الكريم ، طوائف ثلاثا :

ا — فطائفة تركت الشعر جملة ، حيث بهرها هذا الدين الخالد ، وتلك البلاغة الرائعة بلاغة القرآن الكريم ، ومن هذه الطائفة : لبيد الذى لم يؤثر عنه فى الاسلام إلا بيت واحد كما يقولون وهو :

الحمد لله إذ لم يأتنى أجلى
حتى تبدلت من الاسلام سربالا

ب — وطائفة مع تأثرها بالاسلام والقرآن كالطائفة السابقة غيرت نهجها فى الشعر فنظمته متأثرة بآداب الدين وروحه وعقائده وأهدافه ، ولكن ظهر

---

(١) ٨٠ خاص الخاص للثعالبي ط ١٩٠٨

عليها الضعف وبان فى شعرها العجز الفنى الذى تحدث عنه الثعالبى فى شعر حسان

جـ — وطائفة ثالثة ، خالفت الطائفتين السابقتين فى أنها عاشت بعيدا فى البادية وضعفت فيها النزعة الدينية القوية مع أنها فى عصر النبوة ، وظلت على نهج حياتها السابقة فى الجاهلية ، ومن هـذه الطائفة : الحطيئة ولفيف من الشعراء سواه كضابىء البرجمى وأبو محجن الثقفى وسواهما :

٤ — وبعد فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزهه الله عن الشعر فلم ينظم منه شيئا أما أسرته فكان فيها فحول من الشعراء (١) ، وأما أكثر أصحابه فنظم الشعر وأنشده ورواه ، وأما خلفاؤه رحمة الله عليهم فقد كانوا ذوى بصر بالشعر ومعرفة به ونقد له وإعجاب به وحب وأريحية ورغبة لسماعه وإنشاده كما عرفت سواء فى ذلك ابو بكر وعمر وعثمان وعلى .

وكان عمر بن الخطاب وغيره يأمرون بتعلم الشعر ، وقد سبق فى ذلك روايات كثيرة ، ولا بأس بأن نعيد بعضها عليك . قالت عائشة : « رووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم » وقال ابن عباس : « إذا قرأتم شيئا فى كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه من أشعار العرب » وقال عمر : « رووا أولادكم ما سار من المثل وحسن من الشعر » إلى غير ذلك مما تجده فى أول العمدة وجمهرة أشعار العرب وسواهما من مصادر الآدب والبيان .

وكان رسول الله يأمر شعراءه بقول الشعر ، فأمر حسان بهجاء المشركين ، وقال له : اهجهم وروح القدس معك ، وبعث لابن رواحة فانطلق إليه مسرعا فسلم ، فجلس بين يديه ، فقال صلى الله عليه وسلم كأنه يتعجب من شعره : كيف تقول الشعر إذا قلت ؟ قال : أنظر فى ذلك ثم أقول . قال : فعليك بالمشركين » (٢)

---

(١) يقول ابن سلام فى طبقات الشعراء : كان ابو طالب شاعرا جيد الكلام [٩٨ المرجع طبع المطبعة المحمودية] . ويقول : وأجمع الناس على أن الزبير ابن عبد المطلب شاعر (٩٩ المرجع)

(٢) راجع ص ٨٨ طبقات الشعر لابن سلام طبع المحمودية .

وقال صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك : أترى الله نسى قولك :

زعمت سخينة أن ستغلب ربها و ليغلبن مغالب[١] الغلاب

وكان ابن الزبعرى يحارب رسول الله بشعره ثم أسلم ومدح النبي واعتذر اليه فقال :

إنى لمعتذر اليـــك من الذى أسديت إذ أنا فى الضلال أهيم
أيام تأمرنى بأغوى خطـة «سهم» وتأمرنى بها «مخزوم»
فاغفر فدى لك والداى كلاهما ذنبى فانك راحم مرحوم
وعليك من أثر المليك علامة نور أضاء وخاتم مختوم
مضت العداوة فانقضت أسبابها ودعت أواصر بيننا[٢] وحلوم

وقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عزة الجمحى الشاعر ، لأن المسلمين أسروه يوم بدر فرحمه الرسول وأطلق سراحه بعد أن عاهده أن لايعين عليه بشعر ولكنه خان العهد وهجا الرسول فأسر يوم أحد فقتله الرسول صلى الله عليه وسلم صبرا[٣] .

وكان هبيرة بن أبى وهب شاعراً من رجال قريش المعدودين وكان شديد العداوة لله ولرسوله فأخمله الله[٤]

أغراض الشعر فى صدر الاسلام

ا ـ هجر الشعراء الأغراض التى تتنافى والدين وتعاليم الاسلام : كالغزل الفاحش ، والفخر الكاذب ، والهجاء المقذع ومن استمر منهم على الهجاء كالحطيئة حبس وزجر من الخلفاء الراشدين وموقف عمر من الحطيئة معروف ، كذلك بطل الكلام فى الخمر ووصفها والميسر وفتيانه والجزور التى ينحرونها عليه ، وفى

---

(١) ٨٨ طبقات الشعراء
(٢) ٩٦ و ٩٧ المرجع
(٣) راجع ١٠٤ و ١٠٥ طبقات الشعراء لابن سلام
(٤) ١٠٦ و ١٠٨ المرجع

تملق الناس بالمدح ؛ وفى صيد الوحش وطرده مما كان يعده المسلم المتأثر بالعقيدة الاسلامية عبثا ولهوا

وكان كثير من هذه الأغراض شديد الصلة بحياتهم فى الجاهلية كالخمر والميسر وحياة البطولة والصراع والأخذ بالثار والرغبة فى الانتقام والدبيب والاستهتار والفجور فى الحب ، ومن أجل ذلك كان فيها أجود أشعارهم وأملؤها بالقوة والروعة والعاطفة ؛ وهذا يفسر لك بعض الحق فيما يقال من أن الشعر ضعف فى صدر الاسلام

ب — واقتصروا فى نظم الشعر فى هذه الأغراض الآتية :

١ — الدعوة إلى الاسلام ومبادئه ومناضلة خصومه .

٢ — هجاء أعداء الدعوة فى عصر النبوة ، وهجاء أصحاب الديانات الزائغة بعد عصر النبوة .

٣ — رثاء من استشهدوا فى غزوات الرسول وفى الفتوحات الإسلامية الكثيرة، ومن قتل ظلما من خلفائه وكبار أصحابه .

٤ — شيوعه على ألسنة الشعراء زمن الخلفاء الراشدين فى الفخر والتباهى بالانتصار على جيوش الفرس والروم والتمدح بشجاعة المسلمين وأبطالهم ووصف المعاقل والحصون وآلات القتال والحصار التى لم يكونوا عرفوها وأنواع الحيوان الذى لم يشاهدوه ، ومنه الفيلة التى حارب الفرس عليها العرب ، ووصف جبال الثلج والأنهار العظام وسفائن البحر ذلك . مما ملئت به كتب المغازى والفتوح . ويكثر فى هذا النوع الأراجيز .

٥ — الحكمة ، وقد كثرت فى الشعر فى هذا العصر بتأثير ثقافة القرآن والدين وللتجارب الكثيرة التى أفادوها فى الحياة ، يقول حسان أو حفيده سعيد :

وإن أمرأ يمسى ويصبح سالما   من الناس إلا ما جنى لسعيد

ويقول الحطيئة :

لا يذهب العرف بين الله والناس

ويقول كعب بن زهير .

ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

٦ — المدح وأشهر شعرائه حسان والنابغة الجعدى وكعب بن زهير والحطيئة وفى هذا الفن يبدو أثر الاسلام فى معانيه وألفاظه.

٧ - كما نظموه فى الوعظ والتزهيد فى الدنيا والدعوة الى تقوى الله ، متأثرين فى ذلك بالاسلام ،

معانى الشعر فى صدر الاسلام

وقد تأثرت معانى الشعر فى هذا العصر تأثرا واضحا بالاسلام والقرآن الكريم فغلب على معانيه :

١ — العمق والدقة والفهم والاستقصاء وترتيب المعانى والأفكار .

٢ — ظهور المعانى الاسلامية فى الشعر وغلبتها عليه .

٣ - الصدق والحق وترك المبالغة والغلو .

٤ - الوضوح والبساطة فى المعانى والأفكار والخيالات والبعث .

٥ — توليد المعانى من العقائد الاسلامية كالصلاة والصيام والجنة والنار الخ .

٦ — ظهور العاطفة الدينية وغلبتها على معانى الشعر فى هذا العصر

أسلوب الشعر .

تأثر الشعراء فى عصر النبوة وبعده بالقرآن الكريم وحديث رسول الله تأثرا ظاهرا فى الأسلوب والأداء مما أحدث تغييرا واضحا فى الأسلوب فى هذا العصر :

١ — فقد هجروا الحوشى والغريب والمبتذل والساقط والملحون

٢ — وامعنوا فى جمال السبك وعذوبته وإحكامه وتلاؤمه

٣ — كثير فى شعرهم الاقتباس من القرآن الكريم . كما يقول معن بن أوس :

فما زلت فى لينى له وتعطفى   عليه كما تحنو على الولد الأم
وخفض له منى الجناح تألفا   لتدنيه منى القرابة والرحم

٤ — جزالة الأسلوب وقوته وكثرة روائعه وصوره الأدبية والبيانية .

٥ — هذا[1] ويقسم الأقدمون الشعراء المخضرمين طائفتين متميزتين : شعراء الوبر من أعراب نجد واليمامه وبواديها ، وشعراء المدر وهم أهل القرى كالمدينة ومكة والطائف ، وقرى عبد القيس فى البحرين ، والحيرة بسواد العراق . ويرون أن شعر أهل نجد واليمامة والبوادى أفحل من شعر أهل القرى وأجزل لفظا وأضخم أداء وأوسع مذهبا فى تنويع أساليب الكلام ولكن شعرهم لا يخلو من حوشية فى العبارة ، ومنهم كان فحول الشعراء .

ويرون أن شعراء المدر ألين شعرا وأرق لفظا وألطف كناية وأدمث أسلوبا وأن أشعرهم جميعا أهل المدينة ، ومنهم كان شعراء النبى الذين نافحوا عنه الشعراء الناشئين فى قريش بعد أن لم يكن لها شعر يذكر ، وأن شعر الأنصار من الأوس والخزرج فى هذا العصر لان فى اللفظ وهان فى المعنى عما كان عليه فى الجاهليه وعللوا ذلك بأن الاسلام نسخ كثيرا من بواعث الشر التى تثير النفوس وتشعل الأحقاد : كالعصبية الجاهلية ، وحب الانتقام ، والأخذ بالثأر ، والنشوة بالخمر والهجاء الكاذب ، واكثر ما يجيش بالخواطر عند احتدام الشرور وتسكن اليه النفس عند الرضا والسرور . وأمر آخر ذكروه ، وهو أن كثرة تلقيهم آيات هذا القرآن المعجز ونزوله بينهم كل حين بما يبهرهم ويأخذ بمجامع قلوبهم صغر قيمة شعرهم فى أعينهم ، واستخسوا معانيهم وأسلوبهم بالاضافة إلى معانيه وأسلوبه ، فهبطت قوة شعرهم عما كانت عليه ، ومثلوا لذلك بقوة شعر حسان فى الجاهلية ولينه فى الاسلام وشموخ شعر أمية بن أبى الصلت فى الجاهلية واستخذائه فى الإسلام : لمكان حسده لرسول الله وأكبر من ذلك أن لبيدا العامرى وهو من

(١) المفصل فى الأدب العربى .

أخل شعراء الجاهلية ، عند ما انقطع إلى حفظ القرءان ومدارسته انقطع عن قول الشعر فى الاسلام ويقولون : إن من لم يتعرض لهذا الافحام والانبهار من أعراب البوادى بقى شعره إلا قليلا على غرار شعر الجاهلية من أمثال الحطيئة وكعب ابن زهير . وكل هذا كلام مقبول فى جملته ، ولكن كثيرا من أهل العلم والنقد من المتقدمين والمتأخرين يرون أن بعض مايستضعف من شعر شعراء مكة والمدينة والطائف مدسوس عليهم .

ألفاظ الشعر :

وألفاظ الشعر عامة فى هذا العصر يغلب عليها العذوبة والخفة وترك الحوشية والتنافر والغرابة . ويتردد فيها كثير من الألفاظ الاسلامية كالصيام والصلاة والزكاة والحج والايمان والاسلام .

✡ ✡ ✡

وبعد فقد كان المسلمون والخلفاء يرعون الشعر والشعراء . وكان أبرز عمل قاموا به هو الدعوة إلى المحافظة على الشعر الجاهلى وروايته وكتابته خوفاً من أن يندثر بكثرة من قتل من العرب فى الفتوحات ولما شاهدوه من قلة الرغبة فى الشعر عند الناس بتأثير الشعور الدينى الجديد ، ومحافظة على لغة القرآن ولفهم بلاغته وإعجازه ولهذا قال عمر بن الخطاب :

عليكم بديوانكم لا تضلوا ، فقالوا : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية ، فان فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم .

أشهر الشعراء المخضرمين

١ — عبد الله بن رواحة

المتوفى سنة ٩ هـ

شاعر عظيم القدر فى قومه سيد فى الجاهلية . كان فى حروب أهل المدينة فى الجاهلية يناقض قيس بن الخطيم

نشأ بالمدينة وشب شاعرا يفحم الشعراء ولما هاجر الرسول صلوات الله عليه أسلم . وشهد بدرا وكان فى الاسلام عظيم القدر والمكانة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

دافع عن الرسول بشعره وجادل مشركى مكة وكانت له روائع كثيرة فى تأييد الاسلام . ولذلك كان الرسول يحبه ويدعو له . وأنشد الرسول قصيدته :

نجالد الناس عرض فنأسرهم … فينا النبى وفينا تنزل السور
وقد علمتم بأنا ليس يغلبنا … حى من الناس إن عزوا وإن كثروا
يا هاشم الخير إن الله فضلكم … على البرية فضلا ما له غير
إن تفرست فيك الخير أعرفه … فراسة خالفتهم فى الذى نظروا
ولو سألت أو استنصرت بعضهم … فى جل أمرك ما آووا ولا نصروا
فثبت الله ما آتاك من حسن … تثبيت موسى ونصرا كالذى نصروا

فأقبل عليه بوجهه مبتسما ثم قال وإياك فثبت الله

وأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موتة ثالث ثلاثة أمراء : زيد بن حارثة . وجعفر بن أبى طالب . وابن رواحة . فلما قتل صاحباه كأنه كره الأقدام فقال :

أقسمت يا نفس لتنزلنه طائعة أو لتكرهنه
وطالما قد كنت مطمئنة ما لى أراك تكرهن الجنة

فقتل يومئذ . ويقول قبيل غزوة مؤتة :

إذا أدنيتنى وحملت رحلى مسيرة أربع بعد (الحساء)
فشأنك فانعمى وخلاك ذم ولا أرنو إلى أهلى ورائى
وجاء المؤمنون وغادرونى بأرض الشام مشهور الثواء
وردك كل ذى نسب قريب إلى الرحمن منقطع الإخاء

ومن شعره :

لكننى أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرع تقذف الزبدا
أو طعنة بيدى حران مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

وقال فى معركة مؤتة ،

يا نفس إلا تقتلى تموتى
هذى حياض الموت قد صليت
وما تمنيت فقد لقيت
إن تفعلى فعلهما هديت
وإن تأخرت فقد شقيت

* * *

ومن شعر عبد الله بن رواحة هذه القصيدة .

تذكر بعد ما شطت نجوداً وكانت تيمت قلبي وليداً (١)
كذى داء غدا فى الناس يمشى ويكتم داءه زمناً عميداً (٢)

---

(١) شطت : بعدت — والنجود : جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض — وتيمت : فتنت ودهلت — والوليد : المولود وهو يعنى أنه أحبها منذ الصغر

(٢) كذى داء لخ : يعنى أنه كصاحب الداء الذى كتم الناس ما به — والعميد : المديد

تصيد عورة الفتيان حتى ... تصيدهم وتشنا أن تصيدا (١)
فقد صادت فؤادك يوم أبدت ... أسيلا خدها صلتا وجيدا (٢)
تزين معقد اللبات منها ... شنوف فى القلائد والفريدا (٣)
فان تضنن عليك بما لديها ... وتقلب وصل نائلها جديدا (٤)
لعمرك مايوافقنى خليل ... إذا ماكان ذا خلف كنودا (٥)

* * *

وقد علم القبائل — غير فخر — إذا لم تلف مائلة ركودا (٦)
— بأنا نخرج الشتوات منا
إذا ما استحكمت ، حسبا وجودا (٧)

---

(١) تصيد : تتصيد — والعورة : موضع الضعف وما اختفى — والفتيان : الرجال — وتصيدهم تجذبهم وتخضعهم — وتشنا : تكره وتأبى — أن تصيدا يعنى تصيدهم عن غير عمد

(٢) صادت : ملكت — وأبدت : كشفت — أسيلا : وجها أسيلا والاسيل الطويل ، — والصلت ، الطويل أيضا — والجيد ، العنق

(٣) معاقد اللبات : الاعناق والرقاب — والشنوف : الاقراط وما تدلى من العقد — القلائد : العقد المزدوج

(٤) تضنن ، تبخل — لديها عندها — وتقلب وصل ألخ ، تتجاهله وتنكره — ونائلها : مواصلها والمعنى أنها تزعم أنها لم تصله قبل اليوم

(٥) ما يوافقنى ، لا يعجبنى — والخليل ، الصديق — والكنود ، الجحود

(٦) أقول بغير فخر إن الناس يعلمون انا إذا لم ننحر جزورا توجد راكدة فلا أقل من أن نخرج الشتوات وحسبا وجودا منصوبان على أنهما مفعول لاجله

(٧) والشتوات ، طعام الشتاء مما يصنع من البر ولحم الغنم والشياه — إذا ما استحكمت الخ إذا حصل ضيق — وذلك حفظاً لمنزلتنا — والجود بالموجود ليس بخلا

قدور تغرق الأوصال فيها ... خضيب لونها : بيضاً وسوداً (١)
متى ما تأت يثرب أو تزرها ... تجدنا نحن أكرمها وجوداً (٢)
وأغلظها على الأعداء ركناً ... وألينها لباغي الخير عوداً (٣)
وأخطبها إذا اجتمعوا لأمر ... وأقصدها وأوفاها عهوداً (٤)
إذا ندعى لثأر أو لجار ... فنحن الأكثرون بها عديداً (٥)
متى ماتدع فى جشم بن عوف ... تجدنى لا أغم ولا وحيداً (٦)
وحولى جمع ساعدة بن عمرو ... وتيم اللات قد لبسوا الحديدا (٧)
زعمتم أنما نلتم ملوكاً ... ونزعم أنما نلنا عبيداً (٨)

---

(١) قدور : آنية طهى الطعام ـ تغرق الأوصال : عميقة فيها طعام كثير ـ والخضيب : متعددة الألوان ـ بيضاً وسوداً : حال ووصف القدور

(٢) يثرب : المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ أو تزرها وفى رواية أو تردها

(٣) أغلظها : أشدها وأقواها — وألينها : أسهلها — لباغى الخير : لطالب الجود والاحسان ، والمعنى أنهم مهابون مرجون .

(٤) اخطبها : أفصحها لساناً ، وأرشدها رأياً — وأقصدها : أكثرها اقتصاداً

(٥) ندعى : ننادى ـ لثأر أو لجار : للحرب أخذاً للثار ، أو إغاثة للجار — لبينا الدعوة بفرسان لاعداد لهم وبها : بيثرب

(٦) تدع . تناديني وتنشدنى — وجشم بن عوف : قبيلة الشاعر — لاأغم : لست بمجهولا — ووحيد : لا أخ له ولا نفر

(٧) بل تجدنى كثير النفر كبير الشهرة لأن أنصار آل ساعدة بن عمرو ، وهم هم فى الحرب والسلم ـ وتيم اللات : عبدها ، وهو إسم قبيلة — لبسوا الحديد تقلدوا السلاح وأدرعوا الدروع

(٨) زعمتم : ادعيتم — أنما . أن الذى — نلتم . ملكتم . ملوكا . أقيالا وشجعاناً ـ ونحن بدورنا لا ندعى دعواكم ، بل نقول إن أسرانا من العبيد

وما نبغى من الأخلاف وترا ... وقد نلنا المسود والمسودا (١)
وكان نساؤكم فى كل دار ... يهرشن المعاصم والخدودا (٢)
تركنا جحجبى كبنات قفع ... وغوغا فى مجالسها قعودا (٣)
ورهط أبى أمية قد أبحنا ... وأوس الله أتبعنا ثمودا (٤)

٢ — كعب بن مالك

من شعراء المدينة من بنى سلمة . نشأ بها وأسلم بعد الهجرة ودافع عن الرسول بشعره ولسانه فحمده وأثنى عليه . وكان أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن تبوك فتاب الله عليهم كما قص فى سورة براءة

وكان شاعرا مجيدا . قال يوم أحد من قصيدة .

فجئنا إلى موج من البحر وسطه ... أحابيش منهم حاسر ومقنع
ثلاثة آلاف ونحن نصية ... ثلاث مئين إن كثرنا أو أربع
فراحوا سراعا موجعين كأنهم ... جهام هراقت ماءه الريح مقلع
ورحنا وأخرانا بطاء كأننا ... أسود على لحم ببيشته ظلع

---

(١) نبغى . نريد — والأخلاف . الأحزاب المتحالفون — والوتر . الانتقام وفى الأساس أن الوتر والوتيرة . التوانى — وقد نلنا الخ . ملكنا ناصية الجميع

(٢) وكان نساؤكم سبايا مأسورات يقاسين الذل والفاقة عليهن ثياب بالية قذرة أجسامهن ، وهذه أوصاف الاسرى ، وقيل يتخذن ملهاة — من المهارشة وهى المداعبة قال فى الأساس . اتهارشت الكلاب واهترشت : هارش بعضها بعضا وهارشت بينها مهارشة وهراشا ، وهما كلبا هراش ، وقيل . هرش الزمان اشتد وقسى ، والهرش المحنة والذل

(٣) جحجبى . قبيلة هزمها الشاعر وقومه — وبنات قفع : مثل يضرب فى الذلة عند العرب — والغوغاء : الطبقة لدنيا من الناس — وأوس قبيلة بيثرب — اتبعنا ثمودا أبدناهم حتى أمسو فى الغابرين .

وقال كعب فى أيام الخندق .

من سره ضرب يرعبل بعضه	بعضاً كمعمعة الأباء المحرق
فليأت مأسدة تسن سيوفها	بين المزاد وبين جزع الخندق

وقال بعد ذلك فى كلمة أيضاً .

قضينا من تهامة كل وتر	وخيبر ثم أغمدنا السيوفا
نخيرها ولو نطقت لقالت	قواطعهن دوسا أو ثقيفا
فلست بحاضن إن لم تروها	بساحة داركم منا الوفا
فننتزع العروش ببطن وج	وتترك داركم منا خلوفا
ونهدم مابنات اللات منكم	ونسلبها القلائد والشنوفا

٣ — كعب بن زهير

المتوفى عام ٢٤ هـ

وهو كعب بن زهير بن أبى سلمى أحد فحول المخضرمين ، وصاحب « بانت سعاد » . الجيدة المشهورة

ومن شعراء الرسول صلى الله عليه

أسرته شاعرة فهو ابن زهير صاحب المعلقة . قال الشعر فى حداثته ، فكان والده ينهاه عنه مخافة أن يقول مالا خير فيه فيروى عنه ، فيلزمه عاره الدهر فلم ينته ، فآذاه فلم يرتدع ، فامتحنه امتحاناً شـديداً ، فكان يقول على البديهه مايحب زهير ، فأجازه له فمضى ونبغ فيه حتى كان من فحول عصره

ولما ظهر الإسلام ذهب أخوه بجير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم فغضب كعب لإسلامه ، ونهاه عن الاسلام وهجاه وهجا رسـول الله وأصحابه ، فتوعده النبى صلى الله عليه وسلم ، وأهدر دمه ، فحذره أخوه العاقبة إلا أن يجىء إلى النبى مسلما تائباً ، فهام كعب يترامى على القبـائل أن تجيره فلم يجره أحد ، وأرجف الناس أنه مقتول لا محالة . فلما ضاقت الأرض فى وجهه ؛ جاء أبا بكر رضى الله عنه بالمدينـة وتوسل به إلى الرسـول ، وعاذ به وآمن ، وأنشد قصيدته المشهورة يمدح بها رسوو الله وهى من جيد شعره ، ومطلعها :

بانت[1] سعاد فقلبي اليوم متبول[2] ... متيم[3] إثرها لم يفد مكبول[4]

فخلع عليه النبي بردته فبقيت فى أهل بيته ، حتى باعوها لمعاوية بعشرين ألف درهم ، وبيعت للمنصور العباسى بأربعين ألفاً

وكان كعب من الشعراء المجيدين المشهورين بالسبق وعلو الكعب فى الشعر ، وكان خلف الأحمر أحد علماء الشعر يقول : لولا قصائد لزهير مافضلته على ابنه كعب ، وكفاه فضلا أن الحطيئة مع ذائع شهرته رجاه أن ينوه به فى شعره فقال :

فمن للقوافى شانها من يحوكها[5] ... إذا مامضى كعب وفوز جرول[6]

وكان يكثر من غريب الألفاظ على جودة فى الوصف ، وسهولة فى العبارة فى بعض المواضع ، وصعوبة فى بعضها الآخر .

ومن شعره قوله فى قصيدته بانت سعاد :

وقال كل خليل كنت آمله ... لا ألهينك انى عنك مشغول

فقلت خلوا سبيلى ، لا أبالكم ، ... فكل ماقدر الرحمن مفعول

كل ابن أنثى وان طالت سلامته ... يوما على آلة حدباء[7] محمول

أنبئت أن رسول الله أوعدنى ... والعفو عند رسول الله مأمول

مهلا هداك الذى أعطاك نافلة[8] ال ... قرءان فيها مواعيظ وتفصيل

لاتأخذنى باقوال الوشاة ولم ... أذنب وقد كثرت فى الأقاويل

ومن قوله أيضا :

---

(١) فارقت (٢) تبله الحب أسقمه وأضناه

(٣) معبد ومذلل (٤) مقيد

(٥) شان ضد زان ، وحاك الثوب نسجه ، والقصيدة نظمها

(٦) فوزمات ، وجرول اسم الحطيئة الشاعر

(٧) بريد النعش ، وقيل الآلة ، والحدباء العصبة الشديدة

(٨) كل عطية تبرع بها معطيها

أن كنت لاترهب ذمى لما   تعرف من صفحى عن الجاهل
فاخش سكوتى إذ أنا منصت   فيك لمسدوع خنا (١) القائل
فالسامع الذم شريك له   ومطعم المأكول كالآكل
مقالة السوء إلى أهلها   أسرع من منحدر سائل
ومن دعا الناس إلى ذمه   ذموه بالحق وبالباطل

٤ — الخنساء الشاعرة

المتوفاة عام ٢٤ هـ

هى تماضر الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية الشاعرة المشهورة. نشأت وعاشت بين قومها بنى سليم، وسليم قبيلة عربية قوية من قبائل البدو وهى من أهم قبائل قيس، وقيس أشهر مضر على الاطلاق. عرفت سليم بكثرة غزوها من حولها من القبائل وخصوصاً غطفان ثم عرفت بعد الهجرة بمناوأة الرسول أيام إقامته فى المدينة، ولكنها مالبثت أن وفد عليه معلنة إسلامها مؤيدة إيمانها بدفاع مجيد عن الرسول ورسالاه فى غزوة حنين المشهورة. وليس من العسير تصور معيشة قبيلة بدوية قبيل الاسلام فحال بدو العرب لم تتغير كثيراً على مدى الايام والاعوام ولكن بداوة سليم لم تكن خالصة وإنما كان يشوبها القليل من الحضارة فقربها من مكة يسر لها الاتصال بها ويسر لها شهود موسم الحج كل عام وما يتبع موسم الحج من أسواق تجارية واجتماعيه وأدبية، ثم قربها من المدينة يسر لها الاتصال بها وبمدنيتها وأخيراً وقوعها بالقرب أو على الطريق التجارية بين مكة والشام يسر لها الاتصال التجارى وما يتبعه من اتصال اجتماعى. كل هذا كان ولا شك له أثر فى خلط بداوة تلك القبيلة بشىء من الحضارة مهما يكن يسيراً

---

(١) فحش

ولم تكن أسرة عمرو بن الشريد ابى تماضر أو الخنساء أسرة ضعيفة الشأن بين بنى سليم، فنحن نعلم أن العرب ما اعتدت برجال فى حياتها الاجتماعية قدر ما اعتدت بفرسانها، ولقد كان صخر ومعاوية ابنا الشريد أشهر فرسان بنى سليم، بل من أشهر فرسان مضر. ويروى الرواة أن أباهما عمرو بن الشريد، كان يأخذ بيد ولديه فى موسم الحج ويقول: أنا أبو خيرى مضر، فمن أنكر فليغير، فلا يغير عليه أحد وكان يقول من أتى بمثلهما أخوين فله حكمه فتقر له العرب بذلك.

هذه قبيلة الخنساء وتلك أسرتها .. أحبها دريد بن الصمة فارس جشم وشاعرها المشهور، قالوا إن دريدا رآها يوما وهى تهنا الابل فهويها وقال فى هواه هذا شعراً منه.

حيوا تماضر وأربعوا صحبى وقفوا فان وقوفكم حسبى
أخناس قد هام الفؤاد بكم واعتاده داء من الحب

ثم خطبهـا دريد إلى أبيها فقال له أبوها «ولكن هـذه المرأة فى نفسها ما ليس لغيرها وأنا ذاكرك لها وهى فاعلة» ثم دخل إليها وقال «ياخنساء أتاك فارس هوازن وسيد جشم دريد بن الصمة يخطبك وهو من تعلمين». قالت «ياابت أترانى تاركة بنى عمى مثل عوالى الرماح ومتزوجة شيخ بنى جشم هامة اليوم أو غد». وكان دريد يسمعها فلما خرج إليه أبوها وقال له انها امتنعت وقد تجيب انصرف دريد وهو متيقن من رفضها. ولقد صعب هذا الرفض على دريد فهجاها بشعر يقول فيه:

وتزعم اننى شيخ كبير وهل خبرتها انى ابن خمس

فلما أبلغوها هجاء دريد وقالوا لها ألا تجيبينه قالت «لا أجمع عليه أن أرده وأن أهجوه»

قتل شقيقها معاوية ثم أخوها لأبيها صخر. وكان قتل معاوية فى يوم حورة الاول أما يوم حورة الثانى فقد أثاره صخر للاخذ بثار أخيه. وفى يوم ذات الأثل طعن صخر طعنه أمهلته عاما وتوفى فى آخره. وكانت الخنساء تقول المقطعات

الصغيرة فلما قتل أخواها جزعت عليهما جزعاً شديدا وبكتهما بكاء مرا ، وكان أشد وجدها على صخر ، لأنه شاطرها هي وزوجها أمواله مرارا ، فهاج حزنها الشعر في نفسها ، فقالت المراثي المطولات ، وفاقت النساء والرجال فيها وأطالت عليهما البكاء العويل حتى تقرحت مآقيها ، وحتى ضرب بها المثل في الحزن والبكاء وكثرة الرثاء .

ولعل أصدق صورة وأقواها لبر صخر بها تلك التي رسمتها هي لعائشة أم المؤمنين « قالوا أقبلت الخنساء الى المدينة حاجة فأتت عائشة أم المؤمنين وعليها صدار من شعر وهي حليقة الرأس تدب من الكبر على العصا ، وبعد أن ناقشتها عائشة في لبس الصدار ، قالت لها : ما دعاك الى هذا إلا صنائع من جميله ، قالت نعم إن لشعاري سببا وذلك أن زوجي كان رجلا متلافا للأموال يقامر بالقداح فاتلف فيها ماله حتى بقينا على غير شيء ، فأراد أن يسافر فقلت له أقم وأنا آتي أخي صخرا فاسأله ، فأتيته وشكوت اليه حالنا فشاطرني ماله ، فانطلق زوجي فقامر به فقمر حتى لم يبق لنا شيء فعدت إليه في العام المقبل أشكو إليه حالنا فعاد لي بمثل ذلك فأتلفه زوجي ، فلما كان في الثالثة أو الرابعة خلت بصخر امرأته فعذلته ثم قالت إن زوجها مقامر وهذا ما لا يقوم له شيء فان كان لا بد من صلتها فاعطها أخس مالك فانما هو متلف والخيار فيه والشرار سيان فانشأ يقول لامرأته :

والله لا أمنعها خيـــارها ... وهي حصان قد كفتني عارها
ولو هلكت قددت خمارها ... واتخذت من شعر صدارها

ثم شطر ماله فاعطاني أفضل شطرين ، فلما هلك اتخذت هذا الصدار ، والله لا أخلف ظنه ولا أكذب قوله ما حييت .

صبغت حياة الخنساء بصبغة سوداء قاتمة وباتت تعرف بجيد رثائها وعميق حزنها الذى لم تضعفه السنين شعر تفرج به عن نفسها وعزاء تتلقاه من كل من يلقاها ويسمعها صغيرا كان أم كبيرا حقيرا كان أم عظيما .

أصبحت الخنساء تشهد موسم الحج وقد سومت هودجها تنشد شعرها في رثاء

أخويها وابيها وتعاظم العرب بمصيبتها بل تعاظم العرب بجيد شعرها فى الرثاء .

لم تزل الخنساء وحدها تعاظم العرب بمصيبتها حتى أتتها هند بنت عتبة بن ربيعة تقرن جملها اليها وقد سومت هودجها هى أيضاً تعاظم العرب بمصيبتها فى فى شهداء بدر أبيها وعمها وأخيها . وفى هذا الموسم أنشدت كل منهما شعراً فى مصيبتها وأنشدت الخنساء قصيدتها .

من حس لى الأخوين   كالغصنين أو من رآهما
أخوين كالصقرين لم   ير ناظر شرواهما

وبينما كانت الخنساء تندب أخويها كانت رسالة النبى تنتشر ويشيع نورها على الحجاز وما جاوره .

وما لبثت أن توافدت اليه الوفود معلنة اسلامها . وكان بين هذه الوفود وفد بنى سليم وفيهم الخنساء وأنشدت النبى شعرها فاعجب به وكان يستزيدها ويقول لها هيه ياخناس .

« قالوا قدم عدى بن هاشم على رسول الله وقال له أن فينا أشعر الناس وأفرسهم وأسخاهم أما أسخاهم فحاتم بن سعد وأما أفرسهم فعمرو بن معدى كرب قال الرسول ليس كما قلت ياعدى فان اشعر الناس الخنساء بنت عمرو »

أسلمت الخنساء مع قومها ولكن الاسلام لم ينسها مصيبتها فكان الحاج لا يستغرب منظر امرأة حليقة الرأس لابسة الصدار تدب على عصا من الكبر وقد قرح البكاء عينيها حتى عميت تطوف فى مكة والمدينة منشدة .

ياعين جودى بالدمو   ع المستهلات السوافح
فيضاً كما فاض الغروب   المترغات من النواضح
ان البكاء هو الشفاء   من الجوى بين الجوانح

نهتها عائشة أم المؤمنين عن لبس الصدار ونهاها عمر بن الخطاب عن حزنها ولكن حزنها صمد لكل شىء ولم يضعف . « قالوا أقبلت الخنساء حاجة فمرت بالمدينة ومعها ناس من قومها فأتوا عمر بن الخطاب فقالوا هذه الخنساء نزلت المدينة بزي الجاهليه فلو وعظتها يا أمير المؤمنين فلقد طال بكاؤها فى

الجاهلية والاسلام فقام عمر فاتاها فقال : ياخنساء فرفعت رأسها وقالت : ما تشاء ، قال ما الذى قرح عينيك ، قالت البكاء على السادات من مضر قال إنهم هلكوا فى الجاهلية وهم أعضاء اللهب وحشو جهنم . قالت فذاك الذى زادنى وجعاً ، قال فانشدينى مما قلت قالت أما إنى لا أنشدك ما قلت اليوم ، ولكن أنشدك مما قلت الساعة ، فقالت :

سقى جدثا أكناف غمرة دونه   من الغيث ديمات الربيع ووابله

فقال عمر دعوها فانها لا تزال حزينة أبدا » .

واشترك بنوها الأربعة فى معركة القادسية، فكان كلامها يزيدهم نشاطا واستهتارا بالموت: « يابنى إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين . يقول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا أصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطرمت لظى على سياقها وجللت نارا على أرواقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالمغنم والكرامة فى دار الخلود والمقامة » .

قتل بنوها الأربعة فى حرب القادسية وكلنا نعلم كيف تلقت خبر موت بنيها بقلب عامر بالإيمان قوى بالعقيدة الراسخة التى تستهتر باجل شىء فى سبيلها ، قالت لما نعوهم إليها : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته » .

الخنساء لدى عائشة أم المؤمنين :

دخلت (١) الخنساء على عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وعليها صدار(٢) من شعر ، قد استشعرته إلى جلدها ؛ فقالت لها : ما هذا ياخنساء ؟ فوالله لقد توفى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فما لبسته !

قالت : إن له معنى دعانى إلى لباسه ؛ وذلك أن أبى زوجنى سيد قومه ، وكان رجلا متلافا ، فأسرف فى ماله حتى أنفده ، ثم رجع فى مالى ، فأنفده أيضاً .

ثم التفت إلى فقال : إلى أين ياخنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر ، فأتيناه ، فقسم ماله شطرين(٣) ، ثم خيرنا فى أحسن الشطرين ، فرجعنا من عنده على حال حسنة ؛ فلم يزل زوجى حتى أذهب جميعه .

ثم التفت إلى ، فقال : إلى أين ياخنساء ، قلت : إلى أخى صخر ، فرحلنا إليه ، فقسم ماله ، وخيرنا فى أفضل الشطرين .

فقالت له زوجته : ألا ترضى أن تشاطرهم مالك حتى تخيرهم بين الشطرين ، فقال :

والله لا أمنحها شرارها فلو هلكت قددت(٤) خمارها

واتخذت من شعر صدارها

فآليت ألا يفارق الصدار جسدى ما بقيت !

---

(١) العقد ص ٢٢ ج ١ ، سرح العيون ص ٢٩٩

(٢) الصدار : ثوب رأسه كالمقنعة ، وأسفله يغشى الصدر والمنكبين ، وكانت المرأة إذا فقدت حميمها فأحدت عليه لبست صداراً من صوف

(٣) شطر الشىء : نصفه

(٤) قددت : قدت

الخنساء تعاظم بمصابها :

لما[1] كانت وقعة بدر ، قتل فيها عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد ابن عتبة ، فأقبلت هند بنت عتبة ترثيهم ، وبلغها تسويم[2] الخنساء هودجها في الموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية ، وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم ، وقد سومت هودجها براية ، وأنها تقول : أنا أعظم العرب مصيبة ؛ وأن العرب قد عرفت لها بعض ذلك .

فلما أصيبت هند[3] بما أصيبت به وبلغها ذلك ، قالت : أنا أعظم من الخنساء مصيبة ، وأمرت بهودجها فسوم براية ، وشهدت الموسم بعكاظ — وكانت سوقا يجتمع فيها العرب — فقالت : اقرنوا جملي بجمل الخنساء ، ففعلوا ؛ فلما أن دنت منها ، قالت لها الخنساء : من أنت يا أخية ؟ قالت ، أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة ، وقد بلغني أنك تعاظمين العرب بمصيبتك ، فبم تعاظمينهم ؟ فقالت الخنساء بعمرو بن الشريد ، وصخر ومعاوية ابنى عمرو ، وبم تعاظمينهم أنت ؟ قالت ، بأبي عتبة بن ربيعة ، وعمي شيبة بن ربيعة ، وأخي الوليد ؛ قالت الخنساء ، أوسواء هم عندك ؟ ثم أنشدت تقول .

أبكى أبي عمراً بعين غزيرة ... قليل إذا نام الخلى هجودها
وصنوى لا أنسى معاوية الذى ... له من سراة الحرتين [4] وفودها
وصخراً ، ومن ذا مثل صخر إذ غدا ... بساهمة الآطال [5] قبا يقودها

---

(١) الأغانى ص ٢١٠ ج ٤ ، معاهد التنصيص ص ١١٧

(٢) سوم الشيء ، جعل له سومة وعلامة ليعرف ويتميز

(٣) هى هند بنت عتبة زوج أبى سفيان وأم معاوية .

(٤) الحرة : الأرض ذات الحجارة السود والمراد حرة بنى سليم ، وحرة بنى هلال بالحجاز . أى هو مقصد الأشراف تأتيه وفودها فيما يلم بها .

(٥) الساهمة : الدقيقة ، والآطال : جمع إطل وهو الخاصرة ، والقب : جمع أقب ، وهي الفرس الدقيقة الخصر ، الضامرة البطن .

فذلك ياهند الرزية فاعلمى ونيران حرب حين شب وقودها

فقالت هند تجيبها :

أبكى عميد الأبطحين [١] كليهما وحاميهما من كل باغ يريدها
أبى عتبة الخيرات ويحك فاعلمى وشيبة والحامى الذمار وليدها
أولئك آل المجد من آل غالب وفى العز منها حين ينمى عديدها [٢]

ثم قالت :

من حس لى الأخوين كالـ غصنين أو من راهما [٣]
قرمان لا يتظالما ن ولا يرام حماهما
ويلى على الأخوين والـ قبر الذى واراهما
لا مثل كهلى فى الكهو ل ولا فتى كفتاهما
أسدان لا يتذللا ن ولا يرام حماهما
رمحين خطيين فى كبد السماء سناهما
ما خلفا إذ ودعا فى سودد شرواهما [٤]
سادا بغير تكلف عفواً يفيض نداهما

* * *

ومن رثاء الخنساء :

أعينى هلا تبكيان على صخر بدمع حثيث لابكى ولا نزر
فتستفرغان الدمع أو تذريانه على ذى الندى والباع والسيد الغمر
فمالكما عن ذى اليمينين فابكيا عليه من الباكى المسلب من صبر

---

(١) الأبطحان : تريد بطحاء مكة وسهل تهامة .

(٢) عديدها : جموعها

(٣) راهما . أصله رآهما .

(٤) شرواهما : مثلهما .

كأن لم يقل اهلا لطالب حاجة بوجه بشير الامر منشرح الصدر
ولم يغد فى خيـل مجنبة القنا ليروى أطراف الردينية السمر
فشأن المنايا اذ أصابك ريبها لتغدو على الفتيان بعدك أو تسرى
فمن يضمن المعروف فى صلب ماله
ضمانك أو يقرى الضيوف كما تقرى
ومبثوثة مثل الجراد وزعتها لهـا زجل يملا القوب من الذعر
صحبتهم بالخيل تردى كأنها جراد زفته ريح نجد الى البحر
وقائله والنعش يسبق خطوها لتدركه يالهف نفسى على صخر
ألا ثكلت أم الذين غدوا به الى القبر ماذ ايحملون الى القبر
وماذا ثوى فى اللحد تحت ترابه من الخير يا بؤس الحوادث والدهر

* * *

ولها ترثى صخرا :

يالهف نفسى على صخر وقد فزعت خيل لخيل وأقران لاقران
سمح اذا يسر الاقوام أقدحهم طلق اليدين وهوب غير منان
حلا حل (١) ماجد محض ضريبته مجذامة (٢) لهواه غير مبطان (٣)
سمح سجيته جزل عطيتـــه وللامانة راع غـــير خوان
نعم الفتى أنت يوم الروع قد علموا كف اذا التف فرسان بفرسان
سمح الخلائق محمود شمائله عالى البناء اذا ماقصر البانى
مأوى الارامل والايتام ان سغبوا شهاد أنجية مطعام ضيفان
حلف الندى وعقيد المجد أى فتى
كالليث فى الحرب لا نكس ولا وان (٤)

* * *

---

(١) كريم (٢) عاص
(٣) عظيم البطن (٤) فاتر

وقالت :

أيا عـين مالك لاتهجعينا ... وتبكين اذحل ماتكرهينا
لصخر بن عمرو فجعنا به ... فجلت رزيئته اذ رزينا
رزينا أخا المجد والمكرمات ... فاصبح فى العصبة الماكثينا
فيا صخر لا يبعدنك المليك ... فقد كنت ركنا وحصنا حصينا
وعظم الشجا فى قلوب العدا ... ونضلا اذا جاءك السائلونا
رقيع العماد يفوق الرجال ... ويجرى فيسبق سبقا مبينا
يخال الخطار ليوم الفخار ... ويحمى الزمار ويعطى المئينا
ويبلى السيوف ويقرى الضيوف ... اذا الطرق أمسى عزيزا ثمينا
فيالك من نكبة الحقت ... أمرت معيشتنا ماحيينا
رمتنا فلم يخطنا سهمها ... كذلك الحوادث حينا فحينا
بصخر بن عمرو بمجهولة ... من الارض قد ضمنته رهينا
فيا أرض ماذا وعيت الندى ... بصخر بن عمرو وفى من تعينا
تعين من السودد المشترى ... وابن المكارم لو تعلمينا
فلو ان حيابكته البلاد ... لبكينه ثم حنت حنينا
ولكننى سوف أبكى عليك ... ومثل فراقك أبكى العيونا
فبكى أخاك لالآئه ... اذا المجد ضيعة السايسونا
وتذكر ايامك الصالحات ... وما كنت تأتى الينا دفينا
سقى الله قبرك صوب الغمام ... فروى القلب وروى الجنينا
فنعم الفتى فى زمان الهياج ... اذا ماالرماح بجمع روينا
ودارت رحا القوم تحت السيوف ... وكانوا هنالك لاينثنونا
وقرن يرى الموت منه الرجال ... يقارع عن نفس المخطرينا
كريم المشاهد يوم الحفاظ ... إذا ما النساء أرنت رنينا
حملت عليه فغادرته ... صريعا وعفرت منه الجبينا
وأنت على معرب قارح ... كأن به حين يردى جنونا

وفتيـان صدق على شذب إذا وجوههن وجها هوينا
فولوا شـلالا وألفيتهم ليسقون نهجا وجونا حوينا
فسوف أبكيك يا ابن الشريد وأسهر عيني مع الساهرينا

* * *

ولها :

يؤرقني التذكر حين أمسي فأصبح قد بليت بفرط نكس
على صخر وأي فتى كصخر ليوم كريهة وطعان حلس
وللخصم الالد إذا تعدى ليأخذ حق مظلوم بقنس
فلم اسمع به رزءا لجن ولم أسمع به رزءا لانس
أشد على صروف الدهر أيدا وأفصل في الخطوب بغير لبس
وضيف طارق أو مستجير يروع قلبه من كل جرس
فاكرمه وامنه فامسى خليا باله من كل بؤس
وأكرم عند ضر الناس جهدا لجاد أو لجار أو لعرس
ألا يا صخر لا أنساك حتى أفارق مهجتي ويشق رمسي
فقد ودعت يوم فراق صخر أبي حسان لذاتي وأنسي
فيا لهفي عليه ولهف أمي أيصبح في الضريح وفيه يمسي
يذكرني طلوع الشمس صخرا واذكره بكل مغيب شمس
ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي
ولكن لا أزال أرى عجولا وباكية تنوح ليوم نحس
هما كلتا هما تبكي أخاها عشية رزئه أو غب أمس
وما يبكون مثل أخي ولكن أعزي النفس عنه بالتأسي

* * *

ومن قولها فى صخر أيضا :

أمن جدث الأيام عينك تهمل ... تبكى على صخر وفى الدهر مذهل (١)
ألا من لعين لا تجف دموعها ... إذا قلت أفنت تستهل فتحفل (٢)
على ماجد ضخم الدسيعة بارع ... له سورة فى قومه ماتحول (٣)
فما بلغت كف أمرىء متناولا ... من المجد إلا والذى نلت أطول
ولا بلغ المهدون للناس مدحة ... وإن أطنبوا إلا الذى فيك أفضل

ومن أجل البيتين الأخيرين فضلها معاوية بمحضر الأخطل ، وأقرلها الأخطل بالفضل .

* * *

ومن قولها : وقد تسابق أبوها وأخوها فسبق أبوها ، فقيل لها : لئن مدحت أباك لقد هجوت أخاك ، فقالت : وتخلصت من الموقف أحسن تخلص بجعل سبق أبيها ليس عن عجز أخيها ، ولكنه اعتراف بحقه وتسليم لكبر سنه .

جارى أباه فاقبلا وهما ... يتعاوران ملاءة الحضر (٤)
حتى إذا نزت القلوب وقد ... لزت هناك العذر بالعذر (٥)

---

(١) هملت العين (كضرب) كثر نزول دمعها . المذهل : هنا مصدر ميمى : أى الذهول ، والمعنى إن الدهر فى ذهول عنك لا يهمه أمرك ولا يرد لك بالبكاء فائتا .

(٢) استهل المطر . بدأ نزوله. حفلت السماء (كضرب) كثر مطرها .

(٣) الدسيعة . الجفنة . أو المائدة الكريمة . برع . تم فى كل فضل وكمال .

(٤) الحضر والإحضار : السرعة .

(٥) نزت : تحركت واضطربت . لزه به . ألصقه به . العذر بسكون الذال : الشعر الذى على كاهل الفرس . أو أصلها العذر بضمتين جمع عذار وهو جانب اللحية أو ما وقع عليه من اللجام .

وعلا هتاف الناس أيهما قال المجيب هناك لا أدرى
برزت صحيفة وجه والده ومضى على غلوائه يجرى[1]
أولى فأولى أن يساويه لولا جلال السن والكبر[2]
وهما وقد برزا كأنهما صقران قد حطا إلى وكر

وقيل للخنساء: صفى لنا اخويك صخرا ومعاوية فقالت كان صخر والله جنة الزمان الا غبر وذعاف الخميس الأحمر وكان والله معاوية القائل الفاعل، قيل لها . فأيهما كان أسنى وأفخر قالت اما صخر لحر الشتاء وأما معاوية فبرد الهواء قيل لها : فأيهما أوجع وأفجع قالت: اما صخر لجمر الكبد وأما معاوية فسقام الجسد وانشأت .

اسدان محمرا المخالب نجدة بحران فى الزمن الغضوب الانمر
قمران فى النادى رفيعا محتد فى المجد فرعا سؤدد متخير

وقالت الخنساء ترثى أخاها :

قذى بعينك أم بالعين عوار أم ذرفت أن خلت من أهلها الدار
كأن دمعى من ذكرى اذا خطرت فيض يسيل على الخدين مدرار
فالعين تبكى على صخر وحق لها ودونه من جديد الارض أستار
بكاء والهة ضلت أليفتها لها حنينان اصغار واكبار
ترعى اذا نسيت حتى اذا ذكرت فانما هى اقبال وادبار
وان صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار
حامى الحقيقة محمود الخليقة مهدى الطريقة نفاع وضرار

وقالت أيضا :

اعينى جودا ولا تجمدا الا تبكيان لصخر الندى

---

(١) الغلواء : الغلو .
(٢) الكبر : الشرف والعظمة .

ألا تبكيان الجرى الجواد ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العما د ساد عشيرته امردا
يحمله القوم ما غالهم وان كان أصغرهم مولدا
جموع الضيوف الى بابه يرى أفضل الكسب أن يحمدا

ومما رثت به أخاها معاوية قولها من قصيدة .

ألا ما لعينك أم ما لها لقد أخضل الدمع سر بالها
أبعد ابن عمرو من آل الشريـ ـد حلت به الأرض أثقالها
وأقسمت آسى على هالك وأسأل نائحة مالها
لتجرى المنية بعد الفتى الـ ـمغادر بالمحو أذلالها(١)
سأحمل نفسى على خطة فاما عليها ، وإما لها
نهين النفوس وهون النفو س يوم الكريهة أبقى لها
فان تك مرة أودت به فقد كان يكثر تقتالها
فزال الكواكب من فقده وجللت الشمس أجلالها(٢)

وقولها من قصيدة ترثى بها أخاها صخرا .

بكت عينى وعاودها قذاها بعوار فما تقضى كراها
على صخر وأى فتى كصخر إذا ما الناب لم ترأم طلاها
لئن جزعت بنو عمرو عليه لقد رزئت بنو عمرو فتاها

* * *

---

(١) المغادر بالمحو أى المتروك بالموضع المسمى المحو — وأذلالها مجاريها — تقول لتجر المنية فى مجاريها كما تشاء فما أبالى بما تفعل بعد موت هذا الفتى المقتول بالمحو .

(٢) أجلالها جمع جل أى ستر .

وكثير من النقاد يعجبون بشاعرية الخنساء ويشيدون بها حتى إن جريراً سئل من أشعر الناس فقال أنا لولا الخنساء . وأغلب النقاد على أنه لم تكن امرأة قبل الخنساء ولا بعدها أشعر منها ، ومن فضل ليلى الأخيلية عليها لم ينكر أنها أرثى النساء . وكان بشار يقول لم تقل امرأة شعرا إلا ظهر الضعف فيه ، فقيل له وكذلك الخنساء ، فقال تلك غلبت الفحول . ولم يكن شأنها عند شعراء الجاهلية ، أقل منه عند شعراء الاسلام فذلك النابغة الذبياني يقول لها وقد أنشدته بسوق عكاظ قصيدتها التي مطلعها :

قذى بعينيك أم بالعين عوار أم ذرفت إذخلت من أهلها الدار

لولا أن أبا بصير يعني « الأعشى » أنشدني قبلك لقلت إنك أشعر من بالسوق ولشعر الخنساء رنين في السمع ، وهزة في القلب ووقع في النفس ، لأنه صادر عن فؤاد محزون وما خرج من القلب حل في القلب ، وكان فوق ذلك لين اللفظ سهل الأسلوب حسن الديباجة .

٥ — أبو محجن الثقفي

المتوفى عام ٣٠ هـ

شاعر مخضرم ، نشأ في الطائف وهي مدينة في الجنوب الشرقي من مكة تبعد عنها خمسة وسبعين ميلا اشتهرت بطيب هوائها وجودة مزارعها وهي مصيف العرب قال النميري يصف أخت الحجاج بالنعمة والترف

تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف

وكانت أشهر القبائل العربية بالطائف « ثقيف » قبيلة أبي محجن . وقد أنجبت ثقيف شعراء مجيدين في الجاهلية والاسلام ومن شعراء الجاهلية الشاعر المتدين أمية بن أبي الصلت ، وفي العصر الأموي الشاعر الشريف طريح الثقفي ، والشاعر الحكيم الأجرد الثقفي — واشتهر من أمرائها وساستها وقادتها الأمير الحجاج بن يوسف الثقفي ، والقائد الشاب محمد بن القاسم الثقفي فاتح السند ولما يكتمل العشرين ، والذي قال فيه القائل .

ساس الجيوش لسبع عشر حجة ياقرب ذلك سؤدداً من مولد

كذلك كانت كثرة العنب والزبيب فى بلادهم سبباً فى شيوع الخمر بينهم وولوع أهلها بشربها .

وقد كانت الخمر شائعة بين العرب فى الجاهليه ، ولكن بين خاصتهم لا بين عامتهم . يتمدحو بشربها وإتلاف مالهم فى سبيلها.

وكانت الخمر تأتيهم من الشام ومن اليمن ومن الطائف ، وأبو محجن كان كما يقول أحمد أمين من هذه الطبقة ، فتى ، غنى « من ثقيف ، من الطائف ـ شجاع ، كريم يكثر الشراب ، ويتلف المال ويحتفظ بالمروءة ويقول .

لا تسأل الناس عن مالى وكثرته   وسائل الناس عن حزمى وعن خلقى
القوم أعلم أنى من سراتهم   إذا تطيش يد الرعديدة الفرق
قد أركب الهول مسدولا عساكره   واكتم السر فيه ضربة العنق
عف المطالب عما لست نائله   وإن ظلمت شديد الحقد والحنق
وقد أجود وما مالى بذى فنع (١)   وقد أكر وراء المجحر الفرق (٢)
سيكثر المال يوما بعد قلته   ويكتسى العود بعد اليبس بالورق

ظلت ثقيف على جاهليها لا تذعن لدعوة الاسلام حتى أسلم من حولها ورأت نفسها بمعزل ، فاضطرت إلى الاسلام فى السنة التاسعة للهجرة ، وسمع شاعرنا بالاسلام وتعاليمه فأسلم مع قومه ولم نسمع عنه فى حياة رسول الله وأبى بكر شيئا ولكنا نراه اصطدم مع عمر وهو الشديد فى الحق لا تأخذه فيه هوادة ، فعاد شاعرنا يتغزل ويشرب ـ يرى امرأة من الأنصار تسمى « الشموس » فيحبها ويحاول رؤيتها بكل حيلة فلا يستطيع ، فيؤجر نفسه ويعمل فى حائط يبنى بجانب منزلها ويطل عليها من كوة البستان ويقول :

ولقد نظرت إلى الشموس ودونها
حرج من الرحمن غير قليل

ويشرب ويقول الشعر فى الخمر :

---

(١) الفنع زيادة المال والمال ذو فنع « كثير »
(٢) المجحر الهارب الذى ألجىء الى الجحر .

إن كانت الخمر قد عزت وقد منعت
وحال من دونها الاسلام والحرج
فقد أباكرها صرفاً وأمزجها
ريا وأطرب أحياناً وأمتزج

فحده عمر وبلغ ذلك سبع مرات أو ثمانيا، وهو لايزال على رأيه: مصمم على تفكيره، ماض فى عزله وشربه، يئس عمر من علاجه، وضاق به ذرعا، فقرر أن ينفيه فى جزيرة كانت تنفى فيها العرب فى الجاهلية خلعاءهـا، وبعث معه حرسياً يحافظ عليه حتى لا يهرب، وأوصاه ألا يأخذ سجينه سيفا معه، وقد عرف عمر كيف ينتقم، فلم يألم ابو محجن من شىء ألمه من هذا

تظاهر أبو محجن بأنه يحمل غرارتين ملئتا دقيقا وعمد إلى سيفه فجعل نصله فى غرارة، وجفنه فى غرارة، ودفنها فى الدقيق حتى إذا جاوز هو والحرسى المدينة ولقيا من سفرهما هذا نصباً جلساً للغداء، فقام شاعرنا يوهم أنه يخرج دقيقاً، فأخرج سيفه، ووثب على الحرسى، فخرج يعـدو على بعيره راجعاً إلى المدينة، وذهب أبو محجن إلى حيث يحيـا الرجال والفرسان حياة النجدة والشهامة — إلى مواقع الغزوات، إلى أشدها هولاء وأصعبها مراساً، إلى «القادسية» حيث المواقع الفاصلة، بين سيادة العرب وسيادة الفرس

ولكن عمر، لم يخف عليه أمره، فعرف أين توجه، فما وصل إلى القادسية حتى سبقه كتاب عمر يأمر سعد بن أبى وقاص بحبسه، ففعل ذلك وحبسه فى قصره وقيده، فمشى يرسف فى قيوده ويستعطف سعداً أن يطلقه فزجره، فذهب إلى سلمى زوج سعد وقال لها:

هل لك إلى خير؟

قالت: وما ذاك؟

قال: تخلين عنى وتعيريننى البلقاء (فرس سعد) فلله على إن سلمنى الله أن أرجع إليك حتى تضعى رجلى فى قيدى، فابت؛ فقام ثائراً حزيناً، يرى القتال على الباب وهو يرسف فى القيد، وانطلق لسانه بهذه الأبيات:

كفى حزناً أن تطعن الخيل بالقنا
وأترك مشدوداً على وثاقيا
إذا قمت عنانى الحديد وغلقت
مغاليق من دونى تصم المناديا
وقد كنت ذا أهل كثير وإخوة
فقد تركونى واحداً لا أخا ليا
هلم سلاحى لا أبالك أننى
أرى الحرب لاتزداد إلا تماديا
ولله عهد لا أخيس بعهده
لئن فرجت ألا أزور الحوانيا (١)

سمعت سلمى هذا الشعر فرثت له ورأت الصدق فى قوله فاطلقته ، واقتاد فرس سعد وخرج إلى مواطن القتال وإذا به أمام الناس يقف بين الصفين ويحمل على العدو حملات منكرة حتى عجب الناس من قتاله وأمره ، ورأوا الفرس فرس سعد ، والطاعن لم يشهد الحرب معهم قبل اليوم ، حتى إذا انتصف الليل وتحاجز العسكران رجع صاحبنا إلى القصر وأعاد رجليه فى القيد ! (٢)

فلما أصبح الصباح تحدث الناس به وأخبرت سلمى سعداً بما كان منه فأطلقه وعاهده ألا يحده أبدا إذا شرب .

وقال لسعد كنت آنف أن أتركها من أجل الحد ، فاما اذ بهرجتنى فلا والله لا أشربها أبدا .

لقد كان مما أخذه عمر عليه قوله :

إذا مت فادفنى إلى أصل كرمة ... تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى بالفلاة فاننى ... أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

---

(١) الحوانى جمع حانية وهى الحانوت
(٢) راجع ص ١٥٢ — ١٥٥ من هذا الكتاب

ودخل ابنه على معاوية فقال له أبوك القائل :

إذا مت فادفنى إلى جنب كرمة تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى بالفلاة فاننى أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

فقال : أبى الذى يقول :

لا تسأل الناس عن مالى وكثرته وسائل القوم عن مالى وعن خلقى

٦ — أبو ذؤيب الهذلى

المتوفى عام ٢٦ ﻫ

هو خويلد بن خالد الجاهلى اسلامى أحد المخضرمين أسلم واشتهر بقول الشعر الفحل الرصين .

خرج مع ابن سعد بن أبى سرح لغزو أفريقيا عام ٢٦ هجرية ثم عاد مع ابن الزبير إلى مصر فاصيب أبناوه الخمسة فيها بالطاعون فماتوا ورثاهم بمرثيته المشهورة . ومات أبو ذئيب فى مصر بعدهم عام ٢٦ ﻫ .

وكانت له مكانة كبيرة فى الشعر وأشهر قصائده عينيته التى رثى فيها أولاده الخمسة . وهى كما فى المفضليات .

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع (١)
قالت أميمة ما لجسمك شاحباً منذ ابتذلت ومثلى مالك ينفع (٢)
أم ما لجنبك لا يلائم مضجعاً إلا أقض عليه ذاك المضجع (٣)

---

(١) المنون . الموت يذكر ويؤنث ، وسمى الموت منونا ؛ لأنه يمن المرء . أى ينقصه . ريب المنون . ما ياتى به من الفواجع . الاعتاب . فعل ما يرضى العاتب .

(٢) ابتذل الرجل (بالبناء للفاعل) عمل عمله بنفسه . وقوله . ومثل مالك ينفع أى فى شراء العبيد وقيامهم بالعمل بذلك .

(٣) أقض عليه المضجع . أى امتلأ قضيضا (حصى) والمراد أنه أرق ولم يهدأ .

فأجبتها أن ما لجسمى أنه ... أودى بنى من البلاد فودعوا (١)
أودى بنى فأعقبونى حسرة ... بعد الرقاد وعبرة ما تقلع
سبقوا هوى وأعنقوا لهواهم ... فتخرموا ولكل جنب مصرع (٢)
فغبرت بعدهم بعيش ناصب ... وإخال أنى لاحق مستتبع (٣)
ولقد حرصت بأن أدافع عنهمو ... وإذا المنيه أقبلت لا تدفع
وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع
فالعين بعدهم كأن جفونها ... سملت بشوك فهى عورا تدمع (٤)
وتجلدى للشامتين أريهم ... أنى لريب الدهر لا أتضعضع
حتى كأنى للحوادث مروة ... بصفا المشقر كل يوم تقرع (٥)
لا بد من تلف مقيم فانتظر ... أبأرض قومك أم بأخرى المضجع
ولقد أرى أن البكاء سفاهة ... ولسوف يولع بالبكا من يفجع

إلى آخر هذه القصيدة الجيدة

وله قصائد كثيرة فى الشعر والشعراء لابن قتيبة « ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ طبعة ١٩٣٢ » . وسئل حسان من أشعر الناس فقال هذيل وأشعر هذيل غير مدافع

---

(١) أن هنا مخففة من الثقيلة ، أى أجبتها أن الذى حصل لجسمى أن أولادى هلكوا . وتركونى .

(٢) أصل هوى هواى (لغة هذيل تقلب ألف المقصور فى هذه الحالة ياء وتدغمها فى ياء المتكلم) أعنقوا . ساروا سيرا فسيحا سريعا ، والمراد أنهم ماتوا فى مقتبل العمر فوصلوا إلى الغاية قبل غيرهم . تخرموا . أخذوا واحدا بعد واحد .

(٣) غبرت . بقيت . مستتبع : لاحق ، من قولك ، استتبعنى فلان ، أى جعلنى أتبعه .

(٤) ويرى كأن حداقها وذلك مناسب لقوله سملت . أى فقئت وعورا مقصور عوراء .

(٥) المروة . القطعة من أصلب الحجارة . الصفا . جمع صفاة ، وهى الحجر الصلد الضخم . المشقر . حصن بالبحرين .

أبو ذؤيب . ويقول فيه ابن سلام كان شاعرا فحلا لا غميزة فيه ولا وهن وجعله من الطبقة الثالثة مع لبيد والجعدى والشماخ

٧ — الحطيئة

المتوفى عام ٥٩ ﻫ

هو أبو مليكة جرول الحطيئة العبسى الشاعر المشهور نشأ نشأة فقيرة فى نجد خامل النسب قليل الحسب مختلطا عليه أمر أمه وأبيه انتسب إلى عبس فنسب إليها وكان مع ذلك دميما قبيح الخلقة بخيلا يطرد أضيافه ويؤذى جيرانه ويقع فى أعراض الناس ويثلبهم فكانوا يخشون لسانه .

كان الحطيئة تلميذ زهير فى الشعر وراويته لذلك خرج شعره مصقولا قوى الديباجة رائع الأسلوب ساحر البيان فخم الألفاظ له نصيب كبير من الروعة والبلاغة .

وكان الحطيئة من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصحائهم متصرفا فى جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والغزل مجيدا فى ذلك كله أدرك الجاهلية والاسلام فأسلم ثم ارتد كما يقول صاحب الأغانى . ويقول أبو عبيدة فيه : كان الحطيئة متين الشعر شرود القافية .

وفد على سعيد بن العاص وهو يعشى الناس بالمدينة ، والناس يخرجون أولا أولا ، والحطيئة قبيح المنظر ، رث الهيئة ، جالس مع أصحاب سمره ، فذهب الشرط يقيمونه ، فأبى أن يقوم ، وحانت من سعيد التفاتة ، فقال : دعو الرجل ، فتركوه وخاضوا فى أحاديث العرب وأشعارها مليا ، فقال لهم الحطيئة(١) : والله ما أصبتم جيد الشعر ، ولا شاعر العرب ، فقال له سعيد : أتعرف من ذلك شيئا ؟ قال : نعم ، قال : فمن أشعر العرب ؟ قال الذى يقول .

---

(١) الأغانى ص ١٦٧ ج ١

لا أعد الاقتار عدما ولكن فقد من رزئته الاعدام

أنشد القصيدة حتى أتى عليها .

قال له : من يقولها ؟ قال أبو دواد الايادى ، قال ؛ ثم من ؟

قال الذى يقول :

أفلح (١) بما شئت فقد يدرك بالجهل وقد يخدع (٢) الأريب

ثم أنشدها حتى فرغ منها : قال : ومن يقولها ؟ قال عبيد بن الأبرص ، قال ؛ ثم من؟ قال : لحسبك بى عند رغبة أو رهبة إذا رفعت إحدى رجلى على الأخرى ثم عديت فى إثر القوافى عداء الفصيل الصادى ، قال . ومن أنت قال : الحطيئة ، فرحب به سعيد ، ثم قال : أسأت بكتمانك نفسك منذ الليلة ، ووصله وكساه .

ومضى لوجهة إلى عتيبة بن النهاس العجلى ، فسأله فقال له : ما أنا على عمل فأعطيك منه ، ولا فى مالى فضل عن قومى ، قال له : فلا عليك ! وانصرف .

فقال له بعض قومه : لقد عرضتنا ونفسك للشر ! قال : وكيف ؟ قالوا : هذا الحطيئة ، وهو هاجينا أخبث هجاء ، فقال : ردوه ، فردوه إليه ، فقال له : لم كتمتنا نفسك ؟ كأنك كنت تطلب العلل علينا ! اجلس فلك عندنا مايسرك ، فجلس فقال له : من أشعر الناس ؟ قال الذى يقول :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره (٣) ومن لا يتق الشتم يشتم

فقال له عتيبة : إن هذا من مقدمات أفاعيك ، ثم قال لوكيله : اذهب معه إلى السوق فلا يطلب شيئاً إلا اشتريته له فجعل يعرض عليه الخز ورقيق الثياب

---

(١) أفلح من الفلاح وهو البقاء ، أى عش بما شئت من عقل وحمق ، فقد يرزق الأحمق ، ويحرم العاقل .

(٢) رجل مخدع : خدع مراراً .

(٣) يفره يتمه ولا ينقصه

فلا يريدها ، ويومى إلى الكرابيس [1] والأكسية الغلاظ ، فيشتريها له ، حتى قضى أربه [2] ؛ ثم مضى .

فلما جلس عتيبه فى نادى قومه أقبل الحطيئه ، فلما رآه عتيبة قال : هذا مقام العائذ بك يا أبا مليكة من خيرك وشرك ، قال : قد كنت قلت بيتين فاستمعهما ، ثم أنشا يقول .

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا فسيان لا ذم عليك ولا حمد الخ

ومن شعره يهجو الزبرقان ، ويناضل عن بغيض قصيدته التى يقول فيها :

والله ما معشر لاموامرأ جنبا [3] فى آل لأى بن شماس بأكياس [4]
ما كان ذنب بغيض ، لا أبا لكم ، فى بائس جاء يحدو آخر الناس
لقد مريتكم [5] لو أن درتكم [6] يوماً يجى بها مسحى وإبساسى [7]
وقد مدحتكم عمدا لأرشدكم كيما يكون لكم متحى [8] وإمراسى [9]
لما بدا لى منكم عيب أنفسكم ولم يكن لجراحى فيكم آسى
أزمعت يأساً مبيناً من نوالكم ولن ترى طاردا للحر كاليأس .

---

(١) الكرابيس : ثياب القطن .

(٢) الأرب الحاجة .

(٣) الجنب الغريب

(٤) جمع كيس : اللبيب القطن ، والمراد بالمعشر الزبر[قان] ورهطه .

(٥) مرى الناقة يمريها مسح ضرعها ، والمراد مدار[اتهم] ومدحهم ليدروا عليه العطاء (٦) الدرة . اللبن .

(٧) الإبساس التلطف بالناقة عند الحلب بأن يقا[ل] لها بس بس تسكيناً لها لتدر

(٨) المتح : نزع الماء من البئر

(٩) الامراس : وضع حبل البئر فى البكرة بعد أن انزلق منها .

ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلا ذا ناقة حل فى مستوعر شاسى [1]
جارا لقوم أطالوا هون منزله وغادروه مقيما بين أرماس [2]
ملوا قراه وهرته [3] كلابهم وجرحوه بأنياب وأضراس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم [4] الكاسى
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب ؛ فرفعه عمر اليه واستنشده فأنشده ، فقال عمر : ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة ، فقال الزبرقان : أو ما تبلغ مروءتى إلا أن آكل وألبس ؟ فقال عمر : على بحسان ، فجىء به ، فسأله . فقال . أتراه هجاه ؟ فقال . نعم وسلح عليه ! فحبسه عمر ، فقال فى الحبس قصائد يستعطف بها عمر ، فلم يلتفت إليه ، حتى قال .

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ [5] زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة فاغفر ، عليك سلام الله ، ياعمر
أنت الإمام الذى من بعد صاحبه ألقت إليك مقاليد النهى البشر
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر [6]
فامنن على صبية بالرمل مسكنهم بين الأباطح تغشاهم بها القرر [7]
أهلى فداؤك كم بينى وبينهم من عرض داوية [8] تعمى بها الخبر

---

(١) المستوعر المكان الوعر ، والشاسى : المكان الغليظ المرتفع .
(٢) الرمس القبر وجمعه أرماس ، والهون المذلة . أى تركوه كالميت .
(٣) هرته الكلاب . نبحته ، وهو كناية عن أنه كان غريباً مضطهدا بينهم
(٤) الطاعم : المطعوم . والكاسى : المكسو
(٥) ذو مرخ : واد بالحجاز .
(٦) الأثر : واحدها أثرة ، ومعناها الاستئثار والمكرمة .
(٧) القرر : جمع قرة ، وهى البرد .
(٨) الداوية : الفلاة الواسعة :

ومن شعره :

وفتيان صدق من عدى عليهم ... صفائح بصرى علقت بالعواتق [1]
إذا ما دعوا لم يسألوا من دعاهم ... ولم يمسكوا فوق القلوب الخوافق
وطاروا إلى الجرد العتاق فألجموا ... وشدوا على أوساطهم بالمناطق
أولئك آباء الغريب وغاثة الص ... صريخ ومثوى المرملين الدرادق [3]
أحلوا حياض الموت فوق جباههم ... مكان النواصي من وجوده السوابق [4]

وكان ابن شبرمه يقول : أنا والله أعلم بجيد الشعر ، ولقد أحسن الحطيئة حيث يقول فى آل شماس قوم بغيض :

ألا طرقتنا بعد ماهجعوا هند ... وقد جزن غورا واستبان لنا نجد
وإن التى نكبتها عن معاشره ... على غضاب أن صددت كما صدوا
أتت آل شماس بن لأى وإنما ... أتاهم بها الأحلام والحسب العد [5]
فان الشقى من تعادى صدورهم ... وذو الجد من لانوا إليه ومن ودوا
يسوسون أحلاما بعيدا أناتها ... وإن غضبوا جاء الحفيظة والجد [6]
أقلوا عليهم لاأبا لأبيكم ... من اللوم أوسدوا المكان الذى سدوا
أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى ... وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا اشدوا [7]
وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها ... وإن أنعموا لاكدروها ولا كدوا [8]

---

(١) الصدق : الشدة فى القتال . بصرى : مدينة بالشام . وصفائح بصرى الدروع
(٢) المناطق : جمع منطقة (بكسر الميم) مى مايشد على الوسط
(٣) غاثة : جمع غائث . الصريخ : طالب ة . المرمل : الفقير . الدرادق جمع ردق وهو الصى الفقير .
(٤) حياض الموت معناه المية . السوابق : سابق وهو الجواد
(٥) العد . القديم
(٦) الحفيظة . الحمية .
(٧) عقدوا ، أى عقدوا الألوية للحرب ، شدوا : اشتدوا فى الحملة .
(٨) الضمير فى كدروها للنعمة المفهومة من أنعموا . والمراد تكديرها بالمن . وكدوا أى أتعبوا ، المراد انعبوا المنعم عليه بطلب الشكر

وشعر الحطيئة كان محل اعجاب النقاد والأدباء وروايتهم ومدحهم .

قال أبو صفوان : مامن أحد إلا لو أشاء أن أجد عليه مطعنا فى شعره لوجدت لا الحطيئة .

وقال حماد : ليس أحد يعد زهيراً شعر من الحطيئة . وقال رجل للحطيئة من أشعر الناس فأخرج لسانه كأنه لسان الحية وقال هذا إذا طمع .

والنقاد يعجبون « لا يذهب العرف بين الله والناس » إعجابا كثيراً .

وقال ابن عباس للحطيئة : من أشعر الناس ؟ قال : لولا الطمع والجشع لكنت أشعر الناس .

وكان الحطيئة يقول إنما أنا حسب موضوع . وسئل كثير من أشعر الناس ؟ ففضل الحطيئة .

٨ ـ حسان

المتوفى عام ٥٤ هـ

تمهيد :

أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الأنصارى الخزرجي النجارى أشهر شعراء رسول الله والذى وقف مع الرسول يدافع عن الاسلام والعقدة دفاعا حارا والعلم الذى طارت شهرته فى كل مكان .

أسرته :

بنو النجار قوم حسان أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أم جده عبد المطلب منهلا ولذلك فحسان له برسول الله صلة قرابة بعيدة .

وبنو النجار من الخزرج وهى القبيلة العظيمة التى كانت تقيم فى المدينة مع الأوس . وهما من الأزد القحطانيين .

وكان ميلاد ونشأة حسان بالمدينة والمدينة فى العصر الجاهلى كانت مجتمعا صغيرا تسوده الحروب والخلافات الدامية التى كانت تقوم بين الأوس

والخزرج وبينهم وبين اليهود سكان المدينة من قديم والذين وفد عليهم الأوس والخزرج فأقاموا معهم فيها وغلبوهم على أمرهم :

كان بين الأوس والخزرج فى الجاهلية عداء شديد وخصومات كثيرة وحروب وأيام وكان قيس بن الخطيم شاعر الأوس وحسان شاعر الخزرج فلما أسلمت القبيلتان وهاجر الرسول الكريم إلى المدينة ألف بين قلوبهم وجمع بين شتاتهم فأصبحوا بنعمة الله إخوانا

ميلاد حسان ونشأته :

ولد حسان بالمدينة قبل الهجرة بنحو ٦٠ سنة وقبل مولد النبى بنحو ثمانى سنين واشترك مع قومه الخزرج فى حروبهم ومفاخرتهم وجاشت نفسه بالشاعرية المتدفقة فكان شاعر قومه والمدافع عن أحسابهم ومفاخرهم وأخذ يناضل قيس بن الخطيم شاعر الأوس ويفاخره بقومه ومجدهم وحصفت شاعرية حسان وطارت شهرته فى الجزيرة العربية ووفد على ملوك الحيرة وبنى غسان يمدحهم وينال جوائزهم وينافس فحول الشعراء مثل النابغه وغيره فى الحظوة عندهم وكان له مكانته الممتازة فى قصورهم .

وكان يؤيد من منزلة حسان فى الشعر شرفه وحسبه ومجده التليد ، فقد كان أبوه ثابت بن المنذر بن حرام من سادة قومه وأشرافهم ، وكان جده المنذر الحاكم بين الأوس والخزرج يوم سميحة ، وهو يوم من أيامهم

ومن شعر حسان الرائع الجيد فى مدح بنى جفنة من ... ان ملوك الشام قوله :

يغشون حتى ماتهر كلابهم
لا يسألون عن السواد المقبل

وستأتى القصيدة

وهكذا عاش حسان فى الجاهلية يتكسب بالشعر كالأعشى والنابغة والحطيئة ، كان حسان يقصد بمدائحه بنى غسان عاما ويقعد عاما وكان يرجع عنهم

بالجوائز السنية والأموال الطائلة حتى قيل إنهم جعلوا له مرتبا شهريا يصل إليه وأنشد جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغسانيين لاميته المشهورة وعنده النابغة ففضلها على شعر النابغة

ما زال بنو غسان على برهم بحسان وإيثارهم له حتى وهو فى اسلامه وهم فى نصر تهم

و جبلة يقسم ألا يطيف به ذكر حسان إلا أرسل إليه ولا يمر به غاد أو رائح إلا ث معه ما يطرف به حسانا . وأرسل له جبلة بعد أن ارتد عن الأسلام ولحق بقيصر الروم خمسمائه دينار وخمسة أثواب ديباج فقال حسان :

إن ابن جفنة من بقية معشر لم يغذهم آباؤهم باللوم
لم ينسى بالشام إذ هو ربها كلا ولا متصرا بالروم
يعطى الجزيل ولا يراه عنده إلا لبعض عطية المذموم

ويرى أن رسولا لمعاوية وفد على ملك الروم فسأله جبلة عن حسان فأعلمه أنه قد كبر وعمى فدفع إليه ألف دينار وحللا وقال له إن وجدته حيافا دفعها إليه وإن وجدته ميتا فانشر الحلل على قبره واشتر له إبلا وانحرها على قبره ، فجاء فوجده حيا فأخبره بذلك فبكى وقال : وددت أنك جئت ووجدتنى ميتا

وكان يشبب فى الجاهلية بأمرأة تدعى « شعثاء » وبفتاة من قومه تسمى « عمرة » وقد تزوجها حسان ثم طلقها ثم اتبعها نفسه

وهكذا كانت حياة حسان فى الجاهلية ترف ولهو ووصف للخمر وشرب لها وانتجاع الملوك وإشادة بهم ، واشتراك فى المعارك التى كانت تقوم كثيرا بين قومه الخزرج وبين الأوس وتنويه بمجد قومه وأحسابهم وافتخار بمآثرهم وأيامهم فى الجاهلية إلى أن بلغ حسان سن الستين

حياته فى الاسلام :

دخل حسان فى الاسلام بعد الهجرة واطمأن قلبه إلى الدين الجديد ، وأخذ يدافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم بلسانه فاتخذه شاعره وقربه لديه ورفع مكانته عنده

كان ثلاثة رهط من قريش وهم عبد الله بن الزبعرى وأبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب وعمرو بن العاصى قبل إسلامهم يهجون رسول الله والأنصار؛ فاستنصر رسول الله الأنصار وندبهم للرد عليهم فأجابه ثلاثة من الأنصار هم: كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وأشعرهم حسان

يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اشتد عليه أذى قريش بالهجاء قال لأصحابه: ما يمنع الذين نصروا الله ورسوله بأسلحتهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان: أنا لها، وضرب بلسانه أرنبة أنفه وقال: والله ما يسرنى به مقول ما بين بصرى وصنعاء، والله لو وضعته على صخر لفلقه أو على شعر لحلقه، فقال له النبى: كيف تهجوهم وأنا منهم؟ قال: أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين، فقال: اهجهم وروح القدس معك فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع الحسام فى غبش الظلام، ثم قال صلى الله عليه وسلم له: إيت أبا بكر فهو أعلم بالقوم فأطلعه أبو بكر على مخازيهم وما يتهمون به فى نسبهم فهجاهم أوجع هجاء عليهم ولم يمس رسول الله من هجائه لهم شىء

ومن هجائه لأبى سفيان ويبدو فيه أثر الألهام والصنعة والحذق والنكاية قوله:

وإن سنام المجد من آل هاشم ... بنو بنت مخزوم، ووالده العبد
ومن ولدت أبناء زهرة منكم ... كرام، ولم يلحق عجائزك المجد
وإن امرأ كانت سمية أمه ... وسمراء مثلوب إذا بلغ الجهد
وأنت هجين نيط فى آل هاشم ... كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

ويروى أن أحد الصحابة قال — لما اشتد هجاء المشركين للرسول — لعلى ابن أبى طالب: اهج عنا القوم الذين قد هجونا، فقال على: إن أذن لى رسول الله فعلت، فقال رجل: يا رسول الله ائذن لعلى كى يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا، فقال صلى الله عليه وسلم: «ليس هناك أو ليس عنده ذلك، ثم ندب الأنصار فقال حسان: أنا لها. وكان حسان وكعب يعارضان المشركين بمثل قولهم فى الوقائع والأيام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم

بالكفر فكان أشد القول عليهم قول حسان وكعب وأهون القول عليهم قول ابن رواحة ، فلما أسلموا وفقهوا الدين كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه ، ويقول له : أجب عنى ، اللهم أيده بروح القدس

* * *

هكذا عاش حسان فى حياة الرسول يدافع عنه ويناضل المشركين ويرد على شعرائهم ويهجو خصوم رسول الله يرفع من شأن الاسلام ودعوته ورسوله

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ، يؤثره ويقربه منه ، ويقسم له من الغنائم ، والهدايا .

وقد وهب له « سيرين » أخت « مارية » القبطية ، أم ولد رسول الله ، وكان المقوقس قد بعث بهما لرسول الله ، مع هدايا أخرى ، فأولدها حسان ابنه عبد الرحمن ، ووهب له رسول الله « بيرحى » وهو قصر بالمدينة ، وقفه أبو طلحة على آل رسول صلوات الله عليه .

ولم يشهد مع رسول الله ، مشهداً ولا غزوة ، ويرى أنه كان جباناً ، يصف فى شعره شجاعته وبطولته ، ومع ذلك فهو شديد الخوف شديد الجبن ؛ يقيم بأطم عال بالمدينة يسمى « فارعا »

وذلك ليس بعار على هذا شاعر العظيم : ،

١ — فانه عاش من صغره عيشة ترف ونعمة « لا عيشة » نضال وكفاح وحروب .

٢ — وهو جليس الملوك وشاعرها والذى يغدقون عليه الأموال والهبات فلم يألف البؤس ، ولم يجرد سيفه من صغره للنهب والغنيمة .

٣ — وقد أدرك الاسلام بعد أن كبر ووهن عظمه .

٤ — ويروى أنه كان فى الجاهلية ، بطلا شجاعا ، وأنه أدركه مرض أصاب أعصابه فأصبح لايرجى لقتال .

ويقول ابن قتيبة فى حسان إنه كان جباناً [1] ، وكذلك يتهمه بالجبن ، كثير من الباحثين . ويروون أنه أنشد أمام رسول الله قوله :

لقد غدوت أمام القوم منتطقا
بصارم مثل لون الملح قطاع
تحفز [2] عنى نجاد السيف سابغة
فضفاضة مثل لون النهى بالقاع

فتبسم رسول الله

(. . .)

واستمر حسان مبجلا محترما ، عند الخلفاء والصحابة حتى توفى ؛ فى عهد معاوية عام ٥٤ هـ فرحمه الله وأجزل مثوبته كفاء دفاعه عن دينه ورسوله وكتابه الحكيم .

وكان عمر حسان عند موته عشرين ومائة سنة قضى نصفها فى الجاهلية ونصفها فى الاسلام ووهن بصره فى آخر حياته ، واعتلت صحته حتى توفاه الله

---

(١) ١٠٤ الشعر والشعراء لابن قتيبة
(٢) تحفز : تدفع . النهى بكسر النون : الغدير . السابغة أى درع واسعة

شعر حسان

آراء النقاد فى شعره :

١ — قال ابن سلام فيه : هو كثير الشعر جيده وقد حمل عليه مالم يحمل على أحد ، وضعت عليه قريش أشعارا كثيرة لاتليق به [١]

٢ — وقال الأصمعى : الشعر نكد بابه الشر هذا حسان فحل من فحول الجاهلية فلما جاء الاسلام سقط شعره [٢]

ويروى عن الإصمعى أنه قال : حسان أحد فحول الشعراء ، فقال له ابوحاتم تأتى له أشعار لينة ، فقال تنسب إليه أشياء لاتصح عنه .

وقد سبق أن ذكرنا رأى الثعالبي فيه في موضع آخر من الكتاب (ص٢٠٦)

وقيل لحسان : لان شعرك أوهرم فى الاسلام ، فقال : يابن أخى ان الاسلام يحجز عن الكذب

وأنشد حسان شيئا من شعره فى الجاهلية للنابغة فأثنى عليه [٣]

ويقول فيه أبو عبيدة :

فضل حسان الشعراء بثلاثة ، كان شاعر الأنصار فى الجاهلية وشاعر النبى فى النبوة وشاعر اليمن كلها فى الأسلام وقال : اجتمعت العرب على أن حسانا أشعر أهل المدينة وجعله ابن سلام أشعر شعراء المدينة

ويقول المبرد فى الكامل :

واعرق قوم كانوا فى الشعر آل حسان فانهم يعدون ستة فى نسق واحد ، وهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام .

---

(١) ٨٤ طبقات الشعراء لابن سلام

(٢) ١٠٤ الشعر والشعراء

(٣) ١١٧ ذيل الأمالى

وقال أبو الفرج الأصبهانى :

حسان فحل من فحول الشعراء

وقال قوم الحطيئة له وقد حضرته الوفاة : يا أبا مليكة أوص

فقال : ويل للشعراء من راوية السوء، قالوا أوص رحمك الله ، قال : أبلغوا الأنصار أن صاحبهم أشعر العرب حيث يقول .

يغشون حتى ماتهر كلابهم لايسالون عن السواد المقبل [1]

وروى أن « حساناً » وفد على « النعمان بن المنذر » فأذن له بعد أن تركه مدة على الباب ، فخلا به ، ونادمه وأصاب منه مالا كثيرا ، حتى جاء « النابغة » فمدح « النعمان » بيائيته المشهورة ، فاهتز « النعمان » لشعره وأمر له بمائة ناقة من الابل السود برعاتها ؛ قال « حسان » ، « فما حسدت أحدا قط حسدى له فى شعره وجزيل عطائه » . وذكروا أن « حساناً » كان يذهب إلى « النابغة » ليعرض عليه شعره فى الجاهلية

وروى أن حساناً قال ، أتيت «جبلة بن الأيهم الغسانى» وقد مدحته ، فأذن لى، فجلست بين يديه ، وعن يمينه رجل له ضفيرتان ، وعن يساره رجل لا أعرفه ، فقال ، أتعرف هذين فقلت ، أما هذا فأعرفه . وهو « النابغة الذبيانى » — وأما هذا فلا أعرفه . قال . هو « علقمة بن عبدة » ، فان شئت استنشدتهما ، ثم إن شئت أن تنشد بعدهما أنشدت قلت : فذاك . فأنشده « النابغة »

كلينى لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطىء الكواكب

قال . فذهب نصفى . ثم قال « لعلقمة » أنشد . فأنشد

طحا بك قلب فى الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

فذهب نصفى الآخر فقال لى ، أنت أعلم الآن ، إن شئت سكت ، وإن شئت أنشدت ؛ فتشددت وأنشدت .

---

(١) الأغانى ٢/٥٧

لله در عصابة ... ألخ

فقال لى: ادن — ادن، لعمرى ما أنت بدونهما ثم أمر لى بثلاثمائه دينار وعشرة أقمصة لها جيب واحد وقال هذا لك عندنا فى كل عام».

وذكروا أن «الحطيئة» وقف على «حسان» وهو ينشد من شعره، «فقال له «حسان» — وهو لا يعرفه: كيف تسمع هذا الشعر ياأعرابى؟ قال: «الحطيئة»: لاأرى به بأسا ‌ا‌فغضب حسان وقال: اسمعوا إلى كلام هذا الأعرابى، كنيت؟ قال. أبو مليكة. قال. ما كنت قط أهون على منك حين كنيت بامرأة فما اسمك؟ قال. «الحطيئة». فقال «حسان»: امض بسلام».

ويقول حسان فى إحدى قصائده.

وقافية عجت بليل رزينة   تلقيت من جو السماء نزولها
يراها الذى ينطق الشعر عنده   ويعجز عن أمثالها أن يقولها

ويقول فى أخرى.

لا أسرق الشعراء مانطقوا   بل لا يوافق شعرهم شعرى

وروى عن، أنه وفد على النعمان بن المنذر قال، فلما دخلت بلاده لقينى رجل فسألنى عن وجهى وما أقدمنى فاخبرته، فانزلنى فاذا هو صائغ، فقال: من أنت، فقلت: من أهل الحجاز؛ قال: كن خز رجيا، قلت: أنا خز رجى قال. كن نجاريا قلت: أنا نجارى، قال: كن حسانا؛ قلت. أنا حسان، قال كنت أحب لقاءك وأنا واصف لك هذا النعمان الرجل وما ينبغى لك أن تعمل به فى أمره، أنك إذا لقيت حاجبه وانتسبت وأعلمته مقدمك، أقام شهراً لا يرد عليك شيئاً ثم يلقاك فيقول من أنت وما أقدمك ثم يمكث شهراً لا يرد عليك شيئاً ثم يأذن لك فاذا دخلت على النعمان فستجد عنده أناسا فيستنشدونك فلا تنشد حتى يأمرك فاذا أمرك فأنشد فيستزيدك من عنده فلا تزده حتى يستزيدك

فاذا فعلت هذا فانتظر ثوابه وما عنده فان هذا ينبغى لك أن تعرفه من أمره

ل حسان فتقدمت إلى الحاجب فاذا الأمر على ماوصف لى ثم دخلت على النعمان ففعلت ماأمرنى به الصائغ فانشدته شعرى ثم خرجت من عنده فأقمت أختلف

إليه فاجازنى وأكرمنى وجعلت أخبر صاحبى بما صنع فيقول إنه لا يزال هكذا حتى يأتيه أبو أمامة يعنى النابغة فاذا قدم فلا حظ فيه لأحد من الشعراء قال فاقمت كذلك إلى أن دخلت عليه ليلة فوالله انى لجالس عنده هو بصوت خلف قبته وكان يوما ترد عليه النعم السود ولم يكن للعرب نعم سود إلا للنعمان فأقبل النابغة فاستأذن فقدم وهو يقول

أنام أم يسمع رب القبه ياأوهب الناس لعيس صلبه
ضرابة بالمشفر الأذبة ذات نجاف فى يدها جذبه [1]

قال : أبو أمامة أدخلوه فانشده قصيدته التى يقول فيها

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أى الرجال المهذب

فأمر له بمائة ناقة فيها رعاؤها ومطافيلها وكلابها من السود قال حسان فخرجت من من عنده لاأدرى أكنت له أحسد على شعره أم على ما نال من جزيل عطائه ، فرجعت إلى صاحبى فقال انصرف فلا شىء لك عنده سوى ما أخذت

وبعد فقد أجمعت العرب على أن حسان أشعر أهل المدر ، وهم أهل المدينة ومكة والطائف وأهل قرى البحرين من عبد القيس .

وكان أجزل شعره وأقواه وأحصفه ما قاله فى شبيبته وكهولته فى الجاهلية ، أى من مثل ما ناقض به قيس بن الخطيم فى وقائع الأوس والخزرج ومدح به آل جفنة وآل النعمان بن المنذر . ولما أسلم كان قد مضى من عمره ستون سنة ولكنها لم تطفىء من شعلة خاطره ولم تفل من غرب لسانه .

ووجد فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقية من النكايه لأعدائه أبقاها فيه انطباعه على الهجاء منذ شب ، ودعا الله أن يؤيد فيه هذه البقية بروح القدس.

---

(١) طول واضطراب

وصف شعره

ا — أما شعر حسان فى الجاهلية فهو فحل جزل قوى رائع بعيد فى مذهب الشعر وعموده شأنه شأن الشعراء الجاهليين

وأكثر أعراضه فى الجاهليه :

١ — الهجاء وأول ما قاله فى مناقضة قيس بن الخطيم وشعراء الأوس ثم هجا خصومه وخصوم قومه عامة

٢ — المدح كما فى مدحه لبنى غسان وللنعمان بن المنذر ولسواهم من سادة العرب وأشرافهم

٣ — الفخر ، وقد وصف فيه مجده ومجد قومه وأحسابهم ومآثرهم ومكانتهم عند العرب ، وفخره كثير متعدد النواحى والمعانى وكان فخره جيدا رائعا بعيدا فى الجزاله والبلاغة والروعة .

٤ — الغزل والنسيب فقد تغزل بشعثاء وعمرة غزلا رقيقا معجبا

أما منزلته فى الشعر فى الجاهليه فيصفها حسان نفسه ، اذ يصور ذهابه إلى النعمان وخوفه من النابغة ورهبته من شعره ، وذلك طبعا إنما كان فى عهد شبابه وبدء شاعريته ، ولكن حسانا يستمر خائفا من النابغة ، فيقابله عند بنى غسان فيرتاع ويرهب هذا الشاعر العظيم

ولقد يكون ذلك تصويرا من حسان لوساوس نفسه وخطرات فؤاده وإلا فقصيدته

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

مثلا تقف مع أمهات قصائد المديح فى الشعر الجاهلى .

واذ ، النابغة يجىء فى الشعر الجاهلى إماما ومتبوعاً ، فلا على حسان أن نقول يجىء وراءه مصليا ومغيرا فى وجوه الشعراء ،

— أما شعره فى الاسلام فيروى أنه لان بعض الشىء وأخذه الضعف

ا من بعض النواحى ، وأسباب ذلك كثيره متعددة الجهات .

١ — فقد يكون هرمه وشيخوخته من أسباب هذا الضعف ى الملحوظ .

٢ — وقد يكون أيضا كثرة ما دس على حسان من ر المنحول هو السبب فى ذلك أيضا ، وهذا النحل كان من المشتركين وكاز بعض كتاب السيرة أيضا كابن سحاق .

وقد ذكر ابن هشام كثيرا مما نحل واختلق ودس على حسان .

٣ — كثرة ارتجاز حسان فى شعره فى عصر النبوة والشعر المرتجل دائما لا يكون كالشعر الذى أعده صاحبه وهذبه وثقفه .

٤ — ويروى أن حسانا نفسه علل ذلك تعليلا مقبولا ، فقد قيل له : لان شعرك أو هرم فى الأسلام ياأبا الحسام ، فقال . إن الاسلام يحجز عن الكذب والشعر يزينه الكذب .

٤ — والاصمعى يعلل سبب لين شعره فى الاسلام بأن الشعر نكد يقوى فى فى الشر ويضعف فى الخير

٥ — وقد يكون السبب أيضا فى هذا اللين هو انبهار حسان كغيره من الشعراء ببلاغة القرآن وفصاحة رسول الله صلى الله عليه

على ان مايستلان من شعره انما هو بعض ماقاله فى وصف عقائد الإسلام وشعائره وتعداد فضائله ، أو قاله فى توحيد الله وتنزيه صفاته وتهجين عبادة الأوثان وما أعد الله للمؤمنين من الثواب وللمشركين من العقاب ، أو بعض ماقاله فى مدح رسول الله واصحابه ، أو بعض ماقاله فى رثاء من استشهد فى الغزوات من أصحابه ومن مات من الخلفاء بعد رسول الله أو من أصحابه

أما شعره فى مناقضة المشركين وهجائهم وفى الذب عن رسول الله والدفاع عن الدين فقد كان قويا جزلا رائعا

وكان رسول الله إذا سمع هجاءه فى أعدائه يقول : لهذا أشد عليهم من وقع النبل .

ولهذا يرى النقاد أن شعره فى الإسلام كان لا يزال كعهده فى زمن الشباب قوياً حصيفا رصينا فى مواضع خاصة فى هجائه المشركين ؛ وعند هيجه بمعارضة

شعرهم ، وفى فخره وحماسته . ويرون أيضاً أن كثيرا مما وجد من شعره لينا ضعيفاً لم تكن نسبته إليه صحيحة ، وإنما هو مما وضعه المتكثرون من الشعر من رواة المغازى والسير . قال الأصمعى مرة : حسان أحد فحول الشعراء فقال أبو حاتم . تأتى له أشعار لينة ، فقال الأصمعى تنسب له أشياء لا تصح عنه

والحق الذى شك فيه أن شعر حسان بعد الهجرة إلى فتح مكة كان قوياً جزلا فصيحا شديد الأسر ذاهباً فى عمود البلاغ، كما كان شعره فى عهد الجاهلية ، والسبب فى ذلك اشتعال شاعريته وثورة عواطفه والتهاب مشاعره ، ورغبته البعيدة فى الذب عن حياض الاسلام ونضال خصوم الدين والرد على الذين يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما استسلم المشركون وألقوا السلاح أمام رسول الله وجنده وسكت صوت المعارضة سكنت شاعرية حسان وهدأت واخذ ينظم الشعر لينا ضعيفا لا قوة ولا فخامة فيه كما كان شعره فى صدر الاسلام والجاهلية .

وأغراض شعره فى الاسلام متنوعة كثيرة وأهمها .

١ — الهجاء ، فقد أجاد فيه حسان كل الأجادة ، ووقف هجاءه على المشركين خاصة ولم يكن متناول الهجو قريشا كلها ، بل المشركين منها بعامة وأشدهم على رسول الله بخاصة ، من مثل أبى جهل وأبى لهب وأبى سفيان ، وهم من أقرب قريش نسباً إليه ، وكان هجاؤه لأحدهم ليس بالطعن فى أصل نسبه وذم عشيرته بل فى نفى نسبه عن نسبهم وأنه دعى فيهم أو لصيق أو متبنى أو عبد ، ثم يذكر ما يستقبح من صفاته الخلقية فيصفه باللؤم وقطع الرحم والجهل وخفة الحلم والبخل والجبن والفرار عن إنقاذ الأحبة من وهدة الموت فى المعارك ، وأكثر ما يذكر من ذلك فى وقعه بدر وهزيمة قريش فيها ، وربما أقذع فى ذلك إقذاعاً شديداً

٢ — [illegible]ح فقد مدح رسول الله وخلفاءه وكبار الصحابة والذين أبلوا فى الدفاع عن [illegible]سلام بلاء حسنا

٣ — الرثاء وقد أكثر منه فى رثاء الشهداء فى الغزوات الاسلامية ثم رثاء رسول الله صلوات الله عليه وخلفائه من بعده

٤ — الحكمة وضرب المثل وذلك بتأثير القرآن الكريم وبلاغة رسول الله وما أفاده فى الحياة من خبرة وتجربة وثقافة عامة وإدراك صحيح لشئون العيش والحياة

٥ — وصف الغزوات الاسلامية والاشادة ببطولة المسلمين فيها وانتصارهم على أعدائهم وما بذلوه من تضحية وفداء إعلاء لكلمة الاسلام والعقيدة

أسلوب شعره وألفاظه .

يمتاز حسان فى أسلوبه بما يأتى :

١ — قلة التكلف أو المبالغه فى التجويد والتهذيب والتنقيح ، يخالف فى ذلك الأعشى والنابغة والحطيئه وزهيرا وسواهم من الشعراء المصنعين ، بل كان يرسل الشعر كما تجود به فطرته وقريحته ، لا يعتمد صنعة ، ولا يقصد تهذيباً ، ولا يؤثر الغريب ، وذلك أثر لعيشة المدن والبعد قليلا عن البداوة .

٢ — وظهر فى شعره بعد الاسلام روح التأثر بالاسلام ومبادئه وبالقرآن وبلاغته وبفصاحه الرسول وسموها .

٣ — وهذا اللين الفنى الذى حدثناك عنه وعن أسبابه والذى نراه فى شعر حسان بعد استقرار الاسلام هو أحد الظواهر الفنية التى تلمسها عند حسان فى شعره .

٤ — وقد كثرت فى شعر حسان الألفاظ الاسلامية المحدثة التى استعملها الاسلام ووردت فى القرآن الكريم كالصلاة والصيام والزكاة والحج والايمان والاسلام وسواها .

معانى شعره .

ومعانى حسان فى الجاهلية مطبوعة بطابع الجاهلية وصورة لحياتها وتفكيرها وأخلاقها وعاداتها ونظام التفكير والحياة فيها .

أما معانيه فى الاسلام فهى مستمدة من معانى القرآن والحديث يكثر فيها حكايه حجج المشتركين والرد عليهم وضرب الأمثال والموعظة والحكمة مع الدقة والعمق وظهور الحصافة عليها مما أفاده حسان من الاسلام الكريم .

وبعد فشعر حسان يبدو فيه تأثير الاسلام والقرآن فى الأدب العربى ، ويكاد هذا التأثير يفقد فى شعر الحطيئة مع أنه من المخضرمين ، لأن الحطيئة أسلم ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام على طمع وجشع ورقة دين ، فلم يتملا بروح الاسلام كغيره من شعراء الرسول.

روائع حسان :

والنقاد يعجبون بشعر كثير لحسان ، ومن ذا الذى لا يطرب لقوله :

يغشون حتى ماتهر كلابهم ... لايسألون عن السواد المقبل

أو لقوله :

وان امرأ يمسى ويصبح سالما ... من الناس إلا ماجنى لسعيد

وهذا البيت يقول فيه حسان : قلت شعرا لم أقل مثله (١) . وقال بعض أهل المدينة : ماذكرت بيت حسان إلا اشتهيت أن أعود فى الفتوة وهو :

أهوى حديث الندمان فى فلق الصبـ ... ـح وصوت المطرب الغرد

وبسوى ذلك من روائع شعره وغرر حكمه وأمثاله

تقد النابغة لحسان :

ويروى (٢) أن نابغة (٣) بنى ذبيان كانت تضرب له قبة من أدم بسوق

---

(١) ١٠٥ الشعر والشعراء

(٢) أغانى ص ٣٤٠ ج ٩

(٣) هو أبو أمامة زياد بن معاوية ، أحد فحول شعراء الجاهلية وحكمهم بعكاظ ولقب بالنابغة لنبوغه فى الشعر فجاءة وهو كبير بعد أن امتنع عليه وهو صغير ، وهو من أشرف ذبيان وعمر طويلا ومات قبيل البعثة ،

عكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء، فدخل اليه حسان بن ثابت، وعنده الأعشى، وقد أنشده شعره، وأنشدته الخنساء قولها:

قذى بعينيك أم بالعين عوار (١) . أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدار

حتى انتهت إلى قولها:

وإن صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم (٢) فى رأسه نار
وإن صخراً لمولانا وسيدنا . وإن صخراً إذا نشتو (٣) لنجار

فقال: لولا أن أبا بصير (٤) أنشدنى قبلك لقلت إنك أشعر الناس! أنت والله أشعر من كل أنثى! قالت: والله ومن كل رجل.

فقال حسان: أنا والله أشعر منك ومنها. قال: حيث تقول ماذا؟ قال. حيث أقول:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحا وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بنى العنقاء وابنى محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

فقال: إنك قلت «الجفنات» فقللت العدد؛ ولو قلت: «الجفان» لكان أكثر. وقلت: «يلمعن فى الضحا»، ولو قلت: «يبرقن بالدجا» لكان أبلغ فى المديح، لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً، وقلت: «يقطرن من نجدة دماً» فدللت على قلة القتل، ولو قلت: «يجرين» لكان أكثرهم لانصباب الدم، وفخرت بمن ولدت، ولم تفخر بمن ولدك.

فقام حسان منكسراً منقطعا!

والمحققون يرون أن هذه القصة مختلفة.

---

(١) عوار: كل ما أعل العين، وذرفت: قطرت.
(٢) العلم: الجبل. (٣) شتا القوم: أجدبوا فى الشتاء.
(٤) أبو بصير: كنية الاعشى،

حسان والنعمان :

قال حسان [١] بن ثابت: قدمت على النعمان بن المنذر وقد امتدحته فأتيت حاجبه عصام بن شهبر فجلست إليه ، فقال : إني لأرى عربياً ، أفمن الحجاز أنت ؟ قلت : نعم ! قال . فكن قحطانيا ، قلت . فأنا قحطانى . قال : فكن يثربيا . قلت : فأنا يثربى ، قال : فكن خزرجياً ، قلت : فأنا خزرجى ، قال : فأنت حسان

أجئت بمدحة الملك ؟ قلت : نعم . قال فانى أرشدك إذا دخلت عليه ، فانه يسألك عن جبلة بن الايهم ويسبه ، فاياك أن تساعده على ذلك ، ولكن أمر ذكره إمراراً لا توافق فيه ولا تخالف ، وقل : ما دخول مثلى أيها الملك بينك وبين جبلة وهو منك وأنت منه ؟ ! وإن دعاك إلى الطعام فلا تواكله ، فان أقسم عليك فأصب منه اليسير إصابة بار بقسمه ، متشرف بمؤاكلته ، لا أكل جائع سغب [٢] ، ولا تطل محادثته ، ولا تبدأه باخبار عن شيء حتى يكون هو السائل لك ، ولا تطل الاقامة فى مجلسه .

فقلت : أحسن الله رفدك قد أوصيت واعياً ، ودخل ، ثم خرج إلى فقال لى: ادخل . فدخلت فسلمت وحييت تحية الملوك .

ثم جرى بينى وبينه فى شأن جبلة ما قاله عصام كأنه كان حاضراً ، وأجبت بما أمرنى ، ثم استأذنته فى الانشاد فأذن لى ، فأنشدته . ثم دعا بالطعام ، ففعلت ما أمرنى عصام به ، وبالشرب ففعلت مثل ذلك ، فأمرلى بجائزة سنية وخرجت .

حسان عند عمرو بن الحارث :

قال حسان [٣] بن ثابت : قدمت على عمرو بن الحارث ، فاعتاص على الوصول إليه ، فقلت للحاجب بعد مدة : إن أذنت لى عليه وإلا هجوت اليمن كلها ثم

---

(١) الأغانى ص ١٦٤ ج ٩ .
(٢) السغب الجوع ، ولا يكون إلا مع تعب .
(٣) الأغانى ص ٢٢ ج ١٤

انقلبت عنكم، فأذن لى، فدخلت عليه فوجدت عنده النابغة وهو جالس عن يمينه، وعلقمه بن عبدة وهو جالس عن يساره، فقال لى: يا ابن الفريعة، قدعرفت عيصك [1] ونسبك فى غسان، فارجع فانى باعث إليك بصلة سنية، ولا أحتاج إلى الشعر، فانى أخاف عليك هذين السبعين: النابغة وعلقمة، أن يفضحاك، وفضيحتك فضيحتى وأنت والله لا تحسن أن تقول:

رقاق النعال طيب حجزاتهم   يحيون بالريحان يوم السباسب [2]

فأبيت وقلت: لابد منه، فقال: ذاك إلى عميك، فقلت لهما: بحق الملك إلا قد متمانى عليكما، فقالا. قد فعلنا، فقال عمرو بن الحارث: هات يا ابن الفريعة، فأنشأت.

لله در عصابة نادمتها   يوما بجلق [3] فى الزمان الأول

اولاد جفنة [4] عند قبر أبيهم [5]   قبر ابن [6] ماريه الكريم المفضل

---

(١) العيص: الأصل والفريعة أمه.

(٢) رقاق النعال: أى أن نعالهم رقيقة لا يخصفونها طباقا، وذلك كناية عن قلة مشيهم، لأنهم ملوك، بل يركبون الخيل غالبا، وحجزة الازار والسراويل مجمع شدها على الوسط من الجسم، كناية عن عفتهم، والسباسب. يوم الشعانين، وهو يوم عيد عند النصارى وكان الممدوح نصرانيا.

(٣) جلق: دمشق:

(٤) جفنة: هو جفنة بن عمرو أبو ملوك الشام، وأولاده هم: النعمان والمنذر والمنيذر وجبلة وأبو شمر، وكانوا جميعا ملوكا.

(٥) أراد بهذا: أنهم أعزاء مقيمون بدار مملكتهم، ليسوا أصحاب رحلة وانتجاع.

(٦) هى مارية بنت ظالم الكندية أم الحارث الأعرج وهى ذات القرطين اللذين يضرب بهما المثل، فيقال لما يغلى به الثمن: بقرطى مارية، واختها هند الهنود امرأة حجر آكل المرار.

يسقون من ورد البريص (١) عليهم كأساً تصفق (٢) بالرحيق السلسل
يغشون حتى ماتهر كلابهم لايسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول
فلبثت أزمانا طوالا فيهم ثم ادركت كأنني لم أفعل

قال : فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل (٣) عن موضعه سروراً حتى شاطر البيت وهو يقول : هذا وأبيك الشعر لامايعللانى به منذ اليوم ، هذه والله البتارة التى قدبترت المدائح ، أحسنت يابن الفريعة ، هات له ياغلام ألف دينار مرجوحة (٤) فأعطيت ذلك ، ثم قال : لك على فى كل سنة مثلها .

ثم أقبل على النابغة فقال : قم يازياد ، فهات الثناء المسجوع ، فقام النابغة فقال : ألا انعم صباحاً أيها الملك المبارك ؛ السماء غطاؤك ، والأرض وطاؤك ، ووالدى فداؤك ، والعرب وقاؤك ، والعجم حماؤك ، والحكماء جلساؤك ، والمداره (٥) سمارك ، والمقاول إخوانك ، والعقل شعارك ، والحلم دثارك ، والسكينة مهادك ، والوقار غشاؤك ، والبر وسادك ، والصدق رداؤك ، واليمن حذاؤك ، والسخاء ظهارتك ، والحمية بطانتك ، والعلاء غايتك ، وأكرم الأحياء أحياؤك ، وأشرف الأجداد أجدادك ، وخير الآباء آباؤك ، وأفضل الأعمام أعمامك ، وأسرى الأخوال أخوالك ، وأعف النساء حلائلك ، وأفخر الشبان أبناؤك ، وأطهر الأمهات أمهاتك ، وأعلى البنيان بنيانك ، وأعذب المياه أمواهك

---

(١) البريص : غوطة دمشق .

(٢) صفق الشراب : حوله ممزوجا من إناء إلى إناء ليصفو . والرحيق : الخمر أو أطيبها ، والسلسل : العذب البارد .

(٣) زحل عن موضعه : زحف .

(٤) مرجوحة : هى ما كان فى كل دينار منها عشرة دنانير .

(٥) المداره : جمع مدره ، وهو السيد الشريف ، والمقدم فى اللسان

وأفيح الدارات [١] دارتك ، وأنزه الحدائق حدائقك ، وأرفع اللباس لباسك ، قدحالف الإضريح [٢] عاتقك ، ولاءم المسك مسكك [٣] ، وجاور العنبر ترائبك [٤] وصاحب النعيم جسدك .

المسجد آنيتك ، واللجين صحافك ، والعصب [٥] مناديلك : والحوارى [٦] طعامك ، والشهد إدامك ، والخرطوم [٧] شرابك ، والأشراف مناصفك (٨) ، والخير بفنائك ، والشر بساحة أعدائك ، والنصر منوط بلوائك والخذلان مع ألوية حسادك ، والبر فعلك ، قد طحطح [٩] عدوك غضبك ، وهزم مقانبهم [١٠] مشهدك ، وسار فى الناس عدلك ، وسكن قوارع الأعداء ظفرك

الذهب عطاؤك ، والدواة رمزك ، والأوراق لحظك . والغى أطرقك ، وألف دينار مرجوحة إيماؤك .

أيفاخرك المنذر اللخمى ؟ فو الله لقفاك خير من وجهه ، ولشمالك خير من يمينه ، ولإخمصك خير من رأسه ، ولخطؤك خير من صوابه ، ولصمتك خير من كلامه ، ولأمك خير من أبيه ، ولخدمك خير من قومه ، فهب لى أسارى قومى ، واسترهن بذلك شكرى ، فانك من أشراف قحطان : وأنا من سروات عدنان .

فرفع عمرو رأسه إلى جارية كانت قائمة على رأسه ، وقال : بمثل هذا فليثن على الملوك ، ومثل ابن الفريعة فليمدحهم . وأطلق له أسرى قومه !

---

(١) الدارة : المحل يجمع البناء .
(٢) الأضريح : الخز
(٣) المسك : الجلد .
(٤) الترائب : عظام الصدر
(٥) العصب : نوع من البرد
(٦) الحوارى : لباب الدقيق
(٧) الخرطوم : أول مايجرى من العنب قبل أن يداس
(٨) جمع منصف وهو الخادم .
(٩) طحطح : كسر وفرق وبدد إهلاكا .
(١٠) المقنب من الخيل : مابين الثلاثين إلى الأربعين

نماذج من شعر حسان

١ — قال حسان رضى الله عنه يمدح النبى صلى الله عليه وسلم

أغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد (١)
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه إذا قال فى الخمس المؤذن أشهد (٢)
(وشق له من إسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد
نبي أتانا بعد يأس وفترة من الرسل والأوثان فى الأرض تعبد
فأمسى سراجاً مستنيراً وهادياً يلوح كما لاح الصقيل المهند
وأنذرنا ناراً وبشر جنة وعلمنا الإسلام فالله نحمد (٣)
وأنت إله الخلق ربي وخالقي بذلك ما عمرت فى الناس أشهد (٤)

---

(١) قوله أغر خبر لمبتدأ محذوف أى هو أغر أبيض الوجه . ويلوح يظهر

(٢) قوله إذا قال المؤذن فى الخمس أى فى الصلاة الخمس. وقوله أشهد أى أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله

(٣) وشق له من إسمه يريد أن إسم النبي صلى الله عليه وسلم اشتق من إسم الله وهذا مما اختص به رسول الله فى ذاته فى الدنيا وأوضح ذلك الشاعر بقوله فذو العرش محمود هو الله سبحانه وتعالى ، والذى من صفات الله تقدس وعلا الحميد بمعنى المحمود وهو من الأسماء الحسنى فعيل بمعنى مفعول وهذا محمد. وقوله والاوثان الخ ، جملة إسمية وقعت حالا وإسم أمسى يعود على النبي ، وحمل وهادياً على مستنيراً بالواو لأنهما صفتان ثابتتان فى الموصوف فعطفت إحداهما على الآخرى بالواو لأن معناها الاجتماع ولو عطفت بالفاء لم يجز والصقيل المهند السيف المهند المطبوع من حديد الهند ، وقوله فالله نحمد قدم المفعول لافادة الحصر أى لا غيره

(٤) قوله وأنت مبتدأ خبره ربي وقوله اله الخلق اعتراض أتى به لتحسين الكلام أى يا إله الخلق

تعاليت رب الناس عن قول من دعا
سواك إلها أنت أعلى وأمجد
لك الخلق والنعماء والأمر كله فإياك نستهدى وإياك نعبد

* * *

٢ — وقال أيضاً يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم بدر

مستشعرى حلق الماذى يقدمهم جلد النحيزة ماض غير رعديد [1]
أعنى الرسول فان الله فضله على البرية بالتقوى وبالجود
وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم وماء بدر زعمتم غير مورود
(وقد وردنا ولم نسمع لقولكم حتى شربنا رواء غير تصريد
مستعصمين بحبل غير منجذم مستحكم من جبال الله ممدود [2]
فينا الرسول وفينا الحق نتبعه حتى الممات ونصر غير محدود
ماض على الهول ركاب لما قطعوا إذا الكماة تحاموا فى الصناديد [3]
واف وماض شهاب يستضاء به بدر أنار على كل الأماجيد
مبارك كضياء البدر صورته ما قال كان قضاء غير مردود

* * *

---

(١) حذف النون من مستشعرين استخفافا وإضافة إلى ما بعده ، وصف جيشا فقال مخبرا عن فرسانه مستشعرى حلق الماذى أى لابسى آلة الحرب والماذى الدروع الصافية الحديد اللينة اللمس واحدتها ماذية ويقدمهم يرأسهم جلد النحيزة ثابت الجائش قوى الطبيعة ويريد به النبى صلى الله عليه وسلم والرعديد الجبان

(٢) قوله حتى شربنا رواء أى ماء عذبا كثيرا

وغير تصريد : التصريد سقى دون الرى ومستعصمين انتصب على الحال من ضمير شربنا . وقوله غير منجذم أى منقطع والحبل القوة وهو بذلك يشير إلى قول الله عز وجل واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

(٣) قوله ماض على الهول صفة للرسول أى قادر على اقتحام الهول المشقة

٣ — وقال حسان يمدح رسول الله ويهجو أبا سفيان :

ألا أبلغ أبا سفيان عني فأنت مجوف نخب هواء (١)
بأن سيوفنا تركتك عبدا وعبد الدار سادتها الإماء (٢)
هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء (٣)
أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء (٤)

---

(١) قوله فأنت مجوف ، المجوف كالمجوف هو الجبان الذى لاقلب له والنخب بمعنى النزع يقال رجل نخب أى جبان لا فؤاد له. وقوله هواء أى خال يعنى من العقل أو الخير قال تعالى وأفئدتهم هواء وقوله فأنت مجوف يريد أباسفيان وانما التفت الى ضمير المخاطب ولم يقل فهو مجوف على ما هو الظاهر قصدا الى توجيه الخطاب اليه بما يكره ليكون أبلغ فى الشتم وأشد من الحكاية فى النكاية

(٢) قوله بأن سيوفنا أدخل الشاعر الباء على المفعول الثانى لأبلغ كأنه ضمنه معنى أخبر . وقوله تركتك عبدا أى ذليلا . وسادتها الاماء ضميره يرجع الى الدار وانما سادتها الاماء لكونها لم يبق فيها الاحرار والمراد الوصف بنهاية الذل والمهانة فان الاماء فى نفس الامر فى مذلة وقد أثبت لها السيادة على العبيد فالعبيد اذا فى غاية الذلة .

(٣) يخاطب به أباسفيان بن الحرث فانه كان قبل اسلامه يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم . والجزاء المكافأة على الشيء بالخير أو الشر قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمعه قال جزاؤك على الله الجنة باحسان .

(٤) قوله بكفء الكفء هو النظير والمثل والاستفهام للانكار أى ماكان ينبغى لك أن تهجوه ولست من أكفائه ونظرائه فلم تنصفه . وقوله فشركما لخيركما الفداء مع علمه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرهما بلا ريبة جار على أسلوب الكلام المنصف وانما أبهم الأمر بين الفريقين ليكون ادعى للمخاطب إلى الاذعان للحق وترك العناد حيث يرى المتكلم ساوى بينه وبين نفسه وأنصفه

هجوت مباركاً برا حنيفا أمين الله شيمته الوفاء (١)
فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء (٢)
فان أبى ووالده وعرضى لعرض محمد منكم وقاء (٣)
فاما تثقفن بنو لؤى جذيمة إن قتلهم شفاء (٤)

---

(١) قوله حنيفا الحنيف هو من أسلم فى أمر الله فلم يلتو فى شىء وكان على دين ابراهيم فهو حنيف عند العرب

(٢) يقول لانبالى بكم فان هجاتم أو مدحتم ونصرتم فذلك عندنا على حد سواء إذ لا يضيره هجوكم ولا يعوزه مدحكم ونصركم

(٣) قوله وقاء الوقاء بالفتح والكسر ما وقيت به الشىء يروى أن حسان لما انتهى إلى هذا البيت قال صلى الله عليه وسلم وقاك الله ياحسان حر النار

(٤) قوله أما هى الشرطية وما الزائدة أدغمت الميم فى النون للتقارب. وتثقفن من قولهم ثقفه يثقفه صادفه أو أخذه أو ظفر به أو أدركه قال تعالى واقتلوهم حيث ثقفتموهم أى حيث وجدتموهم من حل أو حرم. وقوله بنو لؤى يريد به لؤياً أحد أجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة وبنو لؤى هم كعب بن لؤى على عمود النسب النبوى وجذيمة وسعد وعامر أبو حسل وبغيض على غيره وكان لوى يكنى أبا كعب وكان التقدم فى قريش لبنيه وبنى بنيه وأما جذيمة فهو أبو حى من خزاعة وهو جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة وهذا ربيعة أبو خزاعة وهو أول من غير دين اسماعيل عليه السلام ودعا العرب إلى عبادة الاصنام والمراد من جذيمة هنا الحى لا الرجل ولذلك قال الشاعر أن قتلهم شفاء فأتى بضمير الجمع واضافة القتل إلى الضمير من إضافة المصدر إلى مفعوله يريد أن ايقاع القتل بهؤلاء القوم وتدميرهم شفاء لما فى الصدور بما وقع منهم لان رئيسهم الحرث بن أبى ضرار

أولئك معشر نصروا علينا ، ففى أظفارنا منهم دماء (١)
وحلف الحرث بن أبى ضرار وحلف قريظة منا براء (٢)
لسانى صارم لا عيب فيه وبحرى لا تكدره الدلاء

* * *

٤ — وقال حسان رضى الله عنه فى هجرة الرسول

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم وقدس ومن يسرى إليهم ويغتدى
ترحل عن قوم فضلت عقولهم وحل على قوم بنور مجدد (٣)
هداهم به بعد الضلالة ربهم وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوى ضلال قوم تسفهوا عمى وهداة يهتدون بمهتد (٤)

---

(١) قوله أولئك معشر يعنى جذيمة . ونصروا علينا بالبناء للمعلوم أى أعانوا علينا أعداءنا فانتقمنا منهم وبطشنا فيهم وافترسناهم افتراس السباع ففى أظفارنا منهم دماء يريد ما كان من الحرث بن أبى ضرار وقومه كما يأتى فى شرح البيت الآتى

(٢) والحلف المحالف والصديق يحلف لصاحبه أن لا يغدر به والحرث بن أبى ضرار رأس بنى جذيمة وهو أبو جويرية بنت الحرث أم المؤمنين رضى الله عنها زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنى بحلف الحرث حلفاءه الذين وافقوه على مناواة رسول الله وقتاله قبل أن يسلم الحرث فخرج النبى لقتالهم فى شعبان فى السنة الخامسة من الهجرة فانهزم المشركون ومن نجا من القتل أسر كما أسرت النساء فمن المسلمون على الاسرى بالعتق لما تزوج عليه السلام منهم جويرية بنت الحارث وكانت فى الاسرى

(٣) قوله ترحل عن قوم هم قريش وذلك فى السنة الأولى من الهجرة فى الثانى والعشرين من صفر أو فى غرة ربيع الأول منها حيث هاجر من مكة إلى المدينة وخرج عليه الصلاة وسلام مع أبى بكر ولبثا فى الغار ثلاثة أيام

(٤) قوله تسفهوا عمى أى ضلوا وزاغوا عن الحق واستحبوا العمى عن الهدى والبيت بمعنى قول الله عز وجل قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور

لقد نزلت منه على أهل يثرب ركائب هدى حلت عليهم بأسعد(١)
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله فى كل مسجد
وإن قال فى يوم مقالة غائب فتصديقها فى اليوم أو فى ضحى الغد(٢)
ليهن أبا بكر سعادة جده بصحبته من يسعد الله يسعد(٣)

وقال رضى الله عنه يرثى النبي صلى الله عليه وسلم :

* * *

(بطيبة رسم للرسول ومعهد منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تنمحى الآيات من دار حرمة بها منبر الهادى الذى كان يصعد(٤)
وواضح آيات وباقى معالم وربع له فيه مصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها من الله نور يستضاء ويوقد(٥)

---

(١) قوله على أهل يثرب هم أهل المدينة . وقوله بأسعد أى بطالع أسعد مبارك

(٢) قوله فتصديقها الضمير للمقالة أى أنه أن أخبر بشيء محجوب فى الغيب من غير وحى يؤيد الله سبحانه وتعالى قوله بكلامه المقدس الذى ينزل به جبريل فى اليوم الخ .

(٣) قوله سعادة جده أى باجتهاده ومثابرته على مواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) ارتفع رسم على الابتداء وخبره بطيبة مقدما ومتعلق الباء محذوف وهو أيضا متعلق اللام فى للرسول والتقدير بطيبة رسم كائن للرسول وطيبة هى المدينة سماها النبي بذلك وبعدة أسماء أخر؛ والمعهد المنزل وجملة وقد تعفو الرسوم الخ حالية وتهمد تخرب يقال همد المكان خرب ، وقوله من دار حرمة أى من دار مهابة ويريد بها مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا تنمحى الآيات أى لا ينقطع ذكر كلام الله منها .

(٥) قوله بها حجرات الضمير لدار الحرمة والحجرات جمع حجرة وهي الموضع المنفرد

معالم لم تطمس على العهد آيها ... أتاها البلى فالآى منها تجدد
عرفت بها رسم الرسول وعهده ... وقبرا به واراه فى الترب ملحد
ظللت بها أبكى الرسول فأسعدت ... عيون ومثلاها من الجفن تسعد
تذكر آلاء الرسول وما أرى ... لها محصيا نفسى فنفسى تبلد (١)
مفجعة قد شفها فقد أحمد ... فظلت لآلاء الرسول تعدد
وما بلغت من كل أمر عشيره ... ولكن نفسى بعض ما فيه تحمد (٢)
أطالت وقوفا تذرف العين جهدها ... على طلل القبر الذى فيه أحمد
فبوركت ياقبر الرسول وبوركت ... بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
وبورك لحد منك ضمن طيبا ... عليه بناء من صفيح منضد
تهيل عليه الترب أيد وأعين ... عليه وقد غارت بذلك أسعد (٣)
لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة ... عشية علوه الثرى لا يوسد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم ... وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
يبكون من تبكى السموات يومه ... ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد
وهل عدلت يوما رزية هالك ... رزية يوم مات فيه محمد (٤)
تقطع فيه منزل الوحى عنهم ... وقد كان ذا نور يغور وينجد
يدل على الرحمن من يقتدى به ... وينقذ من هول الخزايا ويرشد (٥)

---

(١) قوله فأسعدت عيون أى ساعدت وعاونت معى فى البكاء عيون أى ناس أخر . وقوله تذكر الخ أى أن هذه العيون تتذكر وتعدد نعم الرسول عليها فهى لذلك تبكى عليه بحرقة ثم قال وإنى لست قادرا على إحصاء هذه النعم فنفسى عنها تبلد أى تقصر وتضعف (٢) قوله عشيره أى عشره

(٣) المسدد الموفق للصواب . والبناء المنضد من صفيح هو البناء المصفوف بعضه فوق بعض من صفيح وهو الحجر العريض . وقوله وقد غارت أسعد جمع سعد أى غابت سعودهم والجملة حالية . (٤) قوله وهل عدلت لفظه لفظ الاستفهام ومعناه النفى كأنه قال وما عدلت وساوت يوما مصيبة ميت مصيبه يوم توفى فيه رسول الله عليه وسلم . (٥) قوله يدل من يقتدى به ويتبعه الضمير لرسول الله أى يرشده على الحق وهو الله سبحانه وتعالى

إمام لهم يهديهم الحق جاهدا ... معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا
عفو عن الزلات يقبل عذرهم ... وإن يحسنوا فالله بالخير أجود
وإن ناب أمر لم يقوموا بحمده ... فمن عنده تيسير ما يتشدد
فبينا هم فى نعمة الله بينهم ... دليل به نهج الطريقة يقصد (١)
عزيز عليه أن يحيدوا عن الهدى ... حريص على أن يستقيموا ويهتدوا
عطوف عليهم لا يثنى جناحه ... إلى كنف يحنو عليهم ويمهد
فبيناهم فى ذلك النور إذ غدا ... إلى نورهم سهم من الموت مقصد (٢)
فأصبح محمودا إلى الله راجعا ... يبكيه جفن المرسلات ويحمد (٣)
وأمست بلاد الحرم وحشا بقاعها ... لغيبة ما كانت من الوحى تعهد
قفارا سوى معمورة اللحد ضافها ... فقيد يبكيه بلاط وغرقد (٤)
ومسجده فالموحشات لفقده ... خلاء له فيه مقام ومقعد
وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت ... ديار وعرصات وربع ومولد
فبكى رسول الله ياعين عبرة ... ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد

---

(١) قوله وأن ناب أمر أى وأن دهمهم خطب ونزل بهم انصرف عنهم بدعاء الرسول الله لم يقوموا بحمده والدليل يريد به رسول الله صلى عليه وسلم .

(٢) قوله الى كنف أى جانب ويمهد أى ويسكت على ما يكره أى يغض الطرف عن هفواتهم قال الراعى .

وإنى لأحمى الأنف من دون ذمتى ... اذا الدنس الواهى الأمانة أهمدا

ومقصد أى صائب قاتل .

(٣) قوله يبكيه أى يبكى عليه فحذف وأوصل . جفن المرسلات الملائكة .

(٤) قوله سوى معمورة اللحد أى مكان اللحد . وضافها أى نزل بها ضيفا كريما ويراد بالفقيد رسول الله عليه الصلاة والسلام . وقوله ، يبكيه بلاط هو موضع بالمدينة بين المسجد والسوق مبلط . والغرقد شجر وبقيع الغرقد مقبرة المدينة المنورة .

ومالك لا تبكين ذا النعمة التى ... على الناس منها سابغ يتغمد
فجودى عليه بالدموع وأعولى ... لفقد الذى لا مثله الدهر يوجد (١)
وما فقد الماضون مثل محمد ... ولا مثله حتى القيامة يفقد
أعف وأوفى ذمة بعد ذمة ... وأقرب منه نائلا لا ينكد
وأبذل منه للطريف وتالد ... إذا ضن معطاء بما كان يتلد (٢)
وأكرم حيا فى البيوت اذا انتمى ... وأكرم جدا أبطحيا يسود
وأمنع ذروات وأثبت فى العلى ... دعائم عز شاهقات تشيد (٣)
وأثبت فرعا فى الفروع ومنبتاً ... وعوداً غداة المزن فالعود أغيد
رباه وليدا فأستتم تمامه ... على أكرم الخيرات رب ممجد
تناهت وصاة المسلمين بكفه ... فلا العلم محبوس ولا الرأى يفند (٤)

(١) قوله ياعين حذفت الياء لوقوعها موقع مايحذف فى النداء وهو التنوين ولأن الكسرة تدل عليه وباب النداء باب حذف وايجاز ، وضمير منها يعود على النعمة . وسابغ أى مطر سابغ دان ممتد الى الارض وبذا يكثر الخير ويتسع الرزق ويتغمد يزداد يقال غمدت البئر غمدا اذا كثر ماءها . وقوله فجودى عليه بالدموع أى ولا تدخرى شيأ .

(٢) قوله وأبذل معطوف على أعف وضمير منه للمثل بفرض وجوده أى كثير البذل لماله الطريف المستحدث المستفاد والتليد الموروث عن الآباء قديما

(٣) أبطحيا منسوب الى قريش البطاح الذى ينزلون أباطح مكة . وامنع ذروات جمع ذروة وهى الشرف أى وأرفع شرفا من بيوتات العرب التى تضم شرف القبيلة .

(٤) قول غداة ظرف لقوله وأثبت أى واثبت فرعا فى ذلك الوقت وأغيد مروى غض رطب : ورب ممجد فاعل رباه أى أنشأه ربه وليدا صبيا . وقوله تناهت وصاة المسلمين بكفه أى صار هو المسؤل عنهم وعهد الله اليه أمرهم ويراد بالعلم هنا علم مافى الغيب وهو لايعلمه الا بنزول الوحى عليه . وقوله ولا الرأى يفند أى ولا رأيه يضعف بل كان قوى الحجة ثابت الفكرة

أقول ولا يلفى قولى عائب من الناس إلا عازب القول مبعد (١)
وليس هوائى نازعا عن ثنائه لعلى به فى جنة الخلد أخلد (٢)
مع المصطفى أرجو بذاك جواره وفى نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد

٦ — وقال أيضاً يرثيه صلى الله عليه وسلم

ما بال عينك لا تنام كأنما كحلت مآقيها بكحل الأرمد
جزعا على المهدى أصبح ثاوياً ياخير من وطىء الحصى لاتبعد (٣)
وجهى يقيك الترب لهفى ليتنى غيبت قبلك فى بقيع الغرقد
بأبى وأمى من شهدت وفاته فى يوم الاثنين النبى المهتدى
فظللت بعد وفاته متبلداً متلددا ياليتنى لم أولد (٤)
أأقيم بعدك بالمدينة بينهم ياليتنى صبحت سم الأسود (٥)

(١) يقول أقول قولى هذا ولا يمكن لأحد أن ينكره على الا ذاهب القول أى الذى لايعتد به فهو سفيه الرأى بعيد العقل وفى حديث عاتكة :

فهن هواء والحلوم عوازب — جمع عازب أى أنها خالية بعيدة العقول

(٢) قوله نازعا عن ثنائه أى ليس ميلى راجعاً عن مدحه وثنائه

(٣) الارمد هو الذى هاجت عينه من الرمد وهو وجع العين وانتفاخها وانتصب جزعاً على المصدر

(٤) بقيع الغرقد مقبرة المدينة المنورة . وقوله فى يوم الاثنين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبىء يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الأثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ورفع الحجر يوم الاثنين وقبض يوم الأثنين نصف النهار لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة احدى عشرة من الهجرة ضحى فى مثل الوقت الذى دخل فيه المدينة. وقوله متبلدا متلددا أى نافذ الصبر متلهفا حائرا فى أمرى لاأدرى كيف أصنع

(٥) قوله أأقيم بعدك لفظه لفظ الاستفهام والمعنى الانكار أى لم أقم بعدك بالمدينة الخ . وقوله ياليتنى ، يا حرف نداء والمنادى محذوف أى يا قوم أو غير ذلك وصبحت سم الأسود ، أى شربت الصبوح وهو ما شرب بالغداة فما دون القائلة من سم الأسود وهى الحية

أو حل أمر الله فينا عاجلا في روحة من يومنا أو في غد
فتقوم ساعتنا فنلقى طيباً محضاً ضرائبه كريم المحتد
يا بكر آمنة المبارك بكرها ولدته محصنة بسعد الأسعد (١)
نوراً أضاء على البرية كلها من يهدر للنور المبارك يهتدى
يا رب فاجمعنا معـاً ونبينا في جنة تثنى عيون الحسد (٢)
في جنة الفردوس فاكتبها لنا ياذا الجلال وذا العلا والسؤدد
والله أسمع ما بقيت بهالك إلا بكيت على النبي محمد (٣)
ياويح أنصار النبي ورهطه بعد المغيب في سواء الملحد (٤)
ضاقت بالانصار البلاد فأصبحوا سودا وجوههم كلون الاثمد
ولقد ولدناه وفينا قبره وفضول نعمته بنا لم يجحد

---

(١) قوله فنلقى طيبا أى فنرى رسولا طيبا محضا ضرائبه أى خالصة ونقية طبيعته وسجيته جمع ضريبة ويريد به النبي عليه الصلاة والسلام ، وبكرها فاعل المبارك وهو النبي . ومحصنة حال من ضمير ولدته أى عفيفة . وبسعد الأسعد أى بطالع سعيد .

(٢) تثنى عيون الحسد أى تبعد عنا عيون الحسد (٣) تعلق الباء من قوله بهالك بأسمع وحذف حرف النفى الداخل على الفعل لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام ونحوه قول امرء القيس ⁕ فقلت يمين الله أبرح قاعدا ⁕

وقوله ما بقيت ما مع الفعل فى تقدير مصدر وحذف اسم الزمان معه أى مدة بقائى وفى الكلام نية الشرط والجزاء كأنه قال لا أسمع بها لك أن بقيت ومعناه ان بقيت حيا فلذلك وقع الماضى فيه فى موضع المستقبل لأن ما بقيت فى موضع ما أبق وان أبق .

(٥) ويح كلمة ترحم وتوجع وتضاف كما هنا ولا تضاف ويريد بالمغيب رسول الله أى المتوارى . وسواء الملحد وسطه .

والله أكرمنا به وهدى به   أنصـــاره فى كل ساعة مشهـد
صلى الاله ومن يحف بعرشه   والطيبون على المبارك أحمـــد

٧ — وقال أيضاً يرثيه صلى الله عليه وسلم

آليت مافى جميع الناس مجتهدا   منى ألية بر غير إفنـاد [١]
تالله ما حملت أنثى ولا وضعت   مثل الرسول نبي الأمة الهادى
ولا برا الله خلقا من بريته   أوفى بذمة جار أو بميعـاد [٢]
من الذى كان فينا يستضاء به   مبارك الأمر ذا عدل وإرشـاد
مصـــدقا للنبيين الألى سلفوا   وأبذل الناس للمعروف للجادى [٣]
يا أفضل الناس إنى كنت فى نهر   أصبحت منه كمثل المفرد الصادى
أمسى نساؤك عطلن البيوت فما   يضربن فوق قفا ستر بأوتاد
مثل الرواهب يلبسن المسوح وقد   أيقن بالبؤس بعدالنعمة البادى [٤]

٨ — وقال الحرث بن أبى شمر الغسانى لحسان وكان النعمان بن المنذر اللخمى يساميه : يا ابن الفريعة لقد نبئت أنك تفضل النعمان على فقـال وكيف أفضله عليك فوالله لقفاك أحسن من وجهه ولأمك أشرف من أبيه ولأبوك أشرف من جميع قومه ولشمالك أجود من يمينه ولحرمانك أنفع من نداه ولقليلك أكثر

---

(١) قول آليت الية برأى حلفت حلفة صادقة غير افناد أى تكذيب

(٢) قوله ولا برا الله من بريته أى ولا خلق الله من خلقه شخصا أو فى منه الخ .

(٣) الجادى طالب الجدوى وهى العطية .

(٤) المسوح جمع مسح وهو الكساء من الشعر جمع القلة أمساح قال أبو ذؤيب .

ثم شربن بنبط والجمال كأن الرشح منهن بالآباط أمساح

وأيقن الخ أى تحققن بالشقاء الذى ظهر عليهن بعد النعمة السابغة .

من كثيره ولثمادك أشرع من غديره ولكرسيك أرفع من سريره ولجدولك أغور من بحره وليومك أطول من شهره ولشهرك أمد من حوله ولحولك خير من حقبه ولزندك أورى من زنده ولجندك أعز من جنده وإنك من غسان وإنه من لخم فكيف أفضله عليك وأعدله بك فقال يا ابن الفريعة هذا لا يسمع إلا فى شعر فقال :

نبئت أن أبا منـذر ... يساميك للحرث الأصغر (١)
قفاك أحسن من وجهه ... وأمك خير من المنذر
ويسرى يديك على عسرها ... كيمنى يديه على المعسر
وشتان بينكما فى الندى ... وفى البأس والخير والمنظر (٢)

٩ — وقال أيضا يرثى أهل مؤته عام ٨ هـ .

عين جودى بدمعك المنذور ... واذكرى فى الرخاء أهل القبور
واذكرى مؤتة وما كان فيها ... يوم ولوا فى وقعة التغوير
حين ولوا وغادروا ثم زيدا ... نعم مأوى الضريك والمأسور (٣)
حب خير الأنام طرآ جميعاً ... سيد الناس حبه فى الصدور (٤)
ذاكم أحمد الذى لا سـواه ... ذاك حزنى معاله وسرورى

---

(١) نبئت فيه الخرم

(٢) الخير بالكسر الكرم والجود .

(٣) الرخاء لعله يريد به أيام السلم والتغوير القائلة وذلك لما أصيبوا متتابعين وأخذ الراية خالدبن الوليد خرج إلى الظهر من ذلك اليوم تعرف الكآبة فى وجهه فخطب الناس بما كان من أمرهم . والضريك الشديد عصب الخلق فى جسم . وكذلك المأسور يقال فلان شديد أسر الخلق إذا كان معصوب الخلق غير مسترخ وزيدا هو زيد بن حارثة .

(٤) حب خير الأنام صفة لزيد أى هو محبوب خير الانام. وكان زيد ابن حارثة رضى الله عنه يدعى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٠ — وقال رضى الله عنه يجيب رجلا من قريش حين أسروا سعد بن عبادة يوم الاثنى عشر نقيبا ، قال القرشى .

تداركت سعدا عنوة فأخذته وكان شفاء لو تداركت منذرا
ولو نلته طلت هناك جراحه وكانت جراحا أن تهان وتهدرا (١)

فقال حسان رضى الله عنه يجيبه وهو أول شعر قاله فى الاسلام

لست إلى عمرو ولا المرء منذر إذا ماطايا القوم أصبحن ضمرا
ولولا أبو وهب لمرت قصائد على شرف البلقاء تهوين حسرا
فاناومن يهدى القصائد نحونا كمستبضع تمرا إلى أهل خيبرا
فلاتك كالوسنان يحلم أنه بقرية كسرى أو بقرية قيصرا
ولاتك كالشاة التى كان حتفها بحفر ذراعيها فلم ترض محفرا (٢)
ولاتك كالعاوى فأقبل نحره ولم يخشه سهما من النبل مضمرا (٣)

١١ — وكان وفد على رسول الله صلى الله علية وسلم وفد بنى تميم سنة الوفود بعد فتح مكة فيهم عطارد بن حاجب بن زرارة وقيس بن عاصم وقيس

---

(١) أخذته عنوة أى قهرا وغلبة . وطلت جراحه أى أهدرت

(٢) قوله ولاتك كالشاة الخ البيت يشير الى المثل العربى المشهور : حتفها تحمل ضأن بأظلافها ، وأصله أن رجلا كان جائعا بالفلاة القفر فوجد شاة ولم يكن معه مايذبحها به فبحثت الشاة الارض فظهر فيها مدية فذبحها بها فصار مثلا لكل من أعان على نفسه بسوء تدبيره ولذلك يضربه الشاعر له . وقوله فلم ترض محفرا هى المسحاة ونحوها مما يحتفر به أى فلم تقبل محفورا

(٣) قوله فأقبل نحرها سهما أى جعله الضمير للنحر قبالته أى عرضه للسهم وضمير يخشه للسهم أى لم يخافه كأنه ألقى بنفسه للهلكه . والسهم المضمر المخفى

ابن الحارث ونعيم بن زيد وعتبة بن حصن بن حذيفة بن بدروالأقرع بن حابس في لفهم ولفيفهم ودخلوا المسجد ونادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته أن اخرج الينا يامحمد جئناك لنفاخرك فاذن لشاعرنا وخطيبنا قال قد أذنت لخطيبكم فليقل فقام عطارد بن حاجب فقال الحمد لله الذى له علينا الفضل وهو أهله الذى جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل منها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عدداً واشده عدة فمن مثلنا فى الناس ألسنا برؤس الناس وألى فضلهم فمن فاخرنا فليعدد مثل ماعددناه وإنا لو نشاء لاكثرنا الكلام ولكننا نحينا من الاكثار وأقول هذا لأن تاتوا بمثل قولنا وأمر أفضل من أمرنا ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس الخزرجي قم فاجب الرجل فى خطبته فقام ثابت بن قيس فقال الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شيء قط الا من فعله ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمه نسبا وأصدقه حديثا وأفضله حسبا فانزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه وكان خيرة من العالمين ثم دعا الناس الى الايمان به فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه أكرم الناس أحسابا وأحسنهم وجوها وخير الناس فعالا ثم كان أول الخلق إجابة واستجاب الله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله منع بماله ودمه ومن كفر جاهدناه فى الله أبدا وكان قتله علينا يسيرا أقول هذا واستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم فقام الزبرقان بن بدر التيمى فقال.

نحن الكرام فلا حى يعادلنا   منا الملوك وفينا تنصب البيع
وكم قسرنا من الأحياء كلهم   عند النهاب وفضل العز يتبع[1]

(١) وفينا تنصب البيع أى تقام والبيع جمع بيعه بالكسر وهى كنيسة النصارى وقيل كنيسة اليهود قال تعالى وبيع وصلوات ومساجد . وقسرنا أى قهرنا وغلبنا والنهاب جمع نهبة وهى الغنيمة قال العباس بن مرداس

كانت نهابا تلافيتها   بكرى على المهر بالاجرع

ونحن نطعم عند القحط مطعمنا … من الشواء إذا لم يؤنس القزع (١)
ثم ترى الناس تأتينا سراتهم … من كل أرض هويا ثم نصطنع
فننحر الكوم غبطا فى أرومتنا … للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا (٢)
فلا ترانا إلى حى نفاخرهم … إلا استقادوا وكاد الرأس يقتطع
إنا أبينا ولم يأب لنا أحد … إنا كذلك عند الفخر نرتفع
فمن يقادرنا فى ذاك يعرفنا … فيرجع القول والأخبار تستمع

وكان حسان بن ثابت غائباً فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حسان فلما جاءنى رسوله فأخبرنى إنه إنما دعانى لأجيب شاعر بنى تميم خرجت إلى رسول الله وأنا أقول :

منعنا رسول الله إذحل وسطنا … على كل باغ من معد وراغم
منعناه لما حل بين بيوتنا … بأسيافنا من كل عاد وظالم
بحى حريد عزه وثراؤه … بجاوية الجولان وسط الأعاجم
هل المجد إلا السودد والعود والندى … وجاه الملوك واحتمال العظائم (٣)

قال فلما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام شاعر القوم فقال ما قال عرضت فى قوله وقلت على نحو مما قال فلما فرغ الزبرقان بن بدر من قوله قال رسول الله لحسان قم ياحسان فأجب الرجل فيما قال فقال حسان :

إن الذوائب من فهر وإخوتهم … قد بينوا سنة للناس تتبع (٤)

---

(١) اذا لم يؤنس القزع أى اذا لم يرج مطر

(٢) فننحر الكوم غبطا فى أرومتنا . الكوم القطعة من الابل . والغبط حسن الحال . والارومة الأصل يفتخر الشاعر بكرم عشيرته .

(٣) بحى حريد أى منعزل ومنفرد لعزته . والعود الطريق القديم العادى وكذلك السودد على المثل .

(٤) الذوائب جمع ذوابة وهى الشعر المضفور استعارها هنا للاشراف وفى حديث دغفل وأبى بكرانك لست من ذوائب قريش أى من أشرافهم .

يرضى بها كل من كانت سريرته تقوى الاله وبالأمر الذى شرعوا
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة إن الخلائق فاعلم شرها البدع (١)
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
إن كان فى الناس سباقون بعدهم فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
ولا يضنون عن مولى بفضلهم ولا يصيبهم فى مطمع طبع
لا يجهلون وإن حاولت جهلهم فى فضل أحلامهم عن ذاك متسع
أعفة ذكرت فى الوحى عفتهم لا يطمعون ولا يرديهم الطمع (٢)
كم من صديق لهم نالوا كرامته ومن عدو عليهم جاهد جدعوا
أعطوا نبي الهدى والبر طاعتهم فما ونا نصرهم عنه وما نزعوا
إن قال سيروا أجدوا السير جهدهم أو قال عوجوا علينا ساعة ربعوا
مازال سيرهم حتى استقادلهم أهل الصليب ومن كانت له البيع
خذ منهم ما أتى عفوا إذا غضبوا ولا يكن همك الأمر الذى منعوا
فان فى حربهم فاترك عداوتهم شرا يخاض عليه الصاب والسلع
نسموا إذا الحرب نالتنا مخالبها إذا الزعانف من أظفارها خشعوا (٣)

---

(١) البدع جمع بدعة وهى كل محدثة وفى البيتين التقسيم ثم الجمع فقد قسم فى البيت الأول صفة الممدوحين إلى الضر بالاعداء والنفع للأولياء ثم جمع فى الثانى بأن كلا منهم سجية لهم لا بدعة محدثة فيهم .

(٢) لا يرديهم طمع أى لا يطمعون فى شىء يؤدى بهم إلى الهلاك

(٣) عفوا أى بغير مسألة : ومنعوا أى منعوه. شرا اسم إن . ويخاض عليه أى يخلط عليه الصاب والسلع كلاهما شجر مر . وقوله نسموا الخ فى البيت تخييل لان الشاعر لما شبه الحرب بالسبع فى الاغتيال أخذ الوهم يخترع لها مخالبا وأظفاراً كمخالب واظفار السبع فشبهت الصورة المتخيلة بالصورة المحققة واستعير لفظ المخالب والاظافر من المشبه به للمشبه . والزعانف من النـــاس سفلتهم

لافخر إن هم أصابوا من عدوهم ... وإن أصيبوا فلا خور ولاجزع
كأنهم فى الوغى والموت مكتنع ... أسد ببيشة فى أرساغها فدع
إذا نصبنا لقوم لاندب لهم ... كما يدب إلى الوحشية الذرع [1]
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم ... إذا تفرقت الأهواء والشيع
اهدى لهم مدحى قلب يوازره ... فيما يحب لسان حائك صنع
فانهم أفضل الأحياء كلهم ... إن جد بالناس جدالقول أوسمعوا

فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله قال الأقرع بن حابس وأبى ان هذا الرجل المؤتى له لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا وأصواتهم أعلى من أصواتنا فلما فرغ القوم أسلموا وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن جوائزهم

١٢ — ولما وقع يوم بعاث وهو بين الأوس والخزوج بسبب قتل سمير الأوسى لبجير مولى مالك بن العجلان سيد الحيين واقتلوا قتالا شديداً ثم ان رجلا من الأوس نادى يامالك نشدتك الله و الرحم أن تجعل علينا حكما من قومك فارعوى مالك وحكموا عمرو بن امرىء القيس فقضى لمالك بن العجلان بدية المولى فأبى مالك وآذن بالحرب فخذلته بنو الحرث لرده قضاء عمرو وأنشد قصيدته التى يقول فيها :

---

(١) الخور الضعف يقال خار الرجل يخور خؤرا ضعف وانكسر . والمكتنع الدانى القريب . والفدع زوال الرسغ فى اليد الى وحشيها . وقوله لاندب لهم أى لم نمش لهم رويدا ونتجسس عليهم والذرع جمع ذريعة وهى الجمل يختل به الصيد يمشى الصياد الى جنبه فيستتر به ويكون كالدريئة ويرمى الصيد اذا أمكنه وذلك الجمل يسيب أولا مع الوحش حتى تألفه قال الشاعر .

إن سميراً أرى عشيرته　　قد حدبوا دونه وقد أنفوا [1]
إن يكن الظن صادق ببنى النجا　　ر لا يطعموا الذى علفوا

فقال عمرو بن امرىء القيس الأنصارى يخاطبه من قصيدته

يا مال والسيد المعمم قد　　يبطره بعض رأيه السرف [2]
نحن بما عندنا وأنت بما　　عندك راض والرأى مختلف
يامال والحق إن قنعت به　　فالحق فيه لأمرنا نصف
خالفت فى الرأى كل ذى فجر　　والحق يامال غير ماتصف [3]
إن بجيرا مولى لقومكم　　والحق يوفى به ويعترف
إن سميرا أبت عشيرته　　أن يعرفوا فوق مابه نصف
أو تصدر الخيل وهى جافلة　　تحت هواها جماجم خفف
أو تجرعوا الغيظ مابدا لكم　　فهارشوا الحرب حين تنصرف [4]

---

(١) قوله قد حدبوا دونه أى عطفوا وأشفقوا عليه . وأنفوا يقال أنف الشىء كرهه وشرفت عنه نفسه ويريد ههنا أخذتهم الحمية من الغيرة والغضب لاجل سمير

(٢) قوله يا مال هو منادى مرخم مالك بن العجلان والعمامة عند العرب لا يلبسها إلا الأشراف والعمائم تيجان العرب . والسرف إسم الأسراف وهو مجاوزة القصد

(٣) نحن ضمير منفصل مبتدأ والخبر محذوف جوازا أى راضون بدليل وأنت الخ . وعند ظرف مكان والرضا بالشىء اختياره والرأى العقل والتدبير أى نحن راضون بما عندنا ومختارون له وأنت كذلك والرأى بيننا مختلف لان كلامنا له عقل وتدبير مخالف لعقل الآخر وتدبيره . والنصف العدل والاستقامة والفجر هو الجود الواسع والكرم من التفجر فى الخير .

(٤) قوله أو تصدر الخيل الخ أو هنا بمعنى الى . وخفف جمع خفيف . وقوله فهارشوا الهرش هو التحريش وتحريك الفتنة .

وقال قيس بن الخطيم من قصيدة يجيبه .

(أبلغ بنى جحجبى وقومهم خطمة إنسا وراءهم أنف
وإننا دون ما يسومهم أل أعداء من ضيم خطة نكف (١)
نفلى بحد الصفيح هامهم وفلينا هامهم بها عنف

فرد عليه حسان بقوله

ما بال عينى دموعها تكف من ذكر خود شطت بها قذف
بانت بها غربة تؤم بها أرضاً سوانا فالشكل مختلف
ما كنت أدرى بوشك بينهم حتى رأيت الحدوج قد عزفوا
فغادرونى والنفس غالبها ما شفها والهموم تعتكف
دع ذا وعد القريض فى نفر يدعون مجدى ومد حتى شرف) (٢)
إن أدع فى المجد ألفهم سلفاً أهل فعال يبدو إذا وصفوا (٣)
أو ندع فى الأوس دعوة هرباً وقد بدا فى الكتيبة النصف
كنتم عبيداً لنا نخولكم من جاءنا والعبيد تضطعف

---

(١) بنى جحجبى وخطمة حيان لقبيلة قيس بن الخطيم لأنه أوسى والسوم التكليف . والخطة الشان والأمر العظيم ونكف جمع ناكف من نكفت من كذا أى استنكفته وأنفت منه .

(٢) الحدوج هى مراكب النساء واحدها حدج . وعزفوا أى تهيئوا للرحيل . وقوله والنفس غالبها ما شفها أى متغلب عليها ما شفها من الحزن وانحلال جسمها وهزلها . وتعتكف أى تقبل على من كل صوب . ودع ذا الخطاب لقيس بن الخطيم انتقال من ذكر الحبيبة الى الافتخار على قيس .

(٣) قوله ألفهم سلفا السالف المتقدم أى متقدمون وفى التنزيل فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين أى جعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الآخرون . والفعال إسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه .

كيف تعاطون مجدنا سفها وأنتم دعوة لها وكف
شأنكم جدكم وأكرمنا جد لنا فى الفعال ينتصف [١]
نجعل من كان المجد محتده كأعبد الأوس كلما وصفوا
هلا غضبتم لأعبد قتلوا يوم بعاث أظلهم ظلف
نقتلهم والسيوف تأخذهم أخذا عنيفا وأنتم كشف
وكم قتلنا من رائس لكم فى فيلق يجتدى له التلف) [٢]
ومن لئيم عبد يحالفكم ليست له دعوة ولا شرف
إن سميرا عبد طغى سفها أجداده أعبد لنا تلف
بالكاهنين الذين جدهم عبد العصا واللئام إن أسفوا [٣]

---

(١) أو ندع فى الأوس دعوة هربا أى ننادى من أدبر وتولى منهم . وقوله تعالى فى ذكر لظى نعوذ بالله منها : تدعو من أدبر وتولى أى تنادى من أدبر وتولى وكان يوم بعاث موضع بقرب المدينة ويومه معروف وقع فيه حرب بين الأوس والخزرج وسببه قتل بجير مولى مالك بن العجلان والذى قتله سمير بن زيد بن مالك أحد بنى عمرو بن عوف من الأوس، وكان ذلك فى السنة السابعة من البوة . والنصف اعطاء الحق . والعبيد تضطعف أى تنسب إلى الضعف . والدعوة فى النسب المدعى المتهم فى نسبه . ولها وكف أى فيها وكف : عيب ونقص الضمير للدعوة . وشانكم جدكم أى أبغضكم جدكم والفعال اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه .

(٢) هلا حرف حث وتحضيض أى لم تغضبوا. وأظلهم ظلف أى أقبل عليهم ودنا منهم ظلف وهو الشدة والبؤس، وفى الحديث قد أظلكم شهر عظيم أى أقبل عليكم ودنا منكم . والكشف الذين لا يصدقون القتال . وقوله رائس أى رئيس والفيلق الكتيبة العظيمة .

(٣) أن أسفوا أى خضعوا وذلوا ومنه الأسيف العبد والأسير .

١٣ – وقال رضي الله عنه في يوم أحد يرد على عبد الله بن الزبعرى السهمى قصيدته التي يقول فيها :

يا غراب البين أسمعت فقل … إنما تنطق شيئا قد فعل
والعطيات حساس بينهم … وسواء قبر مثر ومقل
كل عيش ونعيم زائل … وبنات الدهر يغين بكل (١)
أبلغـا حسان عنى آية … فقريض الشعر يشفى ذا العلل
كم ترى بالجر من جمجمة … وأكف قد أنزت ورجل
وسرابيل حسان سريت … عن كماة أهلكوا في المنترل (٢)
كم قتلنا من كريم سيد … ماجد الجدين مقدام بطل
صادق النجدة قرم بارع … غير ملتات لدى وقع الأسل
ليت أشياخى ببدر شهدوا … جزع الخزرج من وقع الأسل
فاسأل المهراس من ساكنه … بعد أبدان وهام كالحجل (٣)
إن للخير وللشر مدى … وكلا ذلك وجه وقبل (٤)

---

(١) حساس بينهم أى شؤم ونكد. وبنات الدهر صروفه. والكل الأعياء

(٢) الجر سفح الجبل ، وقد أنزت أى أصابتها جروح فنزيت منها وماتت أصحابها . ورجل لعله جمع تكسير لرجل والمشهور أرجل . وسريت أى نزعت وكشفت .

(٣) المهراس ماء بأحد . والحجل صغار الابل وأولادها

(٤) مدى أى غاية اسم ان مؤخر ، وكلا مبتدأ مرفوع بضمه مقدرة للتعذر وهو اسم لفظه مفرد ومعناه مثنى لعوده على الخير والشر وهو مضاف الى اسم الاشارة ووجه أى جهة خبر كلا وقبل جهة أيضا معطوف على وجه عطف تفسير يقول إن للخير والشر غاية ينتهيان اليها ويقفان عندها وكلا ذلك صاحب جهة يصرفه الله فيها .

فقال حسان رضى الله عنه :

ذهبت بابن الزبعرى وقعة كان منا الفضل فيها لو عدل
ولقد نلتم ونلنا منكم وكذاك الحرب أحيانا دول
إذ شددنا شدة صادقة فأجأ ناكم إلى سفح الجبل
إذ تولون على أعقابكم هربا فى الشعب أشباه الرسل
نضع الخطى فى اكتافكم حيث نهوى عللا بعد نهل (١)
فسدحنا فى مقام واحد منكم سبعين غير المنتحل (٢)
وأسرنا منكم أعدادهم فانصرفتم مثل أفلات الحجل (٣)
تخرج الأضياح من استاهم كسلاح النيب يأكلن العصل
لم يفوتونا بشىء ساعة غير أن ولوا بجهل وفشل
ضاق عنا الشعب إذ نجزعه وملأنا القرط منهم والرجل (٤)
برجال لستم أمثالهم أيدوا جبريل نصرا فنزل
وعلونا يوم بدر بالتقى طاعة الله وتصديق الرسل

---

(١) فأجأناكم ألجأناكم . والرسل القطيع من الابل ترسل الى الماء خمسا ونهوى عللا بعد نهل هو الشرب بعد الشرب تباعا ضربه مثلا أى مرة بعد مرة .

(٢) فسدحنا أى فصرعنا والمسدوح المصروع

(٣) الحجل من جنس القبج وهو صغار يقول انهزمتم وفررتم كما تفلت الحجل من الشرك فلا تلوى على شىء .

(٤) الأضياح هى الألبان الممذوقة . والعصل الحمض إذا رعته النيب وهى مسان الابل . ولم يفوتونا أى لم يسبقونا والشعب الطريق النافذ بين الجبلين ونجزعه نقطعه . والقرط نشوز الأرض واكامه والرجل مجارى الماء واحده رجلة يريد ملأنا ذلك من قتلاتكم .

وتركنا في قريش عورة يوم بدر وأحاديث مثل (١)
وتركنا من قريش جمعهم مثل ما جمع في الخصب الهمل
فقتلنا كل رأس منهم وقتلنا كل جحجاح رفل (٢)
كم قتلنا من كريم سيد ماجد الجدين مقدام بطل
وشريف لشريف ماجد لا نباليه لدى وقع الأسل
نحن لا أنتم بنى أستاهها نحن في البأس إذا البأس نزل

* * *

١٤ — وقال حسان بن ثابت قدمت على عمرو بن الحارث فاعتاص الوصول اليه فقلت للحاجب بعد مدة أن أذنت لى عليه وإلا هجوت اليمن كلها ، ثم انقلبت عنكم فاذن لى فدخلت عليه فوجدت عنده النابغة وهو جالس عن يمينه وعلقمة ابن عبدة وهو جالس عن يساره فقال لى يا ابن الفريعة قد عرفت عيصك ونسبك فى غسان فارجع فانى باعث اليك بصلة سنية ولا أحتاج الى الشعر فانى أخاف عليك هذين السبعين النابغة وعلقمة أن يفضحاك وفضيحتك فضيحتى وأنت والله لا تحسن أن تقول :

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب

---

(١) الهمل : الابل التى ترعى بغير راع ليلا ونهارا ، يقال : هملت الماشية سرحت بغير راع فهى هاملة ويقال بعير هامل وجمعه همل ، والجحجاح السيد الكريم ، والهمل السيد .

(٢) قوله نحن فى البأس الخ يقول نحن أصبر منك فى الباس لستم لنا أشباها .

تحييهم بيض الولائد بينهم ... وأكسية ألاضريح فوق المشاجب
يصونون أجسادا قديماً نعيمها ... بخالصة الأردان خضر المناكب
ولا يحسبون الخير لا شر بعده ... ولا يحسبون الشر ضربة لازب[1]
حبوت بها غسان إذ كنت لاحقا ... بقومى وإذا أعيت على مذاهبي[2]

فأبيت وقلت لابد منه فقال ذاك الى عميك فقلت لهما بحق الملك الا قدمتمانى عليكما فقالا قد فعلنا فقال عمرو بن الحارث هات يا ابن الفريعة فأشأت .

أسألت رسم الدار أم لم تسأل ... بين الجوابى فالبضيع فحومل
فالمرج مرج الصفرين فجاسم ... فديار سلمى دارسا لم تحلل

---

(١) قوله رقاق النعال أراد أنهم ملوك لا يخصفون نعالهم وإنما يخصف من يمشى . وطيب حجزاتهم أى هم أعفاء محصنون وأصل الحجزة الوسط أى يشدون أزرهم على عفة . والسباسب يوم السعانين وهو يوم عيد النصارى وكان الممدوح نصرانيا . وقولة الولائد هى الاماء . والاضريح الخز الأحمر والمشاجب جمع مشجب وهو عود ينشر عليه الثوب قال الأصمعى هم ملوك أهل نعمة تخدمهم الاماء البيض الحسان وثيابهم مصونة بتعليقها على الأعواد . والاردان مقدم كم القميص والخالص الشديد البياض وقوله لازب أى ثابت يقول قد عرفوا تصرف الزمان وتقلبه فاذا أصابهم خير لم يثقوا بدوامه فيبطروا واذا أصابهم شر لم يرهقهم وأيقنوا أنه لا يدوم عليهم فلم يقنطوا فوصفهم بالاعتدال .

(٢) قوله حبوت أعطيت يقول حبوت بالقصيدة غسان إذ كنت لاحقا بقومى فكانوا أحق من أمدح . وقوله إذا أعيت يريد إذ كان هاربا من النعمان فضاقت عليه مذاهبه يعنى أنه رآهم أهلا لمدحه فى حال خوفه وامنه وهذا من شعر النابغة يمدح به عمرو بن الحارث .

دمن تعاقبها الرياح دوارس	والمدجنات من السماك الأعزل (١)
دار لقوم قد أراهم مرة	فوق الأعزة عزهم لم ينقل
لله در عصـابة نادمتهم	يوما بجلق فى الزمان الأول (٢)
يمشون فى الحلل المضاعف نسجها	مشى الجمال الى الجمال البزل
الضاربون الكبش يبرق بيضه	ضربا يطيح له بنان المفصل
والخالطون فقيرهم بغنيهم	والمنعمون على الضعيف المرمل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم	قبر ابن مارية الكريم المفضل
يغشون حتى ما تهر كلابهم	لا يسألون عن السواد المقبل (٣)

(١) قوله الجوانى الخ كلها مواضع ملوك الشام والحيرة الذين تفرقوا بعد سيل العرم واستوطنوا بها . وجاسم اسم قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ على يمين الطريق الأعظم الى طبرية انتقل اليها جاسم بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام أيام تبلبلت الألسن ببابل فسميت به والمدجنات الغيوم الممطرة .

(١) قوله بجلق موضع بقرب دمشق والعصابة الجماعة من الناس .

(٢) قوله : أولاد جفنة قطعه للشاعر من قوله عصابة لما قصد من معنى المدح والثناء ولو نصبه على هذا المعنى لكان حسنا ولو جره على البدل والنعت لجاز ، وجفنة هو أبو ملوك الشام وهو جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة ابن عمرو بن جفنة وأراد بأولاد جفنة أولاد الحرث الاعرج بن مارية وهم النعمان والمنذر والمنذير وجبلة وأبو شمر وهؤلاء كلهم ملوك وهم أعمام جبلة بن الايهم ومارية هي بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة غسانية وهى أخت هند امرأة حجر والد امرىء القيس صاحب المعلقة وأراد بقوله حول قبر أبيهم انهم فى مساكن آبائهم ورباعهم التى كانوا ورثوها عنهم ، وقوله يغشون بالبناء للمفعول أى يتردد اليهم من غشيه اذا جاءه وهر الكلب اذا صوت وهو دون النباح يعنى أن منازلهم لاتخلو من الاضياف والفقراء فكلابهم لاتهر على من يقصد منازلهم لاعتيادها بكثرة التردد اليها من الاضياف وغيرهم . وقوله لايسألون أى هم فى سعة لايسألون كم نزل بهم من الناس ولا يهولهم الجمع الكثير وهو السواد اذا قصدوا نحوهم .

يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفق بالرحيق السلسل
يسقون درياق الرحيق ولم تكن ... تدعى ولائدهم انقف الحنظل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم ... شم الأنوف من الطراز الأول
فمبثت أزمانا طـــوالا فيهم ... ثم ادكرت كأننى لم أفعل
إما ترى رأسى تغير لونه ... شمطاً فأصبح كالثغام المحول[1]
ولقد يرانى موعدى كأننى ... فى قصر دومة أو سماء الهيكل
ولقد شربت الخمر فى حانوتها ... صهباء صافية كطعم الفلفل
يسعى على بكأسها متنطف ... فيعلى منها ولو لم أنهل[2]
إن التى ناولتنى فرددتها ... قتلت قتلت فهاتها لم تقتل
كلتاهما حلب العصير فعاطنى ... بزجاجة أرخاهما للمفصل[3]

---

(١) ضمير يسقون عائد على أولاد جفنة ومن مفعوله . والبريص نهر يتشعب من بردى وهى نهر دمشق كالصراة من الفرات . وقوله بردى يريد ماء بردى فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه وقوله يصفق أى يمزج . والرحيق الخمر والسلسل السهل أى كأنه ممزوج بذلك أى أنهم لايسقون الماء الا ممزوجا بالخمر لسعتهم وكرمهم وتعظيم من يرد عليهم . والدرياق خالص الخمر وجيده شبه بالدرياق الشافى والولائد جمع وليدة وهى الخادم . والنقف استخراج ما فى الحنظل يقول هم ملوك لاتجتنى ولائدهم الحنظل ولا تنتقفه . والطراز الجيد من كل شىء . وادكرت تذكرت وقوله اما ترى يريد إن ترى رأسى يخاطب امرأة ومازائدة ، والثغام نبت أبيض الثمر والزهر . وشمطا أى اختلط سواد شعرها ببياضها . والمحول . الذى قد أتى عليه الحول ويروى كالثغام الممحل .

(٢) قوله متنطف هو المقرط والنطفة بفتحات القرط . وقوله فيعلنى أى يسقنى سقيا بعــد سقى والنهل هنا العطش أى يسقينيها على كل حال عطشت أو لم أعطش .

(٣) قوله قتلت الجملة خبران وقتلت الجملة اعتراضية . وقوله كلتاهما أراد كلتا الممزوجة والصرف حلب العنب وأرخاهما أشدهما ارخاء أفعل تفضيل =

بزجاجة رقصت بما فى قعرها | رقص القلوص براكب مستعجل
نسبي أصيل فى الكرام ومذودى | تكوى مواسمه جنوب المصطلى
ولقد تقلدنا العشيرة أمرها | ونسود يوم النائبات ونعتلى
ويسود سيدنا جحاجح سادة | ويصيب قائلنا سواء المفصل
ونحاول الأمر المهم خطابة | فيهم ونفصل كل أمر معضل [٢]
وتزور أبواب الملوك ركابنا | ومتى نحكم فى البرية نعدل
وفتى يحب الحمد يجعل ماله | من دون والده وإن لم يسأل
باكرت لذته وما ما طلتها | بزجاجه من خير كرم اهدل [٣]

١٥ — وقال ينزه عائشة عن الريبة .

حصان رزان ماتزن بريبة | وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

= من أرخى المزيد وهو سماعى عند قوم مقيس عند آخرين . ومعنى البيتين يخاطب الساقى الذى كان ناوله كأسا ممزوجة لانه يقال قتلت الخمر اذا مزجتها فكأنه أراد أن يعلمه أنه قد فطن لما فعله ثم ما اقتنع بذلك منه حتى دعا عليه بالقتل فى مقابلة المزج وقد أحسن كل الاحسان فى تجنيس اللفظ ثم أنه عقب الدعاء عليه بأن استعطى منه مالم يقتل يعنى الصرف التى لم تمزج . وقوله أرخاها للمفصل يعنى به اللسان لانه يفصل بين الحق والباطل

(١) قوله رقصت الرقص ضرب من الخبب يقال رقص رقصا وهو أحد المصادر التى جاءت على فعل فعلا نحو طرد طردا . والقلوص الفتية من الابل بمنزلة الجارية الفتاة من النساء .

(٢) الأصيل ذو الأصل الثابت ومذوده لسانه ومواسمه هجاؤه الذى يسم به من أراد وجنوب جمع جنب شق الانسان وغيره والمصطلى الذى يلزم النار . ونسود نفضل بحسبنا وكرمنا وجحاجح جمع جحجاح السيد الكريم ، والمفصل أحد مفاصل العظام . والأمر المعضل الشديد .

(٣) الكرم الأهدل المتدلية أغصانه والكرم العنب .

حليلة خير الناس دينا ومنصبا ... نبي الهدى والمكرمات الفواضل [١]
عقيلة حى من لؤى بن غالب ... كرام المساعى مجدها غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها ... وطهرها من كل سوء وباطل [٢]
فان كنت قد قلت الذى قد زعمتم ... فلا رفعت سوطى إلى أناملى
وإن الذى قد قيل ليس بلائط ... بها الدهر بل قول امرىء بى ماحل [٣]
فكيف وودى ماحييت ونصرتى ... لآل نبى الله زين المحافل
له رتب عال على الناس كلهم ... تقاصر عنه سورة المتطاول [٤]
رأيتك وليغفر لك الله حرة ... من المحصنات غير ذات غوائل

ولما بلغ قوله * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل *
قالت عائشة لكنك ياحسان ما تصبح غرثان من لحومهن وكان قد قال فيها كلاما

١٦ — وقال لابن الزبعرى حين هرب من النبي يوم فتح مكة :

لا تعدمن رجلا أحلك بغضه ... نجران فى عيش أحذ لئيم
بليت قناتك فى الحروب فألقيت ... خمانة جوفاء ذات وصوم

---

(١) رزان أى ذات ثبات ووقار وعفاف ورزينة فى مجلسها . وماتزن بريبة . أى ماتتهم والحليلة الزوجة .

(٢) قد طيب الله خيمها يعنى به قلبها وصدرها .

(٣) ليس بلائط بها أى ليس بلاصق بها الضمير لعائشة رضى الله عنها .

(٤) سورة المتطاول : السورة كل منزلة رفيعة والمتطاول هو المستطيل على الناس إذا هو رفع رأسه أى أن له عليهم فضلا فى القدر أى منزلة النبي صلى الله عليه وسلم تفوق كل منزلة .

فغضب الإله على الزبعرى وابنه   وعذاب سوء فى الحياة مقيم (١)

فلما سمع ذلك ابن الزبعرى رجع إلى رسـول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وقال :

منع الرقاد بلابل وهموم   والليل معتلج الرواق بهيم
مما أتانى أن أحمد لامنى   فيه فبت كأننى محموم
ياخير من حملت على أوصالها   عيرانة سرح اليدين غشوم (٢)
إنى لمعتذر إليك من التى   أسديت إذ أنا فى الضلال أهيم
أيام تأمرنى بأغوى خطة   سهم وتأمرنى بها مخزوم (٣)
وأمد أسباب الهوى ويقودنى   أمر الغواة وأمرهم مشئوم
فاليوم آمن بالنبى محمد   قلبى ومخطىء هذه محروم
مضت العداوة وانقضت أسبابها   وأتت أواصر بيننا وحلوم (٤)

---

(١) قوله تعد من الخطاب لابن الزبعرى ويريد بالرجل أباه . ونجران موضع معروف بين الحجاز والشام واليمن هرب اليه عبد الله ابن الزبعرى لما فتح رسول الله مكة وأحذ أى سريع اليد خفيفها . وقوله فألفيت خمانة أى ضعيفة والضمير للقناة وذات وصوم وصف ثالث لها أى ذات عيوب . والزبعرى هو ابن قيس بن عدى بن سعد القرشى السهمى وابنه عبد الله الشاعر كان من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهليه وعلى أصحابه بلسانه ونفسه ، وكان يناضل عن قريش ويهاجى المسلمين وكان من أشعر قريش

(٢) معتلج الرواق أى ملتطم الرواق ومرخى ظلمته وأحمد يريد به المصطفى عليه الصلاة والسلام ، والعيرانة الناقة الصلبة تشبيها بعير الوحش

(٣) أيام نصب على الظرفية الزمانية ، وهو مضاف إلى الجمله بعده وباغوى خطة أى بأضل أمر . وسهم ومخزوم قبيلتان

(٤) قوله وأتت أو أصر جمـع آصرة ، ما عطفك على رجل من رحم أو قرابه أو صهر معروف . والحلوم جمع حلم الأناة والعقل

فاغفر فدا لك والدى كلاهما وارحم فانك راحم مرحوم
وعليك من سمة المليك علامة نور أعز وخاتم مختوم
أعطاك بعـــد محبة برهانه شرفا وبرهان الاله عظيم (١)

١٧ ــ وقال يوم أحد :

منع النوم بالعشاء الهموم وخيال إذا تغور النجوم
بالقوم هل يقتل المرء مثلى واهن البطش والعظام سؤوم
همها العطر والفراش ويعلو ها لجين ولؤلؤ منظوم
لو يدب الحولى من ولد الذر عليها لأندبتها الكلوم (٢)
لم تفقها شمس النهار بشىء غير أن الشباب ليس يدوم
إن خالى خطيب جابية الجو لان عند النعمان حين يقوم
وأبى فى سميحة القائل الفا صل يوم التفت عليه الخصوم
وأنا الصقر عند باب ابن سلمى يوم نعمان فى الكبول مقيم (٣)

---

(١) أعطاك الضمير لله عز وجل . والبرهان الحجة الفاضله البينة

(٢) قوله واهن البطش أى ضعيف القوة يريد بها المحبوبة التى يشبب بها والاستفهام للتعجب . واللجين الفضة لا مكبر له جاء مصغرا مثل الثريا والكميت . والذر الذى أتى عليه سنة من صغار النمل يقول لو يدب الصغير من ولد الذر على جلدها لأثر فيه وجرحه ولم يرد بالحولى ما أتى عليه حول ولكن جعله فى صغره كالحولى من ولد الحافر والخف فى صغره .

(٣) الجولان من عمل دمشق على طريق مصر . والنعمان أراد بنى جفنة ابن غسان . وسميحة بئر بالمدينة كانت للأوس والخزرج تحاكمت عندها الى أبيه وقيل الى جده المنذر بن حرام . وأراد بابن سلمى النعمان بن المنذر اللخمى ونعمان هذا الذى ذكر نعمان بن مالك ابن قوقل بن عوف بن عمرو بن عوف وكان حبسه النعمان بن المنذر فوفد فيه وفى غيره حسان فاطلقوا

وأبى وواقد أطلقا لى ثم رحنا وقفلهم محطوم
ورهنت اليدين عنهم جميعا كل كف فيها جز مقسوم
وسطت نسبتى الذوائب منهم كل دار فيها أب لى عظيم
رب حلم أضاعه عدم الما ل وجهل غطى عليه النعيم (١)
ما أبالى أنب بالحزن تيس أم لحانى بظهر غيب لئيم (٢)
تلك أفعالنا وفعل الزبعرى خامل فى صديقه مذموم
ولى البأس منكم إذ حضرتم أسرة من بنى قصى صميم
تسعة تحمل اللواء وطارت فى رعاع من القناء مخزوم (٣)
لم يولوا حتى أبيدوا جميعاً فى مقام وكلهم مذموم
بدم عاتك وكان حفاظاً أن يقيموا إن الكريم كريم

---

(١) أبى هو ابن كعب بن قيس بن معاوية بن عمرو بن النجار . وواقد بن عمرو بن الاطنابة بن عامر بن زيد مناة بن مالك الاغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج والاطنابة أمه . ومحطوم مكسر . وقوله جز أراد جزءا فترك الهمز ورهنه يديه ضمانه لهم كقول الرجل لصاحبه لك يدى بكذا وكذا . والذوائب الاشراف

ويقال غطى الليل اذا ستر كل شىء فهو غاط

(٢) ما أبالى جملة من الفعل والفاعل وقد دخلها حرف النفى وأنب الهمزة فيه للاستفهام ونب فعل ماض وتيس فاعله والباء فى بالحزن للظرف يقول قد استوى عندى نبيب التيس بالحزن ونيل اللئيم من عرضى بظهر الغيب ونبيب التيس صوته عند هبابه للفساد والحزن ماغلظ من الارض وخصه لأن الجبال ثم أحفظ للعز من السهول

(٣) قوله ولى البأس البيت يخبر بصبر بنى عبد الدار بن قصى يوم أحد وانهزام بنى مخزوم

وأقاموا حتى أزيروا شعوباً والقنا في نحورهم محطوم
وقريش تلوذ منا لواذا لم يقيموا وخف منها الحلوم
لم تطق حمله العواتق منهم إنما يحمل اللواء النجوم (١)

---

(١) قوله لم يولوا أى لم يدبروا حتى ابيدوا جميعا . وكلهم مذموم بدم عانك أى ملدمخ بدم أحمر يسيل من أبدانهم وقوله وكان حفاظا أى وكان محافظة على العهد والمحامات على الحرم ومنعها من العدو أن يقيموا ولا يولوا وقوله حتى أزير واشعوبا أى حتى أوردوا المنية فزاروها شعوب من أسماء المنية وفى حديث طلحة حتى أزرنه شعوب أى أوردته المنية . وتلوذ منا لواذا أى يتسللون منا مستخفين ومستترين بعضهم ببعض من شده هول ما أصابهم . وخف منها الحلوم أى انذعروا وتخبلت عقولهم . وقوله لم تطق الخ تهكم واستهزاء بهم والعواتق جمع عاتق ولذلك جمع على فواعل انما جاء منها ستة أحرف على فواعل حاجب وحواجب وهالك وهوالك وشارب وشوارب وفارس وفوارس وغارب وغوارب وحارك وحوارك . والنجوم الاشراف المعرقون واحدهم نجم

٩ — النابغة الجعدى

المتوفى عام ٨٠ ه

هو عبد الله بن قيس بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة شاعر مخضرم: وكان معمراً نادم المنذر أبا النعمان بن المنذر: ويقال إنه أقدم من النابغة الذبيانى لأنه نادم المنذر، والذبيانى نادم ابنه النعمان بن المنذر، ولذلك يقول الجعدى:

تذكرت والذكرى تهيج للفتى ومن حاجة المحزون أن يتذكرا
ندا ماى عند المنذر بن محرق
أرى اليوم منهم ظاهر الحزن مقفرا

ثم أتى رسول الله (ص) وأسلم وأنشده رائيته فقال له النبي (ص): «لا يفضض الله فاك». فغبر دهره لم تنقص له سن. وفى العقد الفريد لابن عبد ربه:

قدم ابو ليلى النابغة الجعدى على رسول الله فأنشده قصيدته التى يقول فيها:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنبغى فوق ذلك مظهراً

فقال له النبي: إلى أين يا أبا سلمى. فقال: إلى الجنة يارسول الله بك فقال النبي: إلى الجنة إن شاء الله، فلما بلغ قوله

ولا خير فى حلم إذا لم يكن له بوادر تحمى صفوه ان يكدرا
ولا خير فى جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدر

قال النبي: لا يفضض الله فاك فعاش مائة وثلاثين سنة لم تنفض له ثنية

قال أبو جرول الجشمي وكان رئيس قومه. أسرنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين فبينما هو يميز الرجال من النساء إذ وثبت بين يديه فانشدته

امنن علينا رسول الله فى حرم فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها يا أرجح الناس حلما حين يختبر

أنا لنشكر للنعما إذا كفرت وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

فذكرته حين نشأ في هوازن وارضعته فقال . أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لله فقالت الأنصار . وما كان لنا فهو لله ولرسوله . فردت الأنصار ما كان في ايديها من الذرارى والأموال

وعاش طويلا في الاسلام ، فأقام زمناً مهاجرا حتى أيام عثمان رضي الله عنه فأحس بضعف في نفسه ، فاستأذن عثمان في الرجوع إلى البادية فأذن له . ثم لما كانت خلافه علي (رضي الله عنه) شهد معه وقائع صفين ، وظاهره بيده ولسانه ونال من معاوية وبني أمية .

وعند ما آلت الخلافة إلى معاوية كتب إلى مروان أن يأخذ النابغة ، فدخل على معاوية وعنده مروان فأنشدها أبياتاً منها :

فان تأخذوا أهلي ومالي بظنة فاني لحراب الرجال محرب
صبور على ما يكره المرء كله سوى الظلم إني أن ظلمت سأغضب

فالتفت معاوية إلى مروان ، فقال ما ترى ؟ — قال أرى ألا ترد عليه شيئا — قال ما أهون والله عليك أن ينجحر هذا في غار ثم تاخذه العرب فترويه أما والله ان كنت لممن يرويه . اردد عليه كل شيء أخذته . ثم كان في شيعة عبد الله بن الزبير ومدحه فاجزل له العطاء على بخل فيه . وبعد سكون الفتن خرج مهاجراً إلى الأمصار المفتتحة .

وعمر الجعدي حتى أدرك الأخطل وهاجاه وتنازعا الشعر فغلبه الأخطل وهاجته ليلى الأخيلية الشاعرة فغلبته ومات بأصفهان وهو ابن عشرين ومائتي سنة نحو عام ٨٠ هـ .

* * *

كان النابغة قديماً شاعرا مغلقا في الجاهلية والاسلام .

ولما هرم كان مختلف الشعر مغلبا حتى قال فيه الفرزدق : « مثله مثل صاحب الخلقان ترى عنده ثوب عصب وثوب خز وإلى جانبه سمل كساء » ، غلبه الأخطل وأوس بن مغراء وليلى الأخيلية . وغلبه من لم يكن اليه ولا قريبا منه مثل عقال

ابن خالد العقيلي وكان مفحما بكلام لا يشعر ، وهجاه سوار بن أوفى القشيري وفاخره ، ثم هجاه الأخطل آخر عمره

ويقول يونس فيه : كان الجعدي أوصف الناس لفرس وجعله ابن سلام من الطبقة الثالثة مع أبي ذؤيب ولبيد والشماخ

وكان النابغة الجعدي شاعراً مطبوعا في الجاهلية والاسلام . وهو أول من سبق الى الكناية في الشعر عن اسم من يغنى إلى غيرها ، وتبعه الناس بعد ، قال :

أكني بغير اسمها وقد علم الله خفيات كل مكتتم

وكان ممن يصفون الخيل فلا يلحق لهم في ذلك غبار ، حتى ضرب به المثل ، قال الأصمعي : ثلاثة يصفون الخيل فلا يقاربهم أحد . طفيل الغنوي وأبو دواد الايادي ، والنابغة الجعدي . وما كان ينتحي طريقة زهير والحطيئة وأشباههما ممن يبالغون في تهذيب الألفاظ وتنقيح المعاني ، بل كان يلقي القول على عواهنه وكما تهديه اليه بديهته ، فتارة يأتي جيداً متينا ، وتارة يجيء ضعيفا رديئا .

فلم يعرف عنه أنه كان يهذب شعره في جاهلية ولا إسلام ، بل كان يقوله عفو الخاطر لذلك كان منه الجيد والردىء والمتوسط حتى قال الأصمعي : وكان معجبا به لذلك عنده مطرف [1] بآلاف . وخمار بواف [2] فخالف بذلك زهيرا والحطيئة . ووافق الذبياني .

ويقول بعض الباحثين : ولعل السبب في أنه كان مغلبا ما كان في طبعه من كرم وإسجاح ، يتجلى ذلك في ميله الى التوحيد أيام الجاهلية وإطلاقه عنان الشعر لايتكلف له ، فلم يستطع مجاراة من غلب على نفسهم الشر ، واشتعلت صدورهم بالأحقاد ، ولقد كان إذا عرف أن منافره أربى عليه أسرع بالاعتراف بالهزيمة ، لا يكابر ولا يماري ، فانه سمع قول أوس بن مغراء في منافرته .

---

(١) المطرف (مثلثة الميم) ثوب من خز مربع ذو أعلام .

(٢) الوافي : هو الدرهم قدر درهم وثلث .

لعمرك ما تبلى سرابيل عامر   من اللؤم مادامت عليها جلودها

فقال : لقد غلب أوس .

هذا وفنون الشعر عند الجعدى كثيرة ، وقد أجادوا فى الفخر والرثاء والهجاء والمدح ووصف الخيل ، وكان أحد ثلاثة أجادى وصفها ، وهم : طفيل الغنوى ، وأبو دؤاد ، والنابغة الجعدى .

نماذج من شعره :

من قصيدته التى مدح بها رسول الله ، وهى طويلة تبلغ مائتى ببت :

خليلى عوجا ساعة وتهجرا   ولوما على ما أحدث الدهر أوذرا (١)
ولا تجزعا إن الحياة ذميمة   فخفا لروعات الحوادث أوقرا (٢)
وإن جاء أمر لا تطيقان دفعه   فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا
ألم تريا أن الملامة نفعها   قليل إذا ما الشيء ولى وأدبرا
تهيج البكاء والندامة ثم لا   تغير شيئاً غير ما كان قدرا

. . .

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى   ويتلو كتاب الله كالمجرة نيرا
أقيم على التقوى وارضى بفعلها   وكنت من النار المخوفة أحذرا (٣)
خليلى قد لاقيت مالم تلاقيا   وسرت فى الأحياء ما لم تسيرا
تذكرت والذكرى تهيج لذى الهوى   ومن حاجة المحزون أن يتذكرا

---

(١) تهجر : سكن وقت الهاجرة ، والمراد هنا مجرد اللبث .

(٢) قر بالكسر أمر من وقر (كوعد) بمعنى رزن وبالفتح أمر من قر (كمر) وخففت بحذف إحدى الراءين وبهما قرىء قوله تعالى : « وقرن فى بيوتكن » .

(٣) أحذر : تفضيل من حذر .

ومنها فى الفخر :

ونـنكر يوم الروع ألوان خيلنا   من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا (١)
ونحن أناس لا نعود خيلنـــا   إذا ما التقينا أن تحيـــد وتنفرا
وما كان معروفا لنا أن نردها   صحاحا ولا مستنكرا أن تعقرا (٢)

ومما سبق إليه وأخذ منه قوله :

كأن مقط شرا سيفه   الى طرف القنب فالمنقب
لطمن بترس شديد الصفا   ق من خشب الجوز لم يثقب

أخذه ابن مقبل فقال :

كأن ما بين جنبيه ومتقنه   من جوزه ومناط الليث ملطوم
بترس أعجم لم تنخر مناقبه   مما تخير فى آطامها الروم

وقال :

أرأيت أن بكرت بليل هامتى   وخرجت منها باليا أو صالى
هل تخمشن ابلى على وجوهها   أو تعصر بن رءوسها بمالى

أخذه الأخطل فقال :

أرأيت ان بكرت بليل هامتى   وخرجت منها باليا أثوابى
هل تخمشن ابلى على وجوهها   أو تضر بن رءوسها بسلاب

وقال يذكر نساء سبين :

دعتنا النساء اذ عرفن وجوهنا   دعاء نساء لم يفارقن عن قلى
حنين الهجان الادم نادى بوردها   سقاة يمـــدون الموانح بالدلا

---

(١) ننكر : نجهل . الجون هنا الأبيض . أشقر : أحمر .

(٢) المفرد صحيح وصحاح (بالفتح) والجمع صحاح (بالكسر) . العقر : ضرب قوائم الدابة لتمتنع عن الحركة مقدمة لذبحها . فارادة معنى الذبح من العقر مجاز .

فقلنا لهم خلوا طريق نسائنا فقالوا لنا كلا فقلنا لهم بلى
فنحن غضاب من مكان نسائنا ويسعفنا حر من النار يصطلى
تفور علينا قدرهم فنديمها ونفثؤها عنا إذا حمؤها غلا

ويستجاد له قوله :

لبست أناسا فأفنيتهم وأفنيت بعد أناس أناسا
ثلاثة أهلين صاحبتهم وكان الاله هو المستآسا
وعشت بعيشين ان المنو ن تلقى المعايش فيها خساسا
فحينا أصادف غراتها وحينا أصادف منها شماسا
شهدتهم لا أرجى الحياة حتى تساقوا بسمر كاسا
وشدت يطارقن بالدارعين طليق الكلاب يطان الهراسا
فلما دنونا لجرس النباح ولا نبصر الحى الا التماسا
أضاءت لنا النار وجها أغر ملتبسا بالفؤاد التباسا
يضىء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا
بآنسة غير أنس القراف وتخلط بالأنس منها شماسا
اذا ما الضجيع ثنى جيدها تداعت وكانت عليه لباسا

ويستجاد قوله يرثى رجلا .

فتى كملت خيراته غير أنه جواد فما يبقى من المال باقيا
فتى تم فيه ما يسر صديقه على أن فيه ما يسوء الأعاديا

وله : ومن يحرص على كبرى فانى من الشبان ازمان الختان

وقال الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما
المولج الليل فى النهار وفى الليل نهارا يفرج الظلما
الحافظ الرافع السماء على الأر ض ولم يبن تحتها دعما
الخالق البارىء المصور فى الا أرحام ماء حتى يصير دما
من نطفة قدرها مقدرها يخلق منها الابشار والنسما
ثم عظاما أقامها عصب ثمت لحما كساه فالتأما
ثم كسا الرأس والعواتق والا أبشار جلدا تخاله أدما
واللون والصوت فى المعايش والا أخلاق شتى وفرق الكلما

١٠ – معن بن أوس
المتوفى عام ٦٥ هـ

هو معن بن أوس بن نصر من مزينة من مضر شاعر فحل من المخضرمين عاش فى الجاهلية فى البادية وكذلك فى الاسلام ووفد على عمر بن الخطاب وأنشده قصيدته :

تأوبه طيف بذات الجراثم   فنام رفيقاه وليس بنائم

ورحل إلى البصرة وتزوج منها ثم عاد الى البادية . ويقال أنه لقى معاوية أيضا وكان معاوية يفضل مزينه فى الشعر ويقول كان أشعر أهل الجاهلية منهم وهو زهير وأشعر أهل الاسلام منهم وهما كعب بن زهير ومعن بن أوس

ويمتاز فى شعره بالحكمة الرائعة والمعانى السامية والأفكار الاجتماعية الرفيعة والدعوة إلى مكارم الأخلاق .

كما يمتاز بسلاسة الأسلوب وعذوبته وجماله وكثرة الألوان البيانية فيه ، وقد أجاد فى الحكمة وعتاب الأصدقاء والوصف والفخر ومن رائع شعره :

أعلمه الرماية كل يوم   فلما اشتد ساعده [1] رمانى
وكم علمته نظم القوافى   فلما قال قافية هجانى

وكان عبد الملك ذات ليلة فى سمره مع ولده وأهل بيته وخاصته ، فقال لهم : ليقل كل واحد منكم أحسن ما قيل فى الشعر ، وليفضل من رأى تفضيله ، فأنشدوا وفضلوا ، فقال بعضهم . امرؤ القيس ، وقال بعضهم . النابغة ، وقال بعضهم . الأعشى ، فلما فرغوا قال . أشعر والله من هؤلاء جميعاً عندى معن ابن أوس حيث يقول .

وذى رحم قلمت أظفار ضغنه   بحلمى عنه وهو ليس له حلم [2]

إلى آخر القصيدة .

---

(١) ١٣٨ ج ٢ البيان والتبيين

(٢) ١٠٢ ج ٢ الأمالي

ومن مختار شعره قوله فى ابن عمه :

وذى رحم قلمت أظفار ضغنه … بحلمى عنه وهو ليس له حلم
يحاول رغمى لا يحاول غيره … وكالموت عندى أن يحل به الرغم[١]
فان أعف عنه أغض عينا على قذى … وليس له بالصفح عن ذنبه علم[٢]
وإن انتصر منه أكن مثل رائش … سهام عدو يستهاض بها العظم[٣]
صبرت على ما كان بينى وبينه … وما تستوى حرب الأقارب والسلم
وبادرت منه النأى والمرء قادر … على سهمه ما دام فى كفه السهم[٤]
ويشتم عرضى فى المغيب جاهدا … وليس له عندى هوان ولا شتم
إذا سمته وصل القرابة سامنى … قطيعتها تلك السفاهة والإثم[٥]
وإن أدعه للنصف يأب ويعصنى … ويدعو لحكم جائر غيره الحكم[٦]
فلولا اتقاء الله والرحم التى … رعايتها حق وتعطيلها ظلم
إذن لعلاه بارق وخطمته … بوسم شنار لا يشاكهه وسم[٧]
ويسعى إذا أبنى ليهدم صالحى … وليس الذى يبنى كمن شانه الهدم
يود لو أنى معدم ذو خصاصة … وأكره جهدى أن يخالطه العدم[٨]

---

(١) الرغم : القسر والاذلال .

(٢) أغضى عينه : أطبق جفنها ، القذى : ما يقع فى العين فيؤذيها

(٣) راش السهم : وضع فيه الريش ليكون أسد له وأصوب ، هاض العظم : كسره بعد جبر وذلك أشد وأنكى .

(٤) بادر الشيء : سبق اليه ، النأى : البعد

(٥) سامه الشيء : كلفه إياه

(٦) النصف مثلثة : العدل ، اسم من الانصاف

(٧) خطمه : ضرب خطمه ، أنفه ،

(٨) الخصاصة : الفقر أو كل خلل أو خرق فى باب أو نحوه ، الجهد بالفتح المشقة وبالضم المشقة أو الطاقة .

ويعتد غنما فى الحوادث نكبتى ... وما إن له فيها سناء ولا غنم (١)
فما زلت فى لينى له وتعطفى ... عليه كما تحنو على الولد الأم
وخفض له منى الجناح تألفا ... لتدنيه منى القرابة والرحم (٢)
وقولى إذا أخشى عليه مصيبة ... ألا أسلم فداك الخال ذو العقد والعم (٣)
وصبرى على أشياء منه تريبنى ... وكظمى على غيظى وقد ينفع الكظم (٤)
لأستل منه الضغن حتى استللته ... وقد كان ذا ضغن يضيق به الجرم (٥)
رأيت انثلاماً بيننا فرقعته ... برفقى أحياناً وقد يرقع الثلم
وأبرأت غل الصدر منه توسعا ... بحلمى كما يشفى بالأدوية الكلم
فداويته حتى أرفأن نفاره ... فعدنا كأنا لم يكن بيننا صرم (٦)
وأطفأت نار الحرب بينى وبينه ... فأصبح بعد الحرب وهو لنا سلم (٧)

☆ ☆ ☆

وقال يتمدح بالعفة ومكارم الأخلاق

لعمرك ما أهويت كفى لريبة ... ولا حملتنى نحو فاحشة رجلى
ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها ... ولا دلنى رأيى عليها ولا عقلى
وأعلم أنى لم تصبنى مصيبة ... من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلى
ولست بماش ما حييت لمنكر ... من الأمر ما يمشى إلى مثله مثلى
ولا مؤثر نفسى على ذى قرابتى ... وأوثر ضيفى ما أقام على أهلى

---

(١) السناء : الشرف ، وبالقصر الضوء .
(٢) الرحم : بالكسر لغة فى الرحم .
(٣) الفداء بالكسر يمدود ويقصر ، والفدا بالفتح مقصور لا غير فهى فى البيت صالحة لها ، العقد : العهد
(٤) رابنى الأمر : جعل فى قلبي ريبا أى شكا
(٥) يروي الحلم والحزم وهما ظاهران ، وأما الجرم فمعناه الجسم والحلق
(٦) أرفأن : سكن ، صرم : قطيعة .
(٧) سلم : هي هنا بمعنى مسالم .

وقال معن بن أوس المزنى يعاتب صديقا :

لعمرك ما أدرى وإنى لأوجل ... على أينا تعدو المنية أول[1]
وإنى أخوك الدائم الود لم أحل ... أن ابزاك خصم أو نبا بك منزل[2]
أحارب من حاربت من ذى عداوة ... وأحبس مالى إن غرمت فاعقل[3]
وإن سؤتنى يوما صبرت إلى غد ... ليعقب يوما منك آخر مقبل
كأنك تشفى منك داء مساءتى ... وسخطى وما فى ريبتى ما تعجل[4]
وإنى على أشياء منك تريبنى ... قديما لذو صفح على ذاك مجمل[5]
ستقطع فى الدنيا إذا ما قطعتنى ... يمينك فانظر أى كف تبدل
وفى الناس إن رثت حبالك واصل ... وفى الأرض عن دار القلى متحول[6]
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته ... على طرف الهجران إن كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه ... إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل[7]
وكنت إذا ما صاحب رام ظنتى ... وبدل سوءا بالذى كنت أفعل
قلبت له ظهر المجن فلم أدم ... على ذاك إلا ريث ما أتحول[8]
إذا انصرفت نفسى عن الشىء لم تكد ... عليه بوجه آخر الدهر تقبل

---

(١) رجل وجل وأوجل : خائف .

(٢) حال : تغير . ويروى (لم أخن) وبزاه وأبزى به وأبزاه : غلبه . وقد نقل الشاعر حركة الهزة إلى النون وحذفها وهى لغة جيدة قرأ بها ورش

(٣) عقل عنه : غرم ما لزمه من دية .

(٤) الريبة : التهمة . يقول : ليس فى تهمتى وما يسوءنى منفعة يجب أن تتعجلها .

(٥) رابنى الأمر وأرابنى : رأيت منه ما أكره

(٦) رث الحبل وأرث : بلى .

(٧) ضامه : ظلمه ونقصه حقه . والمزحل : المتنحى والمهرب .

(٨) المجن : الترس وقلب له ظهر المجن مثل يضرب لمن كان لصاحبه على مودة ثم حال عن ذلك .

١١ – مالك بن الريب

المتوفى عام ٤٥ ه

شاعر فاتك جرىء مقدام ، من لصوص العرب وشجعانها .

قال أبو عبيدة [١] : لما ولى أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان سعيد بن عثمان بن عفان خراسان ، سار فيمن معه فاخذ طريق فارس ، فلقيه بها مالك بن الريب المازنى وكان فيما ذكر من أجمل العرب جمالا وأبينهم بيانا ، فلما رآه سعيد أعجبه . وقال غيره : بل مر به سعيد بالبادية وهو منحدر من المدينة يريد البصرة حين ولاه معاوية خراسان ومالك فى نفر من أصحابه ، فقال له . ويحك يا مالك ! ما الذى يدعوك إلى ما يبلغنى عنك من العداء وقطع الطريق ؟ قال . أصلح الله الأمير ، العجز عن مكافاة الاخوان . قال . فان أنا أغنيتك واستصحبتك أتكف عما تفعل وتتبعنى ، قال نعم ، أصلح الله الأمير أكف كأحسن ما كف أحد ، فاستصحبه وأجرى عليه خمسمائة دينار فى كل شهر [٢] ، وكان معه حتى قتل بخرسان . قال ومكث مالك بخراسان فمات هناك ، فقال يذكر مرضه وغربته . وقال بعضهم . بل مات فى غزو سعيد ، طعن فسقط وهو بآخر رمق . فقال هذة القصيدة وهى هذه .

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... بجنب الغضى أزجى القلاص النواجيا
فليت الغضى لم يقطع الركب عرضه ... وليت الغضى ماشى الركاب لياليا
لقد كان فى أهل الغضى لو دنا الغضى ... مزار ولكن الغضى ليس دانيا
ألم ترنى بعت الضلالة بالهدى ... وأصبحت فى جيش ابن عفان غازيا
وأصبحت فى أرض الأعادى بعدما ... أرانى عن أرض الأعادى [٣] قاصيا

---

(١) ٢٥ ذيل الأمالى .

(٢) ويروى خمسمائة درهم .

(٣) الأعادى : الياء لتشديد فيه وفى الذى بعده لاقامة الوزن ، والتشديد هو الأصل فى الكلمة لأنها جمع أعداء ، وجمع أفعال أفاعيل .

دعانى الهوى من أهل أودو صحبتى ... بذى الطبسين فالتفت ورائيا
أجبت الهوى لما دعانى بزفرة ... تقنعت منها أن ألام ردائيا
أقول وقد حالت قرى الكرد بيننا ... جزى الله عمرا خير ما كان جازيا
إن الله يرجعنى من الغزو لا أرى ... وإن قل مالى طالبا ما ورائيا
تقول ابنتى لما رأت طول رحلتى ... سفارك هذا تاركى لا أباليا
لعمرى لئن غالت خراسان هامتى ... لقد كنت عن بابى خراسان نائيا
فان أنج من بابى خراسان لا أعد ... إليها وإن منيتمونى الأمانيا
الله درى يوم أترك طائعا ... بنى بأعلى الرقمتين وماليا
ودر الظباء السانحات عشية ... يخبرن أنى هالك من ورائيا
ودر كبيرين اللذين كلاهما ... على شفيق ناصح لونهانيا
ودر الرجال الشاهدين تفتكى ... بأمرى ألا يقصروا من وثاقيا
ودر الهوى من حيث يدعو صحابتى ... ودر لجاجاتى ودر انتهائيا
تذكرت من يبكى على فلم أجد ... سوى السيف والرمح الردينى باكيا
وأشقر محبوكا يجر عنانه ... إلى الماء لم يترك له الموت ساقيا
ولكن بأكناف السمينة نسوة ... عزيز عليهن العشية مابيا
صريع على أيدى الرجال بقفرة ... يسوون لحدى حيث حم قضائيا
ولما تراءت عند مرو منيتى ... وخل بها جسمى وحانت وفاتيا
أقول لأصحابى ارفعونى فانه ... يقر بعينى إن سهيل بداليا
فيا صاحبي رحلى دنا الموت فانزلا ... برابية إنى مقيم لياليا
أقيما على اليوم أو بعض ليلة ... ولا تعجلانى قد تبين شانيا
وقوما إذا ما استل روحى فهيئا ... لى السدر والأكفان عند فنائيا
وخطا بأطراف الأسنة مضجعى ... وردا على عينى فضل ردائيا
ولا تحسدانى بارك الله فيكما ... من الأرض ذات العرض أن توسعاليا
خذانى فجرانى بثوبى اليكما ... فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا
وقد كنت عطافا اذا الخيل أدبرت ... سريعا لدى الهيجا الى من دعانيا
وقد كنت صبارا على القرن فى الوغى ... وعن شتمى ابن العم والجار وانيا

فطورا ترانى فى ظلال ونعمة   وطورا ترانى والعتاق ركابيا
ويوما ترانى فى رحا مستديرة   تخرق أطراف الرماح ثيابيا
وقوما على بئر السمينة أسمعا   بها الغر والبيض الحسان الروانيا
بأنكما خلفتمانى بقفرة   تهيل على الريح فيها السوافيا
ولا تنسيا عهدى خليلى بعدما   تقطع أوصالى وتبلى عظاميا
ولن (١) يعدم الوالون بثا يصيبهم   ولن يعدم الميراث منى المواليا
يقولون لا تبعد وهم يدفنوننى   وأين مكان البعد إلا مكانيا
غداة غد يالهف نفسى على غد   اذا أدلجوا عنى وأصبحت ثاويا
وأصبح مالى من طريف وتالد   لغيرى وكان المال بالأمس ماليا
فياليت شعرى هل تغيرت الرحا   رحا المثل أو أمست بفلج كما هيا
إذا الحى حلوها جميعا وأنزلوا   بها بقرا حم العيون سواجيا
رعين وقد كاد الظلام يجنها   يسفن الخزامى مرة والأقاحيا
وهل أترك العيس العوالى بالضحى   بركبانها تعلو المتان الفيافيا
إذا عصب الركبان بين عنيزة   وبولان عاجوا المبقيات النواجيا
فياليت شعرى هل بكت أم مالك   كما كنت لو عالوا نعيك باكيا
اذ مت فاعتادى القبور وسلمى   على الرمس أسقيت السحاب الغواديا
على جدث قد جرت الريح فوقه   ترابا كسحق المرنبانى هابيا
رهينة أحجار وترب تضمنت   قرارتها منى العظام البواليا
فيا صاحبا إما عرضت فبلغا   بنى ازن والريب أن لا تلاقيا
وعر قلوصى فى الركاب فإنها   ستفلق أكبادا وتبكى بواكيا
وأبصرت نار المازنيات موهنا   بعلياء يثنى دونها الطرف رانيا
بعود ألنجوج (١) أضاء وقودها   مها فى ظلال السدر حورا جوازيا
غريب بعيد الدار ثاو بقفرة   يد الدهر معروفا بأن لا تدانيا

---

(١) فى معجم ياقوت بدل هذا الشطر : ولن يعدم الوالون بيتا يجننى .

(٢) الألنجوج واليلنجوج : عود الطيب يتبخر به .

أقلب طرفى حول رحلى فلا أرى ... به من عيون المؤنسات مراعيا
وبالرمل منا نسوة لو شهدننى ... بكين وفدين الطبيب المداويا
وما كان عهد الرمل عندى وأهله ... ذميما ولا ودعت بالرمل قاليا
فمهن أمى وابنتـاى وخالتى ... وباكية أخرى تهيج البواكيا

ويقول أبو الفرج عن أبى عبيدة ان الذى قاله مالك ثلاثة عشر بيتا والباقى ولده الناس عليه .

وفى الأغانى أن سعيداً لقيه فى طريق فارس . فقال له سعيد : ويحك ، تفسد نفسك بقطع الطريق وما يدعوك إلى ما يبلغنى عنك من العبث والفساد وفيك هذا الفضل؟ قال مالك : يدعونى إليه العجز عن المعالى ، ومساواة ذوى المروءات ، ومكافأة الإخوان .

وينسب له .

لو كنتم تنكرون الغدر قلت لكم ... يا آل مروان جارى منكم الحكم
وأتقيكم يمين الله ضاحية ... عند الشهود وقد توفى به الذمم
نحن الذين إذا خفتم مجللة ... قلتم لنا إننا منكم لتعتصموا
حتى إذا انفرجت عنكم دجنتها ... صرتم (كجرم) فلا ال ولا رحم

ويقول .

وما أنا بالنانى الحفيظة فى الوغى ... ولا المتقى فى السلم جر الجرائم
ولا المتأنى للعواقب فى الذى ... أهم به من فاتكات العزائم
ولكننى مستوجد العزم مقدم ... على غمرات الحادث المتفاقم
قليل اختلاف الرأى فى الحرب باسل ... جميع الفؤاد عند جل العظائم

وله .

أدلجت فى مهمه ما إن أرى أحدا ... حتى إذا حان تعريس لمن نزلا
وضعت جنبى وقلت الله يكلأنى ... مهما ت عنك من ليل فما غفلا
والسيف بينى وبين الثوب مشعرة ... أخشى الحوادث إنى لم أكن وكلا
وقد تقول وما تخفى لجارتها ... إنى أرى مالك بن الريب قد نحلا
من يشهد الحرب يصلاها ويسعرها ... تراه مما كسته شاحبا وجلا

ويقول :

أذئب الغضا قد صرت للناس ضحكة ... تغادى بك الركبان شرقا الى غرب
فأنت وأن كنت الجرىء جنانه ... منيت بضرغام من الأسد الغلب
بمن لاينام الليل ألا وسيفه ... رهينة أقوام سراع الى الشعب
ألم ترنى ياذئب إذ جئت طارقا ... تخاتلنى أنى امرؤ وافر اللب
زجرتك مرات فلما غلبتنى ... ولم تنزجر نهنهت غربك بالضرب
فصرت لقى لما علاك ابن حرة ... بأبيض قطاع ينجى من الكرب

* * *

وكان مالك ابن الريب لصاً يقطع الطريق ، هو وأصحابه ومنهم غويث أحد بنى كعب وأبو حردبة ، ومنهم شظاظ الضبى ، وقد ساموا الناس شرا ولم يكن مالك بأقل أصحابه فتكا وفجورا . وفى ذلك يقول الراجز

والله نجاك من القصيم ... ومن أبى حردبة اللئيم
ومن شظاظ فاتح العكوم ... ومالك وسيفه المسموم

ثم طال توحش مالك فى البادية وفتكه بها حتى كان عصر معاوية فغزا فى جيش سعيد بن عثمان بن عفان .

النقد الادبى

فى صدر الاسلام

— ١ —

والنقد الأدبى هو الحكم الذى تصدره على الشعر والنثر ، وهو عند المحدثين تقدير النص الأدبى تقديرا صحيحا وبيان قيمته ودرجته الأدبية [١]

هو — كما أقول — تحليل الآثار الأدبية والحكم عليها وبيان قيمتها الأدبية العامة والموازنة بينها وبين مايشابهها من الآثار . « وأصول النقد قراءة وفهم وتفسير وحكم والغرض منه دراسة الأساليب أو الكتاب أو الآراء والأفكار [٢]

والخطابة والشعر لأرسطو هى المرجع الأول لكل الدراسات فى النقد والبلاغة [٣] ، وأرسطو أول من كتب فى النقد الأدبى ووضع فى كتابه « فنون الشعر » قواعد للبلاغه بنى عليها طريقته فى النقد [٤] . وعلى أساس مذهب أرسطو فى النقد قامت مدارس النقد الحديثة فى اوربا وعلى رأسها : سانت بوف [١٨٠٤ ١٨٩٦] ، وتين (١٨٢٨ - ١٨٩٣) ، وبرونتيير (١٨٤٩ - ١٩٠٧) ، وجول ليمترم ١٩١٧ (٣)

والنقد فى الآداب العربية هو « شرح الشعر وتقرير طريقة الشعر الجاهلى

---

(١) أصول النقد الأدبى للشايب

(٢) ٩٠ وما بعدها مقدمة لدراسه بلاغه العرب

(٣) أصول النقد الأدبى

(٤) ١٠٠ مقدمة لدراسة بلاغة العرب ،

(٥) راجع : مقدمة لدراسة بلاغة العرب ، وأصول النقد الأدبى للشايب ، ٤٥ — ٥٠ الأدب الجاهلى .

لتكون منهجا للشعراء لاحركة العقول والأفكار [١]، وأكبرهم مظاهره عندهم هو علـــم البلاغة [٢].

النقد فى العصر الجاهلى :

نشأ النقد فى الجاهلية مرتجلا ، وكان هينا يسيرا ملائما لروح العصر وللشعر العربى نفسه [٣]، عربى النشأة كالشعر ، لم يتأثر بمؤثرات أجنبية ولم يقم إلا على الذوق العربى السليم [٤].

وجد فى أطوار تهذيب الشعر ، وفى اختيار المعلقات وتعليقها فى الكعبة [٥] وفى حكومة أم جندب بين امرى القيس وعلقمة [٦]، وحكومة النابغة على الشعراء « وكان تضرب له قبة حمراء بعكاظ ويأتيه الشعراء فتنشده أشعارها » [٧]، وفى حكم ربيعة بن حذار الأسدى على الزبرقان والمخبل السعدى وعبدة بن الطبيب وعمرو بن الأهتم [٨]. ووجد فى نقد الشعراء للشعر ، مرامرؤ القيس بكعب

---

(١) ١٥٩ مقدمة لدراسة بلاغة العرب .

(٢) ٦٨ ، المرجع

(٣) ٢٤ تاريخ النقد الأدبى عند العرب

(٤) ٢٥ المرجع .

(٥) راجع ٣٧٩ جـ ٣ العقد .

(٦) راجع ١٢٨ جـ ٧ الأغانى ، وقد نقد الرافعى هذه الحكومة ورأى أنها جائرة (٢٢٥ — ٢٢٤ جـ ٢ آداب العرب للرافعى) وتابعه فى ذلك محمد هاشم (١٨٤ الأدب العربى فى العصر الجاهلى) ويرتاب باحث فى صحة هـذه القصة ، ويرى أن امرؤ القيس غير مقصر ويقول : ولعل ذلك ما حمل ابن المعتز على أن ينكر هذه القصيدة فيما أنكره من شعر امرؤ القيس (٢١ ، ٢٢ تاريخ النقد الأدبى عند العرب) .

(٧) ١٢٣ الشعر والشعراء

(٨) ١٤ تاريخ النقد الأدبى عند العرب

وأخويه : الضبان والقعقاع فأنشدوه فقال : إنى لأعجب كيف لا تمتلىء عليكم نارا جودة شعركم ، فسموا بنى النار [١] ؛ ويقول النابغة : أشعر الناس من استجيد كذبه واضحك رديئه [٢] ، وسمى كعب الغنوى كعب الأمثال لكثرة مافى شعره منها [٣] ، وطفيل الغنوى طفيل الخيل لكثرة وصفة إياها ، والنمر بن تولب المحبر لحسن شعره [٤] ، وسموا قصيدة سويد بن أبى كاهل « بسطت رابعة الحبل لنا » اليتيمة ، كما سموا بعد ذلك خطبة لسحبان الشوهاء لحسنها [٥] ويقول زهير ويروى لحسان :

وإن أشعر بيت أنت قائله ... بيت يقال إذا أنشدته صدقا

ورأى لبيد بعد شيخوخته أن أشعر الناس امرؤ القيس ثم طرفه ثم نفسه [٦] الى غير ذلك من مظاهر النقد فى الجاهلية .

— ٣ —

النقد فى صدر الاسلام :

وأخذ النقد فى القرن الأول يسير فى طريق النضوج والوضوح مع الفطرة الخالصة والذوق السليم، وكان كثير من الخلفاء والصحابة نقادا بفطرتهم وذوقهم ، فأبو بكر « يقدم النابغة ويقول هو أحسنهم شعرا وأعذبهم بحرا وأبعدهم قعرا (٧) » ، وكان عمر يتذوق الشعر وينقده [٨] ، وقدم زهيرا ولم يحكم بذلك فحسب بل شرح

(١) ٧٠ من المؤتلف للآمدى

(٢) ٢٥٦ سر الفصاحة و ٥٠ ، ٨ ، ج ٢ العمدة

(٣) ٣٤١ معجم الشعراء

(٤) ١٨٤ المؤتلف و ١١٢ ج ١ العمدة

(٥) ٢٢٥ ج ١ البيان

(٦) ٢٠ جمهرة أشعار العرب .

(٧) ٧٨ / ١ العمدة .

(٨) راجع : ٩٩ إعجاز القرآن ، ١٦٩ و ١٧٠ / ١ و ٢٢٤ و ٢٢٥ / ٢ البيان والتبيين ، ٣٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٧٦ / ١ العمدة .

سبب حكومته بأنه كان « لا يعاظل فى الكلام وكان يتجنب وحشى الشعر ولم يمدح أحدا إلا بما فيه [١] » ، وكان يرى أنه أشعر الناس [٢] ، وكان يجلس هو وأصحابه فيتذاكرون الشعر والشعراء وأيهم أشعر [٣] ، وقال لوفد غطفان عن النابغة إنه أشعر شعرائهم [٤] . وكذلك على بن أبى طالب وكان يقدم امرأ القيس على الشعراء لأنه « أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة [٥] » ، وكان معاوية يفضل مزينة فى الشعر ويشيد بذكر شاعرها فى الجاهلية زهير وشاعرها فى الاسلام ابنه كعب .

وأنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قول طرفة :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فقال : هذا من كلام النبوة .

وذكر امرؤ القيس والشعراء عند رسول الله فقال : هو قائدهم وصاحب لوائهم .

وقال عمر بن الخطاب :

أفضل صناعات الرجل الأبيات من الشعر يقدمها فى حاجاته ، يستعطف بها قلب الكريم ، ويستميل بها قلب اللئيم .

وقال عمر بن الخطاب للوفد الذين قدموا عليه من غطفان : من الذى يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مطلب

قالوا : نابغة بنى ذبيان قال لهم : فمن الذى يقول :

---

(١) ١٢٥ الموازنة ، ٨٠ / ١ العمدة ، ٣٢ جمهرة أشعار العرب . والمعاظلة وتفسيرها فى الموازنة وسر الفصاحة و ٣٢ الجمهرة وص ١٠٥ نقد الشعر .

(٢) ٣٧٩ / ٣ العقد وما بعدها .

(٣) ٣٢ الجمهرة .

(٤) ٣٤ الجمهرة .

(٥) ٢٧ و ٢٨ / ١ العمدة .

أتيتك عاريا خلقا ثيابى ... على وجل تظن بى الظنون
فألفيت الأمانة لم تخنها ... كذلك كان نوح لا يخون

قالوا . هو النابغة : قال هو أشعر شعرائكم . ولا بدع فعمر كان يعرف قدر الشعر ويستمع لآراء الشعراء .

سئل مالك بن أنس من أين شاطر ابن الخطاب عماله فقال . أموال كثيرة ظهرت عليهم وأن شاعرا كتب اليه يقول

نحج ونغزو اذا غزوا فانى لهم وفر ولسنا بذى وفر
اذا التاجر الهندى جاء بفارة ... من المسك راحت فى مفارقهم تجرى
فدونك مال الله حيث وجدته ... سيرضون أن شاطرتهم منك بالشطر

قال : فشاطرهم عمر أموالهم .

وقال ابن عباس . قال عمر بن الخطاب ، أنشدنى قول زهير فانشدته قوله فى هرم بن سنان حيث يقول .

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم ... طابو وطاب من الأفلاذ ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ... قوم باولهم أو بمجدهم قعدوا

فقال له عمر . ماكان أحب إلى لوكان هذا الشعر فى أهل بيت رسول الله .

ودخل ابن هرم بن سنان على عمر بن الخطاب فقال له من أنت قال : أنا بن هرم بن سنان قال : صاحب زهير قال : نعم قال : أما أنه كان يقول فيكم فيحسن قال : كذلك كنا نعطيه فنجزل قال : ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم .

وقيل للحطيئة . هن أشعر الناس ، فاخرج لسانه وقال . هذا إذا طمع .

وقيل : بنو هذيل من أشعر قبائل العرب وأشعرهم أبو ذؤيب وأمير شعره وغرة كلامه قصيدته التى أولها « أمن المنون وريبها تتوجع »(١) .

إلى ما سوى ذلك من مظاهر النقد فى هذا العصر مما لاداعي للافاضة فيه .

---

(١) ٨١ خاص الخاص للثعالبي .

أشهر الشعراء المخضرمين

مزرد بن ضرار الذبيانى .
المخبل السعدى مات فى خلافة عمر .
عمرو بن الأهتم المنقرى .
لبيد بن ربيعة العامرى .
ربيعة بن مقروم .
سويد بن أبى كاهل اليشكرى وتوفى بعد عام ٦٠ هـ .
عوف بن عطية بن الخرع التيمى من يتم الرباب — عبد الله بن عنمة الضبى .
قيس بن الخطيم لاقى رسول الله ولم يسلم زيد الخيل وفد على الرسول عام ٩ هـ وتوفى فى هذا العام .

شعراء الحماسة المخضرمون

عمر بن الأهتم - الخنساء - عمرو بن أحمر — زرعة بن عمرو — عامر بن الطفيل وفد على رسول الله — قيس بن الخطيم أدرك النبي — الحارث بن هشام توفى عام ١٥ هـ - الضرار السلمى — عمرو بن شاس - سلم بن دارة — غسان ابن وهلة عبد الله بن عنمه الضبى قبيصة بن جابر — عاتكة بنت عبد المطلب أمية بن أبى — الصلت — أبو خراش الهذلى — عبده بن الطبيب — دريد ابن الصمة - الأسود بن يغوث - قتيلة — النابغة الجعدى — سامة الجعفى الشماخ — عمرة بنت الخنساء — معن بن أوس — حسان — أبو الطمحان القينى .

شعراء الحماسة الاسلاميون

أدرك بعضهم الرسول والآخرون عاشوا فى عصرى صدر الإسلام وبنى أمية

أبو الأسد ، خنزر ، مالك بن أسماء ، مدرك الفقعسى ، عمرو بن الهذيل ، عمرو بن كميل ، حميد بن ثور ، قريظ بن أنيف ، ربيعة ابن مقروم الضبي وشهد القادسية ، أبو كبير الهزلى صحابى ، الحريش القريعى صحابى ، الأشتر النخعى صحابى ، عبد الله بن الحشرج الجعدى ، الفضل بن العباس هاشمى ، جرير بن كليب الفقعسى ، الراعى ، أسحاق بن خلف ، حطان بن المعلى ، يحي بن منصور الحنفى ، جزء بن ضرار أخو الشماخ ، القطامى ، موسى بن جابر ، بشامة بن حزن ، مساور بن هند ، عباس بن مرداس صحابى ، غلاق بن مروان ، عبد الله بن سبرة ، إياس بن مالك ، أدهم بن أبى الزعراء ، خفاف بن ندبة صحابى ، معبد بن علقمة صحابى ، شبيب بن عمر ، الكروس بن زيد ، حسان بن الجعد ، أوس بن حبناء ، عمرو الخارجى ، سالم بن واصة « تابعى » هشام أخو ذى الرمة ، متمم بن نويرة صحابى « نهشل بن حرى ، عبد الملك الحارثى ، خلف بن خليفة ، فاطمة الخزاعية (صحابية) - نهار بن توسعة شبيب بن عوانه — سليمان العدوى « شيعى » - زينب الطثرية - يزيد بن الطثرية قتل فى خلافة بنى العباس منظور بن سحيم — توبة بن الحمير الخفاجى - ابو بكر الزهرى — ابن الطثرية ابو الأسود الدؤلى

الحيـــاة الادبية

فى العصر الأموى

٤١ — ١٣٢ هـ

تمهيـــد :

بدأت دولة بنى أمية عام ٤١ هـ، على يد معاوية بن أبى سفيان بعد أن تنازل الحسن بن على له عن الخلافة .

وتولى الخلافة عدة خلفاء كان لهم أثرهم الكبير فى تشجيع اللغة والأدب والعلم وإعزاز شأن الأدباء والشعراء .

وهؤلاء الخلفاء هم :

معاوية بن أبى سفيان مؤسس دولة بنى أمية [١] (٤١ — ٦٠ هـ) .

يزيد بن معاوية (٤٠ — ٦٤ هـ)

معاوية بن يزيد (٦٤ — ٦٤ هـ)

مروان بن الحكم (٦٤ — ٦٥ هـ) [٢]

عبد الملك بن مروان (٦٥ — ٨٦ هـ) [٣]

الوليد بن عبد الملك (٨٦ — ٩٦ هـ)

سليمان بن عبد الملك (٩٦ — ٩٩ هـ)

عمر بن عبد العزيز بن مروان (٩٩ — ١٠١ هـ)

يزيد بن عبد الملك بن مروان (١٠١ — ١٠٥ هـ)

---

(١) كان من أعظم ولاته وأشهرهم زياد بن أبيه المتوفى عام ٥٣ هـ

(٢) وقد بدأ فى عهده حكم عبـــد الله بن الزبير فى الحجاز من عام ٦٤ هـ واستمر حتى قضى عبد الملك بن مروان على ثورته عام ٧٣ هـ

(٣) وأشهر ولاته الحجاج بن يوسف الثقفى (٤١ — ٩٥ هـ)

هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥) .
الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥ - ١٢٦ هـ) .
يزيد بن الوليد بن عبد الملك (١٢٦ - ١٢٦ هـ)

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم (١٢٦ - ١٣٢ هـ) .
ومروان هو آخر بنى أمية قتله بنو العباس وتولى السفاح الخلافة باسم العباسيين فى الكوفة عام ١٣٢ هـ .

كانت دمشق مقر دولة بنى أمية ، وبنوا فيها القصور والمساجد والدواوين والمتنزهات والقلاع والحصون فاتسع عمرانها وزادت حضارتها وكثرت مجالس الأدب ودور العلم فيها ، ووفد إليها الناس فى مختلف أمورهم ومصالحهم

وكانت دولة بنى أمية تعتز بالعرب وترفع من شأنهم ولا تنظر إلى الموالى نظرة رعاية أو تقدير ، وهكذا كانت دولة بنى العباس أعجميه خرسانية ودولة بنى أمية عربية أعرابية [١] وكانت بنو أمية . لا تستخلف بين الأماء [٢] ولا تبايع لبنى أمهات الأولاد [٣] .

كما حافظ الخلفاء الأمويون على الصبغة والثقافة العربية ، فنشأوا أبناءهم بالبادية يتعلمون فيها الشعر والأدب واللغة ، ويكتسبون الملكة والفطرة والطبع ، ويعتقدون المجالس الأدبيه ويستدعون الرواة والأدباء والشعراء ويكافئونهم بجزيل العطاء وسنى المواهب فوق عطفهم وبرهم بالعرب ، وقصر وظائف الدولة عليهم وحدهم من ولاية وقيادة جيوش وتنظيم دواوين إلى غير ذلك من كبرى المناصب فى السياسة والقضاء والادارة .

(١) ٣/٢٠٦ البيان والتبيين .
(٢) ١٨٠ / ٤ العقد
(٣) ١٨١ / ٤ العقد .

وهكذا شجعت دولة بنى أمية الجنس العربى والقت فى يده زمام أمور الدوله بعكس بنى العباس .

وقد نمت الحواضر الأسلامية الكبرى كالكوفة والبصره والفسطاط ومكة والمدينة وسواها من الأمصار

وسنتكلم بعون الله عن حياة الأدب واللغة والعلم والنقد فى هذا العصر الزاهر وما توفيقى إلا بالله .

سياسة الدولة الجديدة

١ — كان معاوية رأس الدولة الاموية ومنشؤها داهية أريبا حصيفا ؛ وكان يعتز بأسرته الأموية اعتزازا كبيرا لتؤيد دولته الجديدة وملكه الناشىء الفتى .

وكان أظهر أعماله أنه نقل الحكم الاسلامى من خلافة شورية الى ملك مستبد يحرص على تثبيته ودعمه وإعلاء صرحه ، ولو فوق جثث الضحايا وأشلائهم .

واستعان معاوية فى هذا بأسرته من بنى أميـة و بنى عبد شمس ، كما استعان بالقبائل العربية المقيمة فى بلاد الشام وحواليهـا والتى أغدق عليهـا العطاء .

وهو وال لعمر وعثمان على الشـام ، ثم وهو يقـارع على بن أبى طالب ويجالده بالسيوف فى سبيل الملك ، ثم وهو خليفة وأمير للمسلمين بعد تنازل الحسن بن على له عن الخلافة .

وعمل معاوية على إيقاع الخلاف بين القبائل المختلفة وضرب بعضها ببعض ، وتحريض بعضها على الآخرين ، وبذلك أحيا العصبية القديمة التى حاربها الاسلام ورسوله وكتابه الكريم ، كما حاربها أبو بكر وعمر طول عهد خلافتهما رضوان الله عليهما .

لم يكن معاوية يثق بأهل مكه والمدينة لانحياز زعمائها إلى أهل بيت الرسول ، ولا بالعرب المقيمين فى الكوفة والبصرة لأن الكثير منهم شيعيون ، ولكنه جهد فى استمالة العرب القاطنين فى بلاد الشام وعلى مشارفها : كما جهد فى استمالة القبائل

اليمنية، وتزوج من إحدى بطونها «من قبيلة كلب» أم ابنه يزيد، كما جهد فى استمالة القبائل القيسية وبعض القبائل المضرية إليه.

وفى سبيل ذلك أكثر من الوعد والوعيد، وبذل الأموال وفرق العطاء، وأكثر من الاغداق على أهل الحجاز وخاصة مكة والمدينة لأنهم أصحاب الرأى النافذ بين المسلمين، وضاعف عطاء الحسن والحسين أضعافا كثيرة فجعله ألف ألف درهم وكان على عهد عمر خمسة آلاف.

وبذلك استتب الأمر لمعاوية الداهية العبقرى، وكان معاوية رضى الله عنه يقول تصويرا لدهائه وسياسته. والله لو كان بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت إن شدوا أرخيت وإن أرخوا شددت.

٢ — ولما مات معاوية لم يخلفه أحد فى الملك يشبهه فى الدهاء والسياسة، فافترق المسلمون وشبت الثورات وكثرت الأحزاب: من شيعة أنصار بيت على فى الحجاز والعراق، وزبيريين يشايعون آل الزبير فى الحجاز وغيرها، وخوارج خرجوا على الاستبداد والملك العضوض، وأمويين يدافعون عن ملكهم ونفوذهم.

ووجد ملوك بنى أمية أن لا شىء يعيد إلى دولتهم هيبتها واطمئنانها إلا الاستبداد والعسف والطغيان، فوكلوا بالعراق الحجاج بن يوسف الثقفى يملأ الأرض رعباً وخوفا وجورا، ووكلوا بالبلاد الأخرى ولاة يأمرونهم باليقظة والحزم والدهاء والمكر والطغيان

وهكذا ظلت الدولة تموج بالعصبيات إلى عهد انقضائها، بل إنها كانت السبب الأخير فى القضاء عليها وتمهيد الأمر لبنى العباس.

وكان الشعراء يغذون العصبيات ويلقون القصائد الجيدة مشيدة بذكر الأحزاب التى ينتمون إليها ومنددة بمثالب الأحزاب الأخرى، ومن ذلك أن الهاشميين أخذوا يحرضون الكميت الشاعر على إثارة العصبية بشعره، جاء فى مروج الذهب للمسعودى أن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب قال

للكميت ، إنى قد رأيت أن تقول شيئاً تغضب به بين الناس لعل فتنة تحدث فيخرج من بين أصابعها بعض ما نحب ، فأنشد قصيدة ذكر فيها مناقب بنى نزار من ربيعة ومضر وأطنب فى وصفهم وفضلهم على بنى قطحان وعرض بما كان من شأنهم مع الأحباش وغيرهم من هذه القصيدة قوله

لنا قمر السماء وكل نجم　　تشير إليه أيدى المهتدينا
وجدت الله إذ سمى نزارا　　وأسكنهم بمكة قاطنينا
لنا جعل المكارم خالصات　　وللناس القفا ولنا الجبينا
وما ضربت هجائن من نزار　　فوالح من فحول الأعجمينا
وما وجدت بنات بنى نزار　　حلائل أسودين وأحمرينا

وقد نمى هذا القول فى النزارية واليمنية فافتخر كل قبيل بما له من مآثر . وفى العصر العباسى قال دعبل بن على الخزاعى ينقض على الكميت قصيدته ويذكر مناقب اليمن ويعرض بل ويصرح بنقائص غيرهم فى قصيدته التى أولها :

أفيقى من ملامك يا ظعينا　　كفاك اللوم مر الأربعينا
ألم تحزنك أحداث الليالى　　يشيبن الذوائب والقرونا
أحى الغر من سروات قومى　　لقد حييت عنا يا مدينا
فان يك آل إسرائيل منكم　　وكنتم بالأعاجم فاخرينا
فلا تنس الخنازير اللواتى　　مسخن مع القرود الخاسئينا
بأيلة والخليج لهم رسوم　　وآثار قدمن وما محينا
وما طلب الكميت طلاب وتر　　ولكنا لنصرتنا هجينا
لقد علمت نزار أن قومى　　إلى نصر النبوة فاخرينا

ونشأ عن إحياء هذه العصبية الممقوتة آثار كثيرة بعضها سياسى وبعضها اجتماعى وبعضها أدبى

أما الآثار السياسية فقد كثرت الخلافات والثورات والحروب بين العرب بعضهم وبعض وبين العرب والموالى وبين أبناء وفروع الآمو بين أنفسهم

وأما الآثار الاجتماعية فانك تعلم أن إحياء العصبية معناه سيطرة التفكير الجاهلى على الناس والساسة ، وبذلك انحرف الامويون بل الناس كلهم عن منهج الاسلام الذى يجعل الناس إخوة متحابين ويفرض على الحاكم العدل والمساواة والحرص على حريات الناس جميعاً

وأما الآثار الأدبية فقد عادت الفنون الأدبية الجاهلية القديمة إلى الظهور ، من الفخر الكاذب والمنافرات والمفاخرات المرة بين العرب فى مجتمعاتهم الأدبية وعلى الأخص فى « المربد » بظاهر البصرة وفى الكناسة حوالى الكوفة . وبعد فعناصر سياسة الدولة الجديدة هى :

١ — دعم الملك الأموى بأى ثمن كان ؛ والقضاء على الأحزاب المنافسة لهم من شيعة وزبيريين وخوارج

٢ — إحياء العصبية العربية محافظة على مجد بنى أمية وسلطانهم

٣ — رفع شأن العرب كافة والاعتزاز بالعنصر العربى وعدم إدخال أحد من الموالى فى مناصب الدولة وخاصة كبراها إلا للضرورة الملحة

٤ — إحياء الآداب العربية القديمة وخاصة الشعر الجاهلى وتشجيع الثقافة والعلوم على وجه عام .

٥ — تشجيع العمران والحضارة والأقتباس من مدنيات الأمم القديمة كل ماهو صالح ومفيد

٦ — وأكبر مأثرة للأمويين هى إتمام سلسلة الفتوحات الأسلامية العظيمة فى الشرق والغرب والشمال والجنوب

إلى غير ذلك من العناصر البارزة فى سياسة هذه الدولة الجديدة

وأهم الآثار الكبيرة لهذه السياسة :

١ — كثرة ألوان الاضطهاد والعسف فى سياسة الدولة ومعاملة الناس وما يتبع ذلك من خنق للحريات واستهانة بالأرواح والدماء

٢ — تذمر الموالى وانضمامهم لأعداء بنى أمية وعلى الأخص الشيعة مما كان سببا للقضاء على الدولة نفسها

٣ – انتشار الترف واللهو فى الشام وحيث الأموال الكثيرة والعطاء الضخم فى الحجاز وعلى الأخص مكة والمدينة

٤ – عودة عادات وألوان التفكير والشعور ومظاهر المعيشة الجاهلية إلى الحياة فى هذا العهد

٥ – انتشار اللغة العربية فى شتى أرجاء العالم

٦ – سير الحياة الاسلامية إلى الحضارة والمدنية والعمران

٧ – ظهور الموالى فى ميادين الثقافة والأدب والعلم لا فى ميدان السياسة إلى غير ذلك من هذه الآثار

الموالي

في الدولة الأموية

١ — اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في عهد بني أمية، فشملت الأندلس وشمال افريقية والشام وجزيرة العرب والعراق وفارس وجزءا من الهند، كما وصلت الفتوحات الاسلامية إلى سوى ذلك من النواحي والبلاد

وخضعت هذه الأمم كلها للحكم العربي، سواء منها الدول ذات الحضارة والدول التي لم تصطبغ بصبغتها، فوجدوا في الاسلام العدل والأمن والسلام، وأخذوا يتعلمون اللغة العربية لأنها لغة الدين والقرآن ولحاجتهم إليها في التفاهم مع الولاة والحكام والعمال، وهي فوق ذلك اللغة الأولى في العالم كله آنذاك فهي لغة الثقافة والآداب والعلوم والفنون والسياسة.

٢ — وكان لبعد الموالي عن سياسة الدولة وشئونها العامة باقصاء الأمويين لهم كما كان لانحدارهم من عناصر متحضرة أخذت بقسط من الثقافة والمدنية والمعرفة، أثر كبير في تفوقهم في ميدان العلم والأدب.

فجلسوا في مجالس الصحابة يدرسون القرآن وعلومه والحديث وروايته والتاريخ وأيامه ومفاخر العرب ومآثرهم. كما جلسوا في مجالس الأدباء والشعراء والرواة يثقفون أنفسهم بالشعر ويتأدبون بروايته وبنظمه أحيانا

فكان من الموالي الشعراء كزياد الأعجم واسماعيل بن سيار وأخيه موسى شهوات.

وكان منهم العلماء في علوم الدين والشريعة كنافع وربيعة الرأي شيخ الامام مالك وسليمان بن يسار وكان من أعلم الناس وفقههم وكانوا بالمدينة

ومنهم مجاهد وعكرمة وعطاء بمكة

والحسن بن يسار والحسن البصري وابن سيرين بالبصرة. يزيد بن حبيب شيخ الليث بن سعد في مصر. مكحول بن عبد الله في الشام.

إلى غير هؤلاء من الأعلام فى الدين والشريعة والحديث والتفسير واللغه من الموالى فى عصر بنى أمية

٣ — ولما كانت اللغة القبطية ولغة الروم وآدابها وثقافتهما ماتزال باقية فى مصر والشام . واللغة الفارسية ماتزال ذائعة فى بلاد فارس وبعض جهات من العراق .

فقد كانت دواوين الدولة ومصالحها الحكومية وأعمالها تكتب فى مصر باللغة القبطية وفى الشام باللغة الرومية وفى العراق وفارس بالفارسية . وكان لابد من الاستعانة بالموالى فى هذه الدواوين للكتابة فيها وظل الأمر على ذلك مدة حتى حولت دواوين (١) العراق إلى اللغة العربية بأمر الحجاج ودواوين الشام فى عهد عبد الملك ودوادين مصر فى عهد الوليد بن عبد الملك وبذلك انفسح المجال للعرب فى هذه الناحيه أيضا .

وكان الذى نقل دواوين الخراج فى العراق إلى العربية صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج وكان صالح من الموالى . أما دواوين الشام فكانت بالرومية وكان يتولى أمورها سرجون بن منصور من عهد معاوية الى أيام عبد الملك ثم نقلت إلى العربية على يد سليمان بن منصور أماديوان مصر فقد كان بالقبطية وحول فى عهد الوليد بن عبد الملك إلى العربية على يد عبد الله بن عبد الملك بن مروان أميرمصر وبذلك خلصت أعمال الدوله للعرب إذ كان ديوان الجند والرسائل وجمع مرافق الدولة عربية ماعدا ديوان الخراج فلما حول صارت سائر أعمال الدولة مصطبغة بالصبغة العربية الخالصة .

٣ — ومن المعلوم أن الموالى كانوا من عناصر مختلفة وأجناس متباينة

---

(١) الديوان الكتاب الذى يكتب فيه أهل العطية « المرتبات » ثم نقل الى المكان الذى يجتمع فيه الكتاب لذلك وأول من وضعه عمر فهو أول من دون الدواوين فى الاسلام وكانت مقصورة على الضرورى منها لمكان البداوة من الامة

فمنهم الفارسيون ومنهم من هو من عنصر رومي أو قبطي أو تركي أو سوى ذلك ذلك وكان بعضهم ينحدرون من أمم متحضرة ذات مدنية وثقافة والبعض الآخر ليس كذلك الأولون هم الذين أفادوا الأمة العربية بما حملوه معهم من ذكاء ومعرفة وثقافة ونظام ومدنية.

وكان من أفذاذ الموالي في العصر الأموي سالم مولى هشام بن عبد الملك وعبد الحميد الكاتب الذي كان أصله من الأنبار.

٤ — على أن من الثابت أن الموالي لم يكونوا موضع تقدير في العصر الأموي لبعدهم عن سياسة الدولة وتصريف شئونها وتولي مناصبها وكانوا يعملون في حقل الثقافة والأدب أو في بيوت العظماء والأثرياء أو في الحرف الصغيرة المهينة

انتشار اللغة

وقيامها بمقتضيات الملك والسياسة

١ — علمت مما سبق أن الفتوحات الاسلامية كثرت في العصر الأموي حتى وصلت جيوش المسلمين إلى الهند والأندلس وحكم العرب هذا البلاد المفتوحة وأخضعوها لنفوذهم وسلطانهم وصاروا حكامها وأمراءها ونشروا فيها دينهم ولغتهم وآدابهم ونزح العرب إلى هذه البلاد المفتوحة فأقاموا فيها وعمروها وخالطوا أهلها ونشروا اللغة العربية في كل مكان.

وأخذ أهل هذه البلاد المفتوحة يتعلمون العربية ويدرسونها ويتخذونها لغة لهم يتفاهمون بها مع حكامهم وولاتهم من العرب ولم يقفوا عند هذا الحد من التخاطب باللغة والتفاهم بها بل أجادوا العربية ودرسوا آدابها ونظموا الشعر وتفقهوا في شتى العلوم سواء منها العلوم الاسلامية الأصيلة أم علوم ومعارف أممهم القديمة المتمدينة التي أذاعوها ونشروها في البيئة العربية الاسلامية الجديدة.

يقول ابن خلدون: «ولما هجر الدين اللغات الأعجمية وكان لسان القائمين بالدولة الاسلامية عربيا هجرت كلها في جميع ممالكها، لأن الناس تبع للسلطان وعلى وعلى دينه، فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الاسلام وطاعة العرب،

وهجر الأمم لغاتهم وألسنتهم فى جميع الأقطار والممالك ، وصار اللسان العربى لسانهم حتى رسخ ذلك لغة فى جميع أمصارهم وصـارت الألسنة دخيلة فيها وغريبة . »

٢ - ولا ضير على اللغة إذا كان قد دخلها بعض اللحن واصاب ملكاتها شيء من العى والعجز والقصور فان القرآن الخالد قد حفظ اللغة العربية وخلدها إلى ما شاء الله .

نعم لقد كان من آثار الفتوحات الاسلامية وانتشار اللغة العربية فى كل مكان أن :

ا - خالط العربى أهل هذه البلاد المفتوحه وسمع لكنتهم وعيهم وتحريفهم فى ألفاظ اللغـة فأصاب ملكته العربية الأصيله شيء من العدوى واعتراها بعض القصور .

ب - وتزوج العربى من الموالى كما تزوج بعض الموالى من العربيات وإن كان ذلك قليلا نادرا فنشأت ذرية ملقحة بعضها من الأولاد الهجن الذين أباؤهم من العرب وأمهاتهم من الموالى وبعضها الآخر من المقرفين وهم الذين كان آباؤهم من الموالى وأمهاتهم من العرب ومن غير شك أن لغة هذه السلالات لا تصل إلى لغة العرب الخلص الأحرار .

ج - كما كثرت الجوارى والقيان والمربيات الروميات والفارسيات والقبطيات فى قصور الخلفاء والأمراء والأثرياء فنشأ أبناؤهم ضعاف الملكة مضطربى اللهجة واللغة كثيرى اللحن والتحريف .

ولكن جد الخلفاء والعلماء فى المحافظه على اللغة العربية ، دفع عادية هـذا الفساد وأضعف من شأن هذه العدوى

٣ - ولقد قامت اللغة العربية فى العصر الأموى بمقتضيات الدين والملك والسياسة إلى حد بعيد مما يتجلى لك فيما يأتى :

ا - حولت دواوين الخراج إلى اللغـة العربية فى شتى البلاد الاسلاميه ، وكانت من قبل تكتب بلغة الاقليم التى هى فيه ، فهى فى العراق بالفارسية ؛ وفى

الشام بالرومية ، وفى مصر بالقبطية ، فحولت دواوين العراق إلى العربية فى عهد الحجاج وعبد الملك ، كما حولت دواوين الشام من الرومية إلى العربيـــة فى عهد عبد الملك أيضا بعد أن رأى من إدلال كاتبه سرجون ، وكان الذى حولها له فى الشام إلى العربية هو سليمان بن مسرور فدب الحزن إلى قلب سرجون حتى قال لمن معه من كتاب الروم :

اطلبلوا الرزق من غير هذه الصناعة ، فقد قطعها الله عنكم . ولما حول صالح ابن عبد الرحمن السجستانى للحجاج دواوين العراق إلى العربية [1] ، اراد الكتاب الفرس أن يحولوا بالمال بينه وبين ذلك ، فبذلوا له مئتا ألف درهم على ألا يفعل فأبى فقالوا :

قطع الله أصلك من الدنيا بعد أن قطعت أصل الفارسية . وتم منذ ذلك الحين نقل ديوان العراق ، وكان الذى يتولى الكتابة فيه بالفارسية زادان فروج بن بيدى

وأما ديوان مصر فقد حوله عبد الله بن عبد الله ابن مروان أمير مصر من قبل الوليد بن عبد الملك وكان يقوم بالكتابة فيه بالقبطية انتناش القبطى فصرفه عبد الله وأقام مكانه ابن يربوع الفزارى

ب - كما قامت اللغة بالتعبير عن الوان الحياة الجديدة الناشئة على العرب فى دولة بنى أميه فالقصور الباذخة والجيوش العـــديده والغلمان والعبيد والحجاب والقهارم والموسيقى والغناء والجيوش والأساطيل والقلاع والبريد وسك النقود وديوان الخاتم وديوان الرسائل وديوان الجند غير ذلك من مظاهر الملك والوان المدنية الجديدة ومشاهد العمران والترف ، قد راض العرب لغتهم على التعبير عنها وعما تتطلبه شتى ألوان الحيـــاة ، فلم تعجز اللغة بل نهضت بكل ذلك دون وناة أو فتور ، سواء بما فيها من الفاظ ومفردات وأساليب وثروة لغوية

---

(١) وفى العقد الفريد : أن قحـــذم جد الوليد بن هشام القحذمى هو الذى قلب الدواوين من الفارسية إلى العربية (١١ - ٣ العقد)

ضخمة أم بما عربه العرب من الألفاظ الأعجمية. فوضعوا أسماء للمسميات الجديدة : بنقل بعض الألفاظ العربية عن معانيها الأصلية إلى معان أخرى ؛ أو بالتعبير عنها بالألفاظ المعربة ؛ فمن ألفاظ فى تمييز الجند وأنواع أسلحتهم إلى مصطلحات الدواوين وما تقتضيه الحضارة والعمران والثقافة

ومن الألفاظ المعربة: الطست والطبق والبلور واللوز والطنبور والفرسخ والبريد والمارستان وسواها

ج — ونهضت اللغة بشتى ألوان العلوم والثقافات وتدوينها دون تقصير أو عجز ، فبدأت النهضة العلمية والفكرية وقام العلماء بتدوين آرائهم فى شتى علوم الدين والدنيا تساعدهم على ذلك لغة طيعة مرنة واسعة الجوانب

د — كما عبرت اللغة عن شتى نظم الملك والسياسة والقضاء والادارة والأدب والفن حتى ورثنا ثروة ضخمة من آثار هذا العصر الأدبية الرائعة وحسبنا ذلك الآن

طروء اللحن ووضع النحو والنقط والشكل

اللحن ونشوء العامية

١ — علمت أن العرب فتحوا كثيرا من البلاد والأمصار ودخل أهلها فى دين الله أفواجا وتعلموا القرآن ودرسوا اللغة العربية وتكلموا بها فبدأت اللكنة تظهر فى كلامهم كما بدأ اللحن واضحا فى نطقهم

ولا شك أن العربى بمخالطته للدخلاء على العربية ولسانها قد أصابته عدواهم وانتقلت إليه آثار من لكنتهم ولحنهم

كما أن نشأة أولاد الأمراء والخلفاء والأثرياء بين أمهات أو مربيات أعجميات كان له أثره فى إفساد طباعهم وفطرهم الأدبية الموروثة

كما أن الذين أسلموا من الموالى والعجم وتعلموا اللغة العربية ونطقوا بها لم يخل كلامهم من لكنة ولحن مما بدأ فى الظهور فى عهد الدولة الأموية متمثلا فى اللحن

والعي وفساد الملكات وظهور اللكنة حتى كان الخلفاء والأمراء يدفعون هذه العدوى بتربية أولادهم فى البادية وتثقيفهم على يد الأساتذة والمعلمين حتى يتعودوا البلاغة والفصاحة من صغرهم

وكان اللحن عيبا كبيرا وهجنة للرجل ووصمة شديدة

وكان اللحن يقع فى محادثتهم وحوارهم ومعتاد كلامهم وقد أسرعوا بوضع اللحن ثم الشكل ثم الاعجام حفظا للألسنة من الفساد وللملكات من العي

٢ — واللحن لم يقع فى العصر الجاهلى لأن الإعراب جزء من لهجة العربى الفصيح لا ينفصم عنها .

كما انه لم يقع فى عصر النبوة وما بعده من العرب إلا نادرا وذلك لسلامة الملكات وقلة اختلاط العرب بغيرهم وقرب عهدهم بالبداوة . روى أن كاتب أبى موسى الأشعرى كتب عنه كتابا إلى عمر فلحن فأرسل إليه عمر أن قنع كاتبك صوتا وكان ما لحن فيه قوله فى أول الكتاب : «من أبو موسى الأشعرى» . ولحن رجل فى مجلس النبى « ص » فقال : أرشدوا أخاكم فقد ضل .

نعم وقع لحن من الموالى المسلمين فى عهد النبوة كما وقع من سلمان الفارسى وكان يرتضخ لكنة فارسية وبلال وكان يرتضخ لكنة حبشية وصهيب وكان يرتضخ لكنة رومية ولكن عذر هؤلاء واضح لأنهم حديثو عهد بالاسلام واللغة وشتان بين هذا وبين ماوقع فى العصر الأموى

٣ — ومن اللحانين خالد القسرى وكان متقدما فى الخطابة ومتناهيا فى البلاغة فخرج عليه المغيرة بن سعيد بالكوفة وهو على المنبر فقال : أطعمونى ماء[1] وكانت أمه نصرانية

ومن اللحانين أيضاً الوليد بن عبد الملك أشفق عليه أبوه فلم يرسله إلى البادية فتربى فى دمشق وتعلم العربية صناعة فعرض لكلامه اللحن فهو مع بلاغته يقول لأبيه : اقتل ابى فديك ويقول لغلامه : رد الفرسان الصادان ويقرأ : يا ليتها

---

(١) ١٧ — ١ الكامل للمبرد

كانت القاصية برفع القاضية ، ويقول عبد الملك : أضر بالوليد حبنا له فلم نوجهه إلى البادية[1]

ومن اللحانين أيضاً عبيد الله بن زياد وكانت فيه لكنة لأنه نشأ بالأساور مع أمه مرجانة . قال مرة : افتحوا سيوفكم فقال : يزيد بن مفرغ

ويوم فتحت سيفك من بعيد أضعت وكان أمرك للضياع

٤ — ويقول عبد الملك بن مروان : اللحن هجنة على الشريف ، وقال غيره : تعلموا النحو كما تعلمون السنن والفرائض ، ويقول أيوب السختياني : تعلموا النحو فانه جمال للوضيع وتركه هجنة للشريف .

وأول لحن سمع بالبادية : هذه عصاتى ، وأول لحن سمع بالعراق : حى على الفلاح .

وقد وقع اللحن الكثير فى هذا العصر يقول رؤبة وأبو عمر بن العلاء إنهما لم يريا قرويين أفصح من الحسن البصرى والحجاج ، وغلط الحسن فى حرفين من القرآن ، كما نسب للحجاج لحن فى بعض المواطن ،

وأمثلة اللحن واللكنة كثيرة ، ويقول المبرد فى اللكنة هى أن تعترض على الكلام اللغة الأعجمية [2] وتكون من العجم ، ومن نشأ من العرب مع العجم كما يقول الجاحظ [3] ، ويقال فى لسانه لكنة ، إذا أدخل بعض حروف العجم فى حروف العرب ، وجذبت لسانه العادة الأولى الى المخرج الأول [4] ، فهى العجز عن وضوح اللهجة وصحة مخارج الحروف .

---

(١) ١٥٤ ج ٢ البيان والتبيين
(٢) ٢٦٩ ج ١ الكامل
(٣) ٦٩ ج ١ البيان
(٤) ٤٨ ج ١ البيان

٥ — وبعد فآثار اختلاط العرب بالعجم والموالى ظهرت فى الألسنة فى مظاهر كثيرة هى : اللحن واللكنة وضعف الملكة والطبع .

وللاحتراز عنه وضعوا كما قلنا النحو والشكل والاعجام .

وكان الخلفاء يكرهون اللحن ويحذرونه للغاية حتى قال عبد الملك بن مروان : شيبنى صعود المنابر والخوف من اللحن .

وضع النحو :

١ — والنحو هو العلم الذى يرشد الى معرفة حركة آخر الكلمة ، وقد كان ذلك ضروريا للسان العربى بعد أن دب اللحن الى الملكات والألسنة ، ولقد كان العرب فى جاهليتهم يعتمدون على سليقتهم السليمة وفطرتهم العربية الصادقة ، فلم يقع منهم لحن ، لكن اختلاط العرب بالعجم والموالى بعد الفتوحات الاسلامية جعل وضع النحو ضرورة لا بد منها للمحافظة على القرآن الكريم ولغته الشريفة .

والناس يختلفون فى الداعى الذى حفز القدماء الى وضع النحو، وفيمن وضعه اختلافا كثيرا ، مما سنفصل القول فيه .

٢ — أما سبب وضع النحو ففيه روايات كثيرة :

ا — قيل إن معاوية كتب إلى زياد يطلب عبد الله ابنه فلما قدم عليه وجده يلحن فرده إلى زياد وكتب إليه كتابا يلومه فيه على ذلك فبعث زياد إلى أبى الأسود وطلب منه أن يضع شيئا يصلح الناس به كلامهم ويعرفون كلام الله تعالى فأبى ذلك أبو الأسود فوجه زياد رجلا وقال له اقعد فى طريق أبى الأسود فاذا مر بك فاقرأ شيئاً من القرآن وتعمد اللحن فلما مر أبو الأسود رفع الرجل صوته وقال إن الله برىء من المشركين ورسوله بالجر فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال عز وجه الله أن يتبرأ من رسوله ثم رجع من فوره إلى زياد وقال له قد أجبتك إلى ما سألت

ب — وقيل إن أبا الأسود كان يعلم أولاد زياد وهو والى العراقين يومئذ فجاءه يوما وقال له : أصلح الله الأمير إني أري العرب قد خالطت الاعاجم

وتغيرت ألسنتهم أفتأذن لى أن أضع للعرب مايعرفون أو يقيمون به كلامهم؟ قال : لا ، فجاء رجل إلى زياد وقال : أصلح الله الامير توفى أبانا وترك بنون ، فقال زياد : ادع لى أبا الاسود ، فلما حضر قال : ضع للناس الذى نهيتك عنه .

ج ـ وقيل إن ابنة لأبى الأسود تحدثت إليه فقالت: يا أبت ما أحسن السماء فقال نجومها . فقالت إنما أردت أن السماء حسنة فقال لها قولى : ما أحسن السماء!
ثم غدا على على رضى الله عنه فحدثه حديث ابنته وقال إنى أخاف أن يفسد لسان العرب بمخالطة هذه الحمراء ، فأملى على رضى الله عنه بعض قواعد الكلام وقال له انح هذا النحو ، فكان أبو الأسود كلما عمد فصلا راجعه فيه أمير المؤمنين فأقره أو هذبه

د ـ وقيل إن أبا الاسود دخل على على رضى الله عنه فوجد فى يده رقعة حمراء فقال له ما هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إنى تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء فأردت أن أضع شيئا يرجعون إليه ويعتمدون عليه ثم ألقى الرقعة إلى أبى الأسود فاذا فيها : الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما أنبأ عن المسمى الفعل ما أنبىء به والحرف ما أفاد معنى . ثم قال لأبى الأسود: انح هذا النحو وأضف إليه ما وقع إليك ، واعلم يا أبا الأسود أن الأسماء كلها ثلاثة : ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر ، وإنما يتفاضل الناس يا أبا الأسود فيما ليس بظاهر ولا مضمر وأراد بذلك المبهمات . قال أبو الأسود ثم وضعت بابى العطف والنعت ثم بابى التعجب والاستفهام إلى أن وصلت إلى باب إن وأخواتها فلم أذكر لكن فلما عرضتها على على عليه السلام أمرنى بضم لكن اليها . وكنت كلما وضعت بابا عرضته عليه إلى أن حصلت ما فيه الكفاية فقال لى ما أحسن هذا النحو الذى نحوت .
وقيل إن أبا الأسود هو الذى ابتكر التقسيم الاول للكلام وأراه عليا عليه السلام فأقره .

هـ ـ ويروى أيضا أنه قدم أعرابى فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

فقال من يقرئنى شيئاً مما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم فأقرأه رجل سورة براءة فقال إن الله برىء من المشركين ورسوله بالجر فقال الأعرابى أو قد برىء الله من رسوله أن يكن الله تعالى برىء من رسوله فأنا أبرأ منه ، فبلغ عمر عليه السلام مقالة الاعرابى فدعاه فقال يا أعرابى أتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال يا أمير المسلمين إنى قدمت المدينة ولا علم لى بالقرآن فسألت من يقرئنى ؟ فاقرأنى هذا سورة براءة فقال إن الله برىء من المشركين ورسوله فقلت له أوقد برىء الله تعالى من رسوله إإن يكن الله تعالى برئ من رسوله فأنا أبرأ منه ، فقال عمر رضى الله عنه ليس هكذا يا أعرابى فقال كيف هى ياأمير المؤمنين ؟ فقال ان الله برىء من المشركين ورسوله فقال الأعرابى وأنا والله أبرأ ممن برَىء الله ورسوله منهم ، فأمر عمر رضى الله عنه أن لايقرىء القرآن إلا عالم باللغة ، وأمر أبا الاسود الدؤلى أن يضع النحو [1]

٣ — وأما واضع النحو ، فأغلب الروايات متضافرة على أنه أبو الأسود الدؤلى العالم الخالد المتوفى عام ٦٩ هـ سواء كان هو الذى ابتكره من نفسه أم أن الامام على بن أبى طالب أرشده إلى الاساس الذى يبنى عليه

ويقول عبد القادر البغدادى : وهو واضع علم النحو بتعليم علـــى رضى الله عنه [2]

وكان أبو الأسود غاية فى الذكاء والحذق والعبقرية وكان من سادات التابعين وصحب عـــلى بن أبى طالب وشهد معه صفين ثم أقام فى البصرة واتصل بزياد فكان أثيرا لديه وتوفى عام ٦٩ هـ

٤ وبعد فسواء كان أبو الاسود وضع النحو بنفسه أم أن عليا وضع له الاساس فبنى هو عليه ، فان لأبى الاسود فضلا عظيما خالدا فى هـذا المجال ، وكان أبو الاسود يقيم بالبصرة ، فأخذ عنه تلاميذ كثيرون منهم : نصر بن عاصم ، وعبد

(١) نزهة الالبا ص ٧ وما بعدها .

(٢) خزانة الادب ج ١ ص ٢٥٦

الرحمن بن هرمز ، ويحيى بن يعمر ، وعنبسة الفيل . وميمون الأقرن . وكلهم من البصرة . وعن هذه الطبقة أخذ الخليل ثم سيبويه الذى كان من أساتذته الخليل وعيسى بن عمر والأخفش الأكبر ، ولما كانت نشأة النحو فى البصرة على يد أبى الأسود وتلامذته فقد نشأ بصريا ودرس فى مساجدها ورجع علماؤه إلى اللهجات العربية حول البصرة ، ولم تنبغ الكوفة فى النحو إلا بعد العصر الأموى فظهرت فيه طبقة الكسائى والفراء ويونس من أخذوا عن أبى عمرو بن العلاء ومعاصريه من البصريين : ويعتمد البصريون اعتمادا كبيرا على القواعد المستنبطة من القرآن والحديث وفصيح الشعر وما خالف ذلك يعتبر ساقطا ، أما الكوفيون فكانوا يدونون كل ما خالف لغة قريش من لغات القبائل الأخرى ويعتبرون ذلك فرعا من اللغة وكانوا يعتبرون ما خالف الفصيح شواذ لاتقبح فى الاستعمال

٥ — ومهما يكن من شىء فان بدء تدوين النحو والكتابة فيه وانتشار مذهب البصريين النحويين ودراسته إنما كان فى عهد بنى أميه .

وضع الشكل :

ونريد بالشكل : الحركات وهى علامات الضم والفتح والكسر ، والسكون . ولم يكن فى اللغة العربية فى العصر الجاهلى ولا فى صدر الاسلام شكل .

فلما انتشر الاسلام واتسعت الفتوحات واختلط العرب بالعجم وخيف على القرآن الكريم واللسان العربى من آثار اللحن وضع النحو ، فكان عملا جليلا من أبى الأسود .

ولكن النحو لم يصد هذا السيل المتدفق وتلك العدوى المفسدة ، لأن فائدته اقتصرت على الدارسين والباحثين والمتعلمين فقط ، أما أكثر الناس وجمهورهم فلم يكن يعصمهم من اللحن عاصم واحتيج إلى أمر أكثر من النحو فائدة وأسرع حفظا لألسنة الناس من الخطأ فى قراءة القرآن الكريم

لذلك كلف زياد والى البصرة من قبل معاوية أبا الأسود الدؤلى أن يضع طريقة

لأصلاح اللسان لأن الحمراء[1] قد كثرت وأفسدت من ألسنة العرب ، قال زياد لأبي الاسود : فلو وضعت اذا شيئا يصلح به الناس كلامهم ويعربون به كتاب الله فقال أبو الأسود أو أزيد على المصحف شيئا لم يزده السلف !! فقال زياد لقد كتب عثمان المصاحف وما كانت مكتوبة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما من شيء تعلمه وفيه صلاح للمسلمين الا وهو خير كله ، فأبى أبو الأسود وقال أولى بذلك غيري . وأحب زياد أن يحمل أبا الأسود وأن يحفزه إلى العمل فأرصد له في طريقه من يرفع صوته بالقرآن ويلحن فيه ففعل الرجل وقرأ وأذن من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر ان الله برىء من المشركين ورسوله (بكسر اللام) فحزن لذلك أبو الأسود وعاد من فوره إلى زياد وقال له لقد نظرت فرأيت أن من الخير أن أجيبك إلى ما تطلب فابغني كاتبا فأرسل اليه زياد ثلاثين كاتبا اختارهم فاختار منهم أبو الاسود أفضلهم وقال له خذ صبغا أحمر فاذا رأيتني فتحت شفتي بالحرف فانقط واحدة فوقه وإذا كسرت فانقط واحدة أسفله وإذا وإذا ضممت فاجعل النقطة بين يدي الحرف فاذا أتبعت شيئا من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين وأخذ يملي ، والكاتب يكتب وهو يتفقده حتى أتم المصحف

ولم يضع أبو الأسود علامة للسكون مكتفيا بان إهمال الشكل هو السكون وانتشرت طريقة أبي الأسود وزاد فيها الناس علامة للتنوين فوضعوا عليه نقطتين واحدة فوق واحدة وزاد أهل المدينة علامة التشديد فجعلوها قوسان ووضعوه فوق المشدد المفتوح وتحت المكسور وعن يسار المضموم ووضعوا نقطة الفتحة داخل القوس والكسرة تحت حدبته ، والضمة على شماله ثم استغنوا عن النقطة وقلبوا القوس مع الضمة والكسرة وأبقوه على اصله مع الفتحة .

وزاد أهل البصرة السكون فجعلوا السكون جرة أفقيه فوق الحرف منفصلة عنه هكذا [—]

---

(١) هم الأعجام .

ولم تتداول طريقة أبى الأسود إلا فى المصحف الشريف ، فلم تتجاوزه إلى غيره. ثم جاء الخليل بن أحمد فى عهد الدولة العباسية فغير صور الشكل وجعله على هيئة قريبة مما هو عليه الآن .

وضع النقط

كانت الحروف العربية خالية من النقط فالصاد والضاد ، والدال والذال ، والراء والزاى كل منها تكتب على صورة واحدة من النقط والأعجام

فاحتيج إلى تمييز الحروف المتشابهة بعضها عن بعض فجعل بعضها منقوطا بنقطة أو نقطتين أو ثلاث والبعض الآخر خاليا من النقط وذلك هو الأعجام ، فهو « تمييز الحروف المتشابهة بالنقط منعا للبس بينها » ، والأعجام من أعجمت الحرف إذا أزلت عجمته وبينته ولهذا تسمى حروف الهجاء العربية حروف المعجم ، وقد يخصص الأعجام بالحرف المنقوط إذا شاركه فى صورته الخطية حرف آخر مهمل فيقال خاء معجمة وحاء مهملة

واختلف فى الزمن الذى وضع فيه الأعجام ، فالبعض يقولون إنه كان فى الجاهلية للأدلة الآتية .

١ — عثر على كتب قبل زمن عبد الملك بن مروان فيها إعجام بعض الحروف

٢ — روى عن ابن عباس أن عامر بن جدرة هو الذى وضع الأعجام

٣ — على أنه لا يعقل أن تبقى الحروف العربية على صورة التباسها هذا إلى عهد بنى أمية فان ذلك يؤدى إلى الأفساد واللبس فى الكلام

ويقول آخرون إنه وضع فى عهد معاوية

ويقول سواهم إنه وضع فى عهد عبد الملك بن مروان ، ويروى أن الذى وضع الأعجام نصر بن عاصم وتبعه غيره فاتمه وانتشر بأمر الحجاج

قيل أزعج الحجاج ما كان يحدث من لبس فى تمييز حروف القرآن [1]

---

(١) كانوا يقرأون « ختار كفور » « جبار كفور » ، ويحرفون أشاء إلى أساء ، وعزة إلى غرة ، و « إياه » فيجعلونها أباه =

ففزع إلى كتابه ليضعوا علامات تميز الحروف المتشابهة بعضها عن بعض ، وندب لذلك نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر تلميذى أبى الأسود ، فنقطوا المصحف بصبغ من لون المداد الذى استعمل فى كتابة المصحف ، أما نقط الشكل فبقيت بالمداد الأحمر كما صنع أبو الأسود الدؤلى رحمه الله

ويقال إن النقط كان موجودا من قديم ولكن الناس أهملوه فظهر التصحيف فى القرآن حتى فزع الحجاج إلى نصر بن عاصم فوضع الأعجام

بدء تدوين العلوم

تمهيد :

ا — فى العصر الجاهلى لم تدون علوم ولا ثقافات لأمية العرب وبداوتهم وبعدهم عن الحضارة والعلوم والمعرفة

وفى عصر صدر الاسلام جمع القرآن الكريم أول مرة فى عهد أبى بكر ، فكان أول كتاب يكتب فى تاريخ العرب ، وشغلتهم الفتوحات وحرصهم على المحافظة على القرآن الكريم ودفع اللبس عنه عن التدوين كما صرفهم عنه قرب عهدهم من البداوة

فلما جاء العصر الأموى دعا المسلمين إلى تدوين العلوم دواع كثيرة وساعدهم على ذلك :

١ — بدء تحضرهم والحضارة تستلزم العلم دائما

= وفى ابن خلكان :

« ففزع الحجاج إلى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الأحرف المختلفة علامات تميزها بعضها عن بعض فيقال إن نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط أفرادا وأزواجا وخالف بين أماكنها فعبر الناس بذلك أزمانا لا يكتبون إلا منقوطا »

٢ — قربهم من الأمم المتحضرة ذات الثقافات القديمة كالفرس والروم ووصول بعض آثار حكمتهم وفلسفتهم وتاريخهم إلى المسلمين مكتوبة

٣ — وجود عناصر كثيرة — تعرف نظام التدوين — داخل الدولة الاسلامية، كالسريان والفرس وسواهما من العناصر الرومانية والأغريقية

٤ — انتشار الكتابة بينهم

وكان من أهم الأسباب فى تدوين العلوم المختلفة مايلى :

١ — حاجتهم إلى حفظ الشريعة وكتابها وعلومها

٢ — حاجتهم إلى المعارف القديمة سواء فى الطب أم فى الفلك أم فى غير ذلك من ألوان المعرفة

٣ — حاجتهم إلى العلوم المختلفة فى حفظ نظام الملك وسياسته، ولرغبتهم فى الوصول بدولتهم إلى حد بعيد، من الحضارة والرقى والثقافة، يحفزهم على ذلك القرآن الكريم ودينهم المجيد

ب - وكانت مراكز الثقافة الأسلامية فى هذا العصر كثيرة وأهمها المدينة ومكة والبصرة والكوفة ودمشق والفسطاط .

وكان بظاهر الكوفة «الكناسة» وبظاهر البصرة «المربد»، وهما سوقان أدبيان وعلميان رائجان، وكان المربد مألف الأشراف (١) وسنتكلم عليه بعد قليل

العلوم المدونة فى العصر الاموى :

سنحدثك عن أهم مادون فى العصر الأموى من العلوم وهى .

١ — التفسير، وقد رويت فيه روايات كثيرة عن رسول الله والصحابة

---

(١) ٢١٠ / العقد وروى عن الجارود قال : عليكم بالمربد فانه يطرد الفكر ويجلو البصر ويجلب الخبر ويجمع بين ربيعة ومضر [٢٢٣ / ١ البيان والتبيين للجاحظ]

رضوان الله عليه وكانوا يتناقلون ذلك ، وأول تفسير دون هو تفسير ابن عباس رحمه الله المتوفى عام ٦٨ هـ فى الطائف وطبع فى مصر فى المطبعة الأميرية عام ١٢٩٠ فى سفر واحد ، وهو مجموع روايات دونها ابن عباس

ويتصل بالتفسير قراءات القرآن وقد كثرت العناية بها فى العصر الأموى الذى عاش فيه كثير من القراء كابن كثير م ١٢٠ هـ وعاصم م ١٢٨ هـ ويزيد ابن القعقاع م ١٢٢ هـ .

هذا وللشيعة تفسير قديم ينسبونه إلى محمد الباقر بن على بن الحسين ، ويقال إن أول من دونه فى التفسير مجاهد م ١٠٤ هـ وهو غير موجود .

ولم ينضج هذا العلم إلا فى العصر العباسى .

٢ — الحديث : لم تكن تدون أحاديث رسول الله فى عهده ولا فى عهد أصحابه .

فلما كثرت الفتوحات والحروب الاسلاميه وكثرت الثورات والأحزاب السياسية والفرق الدينية ووضع بعض الناس أحاديث على رسول الله ويقال إن المهلب بن أبى صفرة كان يضع الأحاديث ليشد بها أمر المسلمين ويضعف أمر الخوارج (١) .

أخذ المسلمون فى التمييز بين الأحاديث الصحيحة والموضوعة ، واشتهر من المحدثين فى عصر بنى أمية : عاصم بن سليمان م ١٤١ بالكوفة ، وخالد الحذاء مولى قريش المتوفى عام ١٤١ هـ ، وشعبة بن الحجاج م ١٦١ ، وسواهم .

وأمر عمر بن عبد العزيز — بعد أن استخار الله أربعين يوما — ابن شهاب الزهرى أو ابن جريج أو أبا بكر بن حزم بجمع الحديث وتدينه ، فتم ذلك وبعث بنسخ منها إلى الأمصار .

---

(١) ابن خلكان ٢/١٤٦ .

٣ — النحو وقد سبق ذكر أمر وضعه وتدوينه وقد وضع الحضرمى كتابا فى الهمز .

٤ — الشعر الجاهلى ، أخذ الرواة والمؤدبون فى رواية الشعر الجاهلى وتدوين آثار منه ويقال إن أول من جمعه حماد الراوية ، ثم ألف فيه بعد ذلك المفضل كتابة « المفضليات » .

٥ — التاريخ ويقال إن معاوية استكتب رجلا من أهل اليمن اسمه عبيد ابن شرية الجرهمى . بعض أخبار الأوائل فكتبها له . فكان هذا أول كتاب دون فى التاريخ . وعنى الأمويون كذلك بعلم الانساب .

٦ — الفقه وقد اشتغل به فى العصرى الأموى جلة الصحابة والتابعين ، ويقال إن زيد بن على بن الحسين أملى كتابا فى الفقه وأنه أقدم كتاب فى هذا العلم فى الاسلام .

٧ — أما أصول الدين فيقال إن واصل بن عطاء ألف كتابا فى المرجئة وآخر فى التوبة وآخر فى معانى القرآن

٨ — وألف يونس بن حبيب كتبا فى الأغانى دون فيها أصول الألحان عن معبد وابن سريج .

٩ — وترجموا فى الطب والكيمياء ، فقد رأى عبد الملك بن مروان وهو أعلم الامويين بالادب وأفقههم فى الدين أوراقا فى الكيمياء نقلها خالد بن يزيد فقال له أف لك أنسب الملوك وهمة الموالى ؟ وكان خالد قد عنى بالكيمياء والطب وقيل أنه درس كتبهما عن رجل من السريان يدعى مريانوس وأنه أمر اسطفان القديم بترجمة هذه الكتب إلى العربية .

وبعد فلم تكن العلوم المدونة فى هذا العصر إلا مجموعة روايات لا أثر للتحقيق والدرس والبحث فيها ، ولكن لاضير من ذلك ، فقد كانت النواة الاولى لتدوين العلوم فى الاسلام .

وعلى الجملة ، فقد كان العرب ينظرون إلى تدوين العلوم نظرتهم إلى صناعة الحضر والموالى الصغيرة التى لا يصح لهم أن يحترفوها ، ويأنفون من الاشتغال بالكتب والأخذ بالتأليف والتدوين لأنه صناعة الموالى فى أيامهم .

أشهر مجامع العلم والأدب :

ا — كانت أهم مجامع العلم والثقافة فى الدولة الأموية هى : المدينة ومكة والبصرة والكوفة والفسطاط ودمشق .

أما المدينة فهى البلد الحرام وموطن رسول الله ومكان نشأته ومقر القرشيين وأبنائهم ، ولقد كانت فى العصر الأموى حافلة بالعلماء كمعاذ بن جبل وعبد الله ابن عباس وسفيان بن عيينة الذى أخذ عنه الشافعى قبل أن يتحول إلى المدينة .

وكانت من أهم مراكز الثقافة العربية الاسلامية منذ الهجرة ، فقد هاجر اليها النبي صلى الله عليه وسلم وعلم بها أكثر تعاليم الاسلام ، وكانت مقام كثير من الصحابة الذين تلقوا عن النبي ورووا أحاديثه ، وكان بها كثير من الموالى الذين أتى بهم أسرى من الممالك المفتوحة وأسلموا وتلقوا العلم من الصحابة ، وقد اشتهرت المدينة بالعلوم الدينية من تفسير للقرآن ومدارسة للحديث واستنباط الأحكام منها ، واشتهر من علمائها زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر بن الخطاب من الصحابة ، ثم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير بن العوام من التابعين ، ومن بعدهم كان الامام مالك بن أنس صاحب المذهب المشهور .

ولم تقتصر المدينة على الشهرة فى المسائل الدينية بل نبغ فيها كثير من رجال التاريخ كمحمد بن اسحاق والواقدى ، وهما يعدان من أشهر المصادر الأولى للسير والمغازى . وقد ساعد المدينة على بلوغها هذه المنزلة أنها كانت مقر الخلافة فى عهد الراشدين ومجتمع الموالى الذين سبوا من مختلف البلاد الاسلامية وأغلبهم من عناصر متحضرة .

وأما البصرة والكوفة : فهما أشهر مدن العراق ، والعراق قطر شهر من قديم بالحضارة ! تداولت عليه أمم كثيرة متمدنة وتركت فيه آثارها العلمية والفنية

وهو إلى ذلك قطر غنى خصب كثرت مياهه وخيراته ؛ وقد أسست هاتان المدينتان فى عهد عمر بن الخطاب ونزل بهما كثير من الصحابة ، واختلط فيها العرب بالموالى بالتزاوج والسكنى ، وأصبحتا بعد قليل من أكبر مراكز الحياة العلمية : فكان فى الكوفة عبد الله بن مسعود من الصحابة ، وشريح والشعبى وسعيد بن جبير من التابعين ، ثم أبو حنيفة النعمان إمام المذهب المنسوب إليه ، واشتهر من علماء البصرة أبو موسى الأشعرى وأنس بن مالك من الصحابة ، ثم الحسن البصرى وابن سيرين من التابعين ، واشتهرت هاتان المدينتان أيضا بالنبوغ فى علوم النحو واللغة ، وتفوقت البصرة فى ذلك فكان من علمائها أبو عمرو بن العلاء ، والخليل ابن أحمد ، والأصمعى ، واشتهر من الكوفيين الكسائى ، وكان بين المدينتين تنافس فى اللغة والأدب والصرف وعلم الكلام ، ولكل علماء يتعصبون لمذهبهم وينصرونه بحججهم ، وكان الكوفيون ، على الجملة ، أكثر استعمالا للقياس ، والبصريون أكثر إيثاراً للسماع .

وأما الفسطاط : فكانت فى مقدمة المدن الاسلامية التى أزهرت فيها علوم العرب الدينية واللغوية ، وأول من اشتهر بها من العلماء عبد الله بن عمرو بن العاص أحد كبار الصحابة ، ثم عبد الله بن لهيعة وهو من أكبر المصادر الذين يروى عنهم كثير من الأحداث التاريخية فى فتح العرب لمصر ، ثم الليث بن سعد احد الأئمة الذين يقرنون بمالك وأبى حنيفة لولا أن تلاميذه أضاعوا مذهبه ، ثم نزل بها الامام الشافعى ودرس فيها ووضع مذهبه الجديد . هذا وقد وفد على الفسطاط من الشعراء : جميل وكثير ونصيب وسواهم من الشعراء .

وأما دمشق فهى عاصمة الأمويين ومنارة العلم والثقافة ومقصد الناس من كل حدب وصوب ، وبها كثير من العلماء والأدباء والشعراء فوق من كانوا يفدون إليها من كل صوب رغبة فى الثقافة أو حرصا على مال الخلفاء والأمراء

وكان فى الشام معاذ وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وعمر بن عبد العزيز والأوزاعى ورجاء بن حيوة وسواهم .

. . .

وقد امتازت العراق بنشاط الأحزاب السياسية فيه وكثرة الفرق الدينية الناشئة .

واشتهرت مجامع العراق بتبريزها فى علوم اللغة وذلك :

١ — لشدة الاحتياج اليها فى العراق لفساد الملكات فيه بالاختلاط وكثرة عناصر الموالى بين ربوعه .

٢ — ولأنه موطن السريانية وكان للسريان قواعد منظمة فى اللغة والنحو .

وكان بين البصرة والكوفة منافسة شديدة فى الأدب والعلم ، ولكن شهرة البصرة كانت باللغة وعلومها من نحو وغيره وذلك لتبحرها فى العمران ولقربها من البادية التى عرف أهلها بالفصاحة وصدق اللهجة أما الكوفة فقد ذهبت شهرتها بعلوم الشعر وروايته .

وكانت مجامع المدينة أرق المجامع وأحفلها بالترف والغناء واللهو .

ب — وأما مجامع الأدب فكانت هى مجالس الخلفاء والأمراء والشعراء والأدباء ، واشتهر من بين ذلك كناسة الكوفة ومربد البصرة خاصة ، وسنحدثك عن مربد البصرة .

مربد البصرة :

ولمربد [1] البصرة أثر غير قليل فى اللغة والأدب والشعر فى العصر الأموى ولا بأس بالأطالة فى حديثه .

---

(١) هو على وزن منبر .

هو ضاحية من ضواحي البصرة ، في الجهة الغربية منها مما يلي البادية ، بينه وبين البصرة نحـــو ثلاثة أميال . كان سوقا للابل ، قال الاصمعى : « المربد كل شيء حبست به الابل والغنم ... وبه سميت مربد البصرة ، وانما كان موضع سوق الابل وهو واقع على طريق من ورد البصرة من البادية ومن خرج من البصرة اليها . ويظهر أنه نشأ سوقا للابل ، أنشأه العرب على طرف البادية يقضون فيه شؤونهم قبل أن يدخلوا الحضر او يخرجوا منه » .

وفى اللسان — فى مادة ب ص ر — وقال ابن شميل : البصرة ارض كأنها جبل من جص وهى التى بنيت بالمربد وانما سميت البصرة بصرة بها ، فكأن المربد كان موجودا فى الجاهلية

ولكن أخباره فى الجاهلية معدومة مما يدل على قلة خطره إذ ذاك ، أنما كان له الخطر بعد ان فتح العرب العراق وسكنوه وخططوا البصرة ، فقد أنشئت فيه المساكن بعد ان كان مربداً للابل فقط . وأتصلت العمارة بينه وبين البصرة حتى قالوا فيه : « العراق عين الدنيا ، والبصرة عين العراق ، والمربد عين البصرة »

وقد كان المربد فى الاسلام كما يقول أحمد أمين صورة معدلة لعكاظ ، كان سوقا للتجارة ، وكان سوقا للدعوات السياسية ، وكان سوقا للأدب جاء فى كتاب « مايعول عليه » : المربد كل موضع حبست فيه الابل . . . ومنه سمى مربد البصرة لاجتماع الناس وحبسهم النعم فيه — كان مجتمع العرب من الأقطار ، يتناشدون فيه الأشعار : ويبيعون ويشترون وهو « كسوق عكاظ » . وقال العينى : « مربد البصرة . . . محلة عظيمة فيها (أى فى البصرة) من جهة البرية فى ، كان يجتمع العرب فيها من الأقطار ويتناشدو الأشعار ويبيعون ويشترون »

كانت أهم أخبار المربد ما كان بعد قتل عثمان بن عفان من سير عائشة أم المؤمنين الى البصرة ، فانها نزلت بفناء البصرة ورأت أن تبقى خارجها حتى ترسل الى أهلها تدعوهم بدعوتها ؛ وهى المطالبة بدم عثمان وكان معها طلحة والزبير ، ثم سارت الى المربد معهما وخرج اليها من قبل دعوتها ، وخرج الى المربد كذلك عامل على على البصرة ، وهو عثمان بن حنيف ومن يؤيده ، وأصبح المربد وهو يموج بمن اتى

الحجـــاز ومن خرج من البصرة ، حتى ضاق المربد بمن فيه ، ورأينا المربد مجالا للخطباء ممن يؤيد عائشة ومن معها ، ومن يؤيد عليا وعامله . أصحـاب عائشة فى ميمنة المربد وأصحاب على فى ميسرته : ويخطب فى المربد طلحة ويمدح عثمان بن عفان ويعظم ماجنى عليه ويدعو الى الطلب بدمه ، ويخطب الزبير كذلك وتخطب عائشة أم المؤمنين بصوتهـا الجهورى ويؤيدهم من فى ميمنة المربد ، ويقولون صـــدقوا وبروا وقالوا الحق وأمروا بالحق ، ويؤثر قول عائشة فى أهل الميسرة فينحاز بعضهم اليها ويبقى الآخرون على رأيهم وعلى رأسهم عـثمان بن حنيف ، ويخطبون كذلك يبينون خطأ هـذه الدعوة وأن طلحة والزبير بايعا عليا فلا حق لهما فى الخروج عليه ، ويؤيدهم أبو الأسود الدؤلى وأمثاله

وهكذا انتقل المربد الى مجمع حافل ، كبير

وكان العصر الأموى ازهى عصور المربد ، ، ذلك لأن العرب كانوا قدهدءوا من الفتح واستقرت الممالك فى ايديهم ، واصبح العراق مقصد العرب يؤمه من اراد الغنى وخاصة البصرة جاء فى الطبرى « ان عمر بن الخطاب سأل أنس بن حجة وكان رسولا الى عمر من العراق فقال له عمر كيف رأيت المسلمين ؟ فقال انثالت عليهم الدنيافهم يهيلون الذهب والفضة ، فرغب الناس فى البصرة فأتوها » وكان المربد باب البصرة يمر به من أرادها من البادية . ويمر به من خرج من البصرة الى البـــادية ، ويقطنه قوم من العرب كرهوا معيشة المدن ويقصده سكان البصرة يستنشقون منه هواء البادية ، فـكان ملتقى العرب ، وكانوا يحيون فيه حياة تشبه حياة الجاهلية من مفاخرة بالأنساب وتعاظم بالكرم والشجاعة ، وذكر لما كان بين القبائل من أحن ، فالفرزدق يقف فى المربد ينهب أمواله فعل كرماء الجاهلية « حكى فى النقائض أن زياد بن أبى سفيان كان ينهى أن ينهب أحدمال نفسه ، وأن الفرزدق أنهب أمواله بالمربد ، وذلك أن أباه بعث معه ابلا ليبيعها فباعها وأخذ ثمنها فعقد عليه مطرف خز كان عليه ، فقال قائل لشد ماعقدت على دراهمك هذه ، أما والله لو كان غالب مافعل هذا الفعل فحلها ثم أنهبها . وقال من أخذ شيئا فهو له وبلغ ذلك زيادا فبالغ فى طلبه فهرب . . . فلم يزل فى هربه يطوف فى القبائل والبلاد حتى مات زياد .

وأراد عرب البصرة أن يكون لهم من مربد البصرة ما كان لهم فى سوق عكاظ فى الحجاز فبلغوا غايتهم ، وأحيوا العصبية الجاهلية ، وساعد الخلفاء الأمويين أنفسهم على إحيائها لما كانوا يستفيدون منها سياسيا ، فرأينا ظل ذلك فى الأدب والشعر ، ورأينا المربد فى العصر الأموى يزخر بالشعراء يتهاجون ويتفاخرون ، ويعلى كل شاعر من شأن قبيلته ومذهبه السياسى ، ويضع من شأن غيره من الشعراء ومذاهبهم السياسية .

ومن أجل هذا خلف المربد أجل شعر أموى من هذا النوع ، فكثير من نقائض جرير والفرزدق والأخطل كانت أثراً من آثار المربد قيلت فيه وصدرت عما كان بينهم من منافرة وخصومة ، يروى الأغانى أن جريرا والفرزدق اجتمعا فى المربد فتنافرا وتهاجيا وحضرهما العجاج والأخطل وكعب بن جعيل .

كان كل من جرير والفرزدق يلبس لباسا خاصا ويخرج إلى المربد ويقول قصائده فى الفخر والهجاء ، والرواة يحملون إلى كليهما ما قاله الآخر فيرد عليه . قال أبو عبيدة « وقف جرير بالمربد وقد لبس درعا وسلاحا تاما ، وركب فرسا أعاره إياه أبو جهضم عباد بن حصين . فبلغ ذلك الفرزدق فلبس ثياب وشى وسوارا وقام فى مقبرة بنى حصن ينشد بجرير والناس يسعون فيما بينهما بأشعارهما فلما بلغ الفرزدق لباس جرير السلاح والدرع قال :

عجبت لراعى الضأن فى حطمية ... وفى الدرع عبد قد أصيبت مقاتله

ولما بلغ جرير أن الفرزدق فى ثياب وشى قال :

لبست سلاحى والفرزدق لعبة ... عليه وشاحا كرج وجلاجله[1]

وما زالا كذلك يتهاجيا ويقولان القصائد الطويلة الكثيرة حتى ضج والى البصرة فهدم منازلها بالمربد فقال جرير :

فما فى كتاب الله تهديم دارنا ... بتهديم ماخور خبيث مداخله

---

(١) الأغاني ٤ - ١٢٢

وكان لكل شاعر من شعراء المربد حلقة ينشد فيها شعره وحوله الناس يسمعون منه ، جاء فى الأغانى « وكان لراعي الابل والفرزدق وجلسائهما حلقة بأعلى المربد بالبصرة .

وكان الناس يخرجون كل يوم الى المربد ، يعرف كل فريق مكانه فيجلس فيه ينتظر شاعره ، فقد روى الاغانى أيضا أن جريرا بات يشرب باطية من نبيذ ويهمهم بالشعر وهجاء الفرزدق والراعى ، فما زال كذلك حتى كان السحر وقد قالها ثمانين بيتا فى بنى نمير فلما ختمها بقوله :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

كبر ثم أصبح حتى عرف أن الناس قد جلسوا فى مجالسهم بالمربد ـ وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق دعاهن ولف رأسه ودعا غلامه فأسرج له حصانا وقصد مجالسهم وأنشدها فنكس الفرزدق وراعى الابل .

ونرى بجانب هؤلاء الفحول أعنى جريرا والفرزدق والأخطل طائفة أخرى من كبار الرجاز يقصدون المربد وينشدون رجزهم ، فالعجاج الراجز يخرج الى المربد عليه جبة خزوعمامة خز على ناقة له قد أجاد رحلها ويقف بالمربد على الناس مجتمعين ، يقول رجزه المشهور :

« قد جبر الدين الأله فجبر »

ويهجو شاعر ربيعة فيأتى رجل من بكر بن وائل الى أبى النجم ويستحثه على الرد عليه فيخرج أبو النجم الى المربد ويقول رجزه :

« تذكر القلب وجهلا ما ذكر »

ورؤبة الرجاز ينشد رجزه :

« وقاتم الاعماق خاوى المخترق »

ويجمع حوله فتيان تميم فيرد عليه أبو النجم فى رجزه :

« اذا اصطبحت أربعا عرفتنى »

كذلك نرى ذا الرمة يقف بالمربد وعليه جماعة مجتمعة وهوقائم وعليه برد قيمة ما ئتادينار ، وينشد ودموعه تجرى على لحيته .

« مابال عينك منها الماء ينسكب »

وينشد كذلك بعض قصائده فيقف خياط فينقد شعره نقدا شديدا ويسخف بعض تشبيهاته ، فيمتنع ذو الرمة عن الذهاب الى المربد حتى يموت الخياط . والأمراء والولاة قد يتدخلون فيسكتون بعض الشعراء . وقد يهيجون بعضهم على بعض خدمة لأغراض حزبية أو سياسية فعبد الملك بن مروان يأمر أبا النجم بالمفاخرة مع الفرزدق وعباد بن حصين ويعين جريرا على الفرزدق ويعير جريرا الدرع والفرس والسلاح .

وهكذا كان المربد فى العهد الأموى معهدا كبيرا أنتج أدبا غزيرا من جنس خاص . وكان هذا الشعر امتدادا للشعر الجاهلى . لاتحاد الأسباب والبواعث فأما الشعر الغزلى كشعر عمر بن أبى ربيعة وأمثاله فليس له كبير أثر فى المربد لأنه فوق والمهاجاة والمفاخرة . فليس مجاله حياة المربد التى وصفناها .

وبقى المربد فى العصر العباسى . ولكنه كان يؤدى غرضا آخر غير الذى كان يؤدى فى العهد الأموى . ذلك أن العصبية القبلية ضعفت فى العصر العباسى بمهاجمة الفرس للعرب . وأحس العرب بما هم فيه جميعا من خطر من حيث هم أمة لافرق بين عدنانيهم وقحطانيهم ، فقوى نفوذ الفرس وغلبوا العرب على أمرهم . وبدأ الناس فى المدن كالبصرة يحيون حياة اجتماعية هى أقرب الى حياة الفرس من حياة العرب : وانصرف الخلفاء والأمراء عن مثل النزاع الذى كان يتنازعه جرير والفرزدق والأخطل وظهرت العلوم تزاحم الأدب والشعر ، وفشا اللحن بين الموالى الذين دخلوا فى الاسلام ، وأفسدوا حتى على العرب الخالصة لغتهم ، فتحول المربد يؤدى غرضا يتفق وهذه الحياة الجديدة . كما يقول أحمد أمين

أصبح المربدغرضا يقصده الشعراء لا ليتهاجوا ، ولكن ليأخذوا عن أعراب المربد الملكة العربية ، يحتذونهم ويسيرون على منوالهم ، فيخرج الى المربد بشار وأبو نواس وأمثالها ، ويخرج الى المربد اللغويون يأخذون اللغة عن أهله ويدونون ما يسمعون ، روى القالي في الامالى عن الاصمعي ، قال : « جئت الى أبى عمرو

ابن العلاء فقال لى من أين أقبلت يا أصمعى ؟ قال جئت من المربد ، قال هات ما معك ، فقرأت عليه ما كتبت فى ألواحى ، فمرت به ستة أحرف لم يعرفها ، فخرج يعدو فى الدرجة وقال : شمرت فى الغريب - أى غلبتنى » .

والنحوين يخرجون إلى المربد يستمعون من أهله ما يصحح قواعدهم ويؤيد مذاهبهم ، فقد اشتد الخلاف بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة فى النحو وتعصب كل لمذهبه ، وكان أهم مدد لمدرسة البصرة هو المربد وفى تراجم النحاة تجد كثيرا منهم كان يذهب إلى المربد يأخذ عن أهله . ويخرج الآدباء الى المربد يأخذون الأدب من جمل بليغة وشعر بليغ وأمثال وحكم ، مما خلفه عرب البادية وتوارثوه عن آبائهم ، كما فعل الجاحظ ، يقول ياقوت : أن الجاحظ أخذ النحو عن الأخفش واخذ الكلام عن النظام وتلقف الفصاحة من العرب شفاها بالمربد (٥٦/٦ ياقوت) وبذلك كان المربد مدرسة من نوع آخر تغير برنامجها فى العصر العباسى عن برنامجها فى العهد الأموى وأدت رسالة فى هذا العصر تخالف رسالتها فى العصر السابق .

وفى ثورات الزنج التى ظهرت فى فرات البصرة والتى بدأت سنة ٢٥٥ ﻫ حدث قاتل بالمربد بين الزنج وجيش الخليفة ، فاحترق المربد

ويقول ياقوت « إن المربد كان سوقا للابل ، ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس وهو الآن : بائن عن البصرة ، بينهما نحو ثلاثة أميال ، وكان ما بين ذلك كله عامراً وهو الآن خراب ، فصار المربد كالبلدة المفردة فى وسط البرية » :

ثم عفا أثر المربد ، ولم نعد نجد له ذكرا ذا قيمة ، وأخنى عليه الذى أخنى على عكاظ ، كما يقول الاستاذ احمد أمين .

عناية الخلفاء والأمراء باللغة والأدب

ولقد اشتدت فى هذا العصر عناية الخلفاء والأمراء باللغة والأدب وتجلت فى مظاهر شتى .

١ — إحياء الأدب الجاهلى . إحياء للعصبية وبعثالها أو بدافع منها ، وإرواء لغاتهم الأدبية . وبذل الأموال لعلماء اللغة والأدب فى سبيل ذلك .

٣ — عقد المجالس الأدبية العامة التى تمس الأدب والشعر والنقد ، ويكون حظ كل ذلك من رعايتهم موفوراً .

٤ — كما بذلوا الكثير من عنايتهم فى سبيل المحافظة على اللغة وتدوين النحو ووضع النقط والشكل ونقل دواوين الخراج إلى العربية .

٥ — إتخاذ الخليفة شاعرا له يقربه منه ويصطفيه .

٦ — رعاية الكتابة واتخاذ أعلامها كتابا فى ديوان رسائل الخلفاء .

٧ — تسامحهم مع الشعراء وإطلاق الحرية لهم .

٨ — تشجيع الشعراء ورعايتهم ، جلبا لمدحهم ، ونشرا لمناقبهم ، وتوطيدا لملكهم وإحياء لمفاخرهم ومآثر آبائهم .

٩ — إغداق العطاء على الشعراء دون حساب

فقد اعطى عبد الملك اعرابيا وصف ناقته مائة بعير وأعطى آخر وصف المطر ألف درهم وأعطى الوليد بن عبد الملك امرأة وصفت الغيم بعد المحل مائة دينار ، وأعطى سليمان فرسه وما يحمله ويتجمل به لرجل أحسن وصف الفرس وأشباه ذلك كثير .

وكان للشعراء النصيب الأوفى من عناية هؤلاء الخلفاء لأنهم كانوا أشد الناس إذكاء للعصبية وتأليفا لقلوب العرب وسيوفهم على نصرة بنى أمية فكان لهم أعطيات فى بيت المال كل حسب طبقته ومنزلته وأثره فى مدح الدولة والذود عنها . كل ذلك بينما شعراء بنى هاشم وشيعتهم يستلهمون وحى الشعر من حب أبناء الرسول صلى

الله عليه وسلم أكثر مما كانوا يستمدونه من أموالهم وأفعالهم ومن هذين المددين : المـــال والمودة ازدهر هذا العهد بالشعر أكثر مما ازدهر به أى عهد سواه

كان خلفاء بنى أمية يذكون العصبية العربية بكل مالديهم من قوة ومال وكان من أكبر وسائل الاذكاء احياء ماخلفه العرب من شعر وحكمة وخطب وكان أكثر هؤلاء الخلفاء من أقطاب العلم والادب فكانوا يستقبلون فى كل آونة رؤساء العشائر وخطباءها وشعراءها ومن إلى هؤلاء ممن يؤيدون بهم الملك ، ويؤازرون بهم الجماعة ، ويشدون بهم الاعضاد وكانوا يستمعون لما يلقيه هؤلاء وما ينقلونه من اسلافهم من مأثور القول ، ويثيبون عليه ثوابا كريما .

كما كان من الأمراء والرؤساء والقـــادة والولاة من كانوا يغالون فى هبات الشعراء والخطباء إلى أبعد حد عرف من كرم العطاء .

ومن هؤلاء عبد الله بن العباس ، وعرابة الأوسى وطلحة الخزاعى ، والحجاج الثقفى ، وخالد القسرى ، والمهلب بن أبى صفرة الازدى . وسواهم

ولابدع فى ذلك فهم عرب يهزهم البيان وتسحرهم البلاغة ، ومنهم من كان يتذوق الشعر ويفهمه وينقده كعبد الملك بن مروان ، فوق البواعث السياسية والاجتماعية والدينيه ، التى كانت تدعوهم الى العناية بالأدب والشعر واللغة

وقد كان الخلفاء والأمراء وغيرهم يحثون النـــاس على طلب الأدب والشعر واللغة .

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : عليكم بطلب الأدب فانكم إن احتجتم إليه كان لكم مالا وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالا وقال شبيب بن شيبة : اطلبوا الأدب فانه مادة العقل ودليل عن المروءة. وقال معاوية . اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم ٤١ / ٢ وفيات الأعيان

نماذج لعنايتهم فى الأدب .

١ — قال هشام بن عبدالملك لشبة بن عقال ، وعنده جرير والفرزدق والأخطل وهو يومئذ أمـــير : ألا تخبرنى عن هؤلاء الذين قدمزقوا أعراضهم ، وهتكوا أستارهم ، وأغروا بين عشائرهم فى غير خير ولا بر ولا نفع ، أيهم أشعر ؟

فقال ه شبة : أما جرير فيغرف من بحر ، وأما الفرزدق فينحت من صخر ، وأما الأخطل فيجيد المدح والفخر .

فقال هشام : ما فسرت لنا شيئاً نحصله ! فقال : ما عندى غير ما قلت !

فقال لخالد [١] بن صفوان : صفهم لنا يابن الأهتم ، فقال : أما أعظمهم فخراً ، وأبعدهم ذكرا ، وأحسنهم عذراً : وأسيرهم مثلا ، وأقلهم غزلا ، وأحلاهم عللا ، الطامى [٢] إذا زخر ، والحامى إذا زأر ، والسامى إذا خطر ، الذى إن هدر [٣] قال وإن خطر صال : الفصيح اللسان ، الطويل العنان ، فالفرزدق .
وأما أحسنهم نعتاً ، وأمدحهم بيتاً ، وأقلهم فوتاً الذى إن هجا وضع (٤) ، وإن مدح رفع ، فالأخطل .

وأما أغزرهم بحراً ، وأرقهم شعراً ، وأهتكهم لعدوه ستراً ، الأغر الأبلق ، الذى إن طلب لم يسبق ، وإن طلب لم يلحق ، فجرير . وكلهم ذكى الفؤاد ، رفيع العماد ، وارى الزناد .

فقال له مسلمة بن عبد الملك : ما سمعنا بمثلك ياخالد فى الأولين ، ولا رأينا فى الآخرين ، وأشهد أنك أحسنهم وصفاً ، وألينهم عطفاً ، وأعفهم مقالا ، وأكرمهم فعالا .

فقال خالد : أتم الله عليكم نعمه ؛ وأجزل لديكم قسمه [٥] ، وآنس بكم

---

* الأغانى ص ٨١ ج ٨ ، معجم الأدباء ص ٢٥ ج ١١

(١) أحد فصحاء العرب وخطبائهم ، وهو مشهور برواية الأخبار ، وكان يجالس هشام بن عبد الملك ولكنه كان بخيلا ، وتوفى سنة ١٣٥ هـ

(٢) الطامى : من طمى الماء إذا ارتفع وملأ النهر ، وزخر البحر : امتلأ

(٣) هدر البعير : ردد صوته فى حنجرته ، وهدر الحمام : كرر صوته

(٤) خفض

(٥) القسم : جمع قسمة ، وهي الرزق وما قسم

الغربة ، وفرج بكم الكربة . وأنت ، والله — ما علمت أيها الأمير — كريم الغراس ، عالم بالناس ، جواد فى المحل ، بسام عند البذل ، حليم عند الطيش ، فى ذروة [١] قريش ولباب [٢] عبد شمس ، ويومك خير من أمس .

فضحك هشام وقال : ما رأيت كتخلصك يابن صفوان فى مدح هؤلاء ووصفهم حتى أرضيتهم جميعاً وسلمت منهم !

٢ — وقحطت [٣] البادية فى أيام هشام بن عبد الملك ، فقدمت العرب من أحياء القبائل ، فجلس هشام لرؤسائهم فدخلوا عليه ، وفيهم درواس بن حبيب وله أربع عشرة سنة ، عليه شملتان وله ذؤابة . فأحجم القوم وهابوا هشاما ووقعت عين هشام على درواس فاستصغره ، فقال لحاجبه : ما يشاء أحد أن يصل إلى إلا وصل حتى الصبيان ؟ !

فعلم درواس أنه يريده ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن دخولى لم يخل بك شيئا ولقد شرفنى ، وإن هؤلاء القوم قدموا لأمر أحجموا دونه ، وإن الكلام نشر ، والسكوت طى ، ولا يعرف الكلام إلا بنشره . فقال هشام : فانشر لا أبا لك ! ! وأعجبه كلامه .

فقال : أصابتنا ثلاث سنين ، سنة أذابت الشحم ، وسنة أكلت اللحم ، وسنة نقت [٤] العظم ، وفى أيديكم فضول أموال : إن كانت لله ففرقوها على عباده المستحقين لها : وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم ؟ وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم ، فإن الله يجزى المتصدقين ، ولا يضيع أجر المحسنين ، واعلم يا أمير المؤمنين أن الوالى من الرعية كالروح من الجسد ، لا حياة للجسد إلا به .

فقال هشام : ما ترك الغلام فى واحدة من الثلاث عذراً . وأمر أن يقسم فى باديته مائة ألف درهم ، وأمر لدرواس بمائة ألف درهم . فقال : يا أمير المؤمنين ،

---

(١) ذروة : أعلى (٢) لباب : خلاصة .

(٣) لباب الآداب ص ٣٥٣

(٤) النقى : مخ العظام وشحمها ، ونقى العظم : استخرج نقيه .

أرددها إلى أعطية أهل باديتي ، فإني أكره أن يعجز ما أمر لهم به أمير المؤمنين عن كفايتهم . قال : فما لك من حاجة تذكرها لنفسك ؟ قال : مالي من حاجة دون عامة المسلمين ! !

ولما عاد درواس إلى منزله بعث إليه هشام بمائة ألف درهم ، ففرقها في تسعة أبطن من العرب ، لكل بطن عشرة آلاف ، وأخذ هو عشرة آلاف ، فقال هشام : إن الصنيعة عند درواس لتضعف على سائر الصنائع [١] !

٣ — وسأل[٢] يوماً عبد الملك[٣] بن مروان : من أشجع الناس شعراً ؟ فقيل : عمرو بن معد يكرب . فقال : كيف ! وهو الذي يقول :

فجاشت [٤] إلى النفس أول مرة ... فردت على مكروهها فاستقرت

قالوا : فعمرو بن الاطنابة . فقال : كيف ! وهو الذي يقول :

وقولي كلما جشأت [٥] وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي

قالوا : فعامر بن الطفيل . قال كيف ! وهو الذي يقول :

أقول لنفس لا يجاد بمثلها ... أقلي مراحاً إنني غير مدبر

قالوا : فمن أشجعهم عند أمير المؤمنين ؟ قال : أربعة ، عباس بن مرداس السلمي ، وقيس بن الخطيم الأوسي ، وعنترة بن شداد العبسي ، ورجل من بني مزينة ، أما عباس فلقوله :

أشد على الكتيبة لا أبالي ... أفيها كان حتفي أم سواها

---

(١) جمع صنيعة ، وهي المعروف والاحسان .

(٢) مجمع الأمثال ص ٢٢ ج ٢

(٣) كان عبد الملك بن مروان لبيباً عاقلا جباراً ، قوي الهيبة ، شديد السياسة حسن التدبير تولى الخلافة سنة ٦٥ هـ فوطد أركانها ، وقتل ابن الزبير وأخاه مصعباً ، وكافح حتى استقرت له الأمور ومات سنة ٨٦ هـ

(٤) جاشت النفس : اضطربت من الفزع وأصل جاشت : غثت وفاضت

(٥) ارتفعت من حزن أو فزع .

وأما قيس بن الخطيم فلقوله :

وإنى لدى الحرب العوان موكل   بتقديم نفس لا أريد بقاءها

وأما عنترة بن شداد فلقوله :

إذ يتقون بى الأسنة لم أخم [1]   عنها ولكن قد تضايق مقدمى [2]

وأما المزنى فلقوله :

دعوت بنى قحافة فاستجابوا   فقلت : ردوا فقد طاب الورود

٤ — وحدث أحد الرواة فقال [3] :

دخل علينا كثير [4] يوماً وقد أخذ بطرف ريطته [5] ، وألقى طرفها الآخر وهو يقول : هو والله أشعر الناس حيث يقول :

وخبر تمانى أن تيماء [6] منزل   لليلى إذا ما الصيف ألقى المراسيا

فهذى شهور الصيف عنى قد انقضت   فما للنوى ترمى بليلى المراميا ؟

ويجر ريطته حتى يبلغ إلينا ، ثم يولى عنا ويجرها ويقول : هو والله أشعر الناس حيث يقول :

وأنت التى إن شئت كدرت عيشى   وإن شئت بعد الله أنعمت باليا

وأنت التى ما من صديق ولا عدا   يرى نضو ما أبقيت إلا رثى ليا

ثم يرجع إلينا ويقول : هو والله أشعر الناس ، فقلنا : من تعنى يا أبا صخر ؟ فقال : ومن أعنى سوى جميل ! هو والله أشعر الناس حيث يقول هذا !

---

(١) أخم : أجبن

(٢) تضايق مقدمى : تضايق الموضع الذى هو قدامى من أن يدنوه أحد .

(٣) الأغانى ص ١٢٥ ج ٨

(٤) كثير بن عبد الرحمن شاعر من أهل الحجاز ، أخباره مع عزة كثيرة ، توفى سنة ١٠٥ هـ

(٥) الريطة : كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد وقطعة واحدة

(٦) تيماء : منزل لبنى عذرة .

٥ — وقال(١) عبد الملك بن مسلم : كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج : إنه لم يبق شيء من لذة الدنيا إلا وقد أصبت منه ، ولم يبق لى إلا مناقلة (٢) الإخوان الأحاديث ، وقبلك عامر الشعبى(٣) ، فابعث به إلى يحدثنى.

فدعا الحجاج بالشعبى وجهزه ، وبعث به إليه ، وأطراه فى كتابه .

فخرج الشعبى ، حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب : استأذن لى ، فقال : ومن أنت ؟ قال : عامر الشعبى ، قال : حياك الله ! ثم نهض ، وأجلسه على كرسيه ، فلم يلبث أن خرج الحاجب إليه فقال : أدخل .

قال الشعبى : فدخلت فاذا عبد الملك جالس على كرسى ، وبين يديه رجل أبيض الرأس واللحية على كرسى ، فسلمت فرد السلام ، ثم أومأ إلى ، فقعدت عن يساره ثم أقبل على الذى بين يديه فقال : ويحك ! من أشعر الناس ؟ قال : أنا ياأمير المؤمنين ! فأظلم على ما بينى وبين عبد الملك ، ولم أصبر أن قلت : ومن هذا ياأمير المؤمنين الذى يزعم أنه أشعر الناس ! فعجب عبد الملك من عجلتى قبل أن يسألنى عن حالى ، ثم قال : هذا الأخطل ! فقلت : ياأخطل أشعر منك الذى يقول (٤) :

هذا غلام حسن وجهه   مقتبل الخير سريع التمام
للحارث الأكبر والحارث الأصغر والحارث خير الأنام
ثم لهند ولهند ، فقد   أسرع فى الخيرات منه إمام

---

(١) أمالى المرتضى ص ١٠١ ج ٣ ، خزانه الأدب ص ١١٨ ج ٢ ، الأغانى ص ١٦٢ ج ٩

(٢) المناقلة فى المنطق : أن تحدثه ويحدثك

(٣) هو عامر بن شراحيل كوفى المنشأ ، تابعى جليل القدر وافر العلم ، يقال أنه أدرك خمسمائة من الصحابة توفى سنة ١٠٣ هـ

(٤) قال النابغة هذا الشعر حين نظر إلى النعمان بن الحارث أخى عمرو بن الحارث الأصغر ابن الحارث الأعرج ابن الحارث الأكبر ابن أبى شمر (مهذب الأغانى ص ٢٣٠ ج ٢) .

خمسة آباء هم ما هم ... هم خير من يشرب صوب الغمام

فقال عبد الملك : رددها علي ، فرددتها حتى حفظها ، فقال الأخطل : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذا الشعبي ، قال : صدق ، والله النابغة أشعر مني !

قال الشعبي : ثم أقبل على عبد الملك فقال : كيف أنت ياشعبي ؟ قلت : بخير — لا زلت به — ثم ذهبت لأصنع معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد الأشعث .

فقال : مه ! فانا لانحتاج إلى هذا المنطق ، ولا تراه منا في قول ولا فعل حتى تفارقنا ، ثم أقبل علي فقال : ماتقول في النابغة ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، قد فضله عمر بن الخطاب في غير موطن على جميع الشعراء ؛ وذاك أنه خرج يوماً وببابه وفد غطفان ، فقال : يامعشر غطفان ، أي شعرائكم الذي يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب
ألم تر أن الله أعطاك سورة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب
كأنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة ... لمبلغك الواشي أغش وأكذب
ولست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث ، أي الرجال المهذب !

قالوا : النابغة ، قال ، فأيكم الذي يقول :

فانك كالليل الذي هو مدركي ... وإن خلت أن المنتأى عنك واسع
خطاطيف (١) حجن في حبال متينة ... تمد بها أيد إليك نوازع

قالوا : النابغة ، قال : أيكم الذي يقول

إلى ابن محرق أعملت نفسي ... وراحلتي وقد هدت العيون
أتيتك عارياً خلقا ثيابي ... على خوف تظن بي الظنون
فألفيت الأمانة لم تخنها ... كذلك كان نوح لا يخون

---

(١) الخطاف : حديدة حجناء تعقل بها البكرة والحجن . الاعوجاج (اللسان مادة خطف)

قالوا : النابغة ، قال . هذا أشعر شعرائكم . ثم أقبل عبد الملك على الأخطل فقال : أتحب أن لك قياضاً [1] بشعرك شعر أحد من العرب ، أو تحب أنك قلته فقال : لا والله ، إلا أني وددت أني كنت قلت أبياتا قالها رجل منا ، كان والله مغدف [2] القناع ، قليل السماع ، قصير الذراع ، قال وما قال ؟ فأنشده .

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل ... وإن بليت وإن طالت [3] بك الطول
ليس الجديد به تبقى بشاشته ... إلا قليلا ولا ذو خلة يصل
والعيش لا عيش إلا ماتقر به ... عين ولا حال إلا سوف تنتقل
والناس من يلق خيراً قائلون له ... مايشتهي ولام المخطئ الهبل
قد يدرك المتأني بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل

قال الشعبي : قد قال القطامي أفضل من هذا ، قال . وما قال ؟ قلت : قال .

طرقت جنوب رحالنا من مطرق ... ما كنت أحسبه قريب المعنق

حتى أتيت على آخرها ، فقال عبد الملك : ثكلت القطامي أمه ، هذا والله الشعر ، ثم قال : ياشعبي ، أي شعراء الجاهلية كان أشعر من النساء ؟ قلت : خنساء قال ؛ ولم فضلتها على غيرها ؟ قلت . لقولها :

وقائلة والنعش قد فات خطوها ... لتدركه يالهف نفسى على صخر
ألا ثكلت أم الذين غدوا به ... إلى القبر ، ماذا يحملون إلى القبر !

فقال عبد الملك : أشعر والله منها ليلى الأخيلية حيث تقول :

مهفهف الكشح والسربال منخرق ... عنه القميص لسير الليل محتقر
لا يأمن الناس ممساه ومصبحه ... فى كل حى وإن لم يغز ينتظر

ثم قال عبد الملك : يا شعبي لعله شق عليك ما سمعته ، فقلت : أى والله ياأمير المؤمنين أشد المشقة ، إنى قد حدثتك فلم أفدك إلا أبيات النابغة فى الغلام .

---

(١) المقايضة . المبادلة والمعارضة
(٢) أغدف قناعه . أرسله على وجهه
(٣) يقال . طال طولك ، أى عمرك .

ثم قال عبد الملك : ياشعبى ؛ إنما أعلمناك هذا ، لأنه بلغنى أن أهل العراق يتطاولون على أهل الشام ويتمولون . إن كانوا غلبونا على الدولة ، فلن يغلبونا على العلم والرواية ، وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق . ثم ردد على أبيات ليلى حتى حفظتها ، وأذن لى فانصرفت ، فكنت أول داخل وآخر خارج .

٦ — وقال * الشعبي . دخلت على عبد الملك بن مروان فى علته التى مات فيها فقلت : كيف تجدك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ياشعبي : أصبحت كما قال عمرو بن قميئة (١) :

كأنى وقد جاوزت تسعين حجة ... خلعت بها عنى عنان (٢) لجامى
رمتنى بنات الدهر من حيث لاأرى ... فكيف بمن يرمى وليس برام
فلو أننى أرمى بنبل رميتها ... ولكننى أرمى بغير سهام
وأهلكنى تأميل يوم وليلة ... وتأميل عام بعد ذاك وعام
على الراحتين تارة وعلى العصا ... أنوء ثلاثاً بعدهن قيامى

فقلت : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كما قال لبيد ، وقد بلغ سبعين حجة :

كأنى وقدجاوزت سبعين حجة ... خلعت بها عن منكبى ردائيا

فلما بلغ سبعا وسبعين قال :

باتت تشكى إلى النفس مجهشة (٣) ... وقد حملتك سبعا بعد سبعينا

---

* الأغانى ص ١٥٩ ج ١٦ ، مذهب الأغانى ص ٦٢ ج ٢ ، العقد الفريد ص ١٤٨ ج ١ طبعة المطبعة الأميرية .

(١) فى العقد الفريد «زهير» .

(٢) عنان اللجام . السير الذى يشد به

(٣) الجهش والاجهاش : أن يفزع الانسان إلى غيره ، وهو مع ذلك كأنه يريد البكاء

فان تزادی ثلاثا تبلغی أملا   وفی الثلاث وفاء للثمانيا

فلما بلغ مائة سنة قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها   وسؤال هذا الخلق كيف لبيد ؟

فلما بلغ مائة سنة وعشرا قال :

أليس ورائی إن تراخت منيتی   لزوم العصا تحنی عليها الأصابع

أخبر أخبار القرون التی خلت   أدب كأنی كلما قمت راكع

فلما بلغ ثلاثين ومائة سنة ، وقد حضرته الوفاة قال .

تمنى ابنتای أن يعيش أبوهما   وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

فان حان يوما أن يموت أبوكما   فلا تخمشا وجها ولا تحلقا الشعر

وقولا . هو المرء الذی لا صديقه   أضاع ولا خان الخليل ولا غدر

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما   ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر[1]

قال الشعبی . فتبسم عبد الملك وقال . لقد قويت من نفسی بقولك ياعامر ، وإنی لأجد خفا وما بی من يأس ، وأمر لی بصلة . وقال لی اجلس ياشعبی فحدثنی ما بينك وبين الليل . فجلست فحدثته حتی أمسيت وخرجت من عنده ، فما أصبحت حتی سمعت الواعية[2] فی داره .

٧ وقال[3] حماد[4] الراوية . كان انقطاعی إلى يزيد بن عبد الملك . فكان هشام يجفونی لذلك دون سائر أهله من بنی أمية فی أيام يزيد ، فلما مات

---

(١) اعتذر . أتی بعذر (٢) الواعية . الصراخ والصوت .

(٣) ثمرات الأوراق ص ١٨٢ ج ١ ، الأغانی ص ٧٥ ج ٦

(٤) هو حماد بن ميسرة ، كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها ، كانت ملوك بنی أمية تقدمه وتؤثره ، وتستزيره ، فيسألونه ويجزلون صلته .

يزيد ، وأفضت الخلافة إلى هشام خفته ، فمكثت فى بيتى سنة ، لا أخرج إلا لمن أثق به من إخوانى سراً .

فلما لم أسمع أحدا يذكرنى سنة أمنت فخرجت فصليت الجمعة ، ثم جلست عند باب الفيل . فاذا شرطيان قد وقفا على فقالا لى يا حماد ، أجب الأمير يوسف [١] بن عمر . فقلت فى نفسى . من هذا كنت أحذر ، ثم قلت للشرطيين . هل لكما أن تدعانى آتى أهلى فأودعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبداً ثم أصير معكما إليه ؟ فقالا . ما إلى ذلك من سبيل .

فاستسلمت فى أيديهما وصرت إلى يوسف بن عمر وهو فى الإيوان[٢] الأحمر . فسلمت عليه فرد على السلام : ورمى إلى كتابا فيه . « بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هشام أمير المؤمنين الى يوسف بن عمر أما بعد فاذا قرأت كتابى هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به غيرا مروع ولا متعتع [٣] ، وأدفع إليه خمسمائة دينار وجملا مهريا (٤) يسير عليه اثنتى عشرة ليلة إلى دمشق » .

فأخذت الخمسمائة الدينار ونظرت فاذا جمل مرحول [٥] ، فوضعت رجلى فى الغرز [٦] ، وسرت اثنتى عشرة ليلة ، حتى وافيت باب هشام ، فاستأذنت فأذن لى ، قد خلت عليه فى دار قوراء [٧] مفروشة بالرخام ، وهو فى مجلس مفروش

---

(١) لم يكن يوسف بن عمر والياً على العراق بعد ولاية هشام بسنة ، وإنما كان الوالى عليها خالد القسرى حتى سنة ١٢٠ هـ ثم ولى يوسف بعده

(٢) الايوان : البيت يبنى طولا .

(٣) غير متعتع . من غير أن يصيبه أذى يقلقه ويزعجه .

(٤) مهرة بن حيدان . أو قبيلة وهم حى عظيم ، وإبل مهرية . منسوبة إليهم .

(٥) مرحول . الرجل (٦) الغرز . ركاب الرحل من جلد ، فاذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب

(٧) دار قوراء . واسعة .

بالرخام، و بين كل رخامتين قضيب ذهب، وحيطانه كذلك، وهشام جالس على طنفسة حمراء، وعليه ثياب خز حمر، وقد تضمخ بالمسك والعنبر، وبين يديه مسك مفتوت فى أوانى ذهب يقلبه بيده فتفوح روائحه، فسلمت فرد على، واستدنانى فدنوت حتى قبلت رجله؛ وإذا جاريتان لم أر قبلهما، مثلهما، فى أذنى كل واحدة منهما حلقتان من ذهب، فيها لؤلؤتان تتوقدان.

فقال لى. كيف أنت ياحماد؟ وكيف حالك؟ فقلت بخير يا أمير المؤمنين، قال أتدرى فيم بعثت إليك لبيت خطر ببالى لم أدر من قاله. قلت. وماهو؟فقال.

فدعوا بالصبوح يومـا فجاءت قينة فى يمينهـا إبريق

قلت. هذا يقوله عدى بن زيد فى قصيدة له. قال: فأنشدنيها، فأنشدته.

يكر العاذلون فى وضح الصبح يقولون لى . ألا تستفيق

ويلومون فيك يابنة عبد اللـه والقلب عندكم موهـوق[1]

لست أدرى إذا أكثروا العذل عندى أعدو يلومنى أم صديق

فطرب، ثم قال أحسنت والله ياحماد، أعد، فأعدت فاستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه، فقال: سل حوائجك، فقلت: كائنة ما كانت؟ قال نعم، قلت: إحدى الجاريتين، فقال لى: هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما.

ثم قال للاولى اسقيه فسقتنى شربة سقطت معها فلم أعقل حتى أصبحت فاذا بالجاريتين عند رأسى وإذا عدة من الخدم مع كل واحد منهم بدرة، فقال لى أحدهم أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام، ويقول لك خـذ هذه فانتفع بها فأخذتها والجاريتين وانصرفت.

٨ — ودخل رجل من بنى ضنة على عبد الملك بن مروان فقال:

والله ما ندرى إذا ما فاتنـا طلب اليك من الذى نتطلب؟

فلقد ضربنا[2] فى البلاد فلم نجد أحدا سواك الى المكارم ينسب

---

(١) الموهوق. المشدود بالوهق، وهو الحبل

(٢) ضرب فى الأرض. سافر.

فاصبر لعـادتنا التي عودتنـا　　أولا فأرشـــدنا إلى من نذهب

فقال عبد الملك . إلى ! إلى ! وأمر له بألف دينار ، ثم أتاه في العام المقبل فقال

يرب (١) الذي يأتي من الخير أنه　　إذا فعل المعروف زاد وتمما

وليس كبان حين تم بناؤه　　تتبعه بالنقض حتى تهـــدما

فأعطاه ألفي دينار ، ثم أتاه في العام الثالث فقال

إذا استمطروا كانوا مغازير (٢) في الندى　　يجودون بالمعروف عودا على بدء

فأعطاه ثلاثة آلاف دينار .

٩ — وقال عامر الشعبي . وفدت سودة بنت عمارة بن الاشتر الهمدانية على معاوية بن أبي سفيان فاستأذنت عليه فأذن لها ، فلما دخلت عليه سلمت ، فقال لهـا كيف أنت يا ابنة الأشتر ؟ قالت ؛ بخير يا أمير المؤمنين ، قال لها : أنت القائلة لأخيك .

شمر لفعل أبيك يا ابن عمـارة　　يوم الطعان وملتقى الأقران

وانصر عليا والحسين ورهطه　　واقصد لهند (٣) وابنها بهوان

إن الامام أخا النبي محمـــد　　علم الهدى ومنارة الايمـان

فقد الجيوش وسر أمام لوائه　　قدماً بأبيض صارم وسنان

قالت . يا أمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب ، فدع عنك تذكار ما قدنسى قال . هيهات ، ليس مثل مقام أخيك نسى . قالت صدقت والله يا أمـير المومنين ما كان أخي خفي المقام ذليل المكان ، ولكن كما قالت الخنساء

---

(١) رب . زاد وأصلح .

(٢) أغزر المعروف . جعله غزيرا . والمغازير لا يكون إلا جمعـا لمغزار أو مغزير من صيغ المبالغة ولم أجدهما في اللسان والقاموس وفي المخصص : سحابة مغزار . غزير فيكون جمعا لمغزار حتما

(٣) هند هي أم معاوية .

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

وبالله أسألك يا أمير المؤمنين إعفائى مما استعفيته ، قال قد فعلت ، فقولى حاجتك قالت :

يا أمير المؤمنين انك للناس سيد ولأمورهم مقلد . والله سائلك عما افترض عليك من حقنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ويبسط بسلطانك فيحصدنا حصاد السنبل ويدوسنا دياس البقر ويسومنا الخسيسة [1] ويسألنا الجليلة . وهذا ابن أرطاة قدم بلادى وقتل رجالى وأخذ مالى ، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة ، فقال معاوية : أإياى تهددين بقومك ؟ والله هممت أن أردك اليه على قتب أشرس [2] فينفذ حكمه فيك . فسكتت ثم قالت .

صلى الاله على روح تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغى به ثمنا فصار بالحق والايمان مقرونا

قال : ومن ذلك ؟ قالت . على بن أبى طالب رحمه الله . قال . ما أرى عليك له أثرا ، قالت . بلى ، أتيته يوما فى رجل ولاه صدقتنا فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين . فوجدته قائما يصلى فانفتل [3] عن الصلاة ثم قال برأفة وتعطف : ألك حاجة ؟ فأخبرته خبر الرجل فبكى ثم رفع يديه إلى السماء فقال : اللهم إنى لم آمرهم بظلم خلقك ولا ترك حقك . ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب فكتب فيه . بسم الله الرحمن الرحيم . قد جاءتكم بينه من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين . بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين . وما أنا عليكم بحفيظ . إذا أتاك كتابى هذا فاحتفظ بما فى يديك حتى يأتى من يقبضه منك والسلام ، فعزله يا أمير المؤمنين ما خزمه بخزام ولا ختمه بختام . فقال معاوية : اكتبوا لها بالإنصاف لها والعدل عليها . فقالت : ألى خاصة أم لقومى عامة ؟ قال . وما أنت وغيرك ؟ قالت : هى والله

---

(١) سامه الأمر : كلفه إياه . تقول ، يجشمنا دنايا الأمور

(٢) القتب . الرحل الصغير . والأشرس . الخشن الغليظ . (٣) انفتل . انصرف

إذن الفحشاء واللؤم، إن كان عـــدلا شاملا، والا يسعنى ما يسع قومى. قال هيهات، لمظـكم [1] ابن أبى طالب الجرأة وغركم قوله.

فلو كنت بوابا على باب جنة ... لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقـــوله.

ناديت همدان والأبواب مغلقه ... ومثل همدان سنى فتحه الباب
كالهندوانى لم تفلل مضاربه ... وجه جميـل وقلب غير وجاب

اكتبوا لهـا بحاجتها.

١٠ — وحبس مروان وهو والى المدينة غلاما من بنى ليث فى جناية جناها فأتته جد الغلام وهى أم سنان بنت جشمة المذحجية فـكلمته فى الغـلام فأغلظ مروان لها، فخرجت إلى معاوية فدخلت عليه فانتسبت فعرفها فقال لهـا: مرحبا يابنة جشمة ما أقدمك أرضنا وقد عهدتك تشتميننا وتحضين علينا عدونا؟ قالت: إن لبنى عبد مناف أخلاقا طاهرة، وأحلاما وافرة، لا يجهلون بعد علم، ولا يسفهون بعد حلم، ولا ينتقمون بعد عفو؛ وإن أولى النـاس باتباع ما سن آباؤه لأنت. قال. صدقت نحن كذلك. فـكيف قولك.

عزب الرقاد فمقلتى لا ترقـد ... والليل يصدر بالهموم ويورد
يا آل مذحج لا مقام فشمروا ... إن العدو لآل أحمد يقصد
هـذا على كالهـلال تحفه ... وسط السماء من الكواكب أسعد
خـير الخلائق وابن عم محمـد ... إن يهدكم بالنور منه تهتدوا
ما زال مذ شهد الحروب مظفرا ... والنصر فـوق لوائه ما يعقد؟ [2]

قالت. كان ذلك يا أمير المؤمنين وأرجو: أن تكون لنا خلفا. فقال رجل من جلسائه: كيف يا أمير المؤمنين؟ وهى القائلة.

إما هلـكت أبا الحسين فـلم تزل ... بالحق تعرف هادياً مهـــديا

(١) لمظه الشىء: منحه إياه

(٢) ما مصدرية ظرفية، تقول. إن النصر لا يفارق لواءه ما دام معقودا.

فاذهب عليك صلاة ربك مادعت فوق الغصون حمامة قمريا
قد كنت بعد محمد خلفا كما أوصى اليك بنا فكنت وفيا
واليوم لا خلف يؤمل بعده هيهات نأمل بعده إنسيا

قالت : ياأمير المؤمنين لسان نطق وقول صدق . ولئن تحقق ما ظننا لحظك الأوفر . والله ماورثك الشنآن (١) فى قلوب المسلمين إلا هؤلاء فأدحض (٢) مقالتهم وأبعد منزلتهم ، فانك ان فعلت ذلك تزدد من الله قربا ومن المؤمنين حبا قال . وانك لتقولين ذلك . قالت : سبحان الله ! والله مامثلك مدح بباطل ولا اعتذر اليه بكذب ، وانك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا . كان والله على أحب الينا منك وأنت أحب الينا من غيرك . قال : ممن ؟ قالت : من مروان بن الحكم وسعيد بن العاصى . قال . وبم استحققت ذلك عندك قالت بسعة حلمك وكريم عفوك قال . فما حاجتك قالت . ياأمير المؤمنين ان مروان تبنك (٣) بالمدينة تبنك من لا يريد منها البراح ، لايحكم بعدل ولا يقضى بسنة ، يتتبع عثرات المسلمين ويكشف عورات المومنين ، حبس ابن ابنى فأتيته فقال ، كنت وكنت ، فأسمعته أخشن من الحجر وألقمته أمر من الصاب (٤) ثم رجعت الى نفسى باللائمة وقلت لم لا أصرف ذلك الى من هو أولى بالعفو منه فأتيتك يا أمير المؤمنين لتكون فى أمرى ناظرا وعليه معديا (٥) قال ، صدقت لا أسألك عن ذنبه والقيام بحجته . اكتبوا لها بأطلاقه ، قالت ، ياأمير المؤمنين وأنى لى بالرجعة وقد نفدزادى وكلت راحلتى ؟ فأمر لها براحلة ومنحة .

---

(١) الشنآن . العداوة .
(٢) أدحض حجته: أبطلها
(٣) تبنك بالمكان : أقام .
(٤) الصاب : شجر مر
(٥) اعداه عليه : نصره وأعانه

١١ - وكان * لبيد[1] بن ربيعة جوادا شريفا فى الجاهلية والإسلام، وكان آلى فى الجاهلية أن يطعم ما هبت الصبا. ثم أدام ذلك فى إسلامه، وكان له جفنتان يغدو بهما ويروح فى كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم، ونزل لبيد الكوفة، وأميرها الوليد بن عقبة، فبينا هو يخطب الناس إذ هبت الصبا، فقال الوليد فى خطبته على المنبر: قد علمتم حال أخيكم أبى عقيل، وما جعل على نفسه: أن يطعم ما هبت الصبا، وهذا يوم من أيامه، وقد هبت ريحها: فأعينوه، وأنا أول من فعل.

ثم انصرف الوليد، فبعث إليه بمائة من الجزر وبهذه الأبيات:

أرى الجزار يشحذ شفرتيه ... إذا هبت رياح أبى عقيل

أشم الأنف أصيد[2] عامرى ... طويل الباع كالسيف الصقيل

وفى ابن الجعفرى بما نواه ... على العلات[3] والمال القليل

بنحر الكوم[4] إذ سحبت إليه ... ذيول صبا تجاذب بالأصيل

فلما وصلت الهدية إلى لبيد شكره، وقال: إنى تركت الشعر منذ قرأت القرآن، ثم قال لابنته. أجيبيه، فلعمرى لقد عشت دهراً وما أعيـــا بجواب شاعر،

---

* الجمهرة ص ٣٩، المستطرف ص ٥٠ ج ٢، الأغانى ص ٩٣ ج ١٤، بلوغ الأرب ص ٩٢ ج ٣

(١) لبيد بن ربيعة العامرى. أحد أشراف الشعراء المجيدين والقواد الفرسان المعمرين وهو من أصحاب المعلقات، ولما ظهر الإسلام أسلم وحسن اسلامه، ومات سنة ٤١ هـ

(٢) الأصيد رافع رأسه كبرا

(٣) على العلات. على كل حال

(٤) الكوم: القطعة من الابل

١٢ — وكان أسيد بن عنقاء الفزارى من أكبر أهل زمانه وأشدهم عارضة ولسانا وطال عمره ونكبه دهره واختلت حاله، فخرج عشية يتبقل (١) لأهله فمر به عميلة الفزارى فسلم عليه وقال: ياعم ما أصارك الى ما أرى؟ قال. بخل مثلك بماله وصون وجهى عن أموال الناس. فقال: لئن بقيت الى غد لأغيرن ما أرى من حالك. فرجع ابن عنقاء الى أهله فأخبرها بما قال له عميلة. فقالت له: لقد غرك كلام غلام جنح ظلام (٢). فكأنما ألقمت فاه حجرا، فبات متململا بين رجاء ويأس، فلما كان السحر سمع رغاء الابل وثغاء الشاه وصهيل الخيل ولجب الأموال (٣) فقال، ماهذا؟ فقالوا: هذا عميلة ساق اليك ماله؛ فخرج ابن عنقاء له فقسم عميلة ماله شطرين وساهمه (٤) عليه، فأنشأ ابن عنقاء يقول

رآنى على مابى عميلة فاشتكى ... الى ماله حالى أسرى كما جهر
دعانى فآسانى ولو ضن لم يلم ... على حين لابدو يرجى ولاحضر
فقلت له خيرا وأثنيت فعله ... وأوفاك ماأبليت من ذم أوشكر
ولما رأى المجد استعيرت ثيابه ... ترى رداء سابغ الذيل واتزر
غلام رماه الله بالخير مقبلا ... له سيمياء (٥) لاتشق على البصر
اذا قيلت العوراء (٦) أغضى كأنه ... ذليل بلا ذل ولو شاء لانتصر

---

(١) تبقل، خرج يطلب البقل

(٢) جنح الليل أو الظلام، الطائفة منه

(٣) اللجب: الجلبة والصياح واضطراب موج البحر.

(٤) ساهمه. قارعه أى ضرب القرعة.

(٥) السيماء والسيماء والسيميا والسيمياء العلامة: يقول: يفرح به من يراه للطف محياه.

(٦) العوراء: الكلمة القبيحة

١٣ — ووفدت بكارة الهلالية على معاوية :

فاستأذنت فأذن لها وهو يومئذ بالمدينة فدخلت عليه وكانت أسنت(١) وعشى بصرها(٢) وضعفت قوتها ترعش بين خادمين لها(٣) فسلمت وجلست فرد عليها معاوية السلام وقال كيف أنت ياخالة فقالت بخير يا أمير المؤمنين قال غيرك الدهر قالت كذلك هو ذو غير(٤) من عاش كبر ومن مات قبر فقال عمرو بن العاص هي والله القائلة يا أمير المؤمنين

يا زيد دونك فاحتفر(٥) من دارنا سيفا حساما فى التراب دفينا
قد كنت أذخره(٦) ليوم كريهة فالآن أبرزه الزمان مصونا

قال مروان وهي والله القائلة يا أمير المؤمنين

أترى ابن هند للخلافة مالكا هيهات ذاك وان أراد بعيد
منتك نفسك فى الخلاء ضلالة أغراك عمرو للشقا وسعيد

قال سعيد بن العاص هي والله القائلة

قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى فوق المنابر من أمية خاطبا
فالله أخر مدتى فتطاولت حتى رأيت من الزمان عجائبا
فى كل يوم لا يزال خطيبهم بين الجميع لآل أحمد عائبا

ثم سكتوا فقالت يامعاوية كلامك أعشى بصرى وقصر حجتى(٧) أنا والله قائلة ما قالوا وما خفى عليك منى أكثر فضحك وقال ليس يمنعنا ذلك من برك أذكرى حاجتك قالت أما الآن فلا

---

(١) طعنت فى السن (٢) ضعف نظرها

(٣) أى تمشى مستندة على خادمين وهي ترتعش لكبر السن

(٤) أى صاحب أحوال متغيرة

(٥) أى احفر الأرض فى دارنا لتخرج منها السيف المدفون

(٦) فى رواية (قد كان مذخورا)

(٧) أعشى بصرى أضعفه وقصر حجتى أضعفها

١٤ — ودخل حمزة (١) بن بيض على مخلد بن يزيد بن المهلب ، فوعده أن يصنع به خيراً ، ثم شغل عنه ، فاختلف عليه مراراً ثم لم يصل إليه ، وأبطأت عليه عدته ، فقال ابن بيض :

أمخلد (٢) إن الله ما شاء يصنع ... يجود فيعطى ما يشاء ويمنع
وإنى قد أمات منك سحابة ... فجادت سراباً فوق بيداء تلمع
فأجمعت صرماً ثم قلت لعله ... يثوب إلى أمر جميل ويرجع
فأيأسني من خير مخلد أنه ... على كل حال ليس لى فيه مطمع
يجود لأقوام يودون أنه ... من البغض والشنان أمسى يقطع
ويبخل بالمعروف عمن يوده ... فوالله ما أدرى به كيف أصنع
أأصرمه ؟ فالصرم شر مغبة ... ونفسى إليه بالوصال تطلع
وشتان بينى والوصال وبينه ... على كل حال أستقيم ويظلع (٣)
فأعقبنى صرماً على غير إحنة ... وبخلا وقدماً كان لى يتبرع
وغيره ما غير الناس قبله ... فنفسى بما يأتى به ليس تقنع

ثم كتبها فى قرطاس ، وختمه ، وبعث به مع رجل ، فدفعه إلى غلامه ، فدفعه الغلام إليه .

---

(١) الأغانى ص ٢٣ ج ١٥

وحمزة بن بيض . شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، كوفى خليع ماجن وكان منقطعاً إلى المهلب بن أبى صفرة ووالده ، ثم إلى أبان بن الوليد ، وبلال بن أبى بردة واكتسب بالشعر من هؤلاء مالا عظيما ، ولم يدرك الدولة العباسية توفى سنة ١٢٠ ﻫ

(٢) أمير من بيت إمارة ورياسة وبطولة ، ولى إمارة خراسان على عهد عمر بن عبد العزيز نائباً عن أبيه ثم رحل إلى الشام وافداً على الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فأعجب به ، مات سنة ١٠٠ ﻫ

(٣) الظلع : العرج .

فلما قرأه سائل الغلام : من صاحب الكتاب ؟ قال لا أعرفه ، فأدخل إليه الرجل ، فقال : من أعطاك الكتاب ؟ ومن بعث به معك ؟ قال : لا أدرى ، ولكن من صفته كذا وكذا ، ووصف صفة ابن بيض . فأمر به فضرب عشرين سوطاً على رأسه ، وأمر له بخمسمائة درهم وكساه ، وقال : إنما ضربناك أدبا لك ، لأنك حملت كتاباً لاتدرى ما فيه لمن لا تعرفه ، فإياك أن تعود لمثلها .

فقال الرجل . لا والله ، أصلحك الله لا أحمل كتاباً لمن أعرفه ولا لمن لا أعرف ، قال : أحذر فليس كل أحد يصنع بك صنيعى .

وبعث إلى ابن بيض ، فقال له : أتعرف ما لحق صاحبك الرجل ؟ قال . لا ؛ فحدثه مخلد بقصته ، فقال ابن بيض : والله — أصلحك الله — لا تزال نفسه تتوق إلى العشرين سوطا مع الخمسمائة أبداً ؛ فضحك مخلد ، وأمر له بخمسة آلاف درهم وخمسة أثواب ، وقال : وأنت والله لا تزال نفسك تتوق إلى عتاب إخوانك أبداً ، قال أجل والله ، ولكن من لى بمثلك يعتبنى (١) إذا استعتبته ، ويفعل بى مثل فعلك ثم قال :

وأبيض بهلول إذا جئت داره ... كفانى وأعطانى الذى جئت أسأل
ويعتبنى يوما إذا كنت عاتبا ... وإن قلت زدنى قال حقا سأفعل
تراه إذا ما جئته تطلب الندى ... كأنك تعطيه الذى جئت تسأل

فأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب

١٥ — وأقبل على سليمان (٢) بن عبد الملك فتى من بنى عبس ، وسيم ، فأعجبه

---

(١) يقال . أعتبنى فلان ، إذا ترك ما كنت أجد عليه ، ورجع إلى ما أرضانى عنه ، بعد إسخاطه إياى عليه .

(٢) ابن أبى الحديد ص ٣٢٢ ج ١

وكان سليمان ملكا غيوراً ، نهماً يحب الطعام ، كما كان فصيحاً لسناً ، توفى سنة ٩٩ ه

فقال ما اسمك ؟ قال : سليمان ، قال ابن من ؟ قال ، ابن عبد الملك ، فأعرض عنه ؛ وجعل يفرض «١» لمن دونه ، فعلم الفتى أن كره موافقة اسمه واسم أبيه

فقال : يا أمير المؤمنين ، لا عدمت اسمك ، ولا شقى اسم يوافق اسمك ، فارض ، فانما أنا سيف بيدك ، إن ضربت به قطعت ، وإن امرتنى أطعت ، وسهم فى كنانتك أشتد إن أرسلت ، وأنفذ حيث وجهت

فقال له سليمان وهو يختبره ، ما قولك يافتى لو لقيت عدوا ؟ قال ، أقول : حسبي الله ونعم الوكيل ! قال سليمان . أكنت مكتفياً بهذا لو لقيت عدوك دون ضرب شديد

قال الفتى : إنما سألتنى يا أمير المؤمنين ، ما أنت قائل ؟ فأخبرتك ، ولو سألتنى ، ما أنت فاعل ؛ لأنبأتك ، إنه لو كان ذلك ، لضربت بالسيف حتى يتعقف (٢) ، ولطعنت بالرمح حتى يتقصف !

فأعجب سليمان به ، وألحقه فى العطاء بالأشراف وتمثل

إذا ما اتقى الله الفتى ثم لم يكن … على قومه كلا فقد كمل الفتى

---

(١) يقال أفرض له ، ، إذ جعل له فريضة ، والفريضة ، البعير المأخوذ فى الزكاة ، ثم اتسع فيه حتى سمى البعير فريضة من غير الزكاة

(٢) التعقيف ، التعويج

تأثر الأدب بالحيـــاة الجديدة

فى عصر بنى أمية

١ — وبعد فقد نهض الأدب نهضة عظيمة فى هذا العصر ، الذى نبغ فيه كثير من أشهر أعلام الأدباء والكتابة والشعراء فى اللغة العربية

فالشعر والخطابة والكتابة ومأثر ألوان الأدب قد أدت رسالتها الأدبية فى هذا المعترك الحافل بأسباب النشاط

ومجامع العلم والأدب قد تعددت وكثرت وأثمرت وخدمت التراث الإسلامى والأدب العربى خدمات جلى

وأغدق الخلفاء على الشعراء والأدباء والرواء والعلماء إغداقا كبيرا

وساعد على بلوغ الأدب هذه المنزلة اسباب كثيرة .

ا — فالخلفاء والأمراء والولاة كلهم من عنصر عربى وهم يحبون البلاغة ويطربون للأدب ويهتزون لسماع الشعر الجيد

ب — والبواعث السياسية كان لها أثرها البعيد فى هذه النهضة الأدبية الجليلة

ج — وإحياء بنى أمية للعصبية كان باعثا على نهضة الأدب والشعر

د — فوق تأثير بلاغة القرآن والحـــديث فى نفوس القوم من حكام ومحكومين وممدوحين ومادحين

الى غير ذلك من شتى الأسباب :

٢ — والأدب على أى حال قد تأثر تأثرا بعيدا بهذه الحياة الجديدة فى العصر الأموى ، مما يمكن تلخيصه فيما يأتى

١ — نهضة الشعر والأدب واللغة نهضة كبيرة

٢ — ذيوع الخطابة ورقى الكتابة والرسائل بتأثير الحياة السياسية الجديدة

٣ — تأثر الأدب عند أهل الأمصار بصورة حياتهم، فكان لكل حزب

سياسى أو طائفة مذهبية بين الخوارج والشيعة والزبيرية والمروانيـــة والمضرية والقحطانية والشعوبية شعراء وخطباء ينظمون الشعر ويخطبون فى تأييد نحلتهم وخلف مربد البصرة وكناسة الكوفة عكاظ فى اجتماع الشعراء والخطباء بهما

كما تأثر الأدب فى الحجاز بحياة المترفين من شبانه ، فنشأ فيـه نوع من الغزل الرقيق ومقطعات الغناء ، ومازال يستفحل أمره حتى تحول على لسان بعض مجان الشعراء إلى مجون ولهو

وتأثر فى البوادى بحياة أهلها من أصحاب الجد والتوقر والجفاء منهم فبرز فى ثوب الفجر والتباهى والتهاجى والتناقض والمدح والرثاء ونحو ذلك

وتأثر عند العذريين بنزعة نفوسهم فخطر فى حلة الشعر العفيف الذى يعتبر من أجمل ماقيل من الشعر العربى .

٤ — ذيوع فنون أدبية جديدة كالتوقيعات وفن القصص التاريخى الذى كتبت به السيرة

٥ — انتشار الأدب العرب فى كثير من الحواضر الاسلامية البعيدة عن الجزيرة العربية كمصر والعراق وشمال أفريقية والأندلس

إلى غير ذلك من مظاهر التأثر بهذه الحياة الجديدة مما سنتكلم عنه بكثير من الافاضة والتحليل

على أنه قد حدث فى النصف الأول للقرن الثانى الهجرى أن الحياة الاجتماعية والعقلية للعرب ، وخاصة حياة العرب فى العراق ، كان يعتورها التغيير فى كل ناحية من نواحيها ، فسياسة الشدة التى كان يتبعها حكام الدولة الأموية كانت ، بقضائها على الروح الحربى لأهل القبائل ، قد مهدت السبيل إلى الانقلاب بتأسيس حياة مستقرة ونمو جماعة متحضرة ، تشتغل بأعمال سلمية ، وتعنى فى طبقاتها العليا بالبحوث العقلية ، ولم يجد مثل هذا المجتمع فى الأفكار القديمه وأساليب البيان السابقة ما كان يجده فيها من القوة والسلطان فقد أصبح هذا المجتمع يبحث عن مواد وصور للتعبير جديدة ، تكون أكثر مـــلاءمة لأحواله الجديدة وما فيها من مجالات عقليـة أبعد شأوا ، وقد زاد هـذه الميول قوة زيادة امتزاج

العناصر الفارسية والآرامية وغيرها بالحياة العربية، الاجتماعيـــة والأدبية . والواقع أن الأدب العربى كان يدنو من عصر انتقالى شبيه بتلك العصور الانتقالية التى مرت بها أمم أخرى فى مراحلها الأدبية الأولى . غير أن قيام الخلافة العباسية منح الحركة نشاطا قويا لأنه جلب معه تحولا نهائيا فى النفوذ السياسى والاجتماعى من عناصر الحياة البدوية إلى عناصر الحياة الحضرية .

وقد سلك ممثلو التيارات الجديدة للتفكير العربى، فى تلك الظروف، نفس المسلك، كما انتحلوا نفس الخطى، التى سلكتها وانتحلتها من قبلهم ومن بعدهم الأمم التى اجتازت مثل تلك الظروف فى أول الأمر فقد سدوا حاجتهم بالاستعارة أو الترجمة من الآداب السابقة ومن أشهر المترجمين ابن المقفع الفرسى الأصل المتوفى عام ١٤٣ هـ

* * *

النثر الفنى

فى عصر بنى أمية

نماذج له :

١ — صفة الإمام العادل :

كتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه — لما ولى الخلافة — إلى الحسن (١) البصرى ، أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل فكتب إليه الحسن رحمه الله : اعلم يا أمير المؤمنين ان الله جعل الإمام العام قوام (٢) كل مائل ، وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف . والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على إبله الرفيق الذى يرتاد (٣) لها أطيب المرعى ويذودها عن مراتع الهلكة ، ويحميها من السباع ، ويكنفها من أذى الحر والقر . والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحانى على ولده يسعى لهم صغارا ؛ ويعلمهم كبارا ، يكتسب لهم فى حياته ويدخر لهم بعد مماته ، والامام العدل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها ، حملته كرها وربته طفلا ، تسهر بسهره وتسكن بسكونه ؛ ترضعه تارة ؛ وتفطمه أخرى ، وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته . والامام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين

(١) هو أبو سعيد بن يسار مولى زيد بن ثابت الأنصارى ، وكان الحسن من سادات التابعين وكبرائهم وكان نسيج وحده فى الفصاحة والعلم والعبادة والورع وتوفى بالبصرة سنة ١١٠ هـ .

(٢) قوام الأمر : عماده ونظامه .

(٣) الارتياد : طلب الكلأ فى مواضعه .

الجوارح ؛ تصلح الجوارح بصلاحه وتفسد بفساده . والامام العادل يا أمير المؤمنين ، هو القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلام الله ويسمعهم ، وينظر إليه ويريهم وينقاد إلى الله ويقودهم .

فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرد[١] العيال فافتقر أهله وفرق ماله . واعلم يا أمير المؤمنين ان الله أنزل الحدود [٢] ليزجر بها عن الخبائث والفواحش ، فكيف إذا أتاها من يليها ، وان الله أنزل القصاص حياة لعباده ، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم .

واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده وقلة أشياعك عنده وأنصارك عليه فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر . واعلم يا أمير المؤمنين ان لك منزلا غير منزلك الذى أنت فيه ، يطول فيه ثواؤك [٣] ويفارقك أحباؤك ويسلمونك فى قعره فريدا وحيدا ، فتزود له ما يصحبك يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه . واذكر يا أمير المؤمنين اذا بعثر [٤] ما فى القبور وحصل [٥] ما فى الصدور ، فالأسرار ظاهرة والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . فالآن يا أمير المؤمنين ـ وأنت فى مهل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل ـ لا تحكم يا أمير المؤمنين فى عباد الله بحكم الجاهلين ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين ، فانهم لا يرقبون فى مؤمن إلا [٦] ولا ذمة ، فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك . ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك ويأكلون الطيبات فى دنياهم باذهاب طيباتك فى آخرتك ، فلا تنظر الى قدرتك اليوم ولكن انظر الى قدرتك غدا وأنت مأسور

---

(١) التشريد : التفريق والطرد .

(٢) الحدود : العقوبات الرادعة

(٣) الثواء : الاقامة أو طولها . (٤) بعثر : أثير وأخرج .

(٥) حصل : جمع . (٦) الإل : العهد .

فى حبائل الموت وموقوف بين يدى الله فى مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين وقد عنت [١] الوجوه للحى القيوم .

إنى يا أمير المؤمنين وإن لم أبلغ بعظتى ما بلغه ألو النهى من قبلى فلم آلك [٢] شفقة ونصحا ، فأنزل كتابى اليك كداوى حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجوله فى ذلك من العافيه والصحة . والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

٢ — لطارق بن زياد المتوفى سنة ٩٢ ﻫ

خطبة يحث بها جيشه على الجهاد ويرغبهم فى فتح الأندلس

حمد الله وأثنى عليه ثم قال

أيها الناس أين المفر البحر من ورائكم [٣] والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر واعلموا أنكم فى هذه الجزيرة أضيع من الأيتام فى مأدبة اللئام [٤] وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة [٥] وأنتم لاوزر لكم إلا سيوفكم [٦] ولا أقوات إلا ماتستخلصونه من أيدى عدوكم وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهب ريحكم [٧] وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم [٨] فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية [٩] فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة

---

(١) عنا : خضع .

(٢) انى لا آلوك نصحا : أى لا أفتر ولا أقصر .

(٣) وذلك لأنه أحرق السفن التى وصلوا بها إلى بلاد اسبانيا

(٤) لا ينالون شيئا إلا إذا قاتلوا عليه

(٥) كثيرة

(٦) لاناصر لكم غيرها

(٧) ضاعت قوتكم وغلبتكم

(٨) تجاسرت عليكم بدل خوفها منكم

(٩) بمقاتلة ذلك الجبار

وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت وإنى لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة (١) ولا حملتكم دونى على خطة أرخص متاع فيها النفوس ، أبدأ بنفسى واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليـــلا استمتعتم بالأرفه (٢) الألذ طويلا فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى فما حظكم فيه (٣) بأوفر من حظى وقد بلغكم ما أنشأت (٤) هذه الجزيرة من الخـــيرات العميمة وقد انتخبكم الوليد ابن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عربانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا (٥) ثقة منه بارتياحكم للطعان وسماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان (٦) ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصة لكم (٧) من دونه ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى ولى انجادكم (٨) على ما يكون لكم ذكرا فى الدارين واعلموا أنى أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه وأنى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى فاحملوا معى فان هلكت بعده فقد كفيتم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل (٩) تسندون أموركم إليه وإن هلكت قبل وصولى إليه فاخلفونى فى عزيمتى هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا الهم من فتح هذه الجزيرة بقتله

---

(١) أنا منه بمكان حصين بمعنى أنا منه خالص

(٢) الأرغد الألين

(٣) فيه أى الأمر الأشق

(٤) ما أخرجت

(٥) الصهر القريب المحرم للزوج أو الزوجة كالأب والأخ والعم والختن القريب المحرم للزوجة

(٦) وتكرمكم بمقاتلة الشجعان

(٧) وليكون غنمها لكم حالة كونها خالصة لكم

(٨) نصركم واعانتكم

(٩) لاتجدون عوزا وحاجة فى وجود بطل عاقل بمعنى أنكم تجدون كثيرا من الأبطال الذين تولونهم أموركم

٣ - وللأحنف بن قيس المتوفى سنة ٦٧ ﻫ :

آفة الملوك سوء السيرة [١] وآفة الوزراء خبث السريرة [٢] وآفة الجند مخالفة القادة [٣] وآفة الرعية مخالفة السادة ، وآفة الرؤساء ضعف السياسة ، وآفة العلماء حب الرياسة ، وآفة القضاة شدة الطمع ، وآفة العدول قلة الورع ، وآفة القوى استضعاف الخصم ، وآفة الجرىء إضاعة الحزم (٤) ، وآفة المنعم قبح المن [٥] ، وآفة المذنب حسن الظن [٦] .

٤ - ولعمرو بن العاص المتوفى سنة ٦٣ ﻫ فى وصف مصر :

مصر تربة غبراء (٧) وشجرة خضراء [٨] طولها شهر وعرضها عشر [٩] يكتنفها جبل أغبر [١٠] ، ورمل أعفر [١١] يخط وسطها نهر ميمون الغدوات مبارك الروحات [١٢] يجرى بالزيادة والنقصان كجرى الشمس والقمر له أوان [١٣] تظهر به عيون الأرض وينابيعها حتى إذا أصلح عجاجه [١٤] ، وتعظمت أمواجه [١٥] ، لم يكن وصول بعض أهل القرى إلى بعض إلا فى خفاف القوارب وصغار المراكب ، فاذا تكاملت تلك كذلك نكص [١٦] على عقبه كأول ما بدأ فى شدته وطما فى حدته (١٧) فعند ذلك يخرج القوم ليحرثوا بطون أوديته وروابيه (١٨) يبذرون الحب ويرجون

---

(١) قبح السلوك (٢) رداءة النية
(٣) القواد (٤) عدم التدبر فى الأمور
(٥) المن الامتنان وذكر المعروف (٦) حسن الظن فيمن بيده العقاب فيتمادى فى الذنوب (٧) سهلة الانبات (٨) بمعنى أنها كثيرة الشجر الأخضر .
(٩) لعله يريد أن الماشى يقطعها طولا فى شهر وعرضا فى عشرة أيام
(١٠) يحيط بها جبل ضارب إلى السواد (١١) أبيض مائل إلى الحمرة أو الصفرة
(١٢) محمود الذهاب والاياب (١٣) يزيد وينقص فى أزمنة معينة .
(١٤) معظم مائه (١٥) تقطعت وتسربت فى الأراضى .
(١٦) رجع وذهب (١٧) أى نقص بشدة كما زاد بقوة
(١٨) أعالى الأرض وأسافلها .

الثمار من الرب حتى إذا أشرق وأشرف (١) سقاه من فوقه الندى وغذاه من تحته الثرى فعند ذلك يدر حلابه (٢) ويغنى ذبابه (٣) فبينما هى يا أمير المؤمنين درة بيضاء إذا هى عنبرة سوداء، وإذا هي زبرجدة خضراء فتعالى الله الفعال لما يشاء .

وصف النثر الفنى

فى العصر الأموى

١ ظهر فى هذا العصر أثر الثقافة الأدبية فى النثر الفنى ظهورا واضحا لاخفاء فيه؛ وهذه الثقافة متنوعة تشمل :

ا ـ القرآن الكريم الذى أثر فى ملكات العرب وهذب من ألسنتهم ورقق من مشاعرهم وطباعهم وملكاتهم فى البيان فى عصر صدر الاسلام

ثم زاد هذا التأثير فى العصر الأموى : بحفظ العرب له، وقراءتهم إياه بعد أن انتشرت مصاحف عثمان فى الأمصار، وللفراغ الذى وجدوه بعد الفتوحات الاسلامية، وللفترة الطويلة التى قضوها فى الافادة من بلاغة القرآن

ب ـ حديث رسول الله، وكانوا يحفظون منه الكثير، ثم دون ووزع على الأمصار فى عهد عمر بن عبد العزيز، فاتسعت إفادة الناس منه وتأثرهم ببلاغته

حـ ـ الشعر والأدب الجاهلى، وقد علمت ما كان من إحياء بنى أمية له، وتقريبهم الرواة والأدباء منهم

د مجالس القصص والوعظ، وقدكان فيها البليغ والخطيب والأديب الذى يسحر القوم بلاغة وبيانا

هـ ـ أدب البلغاء والفصحاء فى العصر الأموى، وهو كثير جدا، وكان له أثره فى تقويم الألسنة وتهذيب الملكة، وكانت خطب الوفود التى تفد على قصور الخلفاء والأمراء دروسا كبيرة فى البلاغة والبيان، ويروى أن شباب الكتاب

(١) ظهر وبان (٢) يعظم محصوله (٣) يكثر عليه

كانوا إذا حضر وفد لهشام حضروا لاستماع بلاغة خطبائهم [١]

ومجالس المؤدبين والرواة والشعراء والنقاد وكانت حافلة بالكثير من ألوان الأدب والشعر والنقد ولها أثر كبير فى تقويم الأذواق وإرهاف المشاعر وتهذيب الملكات .

٢ — وقد أفاد العرب من اختلاطهم بالموالى والعناصر الأجنبية ، فسمعوا عن ثقافات الأمم القديمة ، ورويت لهم ، وتحدثوا بها فى مجالس سمرهم مما أكسب العقول عمقا وفهما ومعرفة وعلما وثقافة ومدنية ، وظهر أثر ذلك فى تقدم العلوم ونهضة الفنون والآداب وأخذ العرب بقسط من الحضارة ، وبمضى الزمن ترجموا هذه العلوم والفنون إلى العربية .

ولا يضير ما كان للاحتياط من أثر فى الألسنة بما دخل عليها من اللحن واللكنة والعى ، فقد قاوموا هذه التيارات الجديدة بوضع العلوم ونشر الأدب وتقويم الألسنة والطباع .

٣ — وباحياء الآداب الجاهلية ظهر أثرها فى الأدب والنثر الأموى ، فعادوا إلى جزالة الجاهلية وصلابتها وشدة أسرها ، وكثر فى أسلوبهم الأدبى فى النثر الفنى ظهور خصائص غلبت على أسلوب النثر الأموى يمكن أن نلخصها فيما يلى :

(١) إثارة خيال السامع باستعمال المجازات القوية ،

(٢) السيطرة على وجـــدان السامع وعواطفه وميلهم إلى الموسيقى الصوتية باستعمال الألفاظ الطنانة البالغة التأثير .

(٣) التحدث إلى عقل السامع ، لا عن طريق الدقة فى التعبير فحسب ، بل كذلك عن طريق التعبيرات والمجازات ومزجها بعضها ببعض .

(٤) تفريع الصور العقلية والمعانى وتنويعها باستخدام الازدواج فى الفواصل استخداما قد يزيده قوة استعمال السجع أو مايشبه السجع من الفواصل . غير أن التزام السجع فى الكلام كان متجنبا . إما لأنه كان يشعر بشيء من التكلف ،

---

(١) ١٧٩ / ٣ العقد .

وإما لأن التقفية كانت كانت ميزة خاصة بالشعر ، وسجع الكهان وما أشبه ذلك من الانتاج الأدبي .

ونجد فى خطبة الحجاج أنه بينما يتجنب السجع ، يستخدم التلميحات الشعرية والاقتباسات ويكثر من استعمال المجاز كما ترى فى الجملة الآتية مثلا .

« إنى والله يأهل العراق ، مايقعقع لى بالشنان ، ولا يغمز جانبى كتغماز التين ، ولقد فررت عن ذكاء ، وفتشت عن تجربة ، وإن أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - نثر كنانته بين يديه ، فعجم عيدانها ، فوجدنى أمرها عودا ، وأصلبها مكسرا ، فرماكم بى ، لأنكم طالما أوضعتم فى الفتنة ، واضطجعتم فى مراقد الضلال :

ولنقارن الآن بين تلك الجملة والجمل الآتية من رسالة عبد الحميد الكاتب .
« واعلم أن كل أعدائك لك عدو يحاول هلكتك ، ويعترض غفلتك ، لأنها خدع إبليس ، وحبائل مكره ، ومصايد مكيدته ، فاحذرها مجانبا ، توقها محترسا منها ، واستعذ بالله من شرها وجاهدها إذا تناصرت عليك بعزم صادق لاونية فيه ، وحزم نافذ لا مثنوية لرأيك بعد إصداره عليك ، وصدق غالب لامطمع فى تكذيبه ، ومضاءة صارمة لا أناة معها ، ونية صحيحة لاخلجة شك فيها » . فمن المؤكد أن ليس ثمة صعوبة فى أن ندرك أن فى القطعة السابقة نفس الخصائص الأساسية التى فى خطبة الحجاج ؛ ولكنها ذللتها وعبدتها الطلاقة التى يمتاز بها الكاتب وهى فى الحقيقة تلك الصفة التى وصف بها مؤلف كتاب « الفهرست » عبد الحميد حينما قال : « هو الذى سهل سبيل البلاغة فى الترسل »

(٥) ظهور الروح الدينى فى كثير من الوان النثر فى هذا العصر

ألوان النثر الفنى

أولا – الخطابة

نماذج للخطابة فى العصر الأموى .

١ — خطبة معاوية بالمدينة عام الجماعة

وقدم معاوية عام الجماعة (سنة ٤١ هـ) فتلقاه رجال قريش فقالوا : الحمد لله الذى أعز نصرك ، وأعلى كعبك ، فما رد عليهم شيئا حتى صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال .

„ أما بعد ، فانى والله ما وليتها (١) بمحبة علمتها منكم ، ولا مسرة بولايتى ، ولكنى جالدتكم بسيفى هذا مجالدة ، ولقد رضت (٢) لكم نفسى على عمل ابن (٣) أبى قحافة وأردتها على عمل عمر ، فنفرت من ذلك نفارا شديدا ، وأردتها على سنيات (٤) عثمان ، فأبت على ، فسلكت بها طريقا لى ولكم فيه منفعة: مؤاكلة حسنة ، ومشاربة جميلة ، فان لم تجدونى خيركم فانى خير لكم ولاية ، والله لا أحمل السيف على من لا سيف له ، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائل بلسانه ، فقد جعلت ذلك له دبر أذنى (٥) وتحت قدمى ، وإن لم تجدونى أقوم بحقكم كله ، فاقبلوا منى

(١) أى الخلافة .

(٢) من راض المهر : إذا ذلله .

(٣) هو أبو بكر الصديق .

(٤) سنية : مصغر سنة ، والمراد حكم عثمان .

(٥) جعل كلامك دبر أذنه ، لم يصغ اليه ولم يعرج عليه .

بعضه ، فان أتاكم منى خير فاقبلوه ، فان السيل إذا جاد يثرى ، وإذا قل أغنى ، وإياكم والفتنة ، فانها تفسد المعيشة ، وتكدر النعمة » .

ثم نزل .

٢ — وصيته لابنه يزيد

ولما حضرت معاوية الوفاة ؟ ويزيد غائب ، دعا معاوية مسلم بن عقبة المرى والضحاك بن قيس الفهرى ، فقال : أبلغا عنى يزيد وقولا له :

« يابنى إنى قد كفيتك الشد والترحال ، ووطأت [١] لك الامور ، وذللت لك الأعداء ، وأخضعت لك رقاب العرب ، وجمعت لك ما لم يجمعه أحد :

فانظر أهل الحجاز ، فانهم أصلك وعترتك [٢] ، فمن أتاك منهم فأكرمه ، ومن قعد عنك فتعهده .

وأنظر أهل العراق ، فان سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملا فافعل ، فان عزل عامل أهون عليك من سل مائة ألف سيف ، ثم لا تدرى علام أنت عليه منهم ؟

ثم انظر أهل الشام ، فأجعلهم الشعار [٣] دون الدثار ، فان رابك من عدوك ريب فارمهم [٤] بهم ، فان أظفرك الله بهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم ، ولا يقيموا فى غير بلادهم ، فيتأدبوا بغير أدبهم .

وإنى لست أخاف عليك أن ينازعك هذا الأمر إلا أربعة نفر من قريش : الحسين بن على ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبى بكر .

فأما عبد الله بن عمر . فرجل قد وقذه [٥] الورع ، وإذا لم يبق أحد غيره بايعك .

---

(١) وطأ : مهد . (٢) عترة الرجل . عشيرته الأدنون .

(٣) الشعار : الثوب يلبس على شعر الجسد ، والدثار : الذى يلبس فوق الشعار .

(٤) الضمير للعدو ؛ وهو للواحد والجمع ، والذكر والأنثى ، وقد يثنى ويجمع ويؤنث . (٥) وقذه : صرعه وتركه عليلا كاوقذه .

وأما الحسين بن علي: فأنه رجل خفيف، وأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه، وخذل أخاه، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه، فأن خرج وظفرت به، فأصفح عنه، فان له رحماً (١) ماسة، وحقا عظيما، وقرابة من محمد صلوات الله عليه وسلامه.

وأما ابن أبي بكر: فان رأى أصحابه صنعوا شيئا صنع مثلهم، ليست له همة إلا في النساء واللهو.

وأما ابن الزبير: فانه خب ضب (٢) فان ظفرت به فقطعه إربا (٣) «أو قال»:

«وأما الذي يجثم لك جثوم الاسد، ويراوغك مراوغة الثعلب. فان أمكنته فرصة وثب. فذاك ابن الزبير. فان هو وثب عليك. فظفرت به. فقطعه إربا إربا، واحقن دماء قومك ما استطعت».

٣ — خطبة عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل أخيه مصعب:

ولما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير (سنة ٧١ هـ) وانتهى خبر مقتله إلى عبد الله بن الزبير، أضرب عن ذكره أياما. حتى تحدث به إماء مكة في الطريق. ثم صعد المنبر فجلس عليه ملياً لا يتكلم. والكآبة على وجهه. وجبينه يرشح عرقا. فقال رجل من قريش لرجل إلى جانبه: ماله لا يتكلم؟ أتراه يهاب المنطق؟ فوالله إنه للبيب الخطباء، قال: لعله يريد أن يذكر مقتل مصعب سيد العرب، فيشتد ذلك عليه، وغير ملوم، ثم تكلم فقال:

«الحمد لله الذي له الخلق والأمر، وملك الدنيا والآخرة، يؤتى الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء.

أما بعد: فانه لم يعز الله من كان الباطل معه، وإن كان معه الأنام طراً (٤) ولم يذل من كان الحق معه، وإن كان مفردا ضعيفا، ألا وإنه قد أتانا خبر من

---

(١) الرحم: القرابة.

(٢) رجل خب ضب: خداع مراوغ. (٣) أي عضوا عضوا.

(٤) طرا جميعا.

العراق ، بلد الغدر والشقاق ، فساءنا وسرنا : أتانا أن مصعبا قتل رحمة الله عليه ومغفرته ، فأما الذى أحزننا من ذلك ، فان لفراق الحميم لذعة ولوعة يجدها حميمه عند المصيبة ، ثم يرعوى من بعد ذو الرأى والدين إلى جميل الصبر ، وكريم العزاء ، وأما الذى سرنا منه فانا قد علمنا أن قتله شهادة له ، وأنه عز وجل جاعل لنا وله فى ذلك الخيرة إن شاء الله تعالى .

أسلمه الطغام (١) ، الصم الآذان ، أهل العراق ، إسلام النعم المخطمة (٢) ، وباعوه بأقل من الثمن الذى كانوا يأخذون منه . فان يقتل فقد قتل أبوه وعمه وأخوه (٣) . وكانوا الخيار الصالحين .

إنا والله لا نموت حتف آنافنا (٤) ، ولكن قعصا (٥) بالرماح ، وموتا تحت

---

(١) الطغام : الاوغاد .

(٢) خطم البعير بالخطام : جعله على أنفه ، والخطام ككتاب : ما وضع فى أنف البعير ليقتاد به .

(٣) بعـــد أن اعتزل الزبير بن العوام أصحاب الجمل . انصرف إلى وادى السباع ، وقد تبعه عمرو بن جرموز فقتله فى الصلاة .

ويعنى بعمه عبد الرحمن بن العوام بن خويلد . وقد استشهد يوم اليرموك . وفى رواية «وابن عمه» ويعنى به عبدالله بن عبد الرحمن بن العوام . وقد قتل يوم الدار .

وأما أخوه فهو المنذر بن الزبير . وذلك أن جيش يزيد بعد أن أوقع باهل المدينة فى وقعة الحرة ، سار إلى مكة لغزو عبد الله بن الزبير ، فقال لاخيه المنذر: ما لهذا الامر ولدفع هؤلاء القوم غيرى وغيرك — وكان أخوه المنذر ممن شهد الحرة ثم لحق به — فجرد اليهم أخاه فى الناس ؛ فقاتلهم ساعة قتالا شديدا ؛ ثم إن رجلا من أهل الشام دعا المنذر إلى المبارزة ؛ فخرج إليه ؛ فضرب كل واحد منهما صاحبه ضربة خر صاحبه لها ميتا : وكان مقتله سنة ٦٤ هـ

(٤) الحتف : الموت ، ويقال : مات حتف أنفه : أى على فراشه من غير قتل ولا ضرب ، ولا غرق ، ولا حرق ، وخص الأنف لأنه أراد أن روحه تخرج =

ظلال السيوف ، وليس كما يموت بنو مروان ، والله ما قتل منهم رجل فى زحف فى جاهلية ولا إسلام قط ، ألا وإنما الدنيا عارية [1] من الملك القهار الذى لا يزول سلطانه ، ولا يبيد ملكه ، فان تقبل الدنيا على لم آخذها أخذ الأشر [2] البطر ، وإن تدبر عنى لم أبك عليها بكاء الخرق المهين [3] ، أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم ، ثم نزل .

٤ — خطبة عبد الملك بن مروان لما دخل الكوفة بعد قتل مصعب :

ودخل عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« أيها الناس : إن الحرب صعبة مرة ، وإن السلم أمن ومسرة ، وقد زبنتنا الحرب وزبناها [4] ، فعرفناها وألفناها ، فنحن بنوها وهى أمنا .

= من أنفه بتتابع نفسه ، أو لأنهم كانوا يتخيلون أن المريض تخرج روحه من أنفه والجريح من جراحته .

(٥) القعص : الموت السريع ، ومات قعصا : أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه ، وفى رواية : « إنا والله ما نموت حبجا كميتة آل أبى العاص » والحبج كسبب انتفاخ بطن البعير من أكل لحاء العرفج « كجعفر » وربما قتله ذلك ، يعرض ببنى مروان ، لكثرة أكلهم وإسرافهم فى ملاذ الدنيا وأنهم يموتون بالتخمة .

(١) العارية ويخفف : الشىء المستعار (٢) الأشر : البطر

(٣) الخرق وصف من الخرق كسبب : وهو الدهش من خوف أو حياء ، أو أن يبهت فاتحا عينيه ينظر . والمهين : الحقير . ويروى : « بكاء الخرف المهتر » والخرف بفتح فكسر : من فسد عقله فى الكبر ، والمهتر : من ذهب عقله من كبر أو مرض أو حزن ، من الهتر بضم الهاء ، وقد أهتر فهو مهتر « بضم الميم وفتح التاء » شاذ ، وقد قيل أهتر بالبناء للمجهول

(٤) أى دفعتنا ودفعناها ، والزبن : الدفع ومنه اشتقاق الزبانية « جمع زبنية أو زبنى بكسر الزاى وسكون الباء » لأنهم يدفعون أهل النار إلى النار ، ومنه أيضا : حرب زبون بفتح الزاى .

أيها الناس: فاستقيموا على سبل الهدى، ودعوا الأهواء المردية وتجنبوا فراق جماعات المسلمين، ولا تكلفونا أعمال المهاجرين الأولين، وأنتم لا تعملون أعمالهم، ولا أظنكم تزدادون بعد الموعظة إلا شرا، ولن نزداد بعد الإعذار إليكم والحجة عليكم إلا عقوبة، فمن شاء منكم أن يعود بعد لمثلها فليعد، فإنما مثلي ومثلكم كما قال قيس بن رفاعة الأنصاري:

من يصل ناري بلا ذنب ولا ترة ... يصل بنار كريم غير غدار (١)
أنا النذير لكم مني مجاهرة ... كي لا ألام على نهي وإنذار
فإن عصيتم مقالي اليوم فاعترفوا ... أن سوف تلقون خزيا ظاهر العار
لترجعن أحاديثا ملعنة ... لهو المقيم والهو المدلج الساري (٢)
من كان في نفسه حوجاء يطلبها ... عندي فإني له رهن بإصحار (٣)
أقيم عوجته إن كان ذا عوج ... كما يقوم قدح النبعة الباري (٤)
وصاحب الوتر ليس الدهر مدركه ... عندي، وإني لدراك بأوتار

٥ — خطبة عمرو بن سعيد في مجلس معاوية يوم عقد البيعة ليزيد:

حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد:

«١» الترة والوتر: الثأر.

«٢» أدلج: سار من أول الليل: فإن سار من آخره فقد ادلج بالتشديد، والساري. السائر بالليل.

«٣» الحوجاء: الحاجة، وقوله: بإصحار أي لا أستتر عنه ولا أمتنع في الأماكن الحصينة، من أصحر القوم. برزوا إلى الصحراء.

«٤» العوج بفتح العين. في كل ما كان منتصبا مثل الإنسان والعصا والعود وشبهه، والعوج بالكسر: ما كان في بساط أو أرض أو معاش أو دين، وقيل بالفتح مصدر، وبالكسر اسم منه. والقدح: السهم قبل أن يراش وينصل وجمعه قداح، والنبعة واحدة النبع وهو شجر القسي والسهام.

قال يزيد بن معاوية أمل « تأملونه وأجل تأمنونه ، إن استضفتم الى حلمه وسعكم وإن احتجتم إلى رأيه أرشدكم ، وإن افتقرتم إلى ذات يده أغناكم ، جذع قارح ، سوبق فسبق ، وموجد فجد ، وقورع ففاز سهمه ، فهو خلف أمير المؤمنين ولا خلف منه (١)

٦ — وصية عبد الملك بن مروان لولده عند وفاته :

ونظر عبد الملك عند وفاته إلى ابنه الوليد وهو يبكى عليه عند رأسه فقال :

« ياهذا : أحنين الحمامة ؟ إذا أنا مت فشمر واتزر ، والبس جلد نمر : وضع سيفك على عاتقك . فمن أبدى ذات نفسه لك فاضرب عنقه : ومن سكت مات بدائه » .

ثم أقبل عبد الملك يذم الدنيا . فقال : « إن طويلك لقصير ، وإن كثيرك لقليل ، وإن كنا منك لفي غرور »

ثم أقبل على جميع ولده فقال : « أوصيكم بتقوى الله . فانها عصمة باقية . وجنة واقية . فالتقوى خير زاد ؛ وأفضل فى المعاد . وهى أحصن كهف . وليعطف الكبير منكم على الصغير . وليعرف الصغير حق الكبير . مع سلامة الصدور . والأخذ بجميل الأمور . وإياكم والبغى والتحاسد . فبهما هلك الملوك الماضون وذوو العز المكين :

يابنى : أخوكم مسلمة . نابكم الذى تفرون (٢) عنه . ومجنكم (٣) الذى تستجنون به ، اصدروا عن رأيه ، وأكرموا الحجاج ، فانه الذى وطا لكم هذا الأمر :

كونوا أولادا أبرارا ، وفى الحروب أحرارا وللمعروف منارا وعليكم السلام

---

(١) ٧١ / ٢ الأمالى

(٢) فر الدابة : كشف عن أسنانها لينظر ما سنها والمعنى أنه أخوكم المجرب المحنك الذى تستفيدون بتجربته ويكشف لكم الأمور بحذقه وبصيرته

(٣) المجن : الترس

٧ — وصية عتبة بن أبى سفيان لمؤدب ولده :

وقال عتبة بن أبى سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده :

« ليكن أول ماتبدأ به من إصلاح بنى إصلاح نفسك ، فان أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم مااستحسنت ، والقبيح عندهم ما استقبحت ، وعلمهم كتاب الله ، ولاتكرههم عليه فيملوه ، ولاتتركهم منه فيهجروه ، ثم روهم من الشعر أعفه ، ومن الحديث أشرفه ، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه ، فان ازدحام الكلام فى السمع مضلة للفهم ، وتهددهم بى ، وأدبهم دونى ، وكن لهم كالطبيب الذى لايعجل بالدواء قبل معرفة الداء ، وجنبهم محادثة النساء ، وروهم سير الحكماء ، واستزدنى بزيادتك إياهم أزدك ، وإياك أن تتكل على عذر منى لك ، فقد اتكلت على كفاية منك ، وزد فى تأديبهم أزدك فى برى إن شاء الله تعالى

٨ — خطبة زياد البتراء :

وقدم زياد ابن أبيه البصرة « سنة ٤٥ هـ » واليا لمعاوية بن أبى سفيان ، والفسق بها كثير فاش ظاهر ، فخطب خطبة بتراء لم يحمد الله فيها ، وقيل بل قال .

„ الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه ، اللهم كما زدتنا نعما ، فألهمنا شكرا »

وأما بعد . فان الجهالة الجهلاء [1] ، والضلالة العمياء ، والغى الموفى بأهله على النار ، مافيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم [2] ، من الأمور العظام ينبت فيها الصغير ، ولايتحاشى عنها الكبير ؛ كأنكم لم تقرءوا كتاب الله . ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته . والعذاب الأليم لأهل معصيته . فى الزمن السرمدى [3] الذى لا يزول .

أتكونون كمن طرفت [4] عينيه الدنيا ، وسدت مسامعه الشهوات . واختار

---

(١) هذا الوصف توكيد للمبالغة . كقولهم . ليلة ليلاء

(٢) الحلماء . العقلاء .

(٣) السرمدى : الدائم .

(٤) طرف بصره : أطبق أحد جفنيه على الآخر ، وطرفه عنه كضربه : صرفه ورده .

الفانية على الباقية . ولا تذكرون أنكم أحدثتم فى الإسلام الحدث الذى لم تسبقوا إليه ، من تركـكم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله ، هذه المواخير [1] المنصوبة ؛ والضعيفة المسلوبة فى النهار المبصر . والعـدد غير قليل . ألم يكن منكم نهاة [2] تمنع الغواة عن دلج [3] الليل وغارة النهار ؟ قربتم القرابة . وباعدتم الدين ! تعتذرون بغير العذر . وتغضون على المختلس . كل امرىء منكم يذب عن سفيهه صنيع من لا يخاف عاقبة . ولا يرجو معادا . ما أنتم بالحلمـاء . ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم . حتى انتهكوا حرم [4] الاسلام ثم أطرقوا وراءكم . كنوسا [5] فى مكانس الريب . حرام على الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدما وإحراقا .

إنى رأيت آخر هـــذا الأمر لا يصلح إلا بمـا صلح به أوله . لين فى غير ضعف ، وشدة فى غير عنف ، وإنى أقسم بالله لآخذن الولى بالمولى [6] ، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والمطيع بالعاصى، والصحيح منكم فى نفسه بالسقيم، حتى

---

(١) المواخير جمع ماخور : وهو بيت الريبة .

(٢) نهاة جمع ناه ، وغواة جمع غاو .

(٣) الدلج : السير من أول الليل .

(٤) الحرم جمع حرمة : وهى مالا يحل انتهاكه ، روى الشعبى قال . . لما خطب زياد خطبته البتراء بالبصرة ونزل ، سمع تلك الليـلة أصوات الناس يتحارسون ، فقال : ماهذا ؟ قالوا : إن البـــلد مفتون ، وإن المرأة من أهل المصر لتأخذها الفتيان الفساق ؛ فيقال لهـا . نادى ثلاثة أصوات ، فان أجابك أحد ، وإلا فلا لوم علينا فيما نصنع !

(٥) كنوس جمع كانس . أى مستتر كجلوس جمع جالس ، وأصله من كنس الظبى كضرب : دخل فى كناسه (ككتاب) وهو مستتره من الشجر ، ومكانس الريب : مكامنها المستترة جمع مكنس كمجلس .

(٦) الولى . السيد والمولى هنا : العبد

يلقى الرجل منكم أخاه ، فيقول . « انج سعد فقد هلك سعيد [١] » أو تستقيم لى قناتكم .

إن كذبة المنبر بلقاء [٢] مشهورة . فاذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتى [٣] فاذا سمعتموها منى فاغتمزوها [٤] فى . واعلموا أن عندى أمثالها . من نقب منكم عليه فانا ضامن لما ذهب منه [٥] . فاياى ودلج الليل . فانى لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه . وقد أجلكم فى ذلك بمقدار ما يأتى الخبر الكوفة ويرجع إليكم . وإياى ودعوى [٦] الجاهلية ، فانى لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه .

وقد أحدثتم أحداثا لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة : فمن غرق قوما غرقناه ، ومن أحرق قوما أحرقناه ، ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه ، ومن

---

(١) سعد وسعيد هما ابنا ضبة بن أد، خرجا فى طلب إبل لأبيهما فوجدها سعد فردها وقتل سعيد فكان ضبة إذا رأى سوادا تحت الليل قال سعد أم سعيد ؟

(٢) من البلق بالتحريك وهو ارتفاع التحجيل فى الفرس إلى الفخذين والتحجيل : بياض فى قوائم الفرس ، والفرس البلقاء مشهورة لتميزها عما سواها ببلقها .

(٣) فى تاريخ الطبرى ، « قال الشعبى فوالله ما تعلقنا عليه بكذبة ولا وعدنا خيرا ولا شرا إلا أنفذه »

(٤) أى عدوها من عيوبى واغتمزه طعن عليه .

(٥) فى تاريخ الطبرى « وكان زياد أول من شد أمر السلطان ؛ وأكد الملك لمعاوية ، وألزم الناس الطاعة ، وتقدم فى العقوبة وجرد السيف بالظنة وعاقب على الشبهة وخافه الناس فى سلطانه خوفا شديدا حتى أمن الناس بعضهم بعضا حتى كان الشىء يسقط من الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه وتبيت المرأة فلا تغلق عليها بابها وكان يقول لو ضاع حبل بينى وبين خراسان علمت من أخذه »

(٦) قولهم . يالفلان ، والغرض : مناصرة العصبية .

نبش قبرا دفناه حيا فيه . فكفوا عنى أيديكم وألسنتكم ، أكفف عنكم يدى ولسانى ، ولا تظهر من أحـــد منكم ريبة بخلاف [١] ما عليه عامتكم ، إلا ضربت عنقه .

وقد كانت بينى وبين أقوام إحن [٢] فجعلت ذلك دبرا [٣] أذنى وتحت قدمى، فمن كان منكم محسنا فليزدد إحسانا ، ومن كان منكم مسيئا فلينزع عن إساءته . إنى لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضى لم أكشف له قناعا ، ولم أهتك له سترا ، حتى يبدى لى صفحته [٤] ؛ فاذا فعل ذلك لم أناظره ، فاستأنفوا أموركم ، وأعينوا على أنفسكم ، فرب مبتئس بقدومنا سيسر ؛ ومسرور بقدومنا سيبتئس .

أيها الناس : إنا أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم ذادة [٥] ، نسوسكم بسلطان الله الذى أعطانا ونذود عنكم بفىء الله الذى خولنا [٦] ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما ولينا ، فاستجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا ، واعلموا أنى مهما قصرت عنه فلن أقصر عن ثلاث: لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولو أتانى طارقا بليل ، ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن إبانه [٧] ، ولا مجمرا [٨] لكم بعثا .

---

(١) أى تخالف ما اجتمع عليه عامة القوم .

(٢) جمع إحنة . وهى الحقد والضغينة .

(٣) أى خلف أذنى ، وقد اقتبسها من كلام معاوية

(٤) أى حتى يجاهرنى بالعداوة

(٥) جمع ذائد أى مدافع

(٦) خولنا ، ملكنا ، والفىء : ما كان شمسا فينسخه الظل ، والخراج ، أى ندفع عنكم بظل الله ونعمته التى وهبنا ، أو ندفع عنكم بما صار فى أيدينا من أموال الخراج

(٧) أى وقته وموعده

(٨) جمر الجند حبسهم فى أرض العدو ولم يرجعهم

فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم ، فانهم ساستكم المؤدبون لكم ، وكهفكم الذى إليه تأوون ، ومتى يصلحوا تصلحوا ، ولا تشربوا قلوبكم بغضهم ، فيشتد لذلك غيظكم ، ويطول له حزنكم ، ولا تدركوا له حاجتكم ، مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شرا لكم ، أسأل الله أن يعين كلا على كل ، وإذا رأيتمونى أنفذ فيكم الأمر فانفذوه على أذلاله (١) ، وأيم الله إن لى فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل امرىء منكم أن يكون من صرعاى .

فقال إليه عبد الله بن الأهتم فقال : « أشهد أيها الأمير لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب » فقال له « كذبت ، ذاك نبي الله داود صلوات الله عليه » فقام الأحنف بن قيس فقال . « إنما الثناء بعد البلاء والحمد بعد العطاء وإنا لن نثنى حتى نبتلى » فقال له زياد . صدقت . فقام أبو بلال مرداس (٢) بن أدية وهو يهمس ويقول . أنبأنا الله بغير ما قلت ، قال الله تعالى « وإبراهيم الذى وفى ، ألا تزر وازرة وزرى أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ماسعى » وأنت تزعم أنك تأخذ البرىء بالسقيم ، والمطيع بالعاصى ، والمقبل بالمدبر ، فسمعها زياد فقال . « إنا لا نبلغ ما نريد فيك وفى أصحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوضا » .

٩ — خطبة الحجاج وقد قدم البصرة

وخطب الحجاج بن يوسف الثقفى لما قدم البصرة يتهدد أهل العراق ويتوعدهم فقال .

أيها الناس . من أعياه داؤه ، فعندى دواؤه ، ومن استطال أجله فعلى أن أعجله ، ومن ثقل عليه رأسه ، وضعت عنه ثقله ، ومن استطال ماضى عمره ، قصرت عليه باقيه ، إن للشيطان طيفا ، وللسلطان سيفا ، فمن سقمت سريرته ، صحت

---

(١) أى على وجوهه وطرقه جمع ذل بالكسر ، وذل الطريق محجته ، وأمور الله جارية على أذلالها ، أى مجاريها

(٢) هو من رؤساء الخوارج

عقوبته ، ومن وضعه ذنبه ، رفعه صلبه ، ومن لم تسعه العافية ، لم تضيق عنه الهلكة ومن سبقته بادرة [1] فمه ، سبق بدنه بسفك دمه .

إنى أنذر ثم لا أنظر [2] . وأحذر ثم لا أعذر . وأتوعد ثم لا أعفو . إنما أفسدكم ترنيق [3] ولاتكم . ومن استرخى لببه [4] . ساء أدبه . إن الحزم والعزم سلبانى سوطى . وأبدلانى به سيفى [5] فقائمه فى يدى . ونجاده [6] فى عنقى وذبابه [7] قلادة لمن عصانى . والله لا آمر أحدكم أن يخرج من باب من أبواب المسجد فيخرج من الباب الذى يليه . إلا ضربت عنقه

١٠ — من خطبة لأبى حمزة الشارى

وبلغ أبا حمزة [8] الشارى أن أهل المدينة يعيبون أصحابه ، بحداثة أسنانهم ، وخفة احلامهم ، فصعد المنبر وخطبهم خطبة منها :

---

(١) بدرت منه بادرة سبقت منه سقطة

(٢) أنظره : أمهله

(٣) الترنيق : الضعف فى الأمر .

(٤) اللبب . مايشد فى صدر الدابة ليمنع استئخار الرحل ، والمراد أن الموادة او اللين تفسد أدب الرعية .

(٥) أى أنه رأى من الحزم والعزم المبالغة فى استعمال الشدة والقوة فى التأديب فطرح السوط واستبدل به ماهو أشد منه وهو السيف .

(٦) النجاد : علاقة السيف .

(٧) ذباب السيف : حده

(٨) هو أبو حمزة المختار بن عوف الأزدى السلمى من أهل البصرة ، وهو من رؤساء الخوارج (ويسمون الشراة كقضاة جمع شار كقاض ، من شرى يشرى كرمى أى باع ، سموا بذلك لقولهم شرينا أنفسنا فى طاعة الله أى بعناها ووهبناها أخذا من قوله تعالى : ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ، أو لقولهم شرينا الآخرة بالدنيا ، أى اشتريناها . وقد قاتل أهل المدينة ودخلها سنة ١٣٠ ه

« وقد بلغني أنكم تنتقصون أصحابي ! قلتم هم شباب أحداث وأعراب جفاة ، ويحكم يأهل المدينة ! وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله المذكورون فى الخير إلا شبابا أحداثا ؟ أما والله إنى لعالم بتتابعكم فيما يضركم فى معادكم ، ولولا اشتغالى بغيركم عنكم ما تركت الأخذ فوق أيديكم .

شباب والله مكتهلون (١) فى شبابهم ، غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم ، أنضاء (٢) عبادة ، وأطلاح (٣) سهر ، باعوا أنفسا تموت غدا بأنفس لا تموت أبدا ، قد نظر الله إليهم فى جوف الليل ، منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقا إليها ، وإذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه ، قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم ، ووصلوا كلال (٤) الليل بكلال النهار ، مصفرة ألوانهم ، ناحلة أجسامهم . من طول القيام : وكثرة الصيام . مستقلون لذلك فى جنب الله ، موفون بعهد الله منجزون لوعد الله

حتى إذا رأوا سهام العدو وقد فوقت (٥) ، ورماحهم وقد أشرعت (٦) ، وسيوفهم وقد انتضيت (٧) ، وبرقت الكتيبة ورعدت بصواعق الموت ،

---

(١) أى قد أحرزوا رزانة الكهول وسداد رأيهم

(٢) أنضاء جمع نضو بكسر النون : وهو المهزول

(٣) أطلاح جمع طلح وهو كنضو وزنا ومعنى

(٤) الكلال ، التعب والاعياء

(٥) فوق السهم جعل له فوقا (بالضم) وهو موضع الوتر من السهم أى أعدت للرمى

(٦) أشرعت : سددت

(٧) انتضيت : استلت

استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ؛ ولم يستخفوا بوعيد الله لوعيد الكتيبة ، ولقوا شبا (١) الأسنة ، وشائك السهام ، وظبات السيوف ، بنحورهم ووجوهم وصدورهم ، فمضى الشاب منهم قدما ، حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه ، واختضبت محاسن وجهه بالدماء ، وعفر (٢) جبينه بالثرى ، وانحطت عليه طير السماء ، وتمزقته سباع الأرض . فطوبى لهم وحسن مآب .

فكم من عين فى منقار طائر طالما بكى صاحبها فى جوف الليل من خوف الله ، وكم من يد قد أبينت (٣) عن ساعدها ، طالما اعتمد عليها صاحبها راكعا وساجدا ، وكم من وجه رقيق ، وجبين عتيق (٤) ، قد فلق بعمد الحديد . ثم بكى وقال : آه آه على فراق الإخوان ، رحمة الله على تلك الأبدان ، وأدخل أرواحهم الجنان .

١١ — خطبة قطرى (٥) بن الفجاءة فى ذم الدنيا

صعد قطرى بن الفجاءة منبر الأزارقة (٦) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد فانى أحذركم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وراقت بالقليل

---

(١) الشبا جمع شباة ؛ وهى حد كل شىء ؛ والظبات جمع ظبة ؛ وهى حد السيف

(٢) أصابه العفر بالتحريك وهو التراب .

(٣) أبينت : فصلت .

(٤) عتيق : كريم .

(٥) هو أبو نعامة قطرى بن الفجاءة التميمى كان رئيس الخوارج مدة طويلة ولذلك يقول الحريرى فى المقامة السادسة : فقلدوه فى هذا الامر الزعامة . تقليد الخوارج أبا نعامة . وكان مقداما قوى النفس من الخطباء المشهورين وهو القائل .

وما المـــرء خير فى حياة اذا ما عد من سقط المتاع

قتل سنة ٧٨ هـ .

(٦) الازارقة : طائفة من الخوارج ينسبون الى صاحب مذهبهم (عبد الله بن الازرق) .

وتحببت بالعاجلة وعمرت بالآمال وتحلت بالأماني وازينت بالغرور، لاتدوم (١) حبرتها ولاتؤمن فجعتها، غدارة ضرارة، وحائلة زائلة، ونافدة بائدة، أكالة غوالة، بدالة نقالة. لاتعدو اذا هي تناهت الى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا عنها أن تكون كما قال الله تعالى: كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا) مع أن امرأ لم يكن منها في حبرة، إلا أعقبته بعدها عبرة، ولم يلق من سرائها بطنا، إلا منحته من ضرائها ظهرا. ولم تطله (٢) فيها ديمة رخاء إلا هطلت عليه مزنة بلاء. وحرى اذا أصبحت له منتصرة، أن تمسى له خاذلة متنكرة. وإن جانب منها اعذوذب واحلولى أمر عليه جانب وأوبى، وان لبس امرؤ من غضارتها (٣) ورفاهيتها (٤) نعما، أرهقته من نوائبها نقما ولم يمس امرؤ منها في جناح أمن، إلا أصبح منها على قوادم خوف، غرارة غرور مافيها، فان ماعليها. لاخير في شيء من زادها إلا التقوى. من أقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه (٥): كم واثق بها قد فجعته وذى طمأنينة اليها قد صرعته وذى احتيال فيها قد خدعته، وكم ذى ذى أبهة فيها قد صيرته حقيرا: وذى نخوة فيها قد ردته ذليلا؛ وذى تاج قد كبته لليدين وللفم. سلطانها دول؛ وعيشها رنق (٦)؛ وعذبها أجاج، وحلوها مر وغذاؤها سمام (٧)، وأسبابها رمام، وقطافها سلع (٨). حيها بعرض موت،

---

(١) الحبرة: النعمة

(٢) طل المطر الارض. نزل عليها، والديمة. مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق. والمزنة. المطرة أو السحابة ذات الماء.

(٣) الغضارة. النعمة والسعة والخصب.

(٤) الرفاهة والرفاهية. لين العيش.

(٥) أوبقه. أهلكه. (٦) الرنق. الكدر.

(٧) السمام. جمع سم، والرمام. البالى من الحبال

(٨) السلع: بقلة خبيثة الطعم أو شجر مر أو سم

وصحيحها بعرض سقم ، ومنيعها بعرض اهتضام . مليكها مسلوب ، وعزيزها مغلوب . وسليمها منكوب . وجامعها محروب (١) . مع أن من وراء ذلك سكرات الموت وهول المطلع والوقوف بين يدى الحكم العدل . ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى ، ألستم فى مساكن من كان أطول منكم أعمارا ، وأوضح آثارا ، وأعد عديدا . وأكثف جنودا . وأعتد عتادا (٢) وأطول عمادا ؟ تعبدوا (٣) للدنيا أى تعبد وآثروها أى إيثار وظعنوا عنها بالكره والصغار . فهل بلغكم أن الدنيا سمحت لهم نفسا بفدية وأغنت عنهم فيما قد أصلتهم بحيلة ؟ بل قد أرهقتهم (٤) بالفوادح . وضعضعتهم بالنوائب . وعقرتهم بالمصائب . وقد رأيتم تنكرها لمن دان لها وآثرها واخلد (٥) اليها حتى ظعنوا عنها لفراق الأبد . الى آخر الأمد . هل زودتهم إلا الشقاء وأحلتهم إلا الضنك أو نورت لهم إلا الظلمة أو أعقبتهم إلا الندامة ؟

١٢ — نصيحة رجل لهشام

وخرج الزهرى يوما من عند هشام بن عبد الملك ، فقال : ما رأيت كاليوم ولا سمعت كاربع كلمات تكلم بهن رجل عند هشام . دخل عليه فقال : ياأمير المؤمنين احفظ عنى أربع كلمات فيهن صلاح ملكك واستقامة رعيتك . قال : ما هن ؟ قال : لا تعد عدة لاتثق من نفسك بانجازها ؛ ولا يغرنك المرتقى وإن كان سهلا إذا كان المنحدر وعرا ، واعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب ، وأن للأمور بغتات (٦) فكن على حذر . قال عيسى بن دأب : فحدثت بها الحديث المهدى وفى

---

(١) المحروب . المسلوب المال

(٢) العتاد . العدة وعتد : صار عتادا حاضرا .

(٣) يريد . خضعوا

(٤) أرهقه . حمله مالا يطيق (٥) أخلد اليه . مال

(٦) البغتات : جمع بغتة وهى الفجأة .

يده لقمة قد رفعها الى فيه فأمسكها : وقال ويحك ! أعد على فقالت : ياأمير المؤمنين أسغ [١] لقمتك . فقال : حديثك أعجب الى .

١٣ — نصيحة أعرابى لسليمان بن عبد الملك

قال أعرابى لسليمان بن عبد الملك . انى أكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله فان وراءه إن قبلته ما تحبه . قال . هاته يا أعرابى فنحن نجود بسعة الاحتمال على من لا نأمن غيبته ولا نرجو نصيحته وأنت المأمون غيبا الناصح جيبا [٢] . قال فانى سأطلق لسانى بما خرست عنه الألسن تأدية لحق الله تعالى ، إنه قد اكتنفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا [٣] دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم وخافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك ، فهم حرب للآخرة وسلم للدنيا فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه

١٤ — وخطب الحسين لما عزم على الخروج إلى العراق :

الحمد لله . وما شاء الله ولا قوة إلا بالله . وصلى الله على رسوله ، خط الموت على ولد آدم ، مخط القلادة على جيد الفتاة ، وما أولهنى على اسلافى اشتياق يعقوب الى يوسف . وخير لى مصرع أنا لاقيه . كأنى بأوصالى يتقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا فتملأن منى أكراشا جوفا . وأجربة شغبا . لامحيص عن يوم خط بالقلم رضا الله . ورضانا أهل البيت فنصبر على بلائه . ويوفينا أجور الصابرين لن يشذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لحمة هى مجموعة له فى حظيرة القدس تقربهم عينه . وينجز لهم وعده ، ومن كان باذلا فينا مهجته ، وموطنا على لقائنا نفسه فليرحل فانى راحل مصبحا إن شاء الله

---

(١) أساغ اللقمة . ابتلعها .

(٢) فلان ناصح الجيب : يراد به قلبه وصدره أى أمين ، قال الشاعر .

وخشنت صدرا جيبه لك ناصح

(٣) ابتاع . اشترى .

وخطب غداة اليوم الذى استشهد فيه

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

ياعباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر فان الدنيا لو بقيت على أحد أو بقى عليه أحد لكانت الأنبياء أحق بالبقاء ، وأولى بالرضاء، وأرضى بالقضاء ، غير أن الله تعالى خلق الدنيا للفناء فجديدها بال ، ونعيمها مضمحل وسرورها مكفهر ، والمنزل تلعة ؛ والدار قلعة ، فتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقوا الله لعلكم تفلحون

وصف الخطابة

فى العصر الأموى

ا — كانت كل الظروف السياسية والاجتماعية والأدبية تساعد إلى حد بعيد على ازدهار الخطابه ورقيها فى العصر الأموى

١ — فالثورات السياسية والحروب والخلافات بين الأحزاب [1] والمبادىء والعقائد كل ذلك عمل عمله فى نهضة الخطابة وسموها

٢ — وقربهم من العصر الجاهلى أمدهم بسلامة الملكات وبلاغة القول وحصافة الرأى مما كان له أثره فى الخطابة الأموية، وساعد على ذلك أثر القرآن وبلاغته فى نفوسهم وألسنتهم

٣ — وغلبة الشعور الدينى، وكثرة مجالس الوعظ وقوة العصبيات؛ مما دعا إلى الخطابة واستلزمها

٤ — وكثرة الفتوحات الإسلامية فى خراسان وشمال أفريقية والأندلس كانت عاملا من عوامل رفعة شأن الخطابة وكثرتها ونهضتها

٥ — وكثرة الوفود على الخلفاء والأمراء والولاة جعل الخطابة أداة القول ووسيلة البيان فى هذه المقامات والأحوال، وبعث فيها روح الفتوة والقوة والحصافة إلى غير ذلك من الأسباب التى حفزت على الخطابة وساعدت على نموها وبلوغها هذه المنزلة العالية بين ألوان الأدب فى العصر الأموى الحافل

ب — وموضوعات الخطابة أو أغراضها فى هذا العصر كانت كثيرة متشعبة، ولقد زادت موضوعاتها بما استجد فى شئون الدين والسياسة والاجتماع، ومن أهمها :

---

(١) وقد تعددت الأحزاب فى العصر الأموى فمن شيعة وأمويين وخوارج وروافض وسواهم

١ - استعمال الخطابة فى الدعاية السياسية عند الفرق والأحزاب

٢ - استعمالها فى الجدل الدينى عند الخوارج والشيعة وسواهم

٣ - استعمالها عند الخلفاء والولاة والأمراء أداة للوعيد والانذار

٤ - استعمالها فى المناقضات والمفاخرات والمحاورات التى كانت تدور بين العصبيات المختلفة فى السياسة والاجتماع والآداب.

٥ - استعمالها فوق ذلك فى أغراض الجاهلية وصدر الاسلام من وصية بمعروف ونصيحة بخير وتحريض على القتال وتهنئة بنصر وفى صلاة الجمعة والعيدين والحج إلى غير ذلك من المواقف

ج - وتمتاز الخطابة فى العصر الأموى بما يأتى :

١ - ظهور النزعة الدينية فى الكثير منها كما فى خطبة قطرى من الفجاءة وأبى حمزة الشارى وسواهما

٢ - كثرة أساليب التهديد والتوبيخ والوعيد والانذار فى الخطابة

٣ - اقتباسها من القرآن الكريم تارة ومن الشعر الجاهلى أحيانا أخرى

٤ - التزامهم سب آل على فى خطب الامويين السياسية والدينية ماعدا عمر بن عبد العزيز الذى أبدل ذلك وجعل مكان تنقص على وآل بيته قوله تعالى « إن الله يأمر بالعدل والاحسان »

٥ - ظهور أثر البلاغة الجاهلية بما فيها من إغراب وشدة وصلابة فى خطابة هذا العصر (١)

---

(١) وكانت الخطب فى هذا العهد تفتتح دائما بحمد الله والصلاه والسلام على نبيه وعابوا على زياد بن أبيه تجريد خطبته التى خطبها أول دخوله البصرة واليا عليها من حمد الله والصلاة على نبيه وسموها : « البتراء » لذلك .

ثم يفيض الخطيب فى موضعه ثم يختمها بقوله : « أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم » وربما أعاد بعد ذلك الحمد لله والصلاة على النبي والدعاء للخليفة فى الجمع والمواسم.

د - وقد بقيت هيئة الخطيب وعادات الخطابة كما هي وكما كانت فى العصر الجاهلى وصدر الاسلام وكان من سنة الخلفاء والولاة أن يخطبوا الناس بأنفسهم يوم الجمعة حتى جاء الوليد وكان كثير اللحن عيي اللسان فأناب عنه من يخطب الناس ومن ذلك الحين أخذت الخطابة تنزل عن مكانتها العالية وبدأت الكتابة تحتل مكانها الضخم وكانوا يحرصون فى خطابتهم على التزين بزى العرب والخطبة من قيام والاعتماد على قوس أو قائم سيف أو مخصرة ، وخطب الوليد بن عبد الملك جالسا فلم تستحسن منه ولا ممن حاكاه من بنى أمية

هـ - وعلى الجملة فقد بلغت الخطابة فى هذا العصر منزلة عالية وحفلت بها النوادى والمجامع وقصور الخلفاء والأمراء وأماكن القضاء وميادين الحروب وذلك كله يرجع إلى سلامة الملكة وكثرة دواعى الخطابة وانتشار العصبيات وما يشعر به العربى من أنفة وكبرياء

ونبغ فى الخطابة الكثير من البلغاء والفصحاء والمقاول المصاقع من بنى هاشم وفصحاء القواد والبلغاء كالحسين بن على ، وحفيده زيد ، وكمعاوية وعبد الملك وسليمان وعمر بن عبد العزيز ، وكالحجاج ، وقتيبة بن مسلم وخالد القسرى والمهلب بن أبى صفرة من ولاتهم ، وكعبد الله بن الزبير والمختار وابن الأشعث من الخارجين عليهم ، وكعمران بن حطان وقطرى بن الفجاءة وأبى حمزة الاباضى من الخوارج ، وكصعصعة بن صوحان وسحبان بن وائل من رؤساء القبائل ، ومن خطباء الأمصار ممن أدرك الدولتين الأموية والعباسية كخالد بن صفوان وعقال ابن شبة .

ثانيا — الكتابة

في عصر بنى أمية

نماذج للكتابة .

١ — كتب معاوية بن أبي سيفان الى ابنه يزيد وقد بلغه مقارفته (١) للذات وانهماكه فى الشهوات .

أما بعد فقد أدت ألسنة التصريح الى أذن العناية بك ، ما فجع الأمل فيك ، وباعد الرجا منك ؛ إذ مـــلأت العيون بهجة ، والقلوب هيبة ، وترامت (٢) إليك آمال الراغبين ، وهمم المنافسين ، فسخت بك فتيان قريش وكهول أهلك ، فما يسوغ لهم ذكرك إلا على الجرة المهوعة (٣) ، والكظ الجشء (٤) ، اقتحمت البوائق (٥) ، وانقدت إلى المعاير ، واعتضتها من سمو الفضل ، ورفيع القدر ، فليتك — يزيد — إذا كنت لم تكن ، سررت يافعا ناشئا ؛ وأثقلت كهلا ضائعاً (٦) . فواحزناه عليك يزيد ! ويا حرصدر المشكل بك ، ما أشمت فتيان بنى هاشم ! وأذل فتيان بنى عبد شمس عند تفاوض المفاخر ودراسة المناقب ! فمن

---

(١) قارف الذنوب ، قاربها وخالطها

(٢) ترامت إليه العيون تطلعت

(٣) الجرة ما يفيض به البعير فيأكله ثانية وكذا غيره من النعم والمهوعة من هوعه أى قيأه وهذا تمثيل يقول إنهم يستثقلون ذكرك

(٤) الكظ الامتلاء من الطعام والجشء الكثير وهذا تمثيل أيضا

(٥) البوائق جمع بائقة وهى الداهية

(٦) الضائع والضليع القوى

لصلاح ما أفسدت ، ورتق ما فتقت ؟ هيهات ، خمشت (١) الدربة (٢) وجه التصبر بك ، وأبت الجناية إلا تحدرا على الألسن وحلاوة على المناطق ، ما أربح فائدة نالوها ، وفرصة انتهزوها ! انتبه « يزيد » للعظة ، وشاور الفكرة ، ولا تكن الى سمعك أسرع من معناها إلى عقلك ، واعلم أن الذى وطأك وسوسة الشيطان ، وزخرفة السلطان ، مما حسن قبحه واحلولى عندك مره ، أمر شركاك فيه السواد (٣) ونافسكه الأعبد ، فاضعت به من قدرك وأمكنت به من نفسك فمن لهذا كله :

اعلم يايزيد أنك طريد الموت وأسير الحياة . بلغنى أنك اتخذت المصانع والمجالس للملاهى والمزامير كما قال تعالى . أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون (٤) وأجهرت الفاحشة حتى اتخذت سريرتها عندك جهرا

اعلم يازيد أن أول ما سلبكه السكر معرفة مواطن الشكر لله تعالى على نعمه المتظاهرة وآلائه المتواترة ، وهى الجرحة العظمى ، والفجعة الكبرى ترك الصلوات المفروضات فى أوقاتها ؛ وهى من أعظم مايحدث من آفاتها ، ثم استحسان العيوب ، وركوب الذنوب ، وإظهار العورة ، وإباحة السر . فلا تأمن نفسك على سرك ، ولا تعقد (٥) على فعلك فما خير لذة تعقب الندم ؛ وتعفى (٦) الكرم ؟ وقد توقف أمير المؤمنين بين شطرين من أمرك لما يتوقعه من غلبة الآفة واستهلاك الشهوة فكن الحاكم على نفسك ، واجعل المحكوم عليه ذهنك ، ترشد إن شاء الله تعالى وليبلغ أمير المؤمنين مايرد شاردا من نومه فقد أصبح نصب (٧) الاعتزال من كل مؤانس ، ودريئة (٨) الألسن الشامتة . وفقك الله فأحسن

---

(١) خمش لطم (٢) الدربة التجربة

(٣) السواد العامة

(٤) تقدم شرح غريب الآية فى خطبة قطرى

(٥) يقول تفقد بالشراب الارادة والعزيمة

(٦) تعفى تذهب (٧) النصب هنا الغرض والهدف

(٨) الدريئة الحلقة التى يتعلم الرامى الطعن والرمى عليها

٢ — كتاب الحجاج إلى المهلب بن أبي صفرة

ولما ولى الحجاج العراق، استنفر الناس لقتال الخوارج مع المهلب بن أبي صفرة، وخرج المهلب فى آثارهم، ونشب بينه وبينهم القتال فانكشفوا وقد كثر فيهم القتل والجراح.

وكتب الحجاج إلى المهلب من قبل الوقعة:

« أما بعد: فانه بلغنى أنك أقبلت على جباية الخراج، وتركت قتال العدو، وإنى وليتك وأنا أرى مكان عبدالله بن حكيم المجاشعى، وعباد بن حصين الحبطى، واخترتك وأنت من أهل عمان [١]، ثم رجل من الأزد، فالقهم يوم كذا فى مكان كذا، وإلا أشرعت [٢] إليك صدر الرمح ».

فشاور بنيه، فقالوا: إنه أمير، فلا تغلظ عليه فى الجواب.

فكتب إليه المهلب:

« ورد على كتابك تزعم أنى أقبلت على جباية الخراج، وتركت قتال العدو، ومن عجز عن جباية الخراج فهو عن قتال العدو أعجز، وزعمت أنك وليتنى ترى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعى، وعباد بن حصين الحبطى، ولو وليتهما لكانا مستحقين لذلك، فى فضلهما وغنائهما [٣] وبطشهما، واخترتنى وأنا رجل من الأزد، ولعمرى إن شرا من الأزد لقبيلة [٤] تنازعها ثلاث قبائل لم تستقر فى واحدة منهن، وزعمت أنى إن لم ألقهم فى يوم كذا فى مكان كذا، أشرعت إلى صدر الرمح، فلو فعلت لقلبت إليك ظهر المجن [٥]، والسلام ».

---

(١) عمان: بلد باليمن. (٢) أشرعت: سددت.

(٣) أى كفايتهما.

(٤) يعنى قبيلة ثقيف. قبيلة الحجاج، فهى متنازعة بين هوازن وإياد وثمود.

(٥) المجن: الترس، وقلب له ظهر المجن: كلمة تضرب مثلا لمن كان لصاحبه على مودة أو رعاية ثم حال عن ذلك، أى أسقط الحياء وفعل ماشاء.

٣ — كتاب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان

وكان عروة بن الزبير عاملا على اليمن لعبد الملك بن مروان ، فاتصل به أن الحجاج مجمع على مطالبته بالأموال التى بيده وعزله عن عمله ، ففر إلى عبد الملك وعاذ به تخوفا من الحجاج ، واستدفاعا لضرره وشره ، فلما بلغ ذلك الحجاج كتب إلى عبد الملك بن مروان :

« أما بعد : فان لواذ [1] المعترضين بك، وحلول الجانحين إلى المكث بساحتك واستلانتهم دمث [2] أخلاقك ، وسعة عفوك ، كالعارض [3] المبرق لأعدائه لا يعدم له شائما [4] ، رجاء استمالة عفوك ، وإذا أدنى الناس بالصفح عن الجرائم كان ذلك تمريناً لهم على إضاعة الحقوق مع كل ضال ، والناس عبيد العصا ، هم على الشدة أشد استباقا منهم على اللين ، ولنا قبل عروة بن الزبير مال من مال الله ، وفى استخراجه منه قطع لطمع غيره ، فليبعث به أمير المؤمنين إن رأى ذلك والسلام

فلما قرأ الكتاب بعث إلى عروة ثم قال له ، إن كتاب الحجاج قد ورد فيك وقد أبى إلا إشخاصك [5] إليه ، ثم قال لرسول الحجاج : شأنك به ، فالتفت إليه عروة مقبلا عليه وقال ،

« أما والله ماذل وخزى من مات ، ولكن ذل وخزى من ملكتموه ! والله لئن كان الملك بجواز الأمر ونفاذ النهى إن الحجاج لسلطان عليك ، ينفذ أموره دون

---

(١) لاذ به لوذا ولواذا ولياذا : لجأ اليه وعاذ به ، وفى الأصل «لوذان» ولم نجده فى كتب اللغة مصدرا ؛ وإنما الذى فيها « ويقال هو بلوذان كذا بفتح اللام وسكون الواو أى بناحية كذا » ومعناه هنا غير مناسب ، ولذا جعلناه (لواذا) .

(٢) دمث دمثا كفرح فهو دمث : لان وسهل ، والدماثة : سهولة الخلق .

(٣) العارض . السحاب المعترض فى الأفق .

(٤) شام البرق نظر إليه أين يقصد وأين يمطر

(٥) أى إرسالك .

أمورك ! إنك لتريد الأمر يزينك عاجله ، ويبقى لك أكرومة (١) آجله ، فيجذبك عنه ، ويلقاه دونك ، ليتولى من ذلك الحكم فيه ، فيحظى بشرف عفو إن كان ، أو بجرم عقوبة إن كانت ، وما حاربك من حاربك إلا على أمر هذا بعضه »

فنظر فى كتاب الحجاج مرة ، ورفع بصره الى عروة تارة ، ثم دعا بدواة وقرطاس ، فكتب اليه :

« أما بعد فان أمير المؤمنين رآك — مع ثقته بنصيحتك — خابطا فى السياسة خبط عشواء (٢) الليل ، فان رأيك الذى يسول لك ان الناس عبيد العصا ، هو الذى أخرج رجالات العرب إلى الوثوب عليك ، واذا أحرجت العـــامة بعنف السياسة «كانوا أوشك (٣) وثوبا عليك عند الفرصة ، ثم لا يلتفتون الى ضلال الداعى ولا هداه ، إذا رجوا بذلك ادراك الثأر منك ، وقد وليت العراق قبلك ساسة ، وهم يومئذ أحمى أنوفا ، وأقرب من عمياء الجاهلية ، وكانوا عليهم أصلح منك عليهم ، وللشدة واللين أهلون ، والافراط فى العفو أفضل من الافراط فى العقوبة ، والسلام ؟

٤ — وكتب بشر إلى عبد العزيز بن مروان يعتذر عن كتاب

بسم الله الرحمن الرحيم :

لولا الهفوة لم أحتج إلى العذر ولم يكن لك فى قبوله منى الفضل ولو احتمل الكتاب اكثر مما ضمنته لزدت فيه وبقية الأصاغر على الاكابر من شيم الاكارم ولقد أحسن مسكين الدرامى حين قال

أخاك أخاك أن من لا أخا له كساع إلى الهيجا بغير سلاح
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازى بغير جناح

---

(١) الأكرومة أفعل الكرم ، أفعولة من الكرم كأعجوبة من العجب
(٢) العشواء ، الناقة التى لا تبصر أمامها ، فهى تخبط بيديها كل شىء
(٣) أى أسرع

وصف الكتابة في العصر الأموي

١ — علمتم أن العرب في الجاهلية لم يكن لهم الف بالكتابة ولا معرفة لها وفي (١) صدر الاسلام انتشرت الكتابة بتشجيع الرسول وخلفائه للحاجة إليها في تصريف شئون الدولة ومرافقها وتنظيم الدواوين المختلفة

وأول من عنى بالكتابة في أعمال الخلافة والدولة عمر بن الخطاب فاتخذ ديوان الجيش يدون فيه أسماء الجند وأنسابهم وأعطياتهم فكان أول من دون الدواوين من الخلفاء وكان يقول لكتابه : « إن القوة على العمل الا تؤخروا عمل اليوم لغد فانكم إذا فعلتم ذلك تداءبت عليكم الأعمال فلا تدرون بأيها تبدءون وأيها تؤخرون » . كما أنشأ عمر ديوان الخراج ويشبه وزارة المالية الآن وكان كل عمله حساب إيراد الدولة أو الأقليم ومصروفاتهما وليس فيه عناية بأسلوب الكتابة وبلاغتها

وكانت الكتابة في مظاهرها في عصر صدر الإسلام بسيطة يغلب عليها عدم الصنعة أو التكلف وتشيع فيها السهولة ويغلب عليها الايجاز . لاأثر فيها للتنوق وتهذيب الأساليب والحرص على الصنعة . وقد سبق تفصيل ذلك

٢ — وجاء العصر الأموي والكتابة على ماعلمت فأنشأ معاوية ديوان الخاتم لتسجيل رسائل الخلافة حتى لايطلع عليها أحد سوى المرسل إليه كما أنشأ ديوان الرسائل ويشبه نظام الديوان الملكي الآن وكان خاصاً بكتابة رسائل الخليفة وكان يكتب له على الرسائل عبيد الله بن أوس الغساني ويكتب له على ديوان الخراج سرجون الرومي بالخط الرومي إلى أن نقلت دواوين الخراج من الفارسية إلى العربية على يد صالح بن عبد الرحمن في أيام الحجاج ، ومن الروميه

---

(١) وفي الأغاني ١٦٤ / ٢ : كان الرجل في الجاهلية اذا كان شاعرا شجاعا كاتبا سابحا راميا سموه الكامل ، وأظن أن هذه الرواية مختلقة لندرة الكتابة في العصر الجاهلي .

إلى العربية على يد سليمان أيام عبد الملك ثم نقلت فى مصر من القبطية إلى العربية زمن الوليد فأصبحت لغة الدواوين كلها عربية

وبعد فــلا يعنينا هنا الكتابة فى ديوان الخراج أو ديوان الخاتم لأن الكتابة فيهما ليست موضع بحث الأديب وعنايته لأنها لا تعتمد على الأسلوب الفنى البليغ .

وإنما الذى يعنينا من الكتابة هو :

١ — ماكان يصدر عن ديوان الرسائل من الكتب البليغة الصادرة عن قصر الخلافة أو الامارة إلى الولاة والقواد ورجال الدولة والعمال .

٢ — ما كان يكتبه الكتاب والأدباء من الرسائل البليغة المختلفة فى الأدب والاجتماع والسياسة والرسائل الاخوانية .

٣ — ماكان يصدر من الخلفاء والولاة من توقيعات أدبية بليغة .

فهذه الألوان هى من أهم مظاهر الكتابة الفنية التى يعنى الأدب بالحديث عنها

والكتابة فى العصر الأموى تنقسم إلى عهدين .

ا — العهد الأول من قيام الدولة إلى أيام الوليد بن عبد الملك وكان الكتابة فيه تسير على نمط صدر الاسلام من الايجاز والوضوح والسهولة والبساطة وقلة التكلف أو الصنعة . وكانت تصدر غالباً عن ديوان رسائل الخليفة ودواوين رسائل الولاة .

ب — العهد الثانى من أيام الوليد إلى آخر حياة الدولة وقد أخذت الكتابة فى هذا العهد تتدرج فى التأنق وأساليب البيان والصنعة والاطناب وكان زمام الكتابة بايدى الموالى وأولهم سالم مولى هشام بن عبد الملك وآخرهم عبد الحميد بن يحيى الكاتب وابن المقفع فاحتفلوا بالكتابة وتأنقوا فيها وظهرت عليها الصنعة وغلب عليها الاطناب وأخذت الكتابة تحتل المنزلة الرفيعة التى كانت للخطابة والفضل فى ذلك راجع إلى مايأتى :

أولا . اتساع أعمال الدولة وديوان الرسائل مما استدعى العنــاية بالكتابة والكتاب .

ثانيا : ضعف الملكات من أثر الاختلاط فقل الحرص على الخطابة وأخذت الكتابة فى الظهور والذيوع :

ثالثا : عناية الكتاب بالكتابة وجعلها صناعة فنية عتيدة مع تعدد ثقافتهم الدينية والعربية والأدبية والأجنبية .

رابعا : ذيوع الكتابة والثقافة وألوان من المدنية .

٥ — وأنواع الكتابة فى هذا العصر هى كتابة الرسائل السياسية التى تصدر عن ديوان الرسائل ، والرسائل الاخوانية فى العتاب والشوق والشكر والتهنئة وسواها ، والتوقيعات .

تحول الكتابة إلى صناعة فنية .

كان كثير من الكتاب والموالى يعرفون اللغة الفارسية وبعضهم كان يعرف الرومية أو اليونانية أو السريانية مما كان له أثره فى النثر ، من عهد الرسول صلوات الله عليه. فزيد بن ثابت تعلم كما يقال الفارسية من رسول كسرى والرومية من صاحب النبى والحبشية من خادم النبى والقبطية من خادمه [١] ، وتعلم السريانية بأمر الرسول [٢] ، وأبو العلاء سالم كاتب هشام بن عبد الملك وأستاذ عبد الحميد الكاتب وأحد الواضعين لنظام الرسائل «نقل رسائل أرسطو إلى الاسكندر [٣] مما يدل على معرفته بلغة غير اللغة العربية ، وكان جبلة بن سالم كاتب هشام أحد النقلة من الفارس إلى العربى [٤] ، وكذلك كان عبد الحميد الكاتب يعرف الفارسية فقد «استخرج أمثلة الكتابة التى رسمها من اللسان الفارسى فحولها إلى اللسان

(١) ٦ — ٣ العقد
(٢) ٧٣ الادب الاسلامى لمحمود مصطفى
(٣) ١٧١ فهرست (٤) ٣٤٢ فهرست

العربى »(١) ، « وهو أول من نقل تقاليد الفرس إلى الكتابة العربية »(٢)؛ وكذلك كان ابن المقفع وهو من سلالة فارسية عريقة . ومن ذلك يظهر بوضوح أثر الثقافات والأدب الفارسى على الخصوص فى تطور الكتابة والنثر الفنى فى أدب لغتنا العربية .

وعبد الحميد الكاتب هو الذى سهل سبيل البلاغة فى الترسل وعنه أخذ المترسلون (٣) ، وهو أحد كتاب القرن الثانى الذين فهموا (الفصول) كما كان يفهمها علماء البيان من اليونان (٤) ، وهو أول من فتق أكمام البلاغة وسهل طرقها وفك رقاب الشعر (٥) ، وآلت إليه زعامة الكتابة فمهد سبلها ووضح معالمها ورسم لها رسوما خاصة فى بدئها وختامها والأطناب فيها مرة والايجاز أخرى فكان بذلك شيخ الكتاب (٦) وبحق لقد بدأ فن الكتابة بعبد الحميد كما يقولون (٧)

ثم ازداد أثر الفارسية فى النثر الأدبى فنقل الفرس إلى العربية القصص الغرامى والغزل بالمذكر (٨)

---

(١) ٦٩ صناعتين ، ٨٩ / ٢ ديوان المعانى

(٢) ١/٥٧ النثر الفنى وما بعدها (٣) ٧٠ : فهرست

(٤) ص ١٠ مقدمة نقد النثر (٥) ٣/ العقد

(٦) ٢٩ العصر العباسى للاسكندرى ، راجع فى ذلك ١٩٣ تاريخ الأدب العربى للزيات ، وقد توفى عبد الحميد عام ١٣٢ هـ ، وله من الآثار الأدبية : رسالة إلى الكتاب [١٧٢ — ١٧٥ رسائل البلغاء] ، ورساله فى الشطرنج [١٦٤ — ١٦٦ المرجع ، ورسالة فى نصيحة ولى العهد [١٣٩ — ١٦٤ المرجع] ، وكلمات ورسائل أخرى [١٦٦ — ١٧٢ المرجع]

(٧) راجع ١٩٤ التوجيه الأدبى ، والنقاد يقولون فتحت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد

(٨) راجع ١٤٧ — ١٦٢ /١ النثر الفنى والغزل بالمذكر أظهر فى الشعر منه فى النثر

ثم ظهر ابن المقفع م ١٤٣ هـ ، وأحدث أثره فى النثر الأدبى وفى تطوره كان ابن المقفع من عنصر فارسى ، وهو أحد النقله من الفارسية [١] إلى العربية وذاع أنه ترجم كتب أرسطو من الفارسية [٢] إلى العربية ، والصحيح أن الذى قام بذلك هو ابنه محمد بن عبد الله بن المقفع وهو الذى كان كاتب المنصور لا أبوه [٣]

وابن المقفع هو إمام المنشئين فى آخر الدولة الأموية وأول الدولة العباسية ، وكان إمام الكتاب بعد عبد الحميد : وقد آخى ابن المقفع فى طريقته بين التفكير الفارسى والبلاغة العربية ، وكان مقدما فى بلاغة اللسان والعلم والترجمة واختراع المعانى وابتداع السير : فأدبه وإن كان عربى اللفظ والاسلوب فهو أعجمى الفكر والتأليف فقد استخلص من الاسلوب الفارسى والعربى طريقة عرفت به وأخذت عنه [٤] وتظهر مزيتـــه فى ترتيب أفكاره وحسن تقسيمها ، ويغلب على أسلوبه القياس المنطق وتصوير الأفكار الدقيقة ، فى حين يغلب على أسلوب عبد الحميد الصبغة العربية كما تشيع فى آثاره الحكمة يروضها بعذوبة ألفاظه وسلاسة أسلوبه ، وحقا لقد كان أمة فى البلاغة ورصانة القول وشرف المعانى مع وضوح الغرض وسمو الأسلوب وهو أكثر كتاب عصره تأنقا فى فى صوغ الجمـــلة ، وكان يقوم فى النثر بما كان يقوم به زهير فى الشعر ، وهو أحـــد الكتاب الذى لم يلتزموا السجع [٥] فكان فى كلامهم قليلا ولكنهم لايكادون يخلون بالمناسبة بين الألفاظ

---

(١) ٧٢ فهرست

(٢) ويقول ابن النديم : وكتاب المقولات لأرسطو فسره ابن المقفع (٣٤٨ فهرست)، ويقول : وكتاب العبارة لأرسطو اختصره ابن المقفع (٣٤٨ فهرست ، ١٠ ابن المقفع لمردم بك) ، ويقولون : وابن المقفع أول من أعتنى فى المسـلة الاسلامية بترجمة الكتب المنطقية للمنصور (٣٨ ابن المقفع لمردم بك)

(٣) ١٠٥ — ١٢٠ التراث اليونانى لعبد الرحمن البديوى

(٤) ٢٢٢ الزيات

(٥) ١/٧١ النثر الفني

فى الفصول والمقاطع إلا فى مواضع يسيره (١)، وقد اهتموا ببسط المعانى وتأكيدها وتركوا مذهب الأيجاز الذى كان شائدا فى القرن الأول إلى الأطناب والأيضاح وتنويع العبارة وتقطيع الجملة والمزاوجة بين الكلمات وتوخى الافهام، وابن المقفع أول من افسح مجال الأدب العربى بالترجمة، فهو الذى ترجم كليلة ودمنـــه ترجمة، تنم عن جهد بذله المترجم فى تحرير الخصائص الهندية الصميمة التى للكتاب الأصلى (بنتشا تنترا) ليجعله ملائما للذوق العربى وأضاف إليه فصولا جديدة فى مواضع مختلفة (٢)

ومع أن ابن المقفع فارسى الأصل إلا أنه كان ابلغ البلغاء وكان معدودا من أساطين الفصاحة العربية. على أن هناك فوارق واضحة بين أسلوبه وأسلوب من قبله من الخطباء لغته وتركيب جمله كلاهما أدنى إلى البساطة، وأسلوبه أكثر مباشرة واستقامة وأقل تلميحا وإشارة، والالتجاء إلى ما فى القارىء من القوة الخيالية والمقدرة اللغوية يصل فى كتابته إلى مايقرب من العدم، كما أن ازدواج الفواصل يكاد يكون ليس له عنده وجود. وبدلا من التصوير اللفظى القوى والألفاظ الطنانة؛ يعتمد ابن المقفع فى استحداث روعة أسلوبه على استخدام العبارات المصقولة الجلية

وعلى الرغم من أن ابن المقفع كان يبنى على الأساس الذى وضعه الكتاب، لم يكن أسلوب النـــثر العربى قد تطور بعد تطورا كاملا، حينما كان يعالج

---

(١) ١٦٧ سر الفصاحة. ولاتكاد تجد كاتبا فى القرن الأول والثانى وأوائل الثالث يتخذ السجع طابعا ملازما لنثره، وقد كان السجع كثيرا فى الجاهليـــة وغلب على النثر فى عصر النبوة ثم أخـذ سلطانه يضعف قليلا فى العصر الأموى ولكنه عاد يسترد قوته فى أوائل القرن الثالث

(٢) ولابن المقفع آراء كثيرة متفرقة فى البلاغة (راجع: ١/٩١ البيان، ١٥ - ١٧ صناعتين، ويروى له: البلاغة كشف ماغمض من الحق وتصوير البـاطل فى صور الحق (٥٣ صناعتين) والصحيح أن ذلك للعتابى (٩٠/. البيان)

موضوعات جديدة ويعبر عن المعانى المجردة التى لم يكن لها بعد اصطلاحات ثابت فى اللغة المتداولة كان مضطرا إلى ابتكار ألفاظ ومصطلحات من عنده لتؤدى تلك المعانى . على مثال مايفعل كثير من كتابنا المعاصرين إذ يحاولون التعبير عن الأفكار الحديثة باستخدام تراكيب جديدة . ويدل تاريخ جمع الآدب على أن ابتكار أسلوب نثرى متصرف قوى التعبير أصعب بكثير من ابتكار أسلوب شعرى وان الاول يحتاج الى وقت طويل

وبعد فان الموالى من أبناء الفرس والروم ومن ورثة الثقافة الفارسية والاغريقية والرومية

كان لهم أثرهم البعيد فى تحويل الكتابه إلى صناعة فنية عتيدة لها منهجها وأسلوبها وطريق أدائها ولها نظامها فى البدء والختام وتكرار التحميد فى فصول الكتاب والتوسع فى الأسلوب والإطناب فيه بالترادف وغيره من ألوان الإطناب

وفى عهد سالم وعبد الحميد قلل الكتاب من استعمال الغريب والوحشى من الألفاظ فى كتابة الرسائل ، وتجنبوا التعقيد وتباعد الأفكار ، فاشتدت الصلة بين كل جملة و مايليها ، فقل الاقتضاب والاعتراض بين أجزاء الكلام بأجنبي .

ثالثا ــ التوقيعات

هو لون ألوان الكتابة الأدبية دعت حاجة الدولة والخلافة اليــه وكان مظهره هذه التوقيعات الموجزة التى يكتبها الخليفة أو الوالى أو عمالهما على ما يرفع اليهم من شكايات ومظالم أو مطالب وحاجات .

وقد وجد التوقيع فى عصر صدر الاســلام وسبق أن ذكرنا لك أمثلة من توقيعات أبى بكر وعمر وعثمان وعلى [1]

ولما زاد عمران الدولة اتساعا وكثرت مطالب العيش والحياة والسياسة فى عصر بنى أمية كثر ما يرفع إلى الخلفاء والولاة من شكايات ومطالب وكثرت التوقيعات تبعا لذلك وصار فيها القوم على نهج البلاغة والذوق مع الايجاز .

نماذج من التوقيعات :

وقع معاوية : نحن الزمان من رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع

وكتب اليه الحسن بن على فأغلظ فوقع فى كتابه : ليت طول حلمنا عنــك لايدعو إلى جهل غيرنا إليك

ووقع سعيد بن العاص فى كتاب لزياد يخطب اليه فيه : كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى

---

(١) ويروى أن أول توقيع عرف كان لعمر حين كتب اليه سعد بن ه ابن ما يكنك من الهواجر وأذى المطر . ووقع لعمرو بن العاص : « كن لرعيتك كما تحب أن يكون لك أميرك . والصحيح أن لأبى بكر توقيعات مروية عنه

هذا ومن معانى التوقيع فى اللغة : الأصابه ، والرمى لاتباعده ، كأنك تريد أن توقعه على شىء .

والدبر الذى يكون فى ظهر الدابة ويقال بعير موقع . ، وإقبال الصيقل على السيف بميقعته يجلوه . وفى الاصطلاح أن يكتب على حواشى الكتاب أو القصة المرفوعة إلى السلطان ما يفيد الاطلاع عليها وإيراد الرأى فيها

ووقع يزيد فى كتاب لعبد الله بن جعفر يستوهبه جماعة من أهل المدينة : من عرفت فهو آمن

ووقع عبد الملك فى كتاب للحجاج شكافيه أهل العراق إلى الخليفة : أرفق بهم فانه لا يكون مع الرفق ماتكره ومع الخرق ما تحب

ووقع فى كتاب رجل استنصحه : إن كنت صادقا أثبناك وإن كنت كاذبا عاقبناك وإن شئت أقلناك

ووقع معاوية بن أبى سفيان لما كتب اليه ربيعة بن عسل اليربوعى يسأله أن يعينه فى بناء داره بالبصرة باثنى عشر الف جذع : أدراك فى البصرة أم البصرة فى دارك

ووقع يزيد بن معاوية لما كتب اليه مسلم بن عقبة المرى بالذى صنع أهل الحرة فوقع فى أسفل كتابه : فلا تأس على القوم الفاسقين

ووقع عبد الملك بن مروان لما كتب اليه الحجاج يخبره بسوء طاعة أهل العراق وما يقاسى منهم ويستأذنه فى قتل أشرافهم فوقع له : إن من يمن السائس أن يتألف به المختلفون ومن شؤمه أن يختلف به المؤتلفون ، وفى كتاب الحجاج يخبره بقوة ابن الأشعث : بضعفك قوى

ووقع سليمان بن عبد الملك لما كتب قتيبة بن مسلم اليه يتهدده بالخلع فوقع فى كتابه

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشر بطول سلامة يا مربع

ووقع عمر بن عبد العزيز لما كتب بعض العمال اليه يستأذنه فى مرمة مدينته فوقع أسفل كتابه : ابنها بالعدل ونق طرقها من الظلم ، وإلى بعض عماله فى مثل ذلك : حصنها ونفسك بتقوى الله ، وإلى عامله على الكوفة وكتب اليه أنه فعل فى أمر كما فعل عمر بن الخطاب : أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده .

ووقع زياد فى قصة متظلم : كفيت

وفى قصة رجل شكل اليه عقوق ابنه : ربما كان عقوق الولد من سوء تأديب الوالد

الاجوبة والمحاورات والمفاخرات

نماذج لها :

١° — أبو الأسود الدؤلى وزوجه :

كان أبو الأسود الدؤلى من أكبر الناس عند معاوية بن أبى سفيان ، وأقربهم مجلسا ، وكان لا ينطق إلا بعقل ، ولا يتكلم إلا بعد فهم .

فبينما هو ذات يوم جالس ، وعنده وجوه قريش وأشراف العرب ، إذ أقبلت امرأة أبى الأسود حتى حاذت معاوية وقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، إن الله جعلك خليفة فى البلاد ، ورقيباً على العباد ، يستسقى بك المطر ، ويستنبت بك الشجر وتؤلف بك الأهواء ، ويأمن بك الخائف ، ويردع بك الجانف [١] ، فأنت الخليفة المصطفى ، والامام المرتضى ، فأسأل الله لك النعمة فى غير تغيير ، والعافية من غير تعذير [٢] ، قد ألجأنى إليك يا أمير المؤمنين أمر ضاق على فيه المنهج ، وتفاقم على منه المخرج ، لأمر كرهت عاره [٣] ، لما خشيت إظهاره ، فلينصفنى أمير المؤمنين من الخصم ، فانى أعوذ بعقوته [٤] من العار الوبيل ، والأمر الجليل ، الذى يشتد على الحرائر ، ذات البعول الأجائر [٥] .

فقال لها معاوية : ومن بعلك هذا الذى تصفين من أمره المنكر ، ومن فعله المشهر [٦] ؟ فقالت أبو الأسود الدؤلى .

---

(١) الجانف : المائل . (٢) تعذير : نقص .

(٣) تكنى بذلك عن طلاقها .

(٤) العقوة : ما حول الدار .

(٥) البعول . جمع بعل وهو الزوج والأجائر . جمع أجور تفضيل من جار .

(٦) شهره كمنعه وشهره : أظهره فى شنعة .

فالتفت إليه وقال : يا أبا الأسود ، ما تقول هذه المرأة ؟ فقال أبو الأسود : هي تقول من الحق بعضاً ، ولن يستطيع أحد عليها نقضا ، أما ما ذكرت من طلاقها فهو حق ، وأنا مخبر عنه أمير المؤمنين بالصدق ، والله يا أمير المؤمنين ما طلقتها عن ريبة ظهرت ، ولا لأى هفوة حضرت ، ولكن كرهت شمائلها ، فقطعت عنى حبائلها .

فقال معاوية : وأى شمائلها يا أبا الأسود كرهت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك مهيجها على بجواب عتيد [1] ، ولسان شديد .

فقال معاوية : لابدلك من محاورتها ، فاردد عليها قولها عند مراجعتها ، فقال أبو الأسود ياأمير المؤمنين ، إنها كثيرة الصخب ، دائمة الذرب [2] مهينة للاهل مؤذية للبعل ، مسيئة إلى الجار ، مظهرة للعار ، إن رأت خيراً كتمته ، وأن رأت شرا أذاعته .

فقالت : والله لولا مكان أمير المؤمنين ، وحضور من حضره من المسلمين ، لرددت عليك بوادر كلامك ، بنوافذ أقرع بها كل [3] سهامك ، وإن كان لايجمل بالمرأة الحرة أن تشتم بعلا ، ولا أن تظهر لأحد جهلا

فقال معاوية : عزمت عليك لما أجبته ، فقالت : ياأمير المؤمنين ماعلمته إلا سئولا جهولا ، ملحا بخيلا [4] ، إن قال فشر قائل ، وإن سكت فذو دغائل [5] ليث حين يأمن ، وثعلب حين يخاف ؛ شحيح حين يضاف ، إذا ذكر الجود انقمع لما يعرف من قصر رشائه : ولؤم آبائه ، ضيفه جائع ، وجاره ضائع ؛ لايحفظ

---

(١) عتيد : حاضر .

(٢) الذرب : حدة اللسان .

(٣) يقال كل السيف إذا لم يقطع ، فهو كل وكليل .

(٤) اشتهر أبو الأسود بالبخل ، وله فى ذلك نوادر .

(٥) الدغائل : جمع دغيلة ، والدغيلة دخل فى الأمر مفسد .

جاراً ، ولا يحمى ذماراً ، ولا يدرك ثاراً ، أكرم الناس عليه من أهانه ، واهونهم عليه من أكرمه .

فقال معاوية : سبحان الله لما تأتي به هذه المرأة من السجع ! فقال أبو الأسود أصلح الله ألمير المؤمنين ، إنها مطلقة ، ومن أكثر كلاماً من مطلقة ؟ ثم قال لها معاوية : إذا كان رواحا [1] فتعالى أفصل بينك وبينه بالقضاء .

فلما كان الرواح جاءت ومعها ابنها قد احتضنته ، فلما رآها أبو الأسود قام إليها لينتزع ابنه منها ، فقال له معاوية . يا أبا الأسود ، لاتعجل المرأة أن تنطق بحجتها .

قال : يا أمير المؤمنين ، أنا أحق بحمل ابنى منها ، فقال له معاوية . يا أبا الأسود دعها تقل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، حملته قبل أن تحمله . فقالت . صدق والله يا أمير المؤمنين ، حمله خفاً ، وحملته ثقلا ، إن بطنى لوعاؤه ، وإن ثديى لسقاؤه وإن حجرى لفناؤه . فقال معاوية . سبحان الله لما تأتين به ، ثم قال لأبى الأسود إنها قد غلبتك فى الكلام ، فتكلف لها أبياتاً لعلك تغلبها ، فأنشأ يقول .

مرحباً بالتى تجور علينا ثم سهلا بالحامل المحمول
أغلقت بابها على وقالت : إن خير النساء ذات البعول
شغلت نفسها على فراغاً هل سمعتم بالفارغ المشغول !

فأجابته .

ليس من قال بالصواب وبالحق كمن جار عن منار السبيل
كان ثديى سقاءه حين يضحى ثم حجرى فناؤه بالأصيل
لست أبغي بواحدى يا بن حرب بدلا ما علمته والخليل [2]

فقضى لها معاوية عليه ، واحتملت ابنها وانصرفت .

---

(١) الرواح : العشى .

(٢) نريد بالخليل محمد رسول الله .

٢- ودخل [١] صعصعة [٢] بن صوحان على معاوية رضى الله عنه أول ما دخل عليه ، وقد كان يبلغ معاوية عنه ، فقال له معاوية : ممن الرجل ؟ قال من نزار . قال : وما نزار ؟ قال : إذا غزا احترش [٣] ، وإذا انصرف انكمش ، وإذا لقى افترش .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من ربيعة ، قال : وما ربيعة ؟ قال : كان يغزو بالخيل ، ويغير بالليل ، ويجود بالنيل .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من أسد . قال : وما أسد ؟ قال : كان إذا طلب أفضى (٤) ، وإذا أدرك أرضى ، وإذا أنضى (٥) .

قال . فمن أى ولده أنت ؟ قال . من جديلة . قال . وما جديلة ؟ قال . كان يطيل النجاد (٦) ، ويعد الجياد ، ويجيد الجلاد .

قال . فمن أى ولده أنت ؟ قال . من دعمى . قال . وما دعمى ؟ قال . كان ناراً ساطعا ، وشرا قاطعاً ، وخيراً نافعاً .

قال . فمن أى ولده أنت ؟ قال : من أفصى : قال . وما أفصى ؟ قال . كان ينزل القارات [٧] ، ويكثر الغارات ، ويحمى الجارات .

قال . فمن أى ولده أنت ؟ قال . من عبد القيس ، قال : وما عبد القيس ؟ قال أبطال ذادة ، جحاجحة [٨] قادة ، صناديد سادة .

---

(١) بلوغ الأرب ص ٢٠٥ ج ٣ ، صبح الأعشى ص ٢٥٤ ج ١ ، مروج الذهب ص ٧٧ ج ٢ ، الأمالى ص ٢٢٠ ج ٢

(٢) صعصعة بن صوحان . كان خطيبا بليغا عاقلا له شعر ، شهد صفين مع على وله مع معاوية مواقف ، ومات نحو سنة ٦٠ هـ

(٣) احترش . جمع وكسب

(٤) أفضى إلى الشيء . وصل

(٥) أنضى بعيره . هزله ، وثوبه أبلاه

(٦) النجاد . حمائل السيف .

(٧) القارات ، جمع قارة ، وهى الجبل الصغير

(٨) جحاجحة . جمع جحجح . السيد

قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال من أفصى . قال : وما أفصى ؟ قال . كان ذا رماح مشرعة ، وقدور مترعة [١] ، وجفان مفرغة .

قال . فمن أي ولده أنت ؟ قال . من لكيز . قال وما لكيز ! قال : كان يباشر القتال ، ويعانق الأبطال ، ويبدد الأموال

قال : فمن أي ولده أنت . قال . من عجل قال . وما عجل ! قال . الليوث الضراغمة [٢] ، الملوك [٣] القماقمة ، القروم القشاعمة [٤]

قال . فمن أي ولده أنت ؟ قال من كعب ، قال . وما كعب ؟ قال . كان يسعر (٥) الحرب ، ويجيد الضرب ، ويكشف الكرب

قال . فمن أي ولده أنت ، قال . من مالك . قال . وما مالك ؟ قال الهمام للهمام ، والقمقام للقمقام .

قال معاوية . والله ماتركت لهذا الحى من قريش شيئاً ! قال . بل تركت اكثره وأحبه . قال . وماهو ؟ قال . تركت لهم الوبر والمدر [٦] والأبيض والأصفر ، والصفا والمشعر (٧) والقبة والفخر ، والسرير والمنبر ، والملك إلى المحشر .

فقال . أما والله لقد كان يسوءنى أن أراك أسيراً . فقال ، وأنا والله لقد كان يسوءنى أن أراك أميرا ، ثم خرج ، فبعث إليه فرده ، ووصله وأكرمه

---

(١) مترعة . مملوءة
(٢) جمع ضرغام . الأسد
(٣) جمع قمقام . السيد
(٤) القرم السيد . والقشعم . الأسد أو الرجل المُسن (ويقصد المجرب)
(٥) سعر الحرب . أو قدها
(٦) كناية عن البادية والمدن
(٧) المشعر . موضع مناسك الحج

وقال* عبد الملك (١) بن مروان يوماً لجلسائه . خبرونى عن حى من أحياء العرب فيهم أشد الناس ، وأسخى الناس ، وأخطب الناس ، وأطوع الناس فى قومه ، وأحلم الناس ، وأحضرهم جواباً .

قالوا : ياأمير المؤمنين ؛ ما نعرف هذه القبيلة ، ولكن ينبغى أن تكون فى قريش ! قال : لا ! قالوا : ففى حمير وملوكها ! قال : لا . قالوا : ففى مضر ! قال . لا .

قال مصقلة بن رقيه العبدى . فهى إذن فى ربيعة ؛ ونحن هم . قال . نعم . قال جلساؤه . ما نعرف هذا فى عبد القيس ، إلا أن تخبرنا به يا أمير المؤمنين .

قال . نعم ! أما أشد الناس فحكيم (٢) بن جبلة ؛ كان مع على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقطعت ساقه ، فضمها إليه ، حتى مر به الذى قطعها فرماه بها ، فألقاه عن دابته ، ثم جثا إليه فقتله ، واتكأ عليه ، فمر به الناس ، فقالوا . ياحكيم ، من قطع ساقك ؟ قال . وسادى هذا ! وأنشأ يقول :

يا ساق لا تراعى إن معى ذراعى

أحمى بها كراعى (٣)

وأما أسخى الناس فعبد الله بن سوار ، استعمله معاوية على السند فسار إليها فى أربعة آلاف من الجند ، وكانت توقد معه نار حيثما سار فيطعم الناس ، فبينما هو ذات يوم ، إذا أبصر ناراً ، فقال : ما هذه ؟ قالوا . أصلح الله الأمير

---

* العقد ص ٢٣٢ ج ٢

(١) عبد الملك بن مروان من أعاظم الخلفاء ودهاتهم ، استعمله معاوية على المدينة ، وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٨٦ هـ

(٢) حكيم بن جبلة صحابى ، اشترك فى الفتنة أيام عثمان ، ولما كان يوم الجمل قاتل مع أصحاب على وقتل فى هذه الواقعة سنة ٣٦ هـ

(٣) الكراع : اسم يجمع الخيل والسلاح .

اعتل بعض أصحابنا ، فاشتهى خبيصاً (١) ، فعلمنا له ؛ فأمر خبازه ألا يطعم الناس إلا الخبيص ، حتى صاحوا ، وقالوا : أصلح الله الأمير ، ردنا إلى الخبز واللحم ، فسمى مطعم الخبيص !

وأما أطوع الناس فى قومه فالجارود (٢) بن بشر بن العلاء ، لأنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وارتدت العرب ، خطب قومه فقال . أيها الناس ، إن كان محمد قد مات فان الله حى لا يموت ؛ فاستمسكوا بدينكم ، فمن ذهب له فى هذه الردة دينار أو درهم ، أو بعير أو شاة ، فله على مثلاه ، فما خالفه منهم رجل .

وأما أحضر الناس جواباً فصعصعة بن صوحان ، دخل على معاوية فى وفد أهل العراق ، فقال معاوية . مرحباً بكم يا أهل العراق ، قدمتم أرض الله المقدسة ، منها المنشر وإليها المحشر . قد متم على خير أمير يبر كبيركم . ويرحم صغيركم . ولو أن الناس كلهم ولد أبى سفيان لكانوا حلماء عقلاء .

فأشار الناس إلى صعصعة ، فقام ، فحمد الله ، وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أما قولك يامعاوية : إنا قدمنا الارض المقدسة ، فلعمرى ما الارض تقدس الناس ، ولا يقدس الناس إلا أعمالهم ، وأما قولك : منها المنشر وإليها المحشر فلعمرى ماينفع قربها ، ولا يضر بعدها مؤمنا ، وأما قولك : لو أن الناس كلهم ولد أبى سفيان لكانوا حلماء عقلاء ، فقد ولدهم خير من أبى سفيان آدم صلوات الله عليه ، فمنهم الحليم والسفيه ، والجاهل والعالم !

وأما أحلم الناس فان وفد عبد القيس قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم بصدقاتهم ، وفيهم الأشج ، ففرقه رسول الله ، وهو أول عطاء فرقه فى أصحابه ،

---

(١) الخبيص : الطعام من التمر والسمن

(٢) هو ابن بشر بن عمرو سيد عبد القيس ، كان شريفاً فى الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم وقتل شهيداً سنة ٢٠ هـ

ثم قال : ياأشج ، ادن مني ؛ فدنا منه ، فقال : إن فيك خلتين يحبهما الله : الأناة والحلم ، وكفى برسول الله شاهداً !

٤ وروى[1] أن عبد الملك بن مروان لما قدم الكوفة بعد قتله مصعب بن الزبير جلس لعرض أحياء العرب ، فقام إليه معبد بن خالد الجدلي وكان قصيراً دميما . فتقدمه إليه رجل حسن الهيئة .

قال معبد : فنظر عبد الملك إلى الرجل وقال : ممن أنت ؟ فسكت ولم يقل شيئاً . وكان منا ، فقلت من خلفه : نحن يا أمير المؤمنين من جديلة ، فأقبل على الرجل وتركني فقال : من أيكم ذو الإصبع ؟ قال الرجل : لا أدرى ، قلت : كان عدوانيا ، فأقبل على الرجل وتركني وقال : لم سمى ذا الإصبع ؟ قال الرجل : لاأدرى ، فقلت: نهشته حية فى إصبعه فيبست فأقبل على الرجل وتركني، فقال: وبم كان يسمى قبل ذلك ؟ قال الرجل : لا أدرى ، قلت كان يسمى حرثان ، فأقبل على الرجل وتركني ، فقال : من أى عدوان كان ؟ فقلت من خلفه : من بنى ناج الذين يقول فيهم الشاعر :

وأما بنو ناج فلا تذكرنهم ولاتتبعن عينيك ما كان هالكا
إذا قلت معروفاً لأصلح بينهم يقول وهيب لا أسالم ذلكا
فأضحى كظهر الفحل جب سنامه يدب إلى الأعداء أحدب باركا

فأقبل على الرجل وتركني وقال : أنشدني قوله : « عذير الحى من عدوان ».

قال الرجل : لست أرويها ، قلت : ياأمير المؤمنين : إن شئت أنشدتك . قال: أدن مني ، فاني أراك بقومك عالماً . فأنشدته :

وليس المرء فى شىء من الإبرام والنقض
إذا أبرم أمرا خا له يقضى وما يقضى
يقول اليوم أمضيه ولا يملك ما يمضى
عذير الحى من عدوا ن كانوا حية الأرض

---

(١) الأغانى ص ٩١ ج ٣

بغى بعضهم بعضاً … فلم يبقوا على بعض
فقد صاروا أحاديث … برفع القول والخفض
ومنهم كانت الساداً … ت والموفون بالقرض
ومنهم حكم يقضى … فلا ينقض ما يقضى
ومنهم من يجيز النا[1] … س بالسنة والفرض
وهم من ولدوا اشبوا[2] … بسر الحسب المحض
وممن ولدوا عامر … ذو الطول وذو العرض
وهم بووا[3] ثقيفاً دا … ر لا ذل ولا خفض

فأقبل على الرجل وتركنى وقال. كم عطاؤك؟ فقال. ألفان. فأقبل على كاتبه وقال. اجعل الألفين لهذا والخمسمائة لهذا. فانصرفت بها!

٥ - ودخل[4] رجل من بنى سعد على عبد الملك بن مروان، فقال له: ممن الرجل؟ قال: من الذين قال لهم الشاعر:

إذا غضبت عليك بنو تميم … حسبت الناس كلهم غضابا

فقال. فمن أيهم أنت؟ قال: من الذين يقول فيهم القائل.

يزيد بنو سعد على عدد الحصى … وأثقل من وزن الجبال حلومها

قال. فمن أيهم أنت قال. من الذين يقول لهم الشاعر.

ثياب بنى عوف طهارى نقية … وأوجههم بيض المشافر غران[5]

قال. فمن أيهم أنت؟ قال. من الذين يقول لهم الشاعر.

---

(١) كانت إجازة الحج لخزاعة. ثم انتقلت إلى عدوان. يقف رئيسهم فى أيام الحج يخطب فى الناس. ثم ينفر ويتبعونه بعد ذلك

(٢) يقال. أشبى فلان إذا ولد له ولد كيس

(٣) بووا. أنزلوا.

(٤) نهاية الأرب ص ٢٠٠ ج ٢

(٥) يقال. رجل أغر الوجه إذا كان أبيض الوجه، من قوم غر وغران. والبيت لامرىء القيس (اللسان مادة غر)

فلا وأبيــك ما ظلمت قريع بأن يبنوا المكارم حيث شاءوا

قال . فمن أيهم أنت ؟ قال . من الذين يقول لهم الشاعر .

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا ؟

قال . أجلس لاجلست ! والله لقد خفت أن تفخر على !

٦ — بين معاوية وعقيل بن أبي طالب .

لما اعتزل عقيل بن أبي طالب أخاه عليا كرم الله وجهه ، إلى معاوية يطلب عنده الدنيا ، قال له معاوية . أنا خير لك من أخيك على ، فقال عقيل . صدقت ، إن أخي آثر دينه على دنياه ، وأنت قد آثرت دنياك على دينك ، فأنت خير لى من أخي ، وأخي خير لنفسه منك .

٧ — بين معاوية وعبد الله بن عباس

اجتمعت قريش الشام والحجاز عند معاوية يوما وفيهم عبد الله بن عباس فقال رحم الله أبا سفيان والعباس ، كانا صفيين دون الناس ، فحفظت الميت فى الحى ، والحى فى الميت ، استعملك على يابن عباس على البصرة ، واستعمل عبيد الله أخاك على اليمن ؛ واستعمل أخاك على المدينة (١) فلما كان من الأمر ما كان هنأتكم (٢) ما فى أيديكم ، ولم أكشفكم عما وعت غرائركم (٣) ، وقلت آخذ اليوم وأعطى غدا مثله ، وعلمت أن بدء اللؤم يضر بعاقبة الكرم ، ولو شئت لأخذت بحلاقيمكم وقيأتكم ما أكلتم ، لايزال يبلغنى عنكم ما تبرك له الابل ، وذنوبكم إلينا أكثر من ذنوبنا إليكم ، خذلتم عثمان بالمدينة ؛ وقتلتم أنصاره يوم الجمل ، وحاربتمونى بصفين ، ولعمرى لبنو تيم وعدى (٤) أعظم ذنوبا منا إليكم ، إذ صرفوا عنكم

---

(١) هو تمام ، كما استعمل أخاه قثم على مكة

(٢) هنأه كذا من بابى منع وضرب ، أطعمه إياه

(٣) جمع غراره بالكسر وهى الحقيبة

(٤) يعنى ببنى تيم آل أبى بكر فهو من تيم بن مرة بن كعب بن لؤى ، ويعنى ببنى عدى آل عمر فهو من عدى بن كعب بن لؤى .

هذا الأمر ، وسنوافيكم هـــذه السنة ، فحتى متى أغضى الجفون على القذى [1] وأسحب الذيول على الأذى [2] وأقول لعل الله وعسى ، ماتقول يابن عباس ؟

فتكلم ابن عباس فقال

رحم الله أبانا وأباك ، كانا صفيين متفاوضين [3] لم يكن لأبى من مال إلا ما فضل لأبيك ، وكان أبوك كذلك لأبى ، ولكن من هنا أباك باخاء أبى اكثر من هنا أبى باخاء أبيك ، نصر أبى أباك فى الجاهلية ، وحقن دمه فى الاسلام [4] وأما استعمال على إيانا فلنفسه دون هواه ، وقد استعملت أنت رجالا لهواك لا لنفسك . منهم ابن الحضرمى على البصرة فقتل ، وبسر بن أرطاة على اليمن فخان وحبيب بن مر على الحجاز فرد ، والضحاك بن قيس الفهرى على الكوفة فحصب ، ولو طلبت ما عندنا وقينا أعراضنا ، وليس الذى يبلغك عنا بأعظم من الذى يبلغنا عنك ، ولو وضع أصغر ذنوبكم إلينا على مائة حسنة لمحقها ، ولو وضـــع أدنى عذرنا إليكم على مائة سيئة لحسنها ، وأما خذلنا عثمان فلو لزمنا نصره لنصرناه [5] ، وأما قتلنا أنصاره يوم الجمل فعلى خروجهم مما دخلوا فيه ، وأما حربنا إياك بصفين فعلى تركك الحق وادعائك الباطل ، وأما إغراؤك إيانا بتيم وعدى فلو أردناها ما غلبونا عليها [6] وسكت [7]

( ) القذى مايقع فى العين وفى الشراب فيعكرهما

(٢) الأذى المكروه اليسير وما بالطريق من قذر

(٣) التفاوض الاشتراك فى كل شىء والمساواة

(٤) يشير إلى ما كان من خروج العباس مع أبى سفيان يوم بدر ، ثم إلى ما كان من شفاعته له يوم فتح مكة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٥) يعرض بمعاوية إذ كان أولى من بنى هاشم بنصرة عثمان لأنهما أمويان .

(٦) الضمير للخلافة . (٧) فى هذه المحاورة يقول ابن أبى لهب :

كان ابن حرب عظيم القدر فى الناس حتى رماه بما فيه ابن عباس
ما زال يهبطه طورا ويصعده حتى استقاد وما بالحق من باس
لم يتركن خطة مما يذلله إلا كواه بها فى فروة الرأس

٨ — بين خالد بن يزيد وعبد الملك بن مروان

جاء عبد الله بن يزيد بن معاوية إلى أخيه خالد فى أيام عبد الملك فقال : لقد هممت اليوم يا أخى أن أفتك بالوليد بن عبد الملك ؛ فقال له خالد : بئس والله ماهممت به فى ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين ، فما ذاك ؟

قال : إن خيلى مرت به فعبث بها وأصغرنى ، فقال له خالد : أنا أكفيك ؛ فدخل على عبد الملك والوليد عنده فقال : يا أمير المؤمنين إن الوليد ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين ، مرت به خيل ابن عمه عبد الله بن يزيد فعبث بها وأصغره ، وكان عبد الملك مطرقا ، فرفع رأسه وقال : « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون » فقال خالد : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها ؛ فحق عليها القول فدمرناها تدميراً » فقال عبد الملك : أفى عبد الله تكلمنى ؟ والله لقد دخل أمس على ، فما أقام لسانه لحنا ، فقال خالد : أفعلى الوليد تعول يا أمير المؤمنين ؟

قال عبد الملك : إن كان الوليد يلحن فان أخاه سليمان ، فقال خالد : وإن كان عبد الله يلحن فان أخاه خالد ؛ فالتفت الوليد إلى خالد وقال له : اسكت ياخالد فو الله ماتعد فى العير ولا فى النفير ، فقال خالد : اسمع يا أمير المؤمنين ، ثم التفت إلى الوليد فقال له : ويحك فمن صاحب العير والنفير غير جدى أبو سفيان صاحب العير ، وجدى عتبة صاحب النفير [1] ؟ ولكن لوقلت غنيمات وحبيلات والطائف ، ورحم الله عثمان ، لقلنا صدقت [2] .

٩ — بين عبد الملك وخالد بن عبد الله بن أسيد

---

(١) العير : الأبل تحمل الميرة ، والمراد هنا عير قريش التى كان يقودها أبو سفيان ، وترصدها رسول الله فساحل بها أبو سفيان وترك بدرا يسارا . والنفير القوم ينفرون للحرب ، وهم هنا مشركو مكة الذين خرجوا يستنقذون العير تحت رياسة عتبة بن ربيعة جد معاوية لأمه ولم يتخلف إلا بنو زهرة ، فقيل فيهم المثل « لافى العير ولا فى النفير » .

(٢) يشير إلى ما كان من طرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم بن =

جلس عبد الملك بن مروان يوما وعند رأسه خالد بن عبد الله بن أسيد بن أبى العاص بن أمية ، وعند رجليه أمية أخو خالد ، وأدخلت عليه الأموال التى جاءت من قبل الحجاج فوضعت بين يديه فقال :

هذا والله التوفير وهذه الأمانه ، لا ما فعل هذا ، وأشار إلى خالد ، استعملته على العراق فاستعمل كل ملط فاسق [1] ، فأدوا إليه العشرة واحداً ، وأدى إلى من العشرة واحداً . وأستعملت هذا على خرسان ، وأشار إلى أمية فأهدى إلى برذونين حطمين [2] فان استعملتكم ضيعتم ، وإن عزلتكم قلتم استخف بنا وقطع أرحامنا . فقال خالد :

استعملتنى على العراق وأهله رجلان ، سامع مطيع مناصح ، وعدو مبغض مكاشح [3] فأما السامع المطيع المناصح فانا جزيناه ليزداد وداً إلى وده ، وأما المبغض المكاشح فانا داريناه ضغنه ، وسللنا حقده ، وكثرنا لك المودة فى صدور رعيتك ، وإن هذا [4] ، جبى الأموال ، وزرع لك البغضاء فى قلوب الرجال ، فيوشك أن تنبت البغضاء فلا أموال ولا رجال .

فلما خرج ابن الأشعث على عبد الملك قال عبدالملك : هذا والله ما قال خالد .

١٠ — بين عبد الملك وأحد عماله :

بلغ عبد الملك أن عاملا من عماله قبل هدية فأمر باشخاصه إليه ، فلما دخل

= العاص جد عبد الملك بن مروان بن الحكم إلى الطائف ، وإقامته هناك طريداً يأوى إلى حبيلات أى كريمات يستظل بهما ويرعى غنيمات يشرب لبنها إلى أن آلت الخلافة إلى عثمان فرده للرحم بينهما ، وقيل بأمر كان قد حصل عليه من رسول الله لو آلت إليه الخلافة .

(١) الط حقه وألطه جحده .

(٢) يقال فرس حطم كفرح إذا هزل وأسن فضعف وتهدم .

(٣) المكاشح الذى يضمر لك العداوة بين كشحيه ومثله الكاشح .

(٤) يعنى الحجاج .

عليه قال له : أقبلت هدية منذ وليتك ؟ قال يا أمـــير المؤمنين ، بلادك عامرة ، وخراجك موفور، ورعيتك على أفضل حال ، قال ، أجب فيما سألتك عنه ، أقبلت هدية منذ وليتك ؟ قال . نعم فقال له .

لئن كنت قبلت ولم تعوض إنك للئيم ، ولئن أنلت مهديك لا من ما لك أو استكفيته ما لم يكن يستكفاه ، إنك لجائر خائن ، ولئن كان مذهبك أن تعوض المهدى إليك من مالك وقبلت ما اتهمك به عند من استكفاك وبسط لسان عائبك وأطمع فيك أهل عملك ، إنك لجاهل ، وما فيمن أتى أمرا لم يخل فيه من دناءة أو خيانة أو جهل مصطنع ، ثم نحاه عن عمله .

١١ — بين عبد الملك والعجاج الراجز

دخل العجاج بن رؤبة على عبد الملك مروان فقال عبد الملك ، ياعجاج بلغنى أنك لا تقدر على الهجاء ، فقال . يا أمير المؤمنين . من قدر على تشيد الابنية أمكنه إخراب الأخبيه قال . فما يمنعك من ذلك؟ قال إن لنا عزا يمنعنا من أن نظلم . وإن لنا حلمنا يمنعنا من أن نظلم ، فعلام الهجاء ؟ فقال . لكلماتك أشعر من شعرك ، فانى لك عز يمنعك من أن تظلم ؟ قال . الأدب البارع والفهم الناصع . قال . فما الحلم الذى يمنعك من أن تظلم ؟ قال . الأدب المستطرف والطبع التالد . قال . يا عجاج لقد أصبحت حكيما . قال . وما يمنعنى وأنا نجى أمير المؤمنين .

١٢ — بين الحجاج وكعب الأشقرى .

لما هزم المهلب بن أبي صفرة الأزراقة وقتل خليفتهم عبد ربه الصغير أو فد بذلك إلى الحجاج كعب بن معدان الأشقرى ، فلما دخل عليه قال له الحجاج . أخبرنى عن بنى المهلب ، فقال . المغيرة فارسهم وسيدهم ، نار ذاكية ، وصعدة عالية [1] ، وكفى بيزيد فارسا شجاعا ، ليث غاب ، وبحر جم عباب ، وجوادهم وسخيهم قبيصة ، ليث المغار [2] ، وحامى الذمار ، ولا يستحيي الشجاع أن يفر

---

(١) الصعدة القناة تنبت مستوية مثقفة .

(٢) المغار مصدر ميمى أى الاغارة .

من مدرك ، وكيف لا يفر من الموت الحاضر ، والأسد الخادر ، وعبد الملك سم ناقع ؛ وسيف قاطع ؛ وحبيب الموت الزعاف (١) ، إنما هو طود شامخ ، وفخر باذخ ، وأبو عيينة البطل الهمام ، والسيف الحسام (٢) ؛ وكفاك بالفضل نجدة ، ليث هدار ، وبحر موار (٣) ، ومحمد ليث غاب ؛ وحسام ضراب . قال . فكيف كانوا فيكم ؟ قال . كانوا حماة السرح نهارا فاذا أليلوا ففرسان البيات (٤) . قال . فايهم كان أنجد . قال . كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها ، قال . فكيف كان لكم المهلب وكنتم له ؟ قال : كان لنا منه شفقة الوالد وله منا بر الولد . قال . فكيف كان جماعة الناس ؟ قال . على أحسن حال ، أدركوا ما رجوا ، وأمنوا مما خافوا ، وأرضاهم العدل وأغناهم النفل ، قال : فكيف كنتم أنتم وعدوكم ؟ قال كنا إذا أخذنا عفونا ، وإذا أخذوا يئسنا منهم ، وإذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم ، فقال الحجاج : إن العاقبة للمتقين ، كيف أفلتكم قطرى ؟ قال كدناه ببعض ما كادنا به فصرنا منه إلى الذى نحب ، قال : فهلا اتبعوه ! قال : كان الحد عندنا آثر من الفل . قال : أكنت أعددت لى بعض هذا الجواب ؟ قال : لا يعلم الغيب إلا الله ، فقال الحجاج : هكذا تكون والله الرجال ، المهلب كان أعلم بك حيث وجهك ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وحمله على فرس ، وأوفده إلى عبد الملك ، فأمر له بعشرة آلاف أخرى .

١٣ — وقال سفيان القرشى (٥) :

كنا عند هشام (٦) بن عبد الملك ، وقد وفد عليه وفد أهل الحجاز ـ وكان

---

(١) الزعاف وبالذال أيضا السم القاتل لساعته .

(٢) الحسام القاطع من حسم الشيء قطعه .

(٣) الموار المضطرب بامواجه .

(٤) السرح السائمة تسرح المرعى ، وأليلوا دخلوا فى الليل .

(٥) العقد ص٧٦ ج ٣ ، الأمالى ص ١٤٧ ج ١ ، صبح الأعشى ص٢٦٤ ج ١

(٦) تولى الخلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ ﻫ ، وكان غزير العقل حليما عفيفا ، امتدت أيامه ، وجرى فيها كثير من الوقائع توفى سنة ١٢٥ ﻫ .

شباب الكتاب إذا قدم الوفد حضروا لاستماع بلاغة خطبائهم ـ لحضرت كلامهم
وكان محمد بن أبي الجهم أعظم القوم قدراً ، وأكبرهم سنا وافضلهم رأيا وحلماً ، فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ، إن خطباء قريش قد قالت فيك ماقالت ، وأكثرت وأطنبت ، والله مابلغ قائلهم قدرك ، ولا أحصى خطيبهم فضلك ، وإن أذنت فى القول قلت . قال : تكلم ، قال . أفأوجز أم اطنب ؟ قال . بل أوجز .

قال . تولاك الله ياأمير المؤمنين بالحسنى ، وزينك بالتقوى ، وجمع لك خير الآخرة والأولى ، إن لى حوائج أفأذكرها ؟ هاتها ، قال . كبرت سنى ، ونال الدهر منى ، فان رأى أمير المؤمنين أن يجبر كسرى ، وينفى فقرى فعل !

قال : وما الذى ينفى فقرك ، ويجبر كسرك ؟ قال . ألف دينار ، وألف دينار ، وألف دينار !

فأطرق فأهشام طويلا، ثم قال. هيهات يابن أبى الجهم، بيت المال لايحتمل ماذكرت فقال . إن الله آثرك لمجلسك ، فان تعطنا فحقا أديت ، وإن تمنعنا فنسأل الذى بيده ماحويت . ياأمير المؤمنين ، إن الله جعل العطاء محبة ، والمنع مبغضة ، والله لأن أحبك أحب إلى من أن أبغضك !

قال : فالف دينار لماذا ؟ قال . أقضى بها دينا فدحنى (١) قضاؤه ، وقد عنانى حمله ، وأضر بى اهله قال . فلا باس ، تنفس كربة ، وتؤدى أمانة . وألف دينار لماذا ؟ قال . أزوج بها من أدرك من ولدى . قال نعم المسلك سلكت ، أغضضت بصرا ، وأعففت ولداً ، ورفعت نسلا . وألف دينار لماذا ؟ قال . أشترى بها أرضا يعيش بها ولدى ، واستعين بفضلها على نوائب دهرى ، وتكون ذخراً لمن بقى .

قال . فانا قد أمرنا لك بما سالت . قال . فالمحمود الله على ذلك ، وجزاك الله ياأمير المؤمنين والرحم خيراً ، ثم خرج

---

(١) فدحنى : أثقلنى .

فاتبعه هشام بصره، وقال: تالله مارأيت رجلا ألطف فى سؤال، ولا أرفق فى مقال من هذا، هكذا فليكن القرشى. أما والله إنا لنعرف الحق إذا نزل، وننكره الأسراف والبخل، ومانعطى تبذيرا ولا نمنع تقتيرا، ومانحن إلا خزان الله فى بلاده، وأمناؤه على عباده؛ فاذا أذن أعطينا، وإذا منع أبينا، ولو كان كل قائل يصدق، وكل سائل يستحق، ما جبهنا [١] قائلا، ولا رددنا سائلا، ونسال الذى بيده ما استحفظنا أن يجريه على أيدينا، فانه يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر [٢]، إنه كان بعباده خبيراً بصيراً. فقالوا: ياأمير المؤمنين، لقد تكلمت فأبلغت، ومابلغ فى كلامه ماقصصت. قال إنه مبتدى؛ وليس المبتلى كالمعتلى.

١٤ — وفد * عروة [٣] بن أذينة الشاعر على هشام بن عبد الملك فى جماعة من الشعراء، فلما دخلوا عليه عرف عروة؟ فقال له. ألست القائل:

لقد علمت وما الإسراف من خلقى ... أن الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعى له فيعيينى تطلبه ... ولو قعدت أتانى لا يعنينى

---

(١) جبهه: لقيه بما يكره (٢) يقدر. يقسم.

* الشعر والشعراء ص ٢٢٥، المستطرف ص ٧ جزء أول، ابن خلكان ص ٢١٢ ج ١

(٣) عروة بن أذنية: كان من أعيان العلماء وكبار الصالحين، وله شعر فى الغزل عفيف رائق، وقفت عليه سكينة بنت الحسين مرة فقالت له: أنت القائل:

إذا وجدت أوار الحب فى كبدى ... ذهبت نحو سقاء القوم أبترد
هبنى بردت ببرد الماء ظاهره ... فمن لنار على الأحشاء تتقد

فقال لها نعم. فقالت. وأنت القائل.

قالت وأبثثتها سرى وبحت به ... قد كنت عندى تحت الستر فاستتر
ألست تبصر من حولى فقلت لها ... غطى هواك وما ألقى على بصرى!

قال. نعم، فالتفتت إلى جواريها وقالت: هن حرائر إن كان خرج هذا من قلب سليم قط

وأراك قد جئت من الحجاز إلى الشام فى طلب الرزق! فقال له : ياأمير المؤمنين، زادك الله بسطة فى العلم والجسم، ولا رد وافدك خائبا. والله لقد بالغت فى الوعظ ، وأذكرتنى ما أنسانيه الدهر!

وخرج من فوره إلى راحلته ، فركبها وتوجه راجعا إلى الحجاز ، فلما كان فى الليل ذكره هشام ، وهو فى فراشه ، فقال : رجل من قريش قال حكمة ، ووفد إلى ، فجبهته ورددته عن حاجته ، وهو مع ذلك شاعر لا آمن ما يقول.

فلما أصبح سأل عنه فأخبر بانصرافه ، وقال : لا جرم، ليعلم أن الرزق سيأتيه.

ثم دعا مولى له ، وأعطاه ألفى دينار ، وقال : الحق بهذه ابن أذنية ، وأعطه إياها ، فأدركه وقد دخل بيته ، فقرع الباب عليه ، فخرج إليه ، فأعطاه المال.

فقال : أبلغ أمير المؤمنين قولى : سعيت، فأكديت ، ورجعت إلى بيتى فأتانى رزقى

١٥ — وورد أبو النجم⁽²⁾ على هشام بن عبد الملك فى الشعراء ، فقال لهم هشام صفوا لى إبلا فقطروها وأوردوها وأصدروها حتى كأنى أنظر إليها ، فأنشدوه ، وأنشده أبو النجم :

« الحمد لله الوهوب المجزل »

حتى بلغ إلى ذكر الشمس فقال : « وهى على الأفق كعين . . . » وأراد أن يقول « الأحول » ، ثم ذكر حولة هشام ، فلم يتم البيت ، وأرتج عليه.

فقال هشام : أجز البيت ، فقال : « كعين الأحول » وأتم القصيدة ، فأمر هشام فوجىء⁽³⁾ عنقه ، وأخرج من الرصافة ، وقال لصاحب شرطته : ياربيع إياك وأن أرى هذا! فكلم وجوه الناس صاحب الشرطة أن يقره ففعل.

---

(١) الكامل ص ٣٩ ج ٢ ، الأغانى ص ١٤٥ ج ١٠ ، رغبة الآمل ص ٢٢٩ ج ٦ .

(٢) اسمه الفضل بن قدامه أحد رجال الاسلام الفحول المتقدمين ، وفى الطبقة الاولى منهم وتوفى سنة ١٣٠ .

(٣) وجىء. وجأه باليد وبالسكين إذا ضربه .

قال أبو النجم : ولم يكن أحد بالرصافة يضيف، إلا سليم بن كيسان الكلبي ، وعمرو بن بسطام التغلبي ، فكنت آتي سليما فأتغدى عنده ، وآتي عمراً فأتعشى عنده ، وآتي المسجد فأبيت فيه .

قال : فاهتم هشام ليلة ، وأمسى لقس النفس ، وأراد محدثاً يحدثه ، فقال لخادم له : ابغني محدثاً أعرابياً يروي الشعر :

فخرج الخادم إلى المسجد فاذا هو بأبي النجم ، فضربه برجله ، وقال له : قم أجب الأمير . قال : إني رجل غريب : قال : إياك أبغي ، فهل تروي الشعر ؟ قال : نعم ، وأقوله .

فأقبل به حتى أدخله القصر ، وأغلق الباب ، قال : فأيقن بالشر ، ثم مضى به ، فأدخله على هشام في بيت صغير ، والشمع بين يديه تزهو (١) .

فلما دخل قال له هشام : أبو النجم ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين طريدك ! قال : اجلس ، فسأله وقال له . أين كنت تأوي ، ومن كان ينزلك ، فأخبره الخبر . قال . وكيف اجتمعا لك ، قال . كنت أتغدى عند هذا ، وأتعشى عند هذا . قال . وأين كنت تبيت ، قال . في المسجد حيث وجدني رسولك . قال . ومالك من الولد والمال ، قال . أما المال فلا مال لي ، وأما الولد فلي ثلاث بنات وبني يقال له شيبان .

فقال . هل زوجت من بناتك أحدا ، نعم ، زوجت اثنتين ، وبقيت واحدة تجمز (٢) في أبياتنا كأنها نعامة .

قال . وما وصيت به الاولى ، نعامة .

أوصيت من برة(٣) قلبا حرا بالكلب خيرا والحماة شرا
لا تسأمى ضربا لها وجرا حتى ترى حلو الحياة مرا
وإن كستك ذهبا ودرا والحى عميهم بشر طرا

---

(١) تزهو : تتلألا (٢) تجمز . تعدو وتسرع .
(٣) كان اسمها برة

فضحك هشام ، وقال : فما قلت للاخرى ؟ قال قلت :

سبى الحماة وابهتى[1] عليها وإن دنت إليها فازدلفى إليها
وأوجعى بالفهر[2] ركبتيها ومرفقيها واضربى جنبيها
وظاهرى النذر لها عليها لا تخبرى الدهر به ابنتيها

قال : فضحك هشام حتى بدت نواجذه ، وسقط على قفاه . فقال : ويحك ! ما هذه وصية يعقوب ولده ! فقال : وما أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين . قال فما قلت للثالثة ؟ قال : قلت :

أوصيك يا بنتى فانى ذاهب أوصيك أن تحمدك القرائب
والجار والضيف الكريم الساغب لا يرجع المسكين وهو خائب
ولا تنى أظفارك السلاهب[3] منهن فى وجه الحماة كاتب
والزوج إن الزوج بئس الصاحب

قال : فكيف قلت لها هذا ولم تتزوج ؟ وأى شىء قلت فى تأخير تزويجها قال قلت فيها :

كأن ظلامة أخت شيبان يتيمة ووالدها حيـــان
الرأس قمل كله وصئبان[4] وليس فى الرجلين إلا خيطان
فهى التى يذعر منها الشيطان

فقال هشام لحاجبه : ما فعلت الدنانير المختومة التى أمرتك بقبضها ؟ قال : هى عندى ، ووزنها خمسمائة ! قال : فادفعها إلى أبى النجم ؛ ليجعلها فى رجلى ظلامة مكان الخيطين !

---

(١) بهته : قذفه بالباطل ، وقال عليه ما لم يفعل

(٢) الفهر . الحجر يملأ الكف

(٣) السلاهب : الطويلة .

(٤) الصئبان : الصؤابة : بيضة القمل جمعه صئبان .

١٦ — واستودع[1] رجل رجلا مالا ثم طلبه به فجحده، فخاصمه إلى إياس[2] بن معاوية القاضى، وقال، دفعت إليه مالا فى مكان كذا وكذا ! قال، فأى شىء كان فى ذلك الموضع ! قال، شجرة !

قال، فانطلق إلى ذلك الموضع، وانظر إلى تلك الشجرة، فلعل الله يوضح لك هناك ماتبين به حقك ! أو لعلك دفنت مالك عند الشجرة، فنسيت، فتذكر إذا رأيت الشجرة.

فمضى وقال إياس للمطلوب منه : اجلس حتى يرجع صاحبك، فجلس وإياس يقضى وينظر إليه بين كل ساعة. ثم قال. ترى صاحبك بلغ موضع الشجرة ؟ قال لا ! فقال : ياعدو الله أنت الخائن ! قال ؛ أقلنى أقالك الله ! فامر بحفظه حتى جاء خصمه، فقال له. خذ منه بحقك فقد أقر !

ومن ذكاء إياس[3] أنه استودع رجل أمين إياس مالا، وخرج المودع إلى الحجاز ؛ فلما رجع طلبه فجحده، فاتى إياساً فاخبره، فقال له اياس. أعلمته أنك أتيتنى ؟ قال. لا، قال. أفنازعته عند غيرى. قال لا قال. فانصرف، وأكتم سرك، ثم عد الى بعد يومين

فمضى الرجل ؛ ودعا إياس أمينه، فقال. قد حضر عندنا مال كثير، أريد أن أسلمه إليك، أفحصين منزلك. قال. نعم ! قال. فاعد موضعاً للمال، وقوماً يحملونه

وعاد الرجل إلى إياس، فقال : انطلق إلى صاحبك، فان أعطاك المال فذاك، وإن جحد فقل له. إنى أخبر القاضى بالقصة

---

(١) المحاسن والمساوىء ص ٤٣ ج ١

(٢) هو من مزينة، ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة وكان صادق الظن لطيفا فى الأمور، ومات سنة ١٢٢ هـ.

(٣) ثمرات الأوراق ١٤٤

فأتى الرجل صاحبه، فقال، تعطيني الوديعة أو أشكوك إلى القاضي ! وأخبره بالحال، فدفع إليه المال، فرجع الرجل، وأخبر إياسا

ثم جاء الأمين إلى إياس ليأخذ المال الموعود به، فزجره، وقال له، لا تقربني بعد هذا ياخائن !

أجوبة إياس بن معاوية المتوفى سنة ١٢٢ هجرية

كان إياس بن معاوية المزني لسنا بليغا يضرب به المثل في الزكن والفطنة وصحة الفراسة والأجوبة القاطعة. ويروى أنه دخل الشام وهو فتى فقدم خصما له إلى بعض القضاة، وكان الخصم شيخا فصال عليه إياس بالكلام، فقال له القاضي : خفض عليك فانه شيخ كبير. فقال إياس : الحق أكبر منه.

فقال له القاضي : اسكت. قال : فمن ينطق بحجتي ؟ !

قال القاضي : ما أراك تقول حقاً.

فقال إياس : لا إله إلا الله فأفحم القاضي.

ويروى أن عدى بن أرطاة والى البصرة دخل على إياس وهو قاضيها وكان عدى أعرابي الطبع.

فقال لإياس : ياهناة أين أنت ؟ قال : بينك وبين الحائط.

قال : فاسمع مني. قال : للاستماع جلست.

قال أني تزوجت امرأة. قال : بالرفاء والبنين.

قال : وشرطت لأهلها أن أخرجها من بينهم. قال : أوف لهم بالشرط.

قال : فاني أريد الخروج : قال : في حفظ الله.

قال : فاقض بيننا. قال، قد فعلت.

قال. فعلى من حكمت ؟ قال. على ابن أخي عمك.

قال. بشهادة من ؟ قال. بشهادة ابن أخت خالتك.

خاتمة الكلام على المحاورات والأجوبة

ا - وبعد فالحوار فن من فنون الأدب عرفه الجاهليون فى المنافرات والمفاخرات والمساجلات

وفى عصر صدور الاسلام كان فن الحوار قائما يستعان به فى رد حجج المشركين والمخالفين والزائغين وفى إقناع المكابرين من رجال الفرق والأحزاب

وكانت قريش فى الحوار أحضر جوابا وأسرع بديهة وأكثر إصابة

وفى العصر الأموى ازدهر فن الحوار وانتشر ونما وساعد على ذلك

١ — كثرة الخلافات بين الأحزاب السياسية

٢ — كثرة الخصومات بين الفرق الدينية ، بل بين طوائف الفرقة الواحدة كالخوارج والشيعة الذين انقسموا طوائف وشيعا كثيرة

٣ — انتشار الحجاج فى مسائل اللغة والنحو والعربية وآدابها

٤ — سلامة الملكات وخصب التفكير وحضور البديهة والقدرة على الارتجال .

٥ — كثرة العصبيات وتنافرها وتناحرها إلى حد بعيد وبخاصة فى عهد معاوية .

٦ — الجوائز الكثيرة التى كانت يكافأ بها الفائز فى مجال هذه المنافسات والخصومات .

ب — وألوان المحاورات كثيرة :

فمن جدل إلى أجوبة إلى مفاخرة وقد سبق نماذج لهذه الألوان كلها

الشعر
فى عصر بنى أمية

نماذج للشعر :

وقال ابن الدمينه :

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
لقد زادنى مسراك وجدا على وجدى(١)

أأن هتفت ورقاء فى رونق الضحى
على فنن غض النبات من الرند

بكيت كما يبكى الوليد ولم تكن
جليدا وأبديت الذى لم تكن تبدى

وقد زعموا أن المحب إذا دنا
يمل وأن النأى يشفى من الوجد

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا
على ذاك قرب الدار خير من البعد

على أن قرب الدار ليس بنافع
إذا كان من تهواه ليس بذى عهد

• • •

وقال أبو صخر الهذلى :

أما والذى أبكى واضحك والذى
أمات وأحيا والذى أمره الأمر

لقد تركتنى أحسد الوحش أن أرى
أليفين منها لا يروعهما الذعر

فياحبها زدنى جوى كل ليلة
ويا سلوة الأيام موعدك الحشر

عجبت لسعى الدهر بينى وبينها
فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

وما هو إلا أن أراها فجاءة
فابهت لا عرف لدى ولا نكر

---

(١) الصبا . ريح القبول . هاجت . ثارت .

(٢) الورقاء . الحمامة التى مال سوادها إلى البياض . الرونق الضياء . الرند نوع من الطيب والفنن الغصن الناعم الغض . الطرى .

وقال الصمة القشيرى [1] :

حننت إلى ريا ونفسك باعدت مزارك من ريا ، وشعبا كما معا [2]
فما حسن أن تأتى الأمر طائعا وتجزع أن داعى الصبابة أسمعا [3]
قفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى وقل لنجد عندنا أن يودعا [4]
بنفسى تلك الأرض ما أطيب الربا وما أحسن المصطاف والمتربعا [5]

(١) شاعر أموى بدوى مقل بليغ
خطب ابنة عمه فاشتط عليه فى مهرها فسأل أباه أن يعاونه وكان كثير المال فلم يعنه بشىء فسأل عشيرته فاعطوه فاتى بالابل عمه فقال له لا أقبل هذه فى مهر ابنتى فسل أباك أن يبذلها لك فسال ذلك أباه فابى عليه فلما رأى ذلك من فعلهما قطع عقلها وخلاها فعاد كل يعبر الى أهله وسافر الشاعر مرتحلا عن بلاده وقومه فحزنت ابنة عمه حزنا شديدا ، ثم مضى الى الشام فلما طال مقامه حن إلى أهله وبلاده ومحبوبته فنظم هذه القصيدة
والقصد تسيل بلاغة وروعة وجزالة لفظ وفخامة معنى ومتانة تركيب وصياغة بديعة وديباجة حسنة

(٢) الحنين : شدة الشوق . ريا : اسم محبوبته . باعدت : ابعدت ، والواو فى الوضعين للحال ، الشعب الحى
يلوم نفسه فى بعده عن محبوبته لأنه كان السبب فى ذلك بهجرته عن بلاده وبلاد ريا وقد كان قومه وقومها مجتمعين

(٣) امر : يريد الفراق . أن الثانية بتقدير اللام
المعنى : ليس يحسن أن تقاد أولا للحب مختارا فاذا سمعك داعى الصبابة نداءه جزعت

(٤) النجد كل ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق

(٥) الربا : ما ارتفع من الأرض . المصطاف : مكان الصيف . المتربع : مكان الربيع . المعنى : أفدى تلك الارض بنفسى لطيب رياها العجيب وحسن فصيلها صيفا وربيعها

وليست عشيات الحمى برواجع عليك ولكن خل عينيك تدمعا
ولما رأيت البشر أعرض دوننا وجالت بنات الشوق يحنن نزعا (١)
بكت عيني اليسرى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا
تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الأصغاء ليتا وأخدعا (٢)
وأذكر أيام الحمى ثم أنثني على كبدي خشية أن تصدعا (٣)

∴

وقال يزيد بن الحكم الثقفي (٤) يعظ ابنه بدراً .

يا بدر والأمثال يضـ ـربها لذي اللب الحكيم
دم للخليل بوده ما خير ود لا يدوم
واعرف لجارك حقه والحق يعرفه الكريم
واعلم بان الضيف يوماً سوف يحمد أو يلوم
واعلم بني فانه بالعلم ينتفع العليم
إن الأمور دقيقها مما يهيج له العظيم
والبغي يصرع أهله والظلم مرتعه وخيم
ولقد يكون لك البعيد أخا ويقطعك الحميم
والمرء يكرم للغنى ويهان للعدم العديم
وتخرب الدنيا فلا بؤس يدوم ولا نعيم

٭ ٭ ٭

وقال سالم بن وابصة الأسدي وهو شاعر إسلامي تابعي :

---

(١) البشر : جبل بالجزيرة اعرض : ابدى عرضه وجانبه . جالت : تحركت . بنات الشوق : نوازع الحنين . نزع : جمع نازع أي مشتاق
(٢) الليت : صفحة العنق . الأخدع عرق فيها . الأصغاء : الميل
(٣) تصدع : أي تنشق
(٤) شاعر أموي مقل بليغ

أحب الفتى ينفي الفواحش سمعه كأن به عن كل فاحشة وقرا
سليم دواعي الصدر لا باسطا أذى ولا مانعا خيرا ولا قائلا هجرا
إذا شئت أن تدعى كريما مكرما أديبا ظريفا عاقلا ماجدا حرا
إذا ما أتت من صاحب لك زلة فكن أنت محتالا لزلته عذرا
غنى النفس ما يكفيك من سد خلة فان زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

وقال المقنع الكندى وهو شاعر أموى مقل شريف كريم :

يعاتبني فى الدين قومى وإنما ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا
أسد به ما قد أخلوا وضيعوا ثغور حقوق ما أطاقوا لها سدا
وإن الذى بينى وبين بنى أبى وبين بنى عمى لمختلف جـــدا
فان أكلوا لحمى وفرت لحومهم وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم وإن هم هووا غيي هويت لهم رشدا
وإن زجروا طيرا بنحس تمر بى زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
لهم جل مالى إن تتابع لى غنى وإن قل مالى لم أكلفهم رفدا
وإنى لعبد الضيف مادام نازلا وما شيمة لى غيرها تشبه العبدا

٭ ٭ ٭

وقال القطامى (١)

من تكن الحضارة أعجبـــته فأى رجال بادية ترانا
ومن ربط الجحاش فأن فينا قنا سلبا وأفراسا حسانا (٢)

---

(١) شاعر اسلامى مقل كان نصرانيا وكان حسن التشبيب بالنساء رقيقه وكان يمدح زفر بن الحرث الكلابى ، وكان القطامى فحـــلا فى الشعر رقيق الحواشى كثير الامثال

(٢) قنا سلبا : أى تسلب النفوس جمع سلوب . يريد انا لانرضى الا بالدفاع عن الحرم والاغارة على الاعداء وغيرنا يرضى بالمال والدعة

وكن إذا أغرن على جناب وأعوزهن نهب حيث كانا (١)
أغرن من الضباب على حلول وضبة إنه من حان حانا (٢)
وأحيانا على بكر أخينا إذا مالم نجـــد إلا أخانا

.:.

وقال حطان بن المعلى (٣)

أنزلنى الدهر عـــلى حـكمه من شامخ عال إلى خفض (٤)
وغالنى الدهر بوفـر الغنى فليس لى مال سوى عرضى (٥)
أبـكانى الدهـر ويا ربمـا أضحـكنى الدهر بما يرضى
لولا بنيـات كزغب القطـا رددن من بعض إلى بعض (٦)

(١) وكن : اى الخيل . اعوزهن : تعسر عليهم . النهب : ماينتهب يقول : وكان ارباب الخيل منا إذا أغاروا على ناحية وتعسر عليهم النهب والغنيمة

(٢) الضباب : احياء من العرب . الحلول : الذين يكونون فى مكان واحد . المعنى انهم : لاعتيادهم الغارة لايصبرون عنها حتى إذا أعوزهم الأباعد عطفوا على الأقارب فأغاروا عليهم : وقوله « حان حانا » أى من هلك بغزونا فقد هلك

(٣) شاعر اسلامى .

(٤) الشامخ : العالى . الخفض : أى المخفوض
المعنى : كنت قويا فصيرنى الدهر ضعيفا وكنت مالكا فجعلنى مملوكا

(٥) غالنى : أهلكنى . الوفر : المال واضافته الى الغنى من اضافة السبب الى المسبب لأن المال سبب الغنى، والمعنى . غلبنى الدهر على كثرة المال فلم يبق لى سوى نفسى

(٦) بنيات : تصغير بنات . الزغب . الشعر اللين الصغير ، وكنى بهذا عن الضعف والصغر . رددن الخ : اى تتابعن وكثرن كل واحدة جنب الأخرى .
والمعنى : لولا بنيات لى صغيرات كفراخ القطا التى عليها الزغب لصغرهن اجتمعن لى فى مدة يسيرة

لكان لى مضطرب واسع | فى الارض ذات الطول والعرض (١)
وإنما اولادنا بيننا | اكبادنا تمشى على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم | لا متنعت عينى من الغمض (٢)

وقال سعد بن ناشب (٣)

سأغسل عنى العار بالسيف جالبا | على قضاء الله ما كان جالبا (٤)،
وأذهل عن دارى وأجعل هدمها | لعرضى عن باقى المذمة حاجبا (٥)
ويصغر فى عينى تلادى إذا انثنت | يمينى بادراك الذى كنت طالبا (٦)
فان تهدموا بالغدر دارى فانها | تراث كريم لايبالى العواقبا (٧)

(١) المضطرب : الاضطراب والحركة. المعنى : لولا خوفى من ضياعهم لكان لى مجال واسع فى الارض وانما لزمت مكانى بسببهن

(٢) المعنى : انه لا يطمئن إلا إذا كانوا سالمين بأجمعهم

(٣) شاعر اسلامى فى الدوله المروانيه من بنى مازن بن مالك من تميم وهذه القصيدة مشهورة فى البلاغة وسبب نظمها أنه كان قد اصاب دما فهدم بلال بن أبى بردة داره بالبصرة وحرقها فقال هذه القصيدة

(٤) اغسل : ازيل. العار : كل شىء لزم به عيب
المعنى: سأزيل العار عن نفسى باستعمال السيف فى اعدائى مهما جلب على قضاء الله ماأراد ،

(٥) ذهل عن الشىء : شغل عنه ونسيه
المعنى :سأتناسى دارى وأجعل هدمها حاجبا ووافيا لعرضى عن العار الباقى إذ رأيتها دار هوان

(٦) التلاد : المال القديم . اى انه يخف على قلبه إنفاق المال القديم عند إدراك المطلوب

(٧) الهدم : التخريب . الغدر : عدم الوفاء ، التراث : الميراث
المعنى : ان تهدموا بالغدر دارى وأنا غائب فلا أبالى بذلك ولا أغضب لأنها ملك رجل كريم لايبالى بالعواقب

فيا لرزام رشحوا بي مقدما ... الى الموت خواضا اليه الكتائبا(١)
إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ... ونكب عن ذكر العواقب جانبا(٢)

وقال أبو بكر بن عبد الرحمن الزهري وهو شاعر إسلامي مقل :

ولما نزلنا منزلا طله الندى ... أنيقا وبستانا من النور حاليا
أجدلنا طيب المكان وحسنه ... منى فتمنينا فكنت الأمانيا

وقال آخر : وهو لبعض الحجازيين وهو عمر بن أبي ربيعة كما في ديوانه :

خبروها بأنني قد تزوجت ... فظلت تكاتم الغيظ سرا
ثم قالت لأختها ولأخرى ... جزعا ليته تزوج عشرا
وأشارت إلى نساء لديها ... لاترى دونهن للسر سترا
مالقلبي كأنه ليس مني ... وعظامي كأن فيهن فترا
من حديث نمى إلى فظيع ... خلت في القلب من تلظيه جمرا

∴

وقال خلف بن خليفة وهو شاعر إسلامي مقل عاصر جريرا والفرزدق يمدح :

عدلت إلى فخر العشيرة والهوى ... إليهم وفي تعداد مجدهم شغل
إلى هضبة من آل شيبان أشرفت ... لها الذروة العلياء والكاهل العبل
إلى النفر البيض الذين كأنهم ... صفائح يوم الروع أخلصها الصقل
إلى معدن العز المؤيد والندى ... هناك هناك الفضل والخلق الجزل
أحب بقاء القوم للناس أنهم ... متى يظعنوا عن مصرهم ساعة يخل
عذاب على الأفواه مالم يذقهم ... عدو وبالأفواه أسماؤهم تحلو

(١) رزام : حي من تميم . الترشيح : التربية والتأهيل . الكتائب : الجيوش المجتمعة .

(٢) . التنكيب عن الشيء : الانحراف عنه . المعنى : إذا عزم على شيء جعله نصب عينيه ولايغفل عنه كما أنه لايميل الى ذكر العواقب بل ينحرف عنها جانبا

عليهم وقار الحلم حتى كأنما وليدهم من أجل هيبته كهل
إذا استجهلوا لم يعزب الحلم عنهم وأن آثروا أن يجهلوا اعظم الجهل (١)
هم الجبل الأعلى إذا ماتنا كرت ملوك الرجال أو تخاطرت البزل (٢)
ألم تر أن القتل غال إذا رضوا وإن غضبوا فى موطن رخص القتل
لنا منهم حصن ومعقل إذا حرك الناس المخاوف والأزل
مواعيدهم فعل إذا ما تكلموا بتلك التى إن سميت وجب الفعل

∴

وقال قطرى بن الفجاءة من الحماسة والفخر وهو من رؤساء الخوارج زمن بنى أمية وتوفى عام ٧٩ هـ

إلى كم تعادينى السيوف ولا أرى مضار بها تهدى الى حماميا
أقارع عن دار الخلود ولا أرى بقاء على حال لمن ليس باقيا
ولو قرب الموت القراع لقد أنى لموتى أن يدنو لطول قراعيا (٣)
أغادى جلاد المعلمين كأننى على العسل الماذى أصبحت غاديا (٤)
وأدعو الكماة للنزال إذا القنا تحطم فيما بيننا من طعانيا (٥)
ولست أرى نفسا تموت إذا دنت من الموت حتى يبعث الله داعيا
إذا استلب الخوف الرجال قلوبهم حبسنا على الموت النفوس الغواليا

٭ ٭ ٭

---

(١) الجهل هنا معناه الغضب
(٢) البزل جمع بازل البالغ تسع سنين .
(٣) أنى : حان وقرب .
(٤) المعلمون : الذين يعلمون أنفسهم فى الحروب بشارة ظاهرهم ليعرفوا إذ لا يخافون الأعداء لشجاعتهم .
(٥) الكماة : جمع كمى وهو الشجاع المستتر بالسلاح .

وقال جواس بن القعطل الكلبي من شعراء العصر الأموى :

صبغت أمية بالدماء رماحنا وطوت أمية دوننا دنياها
أأمى رب كتيبة مجهولة صيد [1] الكماة عليكم دعواها
كنا ولاة طعانها وضرابها حتى تجلت عنكم غماها
فالله يجزى لا أمية سعينا وعلا شددنا بالرماح عراها
جئتم من الحجز البعيد نياطه والشام تنكر كهلها وفتاها
إذ أقبلت قيس كأن عيونها حدق الكلاب وأظهرت سيماها

ولما عزم معاوية على جمع الناس على البيعة ليزيد ابنه من بعده أنشده مسكين الدارمي في محفل كبير قصيدة يحثه فيها على البيعة ليزيد ومنها :

ألا ليت شعرى ما يقول ابن عامر ومران أم ما ذا يقول سعيد
بنى خلفاء الله مهلا فانما يبوئها الرحمن حيث يريد
إذا المنبر الغربى خلاه ربه فان أمير المؤمنين يزيد
على الطائر الميمون والجد صاعد لكل أناس طائر أو جدود
فلا زلت أعلى الناس كعبا ولا تزل وفود تساميها اليك وفود
ولا زال بيت الملك فوقك عاليا تشيد أطناب له وعمود
قدور ابن حرب كالجوابي وتحتها أثاف كأمثال الرئال ركود

فلما انتهى منها قال معاوية ننظر فيما قلت يا مسكين ونستخير الله

∴

وقال أيضا :

نارى ونار الجار واحدة وإليه قبلى تنزل القدر
ما ضر جارا لى أجاوره ألا يكون لبابه ستر

---

(١) أى كماتها صيد جمع أصيد وهو الأسد أو الرافع رأسه كبرا .

أعمى إذا ما جارتى خرجت حتى يوارى جارتى الخدر

∴

وقال قطرى بن الفجاءة الخارجى

أقول لها وقد طارت شعاعا من الابطال ويحك لن تراعى [1]
فانك لو طلبت بقاء يوم على الأجل الذى لك لن تطاعى
فصبرا فى مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع
وما ثوب البقاء بثوب عز فيطوى عن أخى الخنع اليراع [2]
سبيل الموت غاية كل حى وداعيه لأهل الأرض داع
ومن لا يعتبط يسأم ويهرم ويسلمه المنون الى انقطاع [3]
وما للمرء خير فى حياة اذا ما عد من سقط المتاع

∴

وقال نصر بن سيار [4] يخاطب اليمانية والمضرية من العرب حين اتقدت نار العداوة فى خراسان والفرس لهم بمرصد :

أبلغ ربيعة فى مرو واخوتهم فليغضبوا قبل ألا ينفع الغضب
ولينصبوا الحرب إن القوم قد نصبوا حربا تحرق فى حافاتها الحطب
ما بالكم تلحقون الحرب بينكم كأن أهل الحجا عن رأيكم غرب
وتتركون عدوا قد أظلكم مما تأشب [5] لا دين ولا حسب
ومن يكن سائلا عن أصل دينهم فان دينهم أن تقتل العرب

---

(١) شعاعاً أى متفرقة
(٢) الخنع والخنوع . الذل والضيم ، واليراع الجبان المستطار القلب .
(٣) يعتبط يمت شابا
(٤) أمير خراسان من قبل بنى أمية
(٥) تأشب : اختلط

وقال ابن الدمينة (١)

قفى يا أميم القلب نقض لبانة ونشك الهوى ثم أفعلى ما بدالك
سلى البانة الغناء بالأباطح الذى به الماء هل حييت أطلال دارك
وهل قمت فى أظلالهن عشيـــة مقام أخى البأساء واخترت ذلك
وهل كفكفت عيناى فى الدار عبرة
فرادى كنظم اللؤلؤ المتهالك
ليهنك امساكى بكفى على الحشا ورقراق عينى خشية من زيالك
أبينى أفى يمنى يديك جعلتنى فأفرح أم صيرتنى فى شمالك
فيابانة الوادى أجيبى متيما أخا سقم أنشبته فى حبالك
تعاللت كى أشجى وما بك علة تريدين قتلى قد ظفرت بذلك

وقال الأحوص (٢)

وانى لآتى البيت ما أن أحبه وأكثر هجر البيت وهو حبيب
وأغضى على أشياء منكم تسوءنى وأدعى إلى ما سركم فأجيب
وما زلت من ذكراك حتى كأننى أميم بأفناء الديار سليب
أبثك ما ألقى وفى النفس حاجة لها بين جلدى والعظام دبيب
هبينى امرأ إما بريا ظلمتـــه واما مسيئا مذنبا فيتوب
لك الله انى واصل ما وصلتنى ومثن بما أوليتنى ومثيب
وآخذ ما أعطيت عفوا واننى لأزور عما تكرهين هيوب
فلا تتركى نفسى شعاعا فانها من الحزن قد كادت عليك تذوب

---

(١) هو عبد الله بن عبيد الله من بنى عامر بن تيم الله : شاعر غزل من شعراء الدولة الأموية .

(٢) هو عبد الله بن محمد الانصارى شاعر أموى غزل رقيق ، ولقب بالأحوص لحوص فى عينيه : أى ضيق فى مؤخرتيهما

.:.

وقال الأخطل [1] يصف سير الصحراء :

خليلى ليس الرأى أن تذرانى ... بدوية يعوى بها الصديان [2]
وأرقنى من بعد ما نمت نومة ... وعضب جلت عنه القيون يمان [3]
تصاحب ضيق قفرة يعرفانها ... غراب وذئب دائم العسلان [4]
إذا حضرانى عند زادى لم أكن ... بخيلا ولا صبا إذ تركانى
إذا ابتدرا ما تطرح الكف فاته ... به ذو جناح كيس اللحظان
يباعده منه الجناح وتارة ... يواوح بين الخطو والحجلان

• • •

وقال يصف الخمر .

وشارب مربح بالكأس نادمنى ... لا بالحصور ولا فيها بسوار [5]
نازعته طيب الراح الشمول وقد ... صاح الدجاج وحانت وقفة السارى [6]

---

(١) هو أبو مالك غياث بن غوث التغلبى النصرانى شاعر بنى أمية وأمير شعرائهم وثالث ثلاثة كان لهم زعامة الأموى :

(٢) الدوية : الصحراء ، والصديان : مثنى صد ، أى ظمآن ، ويريد بهما الذئب والغراب .

(٣) عضب مرفوع على الابتداء ، أى ومعى عضب ، والجملة حال .

(٤) العسلان : سرعة الحركة والسير .

(٥) الحصور . البخيل الضيق ، والسوار . المعربد الوثاب من السكر .

(٦) صياح الدجاج ، ووقفة السارى : كنايتان عن طلوع الفجر .

صهباء قد كلفت من طول ما عنست
في مخدع بين جنات وأنهار [١]

عذراء لم يجتل الخطاب بهجتها ... حتى اجتلاها عبادي بدينار [٢]

كأنما المسك نهبي بين أرحلنا ... مما تضوع من ناجودها الجاري [٣]

∴

وقال العرجي وهو من ولد الخليفة عثمان بن عفان ومن شعراء الغزل

إذا حرم المرء الحياء فانه ... بكل قبيح كان منه جدير

له قحة في كل شيء وسره ... مباح وخدناه خنا وغرور

يرى الشتم مدحا والدناءة رفعة ... وللسمع منه في العظات نفور

∴

وقال أبو صخر الهزلي [٤] وقد تقدم بعضها :

أما والذي أبكى واضحك والذي ... أمات وأحيا والذي أمره الأمر

لقد تركتني احسد الوحش أن أرى ... أليفين منهما لا يروعهما الذعر [٥]

عجبت لسعى الدهر بيني وبينها ... فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

فياحبها زدني جوى كل ليلة ... ويا سلوة الأيام موعدك الحشر

وإني لتعروني لذكراك روعة ... كما انتفض العصفور بلله القطر

وإني لآتيها أريد عتابها ... وأوعدها بالهجر ما برق الفجر

---

(١) عنست الجارية : أي تأخرت عن الزواج زمنا طويلا ، وكلفت من الكلف ، وهو شدة الحب ، وذلك كناية عن صفرة لونها .

(٢) العبادي . نسبة إلى العباد وهم قبيلة نصرانية في الحيرة تحسن تعتيق الخمر

(٣) الناجود . أول ما يخرج من دن الخمر .

(٤) وهو شاعر إسلامي موال لبني مروان متعصب لهم

(٥) الذعر : الخوف .

فما هو الا أن أراها فجاءة   فأبهت لاعرف لدى ولا نكر [١]
وأنسى الذى قد كنت فيه أتيتها   كما قد تنسى لب شاربها الخمر
ويمنعنى من بعض إنكار ظلمها   إذا ظلمت يوما وإن كان لى عذر
مخافة أنى قد علمت لئن بدا   لى الهجر منها ما على هجرها صبر
وأنى لا أدرى إذا النفس أشرفت   على هجرها ما يصنعن بى الهجر

وقال ذو الرمة أحد شعراء الغزل فى عصر بنى أمية

أرانى إذا هومت يامى زرتنى   فيا نعمتا لو أن رؤياى تصدق [٢]
لها جيد أم الخشف ريعت فأتلعت   ووجه كقرن الشمس ريان مشرق
وعين كعين الرئم فيها ملاحة   هى السحر أو أدهى التباسا وأعلق

وقال ذو الرمة :

خليلى عدا حاجتى من هواكما   ومن ذا يواسى النفس الا خليلها ؟
ألما بمى قبل أن تطرح النوى   بنا مطرحا أو قبل بين يزيلها
وإن لم يكن إلا تعلل ساعة   قليلا فانى نافع لى قليلها

***

وقال المخبل القينى [٣]

خليلى قد قست الأمور ورضتها   بنفسى وبالفتيان كل زمان
فلم أخف سوءا للصديق ولم أجد   خليلا ولا ذا البث يستويان
من الناس إنسانان دينى عليهما   مليان لو شاءا لقد قضيانى
خليلى أما أم عمرو فمنهما   وأما عن الأخرى فلا تسلانى
بلينا بهجران ولم أر مثلنا   من الناس إنسانين يهتجران
أشد مصافاة وأبعد من قلى   وأعصى لواش حين يكتنفيان

---

(١) أذهل لا أعرف شيئا ولا أنكره
(٢) الألف فى فيا نعمتا منقلبة عن ياء المتكلم كما فى « ياحسرتا » و« ياأسفا »
(٣) شاعر حجارى اسلامى أحد المتيمين المشهورين بالعشق .

تحدث طرفانا بما في صدورنا ... اذا استعجمت بالمنطق الشفتان
فوالله ما أدرى أكل ذوى الهوى ... على ما بنا أو نحن مبتليان
فلا تعجبا مما بي اليوم من هوى ... ففي كل يوم مثل ماتريان
وكنا كريمى معشر ضم بيننا ... هوى فحفظناه بحسن صيان
سلاه بأم العمر من هى اذ بدا ... به سقم جم وطول ثمان
فما زادنا بعد المدى نقض مرة ... ولا رجعا من علمنا ببيان
خليلى لا والله مالى بالذى ... تريدان من هجر الحبيب يدان
ولا لى بالبين اعتلاء اذا نأت ... كما أنتما بالبين معتليان

وقال : ابن الطثرية [١] :

عقيليـة أما ملاث إزارها ... فدعص وأما خصرها فبتيل
تقيظ أكناف الحمى ويظلها ... بنعمان من وادى الأراك مقيل
أليس قليلا نظرة إن نظرتها ... إليك وكلا ليس منك قليل
فياخلة النفس التى ليس دونها ... لنا من أخلاء الصفاء خليل
ويامن كتمنا حبه لم يطع به ... عدو ولم يؤمن عليه دخيل
أما من مقام أشتكى غربة النوى ... وخوف العدا فيه إليك سبيل
فديتك أعدائى كثير وشقتى ... بعيد وأشياعى لديك قليل
وكنت إذا ماجئت جئت بعلة ... فأفنيت علاتى فكيف أقول
فمـا كل يوم لى بأرضك حاجة ... ولا كل يوم لى إليك رسول
صحائف عندى للعتاب طويتها ... ستنشر يوما ، والعتاب طويل
فلا تحملى ذنبي وأنت ضعيفة ... فحمل دمى يوم الحساب ثقيل

---

(١) هو يزيد بن الصمة أحد بنى سلمة الخير بن قشير ، والطثرية أمه ، وهو شاعر إسلامى ، وكان جميل الوجه حسن الشعر حلو الشمائل ، وكان يقول من أخم عند النساء فلينشد من شعرى ، وكان كثيراً مايتحدث إلى النساء ، وقد قتله بنو حنيفه يوم الفلج ، وكان لبنى عامر على بنى حنيفة . ولأخته زينب شعر جيد ترثيه به

وقال العباس بن مرداس السلمى[١] :

ترى الرجل النحيف فتزدريه ... وفى أثوابه أسد مرير[٢]
ويعجبك الطرير فتبتليه ... فيخلف ظنك الرجل الطرير[٣]
فما عظم الرجال لهم بفخر ... ولكن فخرهم كرم وخير
بغاث الطير أكثرها فراخا ... وأم الصقر مقلات نزور[٤]
ضعاف الطير أطولها جسوما ... ولم تطل البزاة ولا الصقور
لقد عظم البعير بغير لب ... فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبى بكل وجه ... ويحبسه على الخسف الجرير[٥]
وتضربه الوليدة بالهراوى ... فلا غير لديه ولا نكير[٦]
فان أك فى شراركم قليلا ... فانى فى خياركم كثير

وقال محمد[٧] بن بشير :

إن الأمور اذا انسدت مسالكها ... فالصبر يفتق منها كل مارتتجا[٨]
لاتيأسن وإن طالت مطالبة ... اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

---

(١) العباس بن مرادس : شاعر من المخضرمين وهو من المؤلفة قلوبهم فى الاسلام وكان فارسا مقداما .

(٢) المرير : القوى الشديد من المرة وهى القوة :

(٣) الطرير : الحسن المنظر :

(٤) بغاث الطير : ضعافها ومالا يصيدمنها . والمقلات : التى تلد واحدا ثم لاتلد بعده أو التى لايعيش لها ولد والفعل من ذلك أقلت : والنزور . القليله الأولاد . .

(٥) الجرير . الحبل يجربه البعير .

(٦) الهراوى . جمع هرواة وهى العصا الغليظة .

(٧) محمد بن بشير . من عدوان شاعر فصيح حجازى من شعراء الدولة الأموية

(٨) ارتتج : أغلق والرتاج . الباب الكبير يغلق وفيه باب صغير مفتوح

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا
قدر لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زلقاً عن غرة زلجا
ولا يغرنك صفو أنت شاربه فربما كان بالتكدير ممتزجا

∴

وقال كعب يرثى أخاه أبا المغوار

تقول سليمى ما لجسمك شاحبا كأنك يحميك الشراب طبيب
فقلت نحول من خطوب تتابعت على كبار والزمان يريب
لعمرى لئن كانت أصابت منية أخى فالمنايا للرجال شعوب
فانى لباكيه وإنى لصادق عليه وبعض القائلين كذوب
أخى ما أخى لا فاحش عند ريبة ولا ورع عند اللقاء هيوب
أخ كان يكفينى وكان يعيننى على نائبات الدهر حين تنوب
هو العسل الماذى لينا وشيمة وليث إذا لاقى الرجال قطوب
كعالية الرمح الردينى لم يكن إذا ابتدر الخيل الرجال يخيب
وداع دعايا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب
فقلت أدع أخرى وارفع الصوت ثانيا لعل أبا المغوار منك قريب
يجبك كما قد كان يفعل إنه بامثاله رحب الذراع أريب
وحد ثمانى أنما الموت فى القرى فكيف وهذى هضبة وكثيب
فلو كانت الموتى تباع اشتريته بما لم تكن عنه النفوس تطيب
بعينى أو يمنى يدى وخلتنى أنا الغانم الجذلان حين أءوب
لقد أفسد الموت الحياة وقد أتى على يومه عاق إلى حبيب
أتى دون حلو العيش حتى أمره خطوب على آثارهن نكوب
فوالله لا أنساه ماذر شارق وما اهتز من فرع الأراك قضيب

وقال آخر يرثى قيس بن عاصم المنقرى :

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ماشاء ان يترحما
تحية من البسته منك نعمة اذا زار عن شحط بلادك سلما

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

وانشد ابو محمد الليثى فى يزيد بن مزيد

أحق أنه اودى يزيد فبين ايها الناعى المشيد
احامى الملك والاسلام أودى فما للارض ويحك لاتميد
تأمل هل ترى الاسلام مالت دعائمه وهل شاب الوليد
أما هدت لمصرعه نزار بلى وتقوض المجد المشيد
وحل ضريحه اذ حل فيه طريف المجد والمجد التليد
أأودى عصمة البارى يزيد وسيف الله والغيث الحميد
لقد رزئت نزار يوم أودى عميدا مايقاس به عميد
فلو قبل الفداء فداه منا بمهجته المسود والمسود
ابعد يزيد تختزن البواكى دموعا أو تصان لها خدود
اما بالله لا تنفك عينى عليه بدمعها ابدا تجود
وان تجمد دموع لئيم قوم فليس لدمع ذى حسب جمود
وان يهلك يزيد فكل حى فريس للمنية أو طريد
فان يك عن خلود قد دعته مآثره فكان لها الخلود
فما أودى أمرؤ أودى وأبقى لوارثه مكارم لا تبيد
ألم تعلم أخى أن المنايا عدون به وهن له جنود
ليبكك شاعر لم يبق دهر له نشبا وقد كسد القصيد
أصيب المجد والاسلام لما أصابك بالردى سهم شديد
لقد عزى ربيعة أن يوما عليها مثل يومك لا يعود
ومثلك من قصدن له المنايا باسهمها وهن له جنود
فيا للدهر ما صنعت يداه كأن الدهر منها مستفيد
سقى جدثا أقام به يزيد من الوسمى بسام رعود
فان أجزع لمهلكه فانى على النكبات اذ أودى جليد

وقال عتيبة المازنى :

ومستنبح بات الصدى يستتيهه [١]	إلى كل صوت فهو فى الرحل جانح
فقلت لا هلى ما بغام مطية	وسار اضافته الكلاب النوابح
فقالوا غريب طارق طوحت به	متون الفيافى والخطوب الطوارح
فقمت ولم أجثم مكانى ولم تقم	مع النفس علات البخيل الفواضح
وناديت شبلا فاستجاب وربما	ضمنا قرى عشر لمن لا نصافح
فقام أبو ضيف كريم كأنه	وقد جد من فرط الفكاهة مازح
إلى جذم مال قد نهكنا سوامه [٢]	واعراضنا فيه بواق صحائح
جعلناه دون الذم حتى كأنه	إذا عد مال المكثرين المنائح [٣]
لنا حمد أرباب المئين ولا	يرى إلى بيتنا مال مع الليل رائح

ولعبد الله بن جعفر الطالبى المتوفى سنة ٨٠ هـ

إذا كنت فى حاجة مرسلا	فأرسل حكيما ولا توصه [٤]
وإن باب أمر عليك التوى [٥]	فشاور لبيبا ولا تعصه
وإن ناصح منك يوما دنا	فلا تنأ عنه ولا تقصه [٦]

---

(١) يستتيهه يستفعل من تاه يتيه إذا ضل

(٢) الجذم الأصل نهكنا سوامه أى اثرنا فى السائمة من المال بما عودناها من النحر من قولهم نهكه المرض إذا أضربه

(٣) المنائح جمع منيحة وهى الناقة أو الشاه تدفع إلى الجار لينتفع بلبنها

(٤) الحكيم العاقل الحازم الفاضل ومن رقة الانتقاد ما يروى أن أبا الأسود الدؤلى سمع رجلا ينشد هذا البيت فقال قد أساء القول أيعلم الغيب إذا لم يوصه كيف يعلم مافى نفسه

(٥) يعنى إذا صعب عليك أمر من الأمور

(٦) فلا تبعد عنه ولا تبعده

وذا الحق لا تنتقص حقه فان القطيعة فى نقصه (١)
ولا تذكر الدهر فى مجلس حديثا إذا أنت لم تحصه (٢)
ونص الحديث إلى أهله (٣) فان الأمانة فى نصه
وكم من فتى عازب لبه وقد تعجب العين من شخصه (٤)
وآخر تحسبه أنوكا ويأتيك بالأمر من فصه (٥)

وقال : شقران مولى سلامان من قضاعة :

لو كنت مولى قيس عيلان لم تجد على لانسان من الناس درهما
ولكننى مولى قضاعة كلها فلست أبالى ان أدين وتغرما
أولئك قومى بارك الله فيهم على كل حال ماأعف واكرما
ثقال إلجفان والحلوم رحاهم رحا الماء يكتالون كيلا عذمذما
جفاة المحز لا يصيبون مفصلا ولا يأكلون اللحم الا تخذما

وقال النمرى ويقال انها لرجل من باهلة :

وداع دعا بعد الهدو كأنما يقاتل أهوال السرى وتقاتله
دعا بائساً شبه الجنون ومابه جنون ولكن كيد أمر يحاوله
فلما سمعت الصوت ناديت نحوه بصوت كريم الجد حلو شمائله
فأبرزت نارى ثم أثقبت ضوءها
وأخرجت كلبى وهو فى البيت داخله
فلما رآنى كبر الله وحده وبشر قلباً كان جماً بلابله

(١) لاتنتقص حقه لا تنقصه . والقطيعة الهجر والعقوق
(٢) إذا كنت لا تستظهره وتعرفه حق المعرفة
(٣) ارفع الكلام إلى المرفوع اليهم ولا تزد فيه ولا تنقص منه
(٤) عازب لبه غائب عقله وتعجب العين من شخصه أى من حسن منظره
(٥) الأنوك الأحمق والاتيان بالأمر من فصه معناه الاتيان بالخبر اليقين المفصول فيه فلا يقبل المعارضة

فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا ... رشدت ولم أقعد اليه أسائله
وقمت الى برك هجان أعده ... لوجبة حق نازل أنا فاعله
بأبيض خطت نعله حيث أدركت ... من الارض لم تخطل على حمائله
فجال قليلا واتقاني بخيره ... سناما وأملاه من التي كاهله
بقرم هجان مصعب كان فحلها ... طويل القرى لم يعد ان شق بازله
فخر وظيف القرم في نصف ساقه ... وذاك عقال لاينشط عاقله
بذلك أوصاني أبي وبمثله ... كذلك أوصاه قديما أوائله

ولما مات معاوية بن أبي سفيان ويزيد غائب صلى عليه الضحاك بن قيس الفهري ثم قدم يزيد من يومه ذلك فلم يقدم أحد على تعزيته حتى دخل عليه عبد الله بن همام السلولي فقال :

اصبر يزيد فقد فارقت ذا مقة ... واشكر حباء الذي بالملك حاباكا
لارزء أعظم في الأقوام قد علموا ... مما رزئت ولا عقبى كعقباكا
أصبحت راعي أهل الأرض كلهم ... فأنت ترعاهم والله يرعاكا
وفي معاوية الباقي لنا خلف ... إذا نعيت فلا نسمع بمنعاكا

فافتتح الخطباء الكلام

وقال العباس بن الوليد بن عبد الملك لمسلمة بن عبد الملك :

ألا تقنى الحياء أبا سعيد ... وتقصر عن ملاحاتي وعذلي
فلو لا أن أصلك حين تنمي ... وفرعك منتمى فرعي وأصلي
وأني إن رميتك هضت عظمي ... ونالتني إذا نالتك نبلي
لقد أنكرتني إنكار خوف ... يضم حشاك عن شتمي وأكلي
كقول المرء عمرو في القوافي ... لقيس (١) حين خالف كل عدل
عذيري من خليلي من مراد ... أريد حياته ويريد قتلي (٢)

---

(١) يريد عمرو بن معدي كرب وقيس بن مكشوح .
(٢) ١٤ / ١ الأمالي .

وقال الأحوص .

قالت وقلت تحرجي وصلي حبلي أمرىء بوصالكم صب :
صاحب إذا بعلي فقلت لها الغدر شيء ليس من ضربي
ثنتان لا أدنو لوصلهما عرس الخليل وجارة الجنب
أما الخليل فلست فاجعه والجار أو صاني به ربي
عوجا كذا نذكر لغانيه بعض الحديث مطيكم صحبي
ونقل لها فيم الصدود ولم نذنب بل أنت بدأت بالذنب
إن تقبلي نقبل وننزلكم منا بدار الود والرحب
أو تدبري تكدر معيشتنا وتصدعي متلائم الشعب (١)

وقال القطامي يمدح زفر القيسي وكان قد اسره ثم عفا عنه :

ما للكواعب ! ودعن الحياة كما ودعنني واتخذن الشيب ميعادي (٢)
أبصارهن الى الشبان مائلة وقد أراهن عني غير صداد (٣)
إذ باطلي لم تقشع جاهليته عني ، ولم يترك الخلان تقوادي (٤)
كنية الحي من ذي الغضبة احتملوا مستحقبين أسيراً ماله فادي (٥)
بانوا ، وكانت حياتي في اجتماعهم وفي تفرقهم قتلي وإقصادي (٦)

---

(١) ٤٦ ج ١ الأمالي .

(٢) الكواعب : جمع كاعب ، وهي الفتاة الناهدة . ميعادي ، وقت قطيعتي يدعو عليهن بالموت لما هجرنه لحلول شيبه : اتخذن معطوف على ودعنني .

(٣) صداد جمع صادة : المعرضة .

(٤) الباطل : الضلال : تقشع تذهب . جاهليته . سفاهته . الخلان جمع خليل وهو الصديق . تقوادي : قيادتي الى اللهو .

(٥) كنية الحي متعلق بودعنني . أي كما ودعني حي كنت به كلفا ، النية : البعد والقصد . استحقب : ادخر . الأسير هو أو فؤاده . ذو الغضبة مكان .

(٦) بانوا : رحلوا . اقصادي : اهلاكي .

أرمى قصيدهم طرفى، وقد سلكوا | بطن الجيمر فالروحاء فالوادى (١)
محددين لبرق صاب فى خيم | وبالقــرية رادوه بـرواد (٢)
يخفون طورا وأطوارا اذا طلعوا | نجـدا، بدالى من أجمالهم بادى (٣)
وفى الخـدور غمامات برقن لنـا | حتى تصـيدننا من كل مصطاد (٤)
يقتلننـا بحديث ليس يعلمــه | من يتقين ولا مكتومه بادى (٥)
فهن ينبذن من قول يصبن به | مواقع الماء من ذى الغلة الصادى (٦)

* * *

من مبلغ زفر القيسى مدحتـه | من القطامى قولا غير إفناد (٧)

---

(١) القصيد: الناحية. الطرف النظر. الجيمر: أرض لفزارة. الروحاء: موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلا من المدينـــة. الوادى: منعرج ما بين جبال أو تلال أو آكام وهو اسم لعدة أماكن كوادى القرى وغيره.

(٢) محددين: ناظرين بحدة. صاب: انصب مطره. خيم: جمع خيمة. القرية بضم القاف وفتح الراء وتشديد الياء: موضع لطى. رادوه طلبوه. الرواد: جمع رائد وهو الرسول يبعثه القوم لينظر لهم مكانا ينزلون فيه.

(٣) طورا: مرة. النجد. المرتفع من الأرض. بدا: ظهر. أجمال. جمع جمل

(٤) الخدور جمع خدر. الهودج أو مسكن الجارية. غمامات، جمع غمامة السحابة البيضاء، والمراد المرأة الجميلة. برقن لنا. أطمعننا. مصطاد. مصيد اسم مفعول أو مكان.

(٥) يتقين: يخفنه. باد: ظاهر

(٦) ينبذان. يرمين ويتكلمن. الغلة: حرارة العطش. الصادى: العطشان أى يقع كلامهن منا كموقع الماء من شديد العطش، فكلاهما أحسن مايكون وقعا

(٧) زفر القيسى رئيس قيس عدوة تغلب قبيلة الشاعر. وكان قد عفا عن القطامى وفك أسره لما هزم مع قومه فى احدى الوقائع فمدحه بهذه القصيدة. الافناد: الكذب.

أني وان كان قومي ليس بينهم ... وبين قومك الاضرية الهادي [١]
مثن عليك بما استبقيت معرفتي ... وقد تعرض مني مقتل بادي [٢]
فلن أثيبك بالنعماء مشتمة ... ولن أبدل إحسانا بافساد
فان هجوتك ماتمت مكارمتي ... وان مدحت لقدأحسنت إصفادي [٣]
قتلت بكرا وكلبا واشتليت بنا ... وقدأردت بأن يستجمع الوادي [٤]
لولا كتائب من عمرو تصول بها ... أرديت ياخير من يندوله النادي [٥]
إذ لا ترى العين إلا كل سلهبة ... وسابح مثل سيد الردهة العادي [٦]
إذ الفوارس من قيس بشكتهم ... حولي شهود وما قومي بشهاد [٧]
إذ يعتريك رجال يسألون دمي ... ولو أطعتهم أبكيت عوادي [٨]
فقد عصيتهم والحرب مقبلة ... لا ، بل قدحت زنادا غير صلاد [٩]

---

(١) الهادي : النصل .

(٢) مثن عليك : مادحك . بما استبقيت أي بابقائك على لمعرفتك إياي . تعرض : ظهروا نكشف . مقتل : موضع أقتل منه

(٣) مكارمتي : مفاخرتي لك بالكرم . إصفادي : إعطائي . الصفد القيد صفده قيده واصعده آعطاه

(٤) بكر وكلب : قبيلتان من عدنان اشتليت : تداركت وأنقذت . يستجمع الوادي : يتم لك كل ما يسرك قبلنا :

(٥) الكتائب جمع كتيبة : القطعة من الجيش. تصول : تسطو. أرديت هلكت يندو : يجتمع اليه للحديث والاستشارة . النادي : مجلس القوم :

(٦) سلهبة ؛ فرس طويلة . السيد . الذئب . الردهة : الأكمة الخشنة .العادي الهاجم يشبه الفرس بالذئب المتدى في السرعة .

(٧) الشكة : السلاح . قيس : قبيلة الشاعر . شهود وشهاد : حضور .

(٨) يعتريك : يغشاك . يسألون دمي : يطلبون قتلي . عوادي جمع عائد: الزائر:

(٩) قدح الزند : حاول إخراج النار منه . الزناد : جمع زند وهو العود يقتدح به النار . صلاد لا يوري . والمعنى لقد أكرمت رجلا يحسن تقدير الجميل .

والصيد آل نفيل خير قومهم — عند الشتاء إذا ما ضن بالزاد (١)
المانعون غداة الروع جارهم — بالمشرفية من ماض ومنآد (٢)
أيام قومي ، مكاني منصب لهم — ولا يظنون إلا أنني رادي (٣)
فانتاشني لك من غبراء مظلمة — حبل تضمن إصداري وإيرادي (٤)
ولا كردك عني بعد ما كربت — تبدي الشناءة أعدائي وحسادي (٥)
فان قدرت على يوم جزيت به — والله يجعل أقواما بمرصاد (٦)
نفسي فداء بني أم هم خلطوا — يوم العروبة أورادا بأوراد (٧)
بيضا صوارم كالشهبان نعسفها — في البيض من مستقيمات ومنآد (٨)

---

(١) الصيد جمع أصيد : الملك أو الرافع رأسه كبرا . آل نفيل : آل الممدوح ضن بالزاد بخل به . فهم كرام وقت الشتاء حين يبخل الناس .

(٢) المانعون : الحامون ، الروع : الفزع . الجار : المجاور أو المستجير . المشرفية : السيوف المنسوبة إلى مشارف الشام ، وهي قرى عربية تدنو من ريفه . الماضي : السيف المستقيم القاطع . المنآد : المعوج .

(٣) منصب : متعب يشق عليهم بلوغه . راد : هالك .

(٤) انتاشني : تداركني . الغبراء : الداهية . حبل : عهد وذمة . الإصدار : الإرجاع عن الماء . الايراد : إحضاره المورد والمعنى أن عهدك قام بحفظي وحراستي

(٥) كربت : دنت . الشناءة البغض والشماته . أي ليس من الفعال ما يشبه ردك الشر عني وقد كاد يشمت بي الأعداء لقرب ضياعي .

(٦) قدرت على يوم : أي إذا قدرت عليك يوما عفوت عنك وقالوا : لما سمع زفر هذا قال . لا أقدرك الله . المرصاد : الطريق ومكان الرصد .

(٧) يوم العروبة : يوم لتغلب على قيس . أوراد : جمع ورد . الجيش أو الجماعة أو السيف .

(٨) بيضا صوارم . سيوفا قاطعة . الشهبان جمع شهاب : الكوكب أو المنقض منه . نعسف . نضرب على غير هدى ،

ثبيت قيساً على الحشاك قد نزلوا ... منا بحى على الأضياف حشاد (١)
فى المجد والكرم العالى ذوى أمل ... وفى الحياة وفى الأموال زهاد
الضاربين عميراً عن بيوتهم ... بالتـــل يوم عمير ظالم عادى (٢)

---

(١) الحشاك : نهر بأرض الجزيرة بين دجلة والفرات . حشاد جمع حاشـد : المستعد المتأهب : أى نزلت قيس علينا للحروب فوجدتنا مستعدين للقائها وشبه الاحتشاد للحرب بالاجتماع لإكرام الضيف بتنزيل التضاد منزلة التناسب .

(٢) عمير بن الحباب القيسى ، قتل يوم العروبه ، وهو يوم لتغلب على قيس .
ضربه عن بيته : صده عنه .

الشعر

فى العصر الأموى

تمهيد :

١ — الشعر لغة الخيال الساحرة ، وأداة التعبير الرائع ؛ وديوان العرب ومجمع فخرهم ، ومأثرتهم الكبيرة الخالدة

نظموه فى الجاهلية أناشيد سماوية تصور المشاعر والعواطف وخواطر القلوب ، وخلجات النفوس ، يحفظون به كما يقول التبريزى « المكارم والمناسب ويقيدون به الأيام والمناقب ، ويخلدون به معالم الثناء ، ويبقون به مواسم الهجاء ، ويضمنونه ذكر وقائعهم فى أعدائهم ، ويستودعونه حفظ صنائعهم إلى أوليائهم » ،

كما نظموه بعد الجاهلية حتى الآن قصائد رائعة تخطر فى ثوب الخيال البديع والعاطفة الصادقة والمعنى الجميل والحكمة الرفيعة ، فأضافوا إلى حوليات زهير واعتذاريات النابغة وحماسيات عنترة أهاجى الحطيئة وهاشميات الكميت ونقائض جرير وغزليات ابن أبى ربيعة وابن الأحنف وخمريات الأخطل وأبى نواس وفخريات الفرزدق ومراثى أبى تمام ومدائح البحترى وروضيات الصنوبرى ولطائف كشاجم

واتخذوه صناعة فنية عالية ، واختاروا لنظمه الأوقات المناسبة حتى قال الفرزدق : « من أسلس ما يكون الشعر فى أول الليل قبل الكرى وأول النهار قبل الغذاء وعند مناجاة النفس واجتماع الفكر » . وهذبوه كما كان زهير يهذب حولياته التى كان ينظم القصيدة منها فى ستة أشهر وينقحها فى ستة أشهر

٢ — ولقد لقى الشعر العربى الكثير من رعاية خلفاء بنى أمية وعنايتهم وإيثارهم ، وعقدوا المجالس لانشاده ونقده ، وسمعوا الجوارى يغنين به فى مجالس السمر واللهو ، وأثابوا الشعراء عليه بسنى الجوائز وكريم العطاء

ولم لا ؟ وهم عرب يهزم البيان ، وتسحرهم البلاغة ويطربون للشعر ، ويطيرون عند سماع مدحة رائعة أو ثناء محبر

وإذا كانوا قد شملوا العلم والثقافة واللغة والأدب بالرعاية والبر ، فلم لا يعنون كذلك بالشعر وهو أداة التصوير الساحر ، والتأثير الباهر والتعبير عن كل ما يجيش بالنفس من خواطر وآراء ومعان وأفكار ؟

ولم لا يكرمون الشعراء ، وهم من هم عند العرب ، نباهة شأن ، وجلال مكانة ورفعة منزله ، وعظمة جاه ونفوذ وسلطان ؛ وهم الذى يتصرفون فى الأرواح والقلوب والعواطف ، ويملكون مقادة الجماهير ، وبيدهم زمام البيان والبلاغة ؟

وكيف لا نجد منهم ذلك التقدير للشعر ، وهو سبيل لدعم ملكهم ، وتأييد سلطانهم ، ووسيلة لامتلاك زمام القلوب الثائرة ، والنفوس الساخطة ؟

وستعلم من البحوث التالية مالقى الشعر فى عصر بنى أمية من بر وإيثار وتقدير وحب

مظاهر العناية بالشعر فى العصر الأموى وأسبابها :

١ — عنى الخلفاء والأمراء والولاة بالشعر عناية كبيرة :

ا — فأرسلوا وفودهم للشعراء التماسا للمدح والثناء ، حتى أن سليمان بن عبد الملك بعث إلى ابن أبى ربيعة فأتاه ، فقال له : لم تمدحنا ، قال عمر : أنا لا أحسن مدح الخلفاء والأمراء إنما أحسن مدح النساء ، وكان الخلفاء يبعثون للشعراء فى المناسبات الحافلة ، يطلبون منهم إنشاء المدائح والقصائد ،

ب — واتخذ كل خليفة أو أمير لنفسه شاعراً يقربه ويؤثره ويهبه الأموال الجزيلة والعطاء الجم ، فكان الأخطل شاعر يزيد بن معاوية ثم شاعر مروان بن عبد الملك الخليفة الأموى العظيم .

ولم يشذ عن ذلك إلا عمر بن عبد العزيز الذى نقم على الشعراء عبثهم ولهوهم ومجونهم واتخاذهم الشعر أداة للمدح الكاذب والهجاء الفاحش والغزل الصاخب فحذرهم وأوعدهم وأنذرهم وهددهم بل نفى بعضهم من جزيرة العرب .

روى [1] أنه لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة لم تكن له همة إلا عمر بن أبى والأحوص . فكتب إلى عامله على المدينة : « قد عرفت عمر والأحوص بالخبث والشر ، فاذا أتاك كتابى هذا فاشددهما وأحملهما إلى » .

فلما أتاه الكتاب حملهما إليه ؛ فاقبل على عمر فقال له : هيه !

فلم أر كالتجمير منظر ناظر ولا كليالى الحج أفلتن ذا هوى
وكم مالى عينيه من شيء غيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

فاذا لم يفلت الناس منك فى هذه الأيام فتى يفلتون ، أما والله لو أهتمت بأمر حجك لم تنظر إلى شيء غيرك ، ثم أمر بنفيه . فقال : يا أمير المؤمنين أو خير من ذلك ؟ أعاهد الله ألا أعود إلى مثل هذا الشعر أبداً وأجدد توبة على يديك . قال : أو تفعل؟ قال نعم . فعاهد الله على توبة وخلاه . ثم دعا بالأحوص فقال: هيه

الله بينى وبين قيمها يهرب منى بها وأتبع

بل الله بين قيمها وبينك ! ثم أمر بنفيه إلى دهلك [2] فلم يزل بها .

فرحل إلى عمر عدة من الأنصار فكلموه فى أمره ، وسألوه أن يقدمه ، وقالوا له : قد عرفت نسبه وقدمه وموضعه ، وقد أخرج إلى بلاد الشرك ، فنطلب منك أن ترده إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودار قومه . فقال لهم عمر ، من الذى يقول :

فما هو إلا أن أراها فجاءة فأبهت حتى ما أكاد أحير

قالوا : الأحوص . قال فمن الذى يقول .

أدور ولولا أن أرى أم جعفر بأبياتكم ما درت حيث أدور
وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى إذا لم يزر لا بد أن سيزور

---

(١) الأغانى ص ٦٤ ج ٩

(٢) دهلك : بلدة ضيقة حارة تجاه مصوع ، كان بنو أمية إذا سخطوا على على أحد نفوه إليها .

قالوا : الأحوص . قال فمن ذا الذى يقول .

كأن لبنى صبير (١) غادية   أو دمية زينت بها البيع
الله بينى وبين قيمها   يهرب منى بها وأتبع

قالوا الأحوص ، قال . والله لا أرده ما كان لى سلطان .

فمكث هناك حتى مات عمر ، وولى الأمر من بعده يزيد بن عبد الملك ، فغنته جميلة يوماً :

كريم قريش حين ينسب والذى   أقرت له بالملك كهلا وأمردا

فطرب يزيد وقال : ويحك ، من كريم قريش هذا ، قالت : أنت يا أمير المؤمنين ومن عسى أن يكون ذلك غيرك . قال . ومن قائل هذا الشعر فى ؟ قالت : الأحوص وهو منفى .

فكتب برده وحملة إليه ، وأنفذ إليه صلات سنية ؛ فلما قدم إليه أدناه وقربه وأكرمه ، وقال له يوما فى مجلس حافل . والله لو تمت إلينا بحق ولا صهر ولا رحم إلا بقولك .

وإنى لأستحييكم أن يقودنى   إلى غيركم من سائر الناس مطمع

لكفاك ذلك عندنا .

ولم يزل ينادمه حتى مات

جـ ـ وأغدقوا على الشعراء العطاء والأموال الجزيلة والهبات الضخمة ، وعاش كثير من الشعراء فى ترف ونعمه وثراء

روى عن دكين الراجز قال . (٢) امتدحت عمر بن عبد العزيز وهو والى المدينة ، فأمر لى بخمس عشرة ناقة كرائم ، فكرهت أن أرمى بهن الفجاج ، ولم

---

(١) صبير : سحابة بيضاء .

(٢) الأغانى ص ٢٦١ ج ٩ ، العقد الفريد ص ٢٠٢ ج ١

تطب نفسي ببيعهن . فقدمت علينا رفقة من مصر ، فسألتهم الصحبة ، فقالوا . ذاك إليك ، ونحن نخرج الليلة .

فأتيته فودعته ، وعنده شيخان لا أعرفهما ، فقال لى : يادكين ، إن لى نفسا تواقة ، فان صرت إلى أكثر مما أنا فيه فأتى ولك الإحسان . قلت . اشهد لى بذلك ، قال . أشهد الله به . قلت : ومن خلقه ؟ قال . هذين الشيخين ، فأقبلت على أحدهما فقلت . من أنت أعرفك ؟ قال . سالم بن عبد الله بن عمر ، وقلت للآخر : من أنت ؟ قال . أبو يحي مولى الأمير .

فخرجت إلى بلدي بهن ، فرمى الله فى أذنابهن بالبركة حتى اعتقدت [1] منهن الإبل والعبيد ، فانى لبصحراء فلج [2] إذا ناع ينعى سليمان قلت : فمن القائم بعده؟ قال : عمر بن عبد العزيز .

فتوجهت نحوه ، فلقيني جرير منصرفا من عنده ، فقلت : يا أبا حرزة ، من أين ؟ فقال : من عند من يعطى الفقراء ، ويمنع الشعراء فانطلقت فاذا هو فى عرصة دار، وقد أحاط الناس به ، فلم أخلص إليه ، فناديت .

يا عمر الخيرات والمكارم وعمر الدسائع [3] العظائم
إنى امرؤ من قطن بن دارم طلبت ديني من أخى مكارم
إذ تنتحى والليل غير نائم عند أبى يحي وعند سالم

فقام أبو يحي فقال : يا أمير المؤمنين، لهذا البدوى عندى شهادة عليك ، فقال : أعرفها ، أدن يادكين ، أنا كما ذكرت لك ، إن نفسى لم تنل شيئاً قط إلا تاقت لما هو فوقه ، وقد نلت غاية الدنيا ، فنفسى تتوق إلى الآخرة ، والله ما رزأت [4] من أموال الناس شيئا ، ولا عندى إلا ألف درهم ، فخذ نصفها .

قال دكين : فوالله مارأيت ألفا كان أعظم بركة منه .

---

(١) اعتقد الشيء ، اشتراه أو اقتناه (٢) فلج . اسم واد
(٣) الدسائع : العطايا (٤) رزأ من ماله شيئا إذا أخذ

د ـ وعقدوا له المجالس الحافلة لانشاده وسماعه ، وطربوا له واهتزوا أريحية للشعراء الذين حبروه وأنشدوه

وعفوا عن خصومهم السياسيين لقول بليغ يصدر منهم ؛ أو بيت رائع تنطق به ألسنتهم ، وموقف عبد الملك من الكميت مشهور

وروى أن معاوية لما [١] استعمل زياداً على العراق كتب إليه . أما بعد فانظر عبد الله [٢] بن هاشم بن عتبة ، فشد يده إلى عنقه ، ثم ابعث به إلى

فحمله زياد من البصرة مقيداً مغلولا إلى دمشق ، فأدخل على معاوية ، وعنده عمرو بن العاص ، فقال معاوية لعمرو . هل تعرف هـذا ؟ قال لا ! قال . هذا الذي يقول أبوه [٣] يوم صفين .

إني شريت [٤] النفس لما اعتلا   وأكثر اللوم وما أقلا
أعور يبغى أهله [٥] محلا   قد عالج الحياة حتى ملا
لابد أن يفل [٦] أو يفلا   يتلهم بذى الكعوب (٧) تلا

---

(١) المسعودى ص ٥٧ ج ٢

(٢) كانت فى نفس معاوية من يوم صفين إحن على هاشم بن عتبة وولده عبد الله بن هاشم

(٣) جاء عمار بن ياسر الى هاشم بن عتبة — وكان هاشم أعور — فقال . ياهاشم ، أعورا وجبناً ؟ اركب ، فركب ومضى معه وهو يرتجز ، إنى شربت النفس . . . .

(٤) شريت النفس . بعتها فى سبيل الله ، لما اعتل . رمانى عمار بالجبن .

(٥) يبغى أهله أى محل أهله ومصيرهم وهم الذين استشهدوا قبله .

(٦) يفل : يهزم

(٧) تله : صرعه ، وذو الكعوب : الرمح .

لاخير عندى فى كريم ولى

فقال عمرو متمثلا :

وقد ينبت المرعى على دمن (١) الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

دونك يا أمير ، الضب (٢) الضب ! فاشخب أوداجه (٣) على أسباجه ، فلا ترده إلى العراق ، فانه لا يصبر على النفاق ، وهم أهل غدر وشقاق ، وإن له هوى سيوديه ، ورأيا سيطغيه ، وبطانة ستقويه ، وجزاء سيئة سيئة مثلها .

فقال عبد الله : يا عمرو ، إن أقتل فرجل أسلمه قومه وأدركه يومه ، أفلا كان هذا منك إذ تحيد عن القتال ، ونحن ندعوك إلى النزال ، فقال عمرو : أما والله لقد وقعت ، ولا أحسبك منفلتاً من مخالب أمير المؤمنين !

فقال عبد الله . أما والله يابن العاص ، إنك ، لبطر فى الرخاء ، جبان عند اللقاء ، غشوم إذا وليت . هياب إذا لقيت ، أفلا كان هذا منك ، إذ غمرك أقوام لم يعنفوا صغارا ، ولم يزقوا كبارا ، لهم أيد شداد ، وألسنة حداد ..

فقال عمرو . أما والله لقد رأيت أباك يؤمئذ تخفق أحشاؤه ، وتبق (٤) أمعاؤه ! . . .

فقال عبد الله : ياعمرو ، إنا قد بلوناك ومقالتك ، فوجدنا لسانك كذوبا غادراً ، خلوت بأقوام لايعرفونك ، وجند لايسأمونك ، ولورمت المنطق فى غير أهل الشام لجحظ (٥) إليه عقلك ولتلجلج لسانك ولاضطرب فخذاك اضطراب القعود الذى أثقله حمله !

---

(١) الدمن جمع دمنه وهى ما أسود من آثار الدار .

(٢) الضب . حيوان يضرب بخداعه المثل فيقال : أخدع من ضب

(٣) الأودج . عروق فى العنق ، وشخبت أوداج القتيل دماً : جرى دمها ، والأسباج . جمع سبجة وهى من القميص بنيقته .

(٤) تبق . تخرج ، بق النبت بقوقاً : طلع .

(٥) جحظت العين ، إذا برزت مقلتها ، والمراد اضطرب عقلك وشرد ، ولم يسلس لك قياد التفكير

فقال معاوية إنها عنكما ، وأمر بأطلاق عبد الله ! فقال عمرو لمعاوية

أمرتك أمراً حازما فعصيتني — وكان من التوفيق قتل ابن هاشم
أليس أبوه ، يامعاوية ، الذى — أعان عليا يوم حز الغلاصم (١)
فلم ينثنى حتى جرت من دمائنا — بصفين أمثال البحور الخضارم (٢)
وهذا ابنه ، والمرء يشبه سنخه — ويوشك أن يقرع (٣) به سن نادم

فقال عبد الله يجيبه

معاوى إن المرء عمراً أبت له — ضغينة صدر غشها غير نائم
يرى لك قتلى يابن هند وإنما — يرى ما يرى عمرو ملوك الأعاجم
على أنهم لا يقتلون أسيرهم — إذا منعت منه عهود المسالم
وقد كان منا يوم صفين نعرة (٤) — عليك جناها هاشم وابن هاشم
قضى ما انقضى منها وليس الذى مضى — ولا ماجرى إلا كأضغاث حالم
فان تعف عنى تعف عن ذى قرابة — وإن تر قتلى تستحل محارمى

فقال معاوية

أرى العفو عن عليا قريش وسيلة — إلى الله فى اليوم العصيب القمطار (٥)
ولست أرى قتل العداة ابن هاشم — بادراك ثارى فى لؤى وعامر
بل العفو عنه بعد ما بان جرمه — وزلت به إحدى الجدود العواثر
فكان أبوه يوم صفين جمرة — علينا فأدته رماح نهابر (٦)

---

(١) الغلصمة رأس الحلقوم
(٢) الخضرم البحر العظيم ، وبقيت الياء فى « ينثنى » للضرورة
(٣) قرع سنه ، حرقه ندماً ؛ أى سحقه حتى سمع له صريف ، وسكن الفعل للضرورة والسنخ ، الأصل من كل شيء
(٤) نعر القوم ، هاجو واجتمعوا فى الحرب
(٥) يوم قماطر : شديد — (٦) النهابر : المهالك

ه — ولما اتخذوا الشعر وسيلة لاذاعة محامدهم ومآثرهم وآرائهم ، كان لكل حزب سياسى شاعر ينطق بلسانه ، ولكل فرقه أو طائفه دينية ساحر يشيد بزعيمها ويعبر عن آرائها ومبادئها . فكان الأخطل شاعر بنى أميه ، وابن قيس الرقيات شاعر الزبيريين ، والكميت شاعر العلويين ، وعمران بن حطان شاعر الخوارج وهكذا .

٢ — وكذلك عنى به الناس فسمعوه وتأثروا به وأفتخرت كل قبيله بشاعرها واعتزت به اعتزاز اكبيرا لأنه لسانها المدافع عن أحسابها والناطق بمفاخرها والذائد عنها خصومها وأعداءها ، فكان الأخطل شاعر تغلب ، والفرزدق شاعر قريش وهكذا .

٣ — كما اتخذ منه المغنون الحاناجميلة وأصواتا رائعة وأغانى عذبة ، يملؤون بها الدنيا غناء وطربا ومتعةوسرورا .

٤ — وعنى الشعراء كذلك بالشعر ، فأقبلواعليه يجودونه وينقحونه ويهذبونه ويتنافسون فيه ، وينقدبعضهم البعض الآخر طلبا للكمال وحبا فى التهذيب والتجويد والشواهد على ذلك كثيرة من الأدب الأموى ، وهى من الكثرة بحيث تغنى الأشارة إليها عن الأفاضة فى ذكرها

ولم يكونوا يقدرون للمال حسابا ؛ بل لم يكونوا يحسبون أنفسهم أصحاب فضل على الشعراء ، بل الشعراء هم أصحاب الفضل عليهم ، روى أن عبيد الله [1] بن العباس خرج مرة من المدينة يريد معاوية فى الشام ، فأصابته سماء ، فنظر إلى نويرة [2] عن يمينه ، فقال لغلامه ، مل بنا إليها

فلما أتياها إذا شيخ ذو هيئة رثة ، فقال له ، أنخ ، انزل ، حييت ! ودخل

---

(١) عبيدالله بن العباس . كان مشهورا بالجود ؛ معدودا من الأجواد : ، وهو أول من فطر جيرانه فى رمضان ، وأول من وضع موائده فى الطرق توفى سنة ٨٧ ه

(٢) تصغير نار

إلى منزله ، فقال لامرأته ، هيئى شاتك أقضى بها ذمام (١) هذا الرجل ، فقد توسمت فيه الخير ، فان يكن من مضر فهو من بنى عبدالمطلب ، وإن يكن من اليمن فهو من بنى آكل المرار (٢) ، فقالت له ، قد عرفت حال صبيتى ، وأن معيشتهم منها ، وأخاف الموت عليهم إن فقدوها ، فقال . موتهم أحب إلى من اللؤم (٣) ؛ ثم قبض على الشاة ؛ فأخذ الشفرة وأنشد

قريبتى (٤) لا توقظى بنيه إن يوقظوا ينسحبوا عليه
وينزعوا الشفرة من يديه أبغض هذا أن يرى لديه

ثم ذبحها وكشط جلدها ، وقطعها أرباعا ، وقذفها فى القدر حتى إذا استوت ثرد (٥) فى جفنة ، فعشاهم ثم غداهم

وأراد عبيد الله الرحيل ؛ فقال لغلامه ، أرم للشيخ ما معك من نفقة ؛ فقال ؛ ذبح لك الشاة فكافئة بثمن عشرة أمثالها : وهو لا يعرفك ! فقال ؛ ويحك ؟ إن هذا لم يكن يملك من الدنيا غير هذه الشاة ، فجاد لنا بها ، وإن كان لا يعرفنا فأنا أعرف نفسى ، ارم بها إليه ، فرماها إليه فكانت خمسمائة دينار !

ثم ارتحل عبيد الله ، فأتى معاوية ، فقضى حاجته ، ثم أقبل راجعاً إلى المدينة حتى إذا قرب من ذلك الشيخ قال لغلامه ، مل بنا ننظره فى أى حالة هو ، فانتهيا إليه ، فاذا برجل سرى عنده دخان عال ، ورماد كثير ، وإبل وغنم ، ففرح بذلك ، وقال له الشيخ ، أنزل بالرحب والسعة ! فقال له عبيد الله ، أتعرفنى ؟ فقال : لا ، والله ، فمن أنت ؟ فقال أنا نزيلك ليلة كذا وكذا ؛ فقام إليه ، فقبل رأسه ويديه ورجليه ، وقال : قد قلت أبياتا ، أتسمعها منى ؟ فقال هات فأنشد :

---

(١) الذمام . الحرمة
(٢) آكل المرار . جد امرىء القيس ، وبنو آكل المرار . هم ملوك اليمن
(٣) اللؤم . البخل
(٤) القريبة ذات القرابة
(٥) يقال ثرد الخبز . أي فته

توسمته (١) لما رأيت مهابة ... عليه وقلت : المرء من آل هاشم
وإلا فمن آل المرار فانهم ... ملوك عظام من كرام أعاظم
فقمت إلى عنز بقيــــة أعنز ... لأذبحها فعل أمرىء غير نادم
فعوضنى عنها غناى ولم تكن ... تساوى (٢) عنزى غير خمس دراهم
فقلت لأهلى فى الخلاء (٣) وصبيتى : ... أحقا أرى أم تلك أحلام نائم !

فضحك عبيد الله وقال : أعطيتنا أكثر مما أخذت منا أخذت منا ، ياغلام أعطه مثلها ! وبلغت فعلته معاوية فقال . لله در عبيد الله : من أى بيضة خرج ! وفى أى عش درج !

∴

ولهذه العناية الكبيرة بالشعر والشعراء أسباب كثيرة

١ — فالعصبية التى أحياها بنو أمية فى هـــذا العصر كانت عاملا كبيرا فى فى رواج الشعر والعناية به ، واهتمام الخلفاء والولاة بالشعراء

٢ — واهتمام الرواة بالشعرو نقده جعل للشعر سوقا رائجة ، ودعا الشعراء إلى تهذيبه وتجويده

٣ — والتنافس بين الشعراء له أثر كبير فى نهضة الشعر الفنية التى بلغها فى العصر الأموى

٤ — وأثر الشعر فى الحياة الاجتماعية وأنه لسان المفاخر والمثالب جعل للشعر والشعراء مكانا ملموسا فى الحياة العربية فى هذا العصر ، فكان يرفع الوضيع ويضع الشريف ، حتى ان مدحة الشماخ لعرابة التى منها .

رأيت عرابة الأوسى يسمو ... إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما راية رفعت لمجـــد ... تلقـــاها عرابة باليمين

---

(١) توسمته : تفرسته (٢) تساوى ، بوضع الضمة على الياء للضرورة
(٣) الخلاء . الفضاء

كانت مثلا سائرا وأثرا باقيا ومفخرة خالدة لعرابة وكانت بنو نمير من أعظم العرب مكانة وأنبههم شأنا فلما هجاهم جرير بقصيدته التى منها

فعض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

صار اسم القبيلة لأفرادها سمة هوان وعيب وعار

٥ — واتخاذ الشعر أداة للغناء والألحان كذلك كان له أثر كبير فى هذه العناية الضخمة

يقول جورجى زيدان فى كتابه تاريخ آداب اللغه العربية. كان لبنى امية رغبة شديدة فى احياء لسان العرب وآدابه كما قدمنا . وكان الخلفاء انفسهم من اهل الأدب نفوسهم شعرية حساسة . حدث معاوية عن نفسه قال « اجعلوا الشعر اكبر همكم واكثر آدابكم فلقد رأيتنى ليلة الهرير بصفين وقد اتيت بفرس اغر محجل بعيد البطن من الارض وانا ايد الهرب لشدة البلوى فما حملنى على الاقامة الا ابيات عمرو بن الاطنابة :

ابت لى همتى وأبى بلائى وأخذى الحمد بالثمن الربيح
واقحامى على المكروه نفسى وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى او تستريحى
لأدفع عن مآثر صالحات واحمى بعد عن عرض صحيح

ويزيد بن عبد الملك رد الاحوص الشاعر من منفاه لبيت شعر له غنته فيه جميلة المغنية وهو قوله :

كريم قريش حين ينسب والذى اقرت له بالملك كهلا وامردا

فطرت يزيد وقال « ويحك من كريم قريش هذا ؟ » قالت « انت وقد قاله الاحوص وهو منفى » فكتب برده وانفذ له حللا سنية وادناه وقربه . وقال له يوما « لولم تمت الينا بحق ولا صهر ولا رحم الا بقولك :

وانى لاستحييكم ان يقودنى الى غيركم من سائر الناس مطمع

لكفاك ذلك عندنا »

وقد خابر عبد الملك بن مروان عدوه ابن الزبير بالشعر واجابه ذاك بمثله

وكان عمال الامويين اصحاب شعر وخيال وحساسه مثلهم . فالحجاج وهو اشدهم وطأة جيء بالاسرى بين يديه بعد حرب الاشعث فاخذ فى قتلهم بقية ذلك اليوم حتى صاح به رجل « والله ياحجاج لئن كنا قد أسأنا بالذنب فما احسنت بالعفو ولقد خالفت الله فينا وما اطعته ، فقال له « وكيف ويلك ، قال « لان الله تعالى يقول . فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها ، وقد قتلت فاثخنت حتى تجاوزت الحد فأسر ولا تقتل « ثم قال « اومنن » فقال الحجاج « ويل لك الا كان هذا الكلام منك قبل هذا الوقت ، ثم نادى برفع السيف وامن الناس .

وكان بنو امية يحفظون الشعر ويباحثون الشعراء ويتعمدونهم وكثيراً ماكانوا يجمعون طائفة منهم فى مجلس يقترحون عليهم ان يصفوا شيئاً ويجيزون المجيد كما فعل هشام بن عبد الملك ، او يجمعونهم ليفاخروا بين ايديهم كما فعل سليمان بن عبد الملك اذ جمع اليه الفرزدق وجريراً وكثيرا وابن الرقاع وقال لهم انشدونا من فخركم شيئاً حسناً ففعلوا فى حديث طويل .

وقد يخطر لاحدهم شعر لايعرف قائله او يحتاج الى تفسير فيكتب الى الشاعر او الراوية فيستقدمه من العراق الى الشام على البريد كما فعل هشام المذكور اذ بعث برسالة من دمشق الى عامله بالبصرة ان يشخص اليه حماداً الراوية على البريد فقضى حماد اثنتى عشرة ليلة فى الطريق وهو خائف من تلك الدعوة فاذا هو يقول له « بعثت اليك لبيت خطر ببالى لم ادر من قائله »

فهدأ روعه وقال: وماهو؟ فقال :

فدعوا بالصبوح يوماً فجاءت قينة فى يمينها ابريق

فقال حماد « هذا يقوله عدى بن زيد من قصيدة » وانشده اياها

وكذلك كان يفعل عمالهم اذا علموا بوجود شاعر او اديب بارع بعثوا فى استقدامه مما يطول بنا ذكره

وكان من الخلفاء شعراء كالوليد بن يزيد فقد كان شاعراً بليغاً وينسبون الى يزيد بن معاوية القصيدة المشهورة التى مطلعها :

نالت على يدها مالم تنله يدى   نقشاً على معصم اوهت به جلدى

وربما كانت لغيره لكنه كان من اصحاب الشاعرية .

وكان لبعض خلفائهم الدهاة شغف بالادب على الاجمال ونخص منهم ثلاثة معاوية وعبد الملك وهشام حكم كل منهم اكثر من عشرين سنة وكانت لهم عناية بالادباء وخصوصاً عبد الملك والادب لا ينمو ويورق ويثمر الافى ظل محبيه من الملوك او الامراء واذا تدبرت النهضات التى مربها الادب رأيت لكل نهضة اميراً او ملكا اخذبناصرها واحياالادب بتقديم اهله وتنشيطهم

فلا عجب اذا كان اكثر احاديث الناس فى مجتمعاتهم ومنتدياتهم فى الشعر ومن هو اشعر شعراء الجاهلية او الاسلام. وكان المشهورون من شعراء الجاهلية فى عصرهم أمرأ القيس وزهيرا والنابغة يفضلونهم على سواهم ويفضلون جريرا والفرزدق والاخطل على سائر الشعراء المسلمين فى ايامهم لكنهم كانوا يتناقشون فى اى هؤلاء اشعر وكثيرا ما كانوا يتخاصمون وترتفع اصواتهم . وربما اهتم الخليفة او الامير فبعث الى بعض العلماء يسأله عن رأيه فى اشعر الشعراء كما فعل الحجاج اذ بعث الى قتيبة يسأله عن ذلك وقد يبعثون من الشام الى العراق لمثل هذا السؤال .

نهضة الشعر الفنية

فى عصر بنى أمية

وبعد فقد نهض الشعر نهضة فنية عظيمة فى هذا العصر ، وتعددت جوانب تجويده وتهذيبه وعكف عليه الشعراء تنقيحا وتصنيعا .

ولذلك أسباب كثيرة منها :

١ — منزلة الشعر والشاعر الضخمة فى العصر الأموى التى سبق أن حدثناك عنها بالتفصيل .

٢ — التنافس بين الشعراء على الشعر والحظ عند الأمراء والخلفاء

٣ — إحياء الشعر الجاهلى (١) واتخاذه انموذجا فنيا عاليا ينسج على منواله الشعراء

٤ — تعدد مجالس النقد والنقاد حول الشعر والشعراء وسلامة ملكة العربية فى نفوسهم ، وعناية بنى أمية بالشعر ورجاله

٥ — اتخاذ الشعر أداة للغناء فقد رققه الشعراء واختاروا له الأساليب العذبة والألفاظ الرقيقة والتعابير السمحة السهلة الواضحة

وسنحدثك بتفصيل عن مظاهر هذه النهضة الفنية العظيمة التى بلغها الشعر فى هذا العصر فى معانى الشعر وأسلوبه وألفاظه وأخيلته . وبعد فقد طفر الشعر فى هذا العصر : رجزه وقصيده فى سبيل التفنن فيه والاهتمام بشأنه أو التكسب به طفرة لم يتقهقر عنها إلا بعد عدة قرون ، فطالت قصائده وأراجيزه وقلت عيوبه فى الوزن والقافية ، وزادت فنونه ، ودقت معانيه ، ورق أسلوبه وألفاظه فى الغزل والنسيب والعتاب رقة لم تعهد من قبل

---

(١) ويروى أن أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها هو حماد الراوية [٢٢ طبقات الشعراء لابن سلام]

معانى الشعر الأموى :

وتمتاز معانى الشعر فى هذا العصر بما يأتى :

١ — العمق والترتيب والدقة التى تبدو فى الآثار الفنيــــة الشعرية فى هــــذا العصر

وذلك ناشىء من ثقافاتهم الواسعة العربية وغير العربية التى أفادوها وتأثروا بها ، وكثرة تجاربهم فى الحياة وخبرتهم بها ، وتأثرهم بآداب السابقين ومعانيهم وبالقرآن الكريم والحديث الشريف ، ولأن من الشعراء من كانوا من عناصر أجنبية كزياد الأعجم وموسى شهوات وأبى العباس الأعمى الذين كانوا من عناصر فارسية وتأثروا بثقافات الفرس وعلومهم .

٢ — كثرة الحكم والأمثال فى شعرهم كما فى شعر معن والفرزدق وجرير والأخطل وابن أبى ربيعة وسواهم وذلك لتأثرهم بحكمة القرآن والحكم الفارسية واليونانية التى ذاعت فى هذا العصر

٣ — وضوح الأفكار والمعانى وخلوها من التعقيد إلا قليلا كما نرى عند الفرزدق وبعض الشعراء

٤ — قلة المبالغة والتكلف والاغراق مما نراه فى الشعر فى العصر العباسى

٥ — إتكاؤهم على معانى الشعراء الجاهليين واعتمادهم عليها وزيادتهم فيها بما اقتضته الحضارة والحياة العربية الجديدة فى العصر الأموى

٦ — كثرة المعانى الجديدة فى شعرهم بتأثير البيئة والعصر والتغييرات السياسية والاجتماعية الجديدة

أخيلة الشعر :

أما أخيلة الشعر فى العصر الأموى فتمتاز غالبا بما يأتى

١ — قرب الخيال من الواقع والحس والعقل فى التعبير

٢ — كثرة صور الخيال البديع من التشبيه الطريف والاستعارة الجميـــلة والكناية الدقيقة مما هو أثر للحياة الجديدة

٣ — السحرهم وروعة التأثير فى الأخيلة التى ابتكرها شعراء العصر الأموى مما يمكنك معرفتها والاهتـــداء اليها بالإمعان فى الشعر الأموى وقراءته

أسلوب الشعر الأموى :

ويمتاز أسلوب الشعر فى هذا العصر بما يأتى .

١ - الحرص على الروعة والقوة وضخامة الأساليب وذلك لاتخاذ الشعر وسيلة للدعاية . السياسية

٢ — خلوه من الحوشية والغرابة النافرة والاسفاف وبقاء بلاغة الجاهلية وفصاحتها فى الأسلوب .

٣ ظهور أثر القرآن والحياة الجديدة فى الشعر الأموى واضحا جليا .

٤ - تمثيل الشعر للحياه الاجتماعية والسياسية والأدبية تمثيلا واضحا .

٥ — تعدد مناهج الشعراء الفنية فى الأسلوب بحسب بيئاتهم ونزعاتهم وثقافاتهم ، فالذين عاشوا فى البادية وتأثروا بالحياة فيها كان أسلوبهم قريبا من من الأسلوب الجـــاهلى فى خصائصه وميزاته كذى الرمة والرماح وسواهما ، والذين عاشوا فى الحواضر والأمصار وراوا مظاهر العمران والحياة الجديدة كان على أسلوبهم طابع الخفة والعذوبة والرشاقة والسلاسة الممتعة والقوة المؤثرة .

ولا شك أن لاحياء الأدب الجاهلى وللقرآن وأثره الأدبى وللحياة الجديدة كثير من الأثر فى تعدد مناهج الشعراء فى الأسلوب .

٦ — ظهور الأراجيز وكثرتها فى عصر بنى أمية فقد عنوا بها عناية جعلتها تقرب من القصائد فى أكثر خصائصها ، فبعد أن كان البدوى ينظم منها بضعة مشطورات يحدو بها الإبل أو يصفها أو يصف ظبيا أو ظليما أو ثور وحش نشأ فى هذا العصر فحول من الرجازين طولوا الأراجيز ونحوا بها منحى القصائد ، فضمنوها اغراضها من المدح والهجاء والفخر والرثاء ، وصاروا يمهدون لهذه

الأغواض بالنسيب وذكر الديار وآثارها والظعائن وحدوجها ، ويقصدون بها الخلفاء والولاة . واشتهر منهم أبو النجم العجلي والعجاج وابنه رؤبة .

٧ — ظهور الجزالة واضحة فى شعر العصر الأموى

والجزل من الكلام هو الذى تعرفه العامة إذا سمعته ولا تستعمله فى محاوراتها (١) ، وأجود الكلام ما يكون جزلا سهلا لا ينغلق معناه (٢) ويقول ابن الأثير : الألفاظ تنقسم فى الاستعمال إلى جزلة ورقيقة ، ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه ، فالجزل منهما يستعمل فى وصف مواقف الحروب وفى قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك ، وأما الرقيق منها فانه يستعمل فى وصف الأشواق وذكر أيام البعاد وفى استجلاب المودات وملاينات الاستعطاف وأشباه ذلك ، ولست أعنى بالجزل من الألفاظ أن يكون وحشيا متوعرا عليه عنجهية البداوة بل أعنى به أن يكون متينا على عذوبته فى الفم ولذاذته فى السمع وكذلك لست أعنى بالرقيق أن يكون ركيكا سفسفا وإنما هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم الملمس كقول أبى تمام :

ناعمات الأطراف لو أنها تلبس أغنت عن الملاء الرقاق (٣)

ويقول : وأما البداوة في الألفاظ فتلك أمة قد خلت وقد عيبت على مستعملها فى ذلك الوقت فكيف الآن (٤) وقد عرف النقاد أمر الجزالة والرقة وشأنهما فى فى الكلام وبحثها منهم كثيرون فى نقدهم ودراستهم فالفرزدق يقول فى جرير ، ما أحوجنى مع قسوتى إلى رقة شعره ، وأحوجه مع عفافه إلى خشونة شعرى (٥) فهو يرى أن الجزالة والرقة بحسب الشاعر والموضوع الذى ينظم فيه ، ويقول عبد الملك فى الأعشى قاتله الله ما كان أعذب بحره وأصلب صخره (٦) ويقول

(١) ٦٤ الصناعتين

(٢) ٦٦ المرجع

(٣) ٦٥ المثل السائر

(٤) ٦٨ المثل السائر

(٥) ١٢٧ الشعر والشعراء

(٦) ٣٨ الجمهرة

الأصمعى فى شعر النابغة ، إن قلت ألين من الحرير صدقت وإن قلت أشد من الحديد صدقت [١] وقال أبو عبيدة فى شعره ، له ديباجة إن شئت قلت شهد إن مستة ذاب وإن شئت قلت صخر لو رديت به الجبال لأزالها [٢]

وبحث الجرجانى فى وساطته الجزالة والرقة بتفصيل [٣] وذكر أثر نفس الشاعر وحياته وبيئته وعصره ولون معيشته فيهما ورأى أن الرقة إنما تأتيك من قبل العاشق المتيم والغزل المتهالك ودعا إلى تنزيل الجزالة والرقة منازلهما بحسب المعانى والأغراض والموضوعات [٤] . وقد ذكر الجاحظ فى البيان الجزالة والرقة عرضا فنراه يقول : ومن الكلام الجزل والسخيف والخفيف والثقيل وكل عربى وبكل قد تكلموا [٥] وذكر أن سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعانى وأنه قد يحتاج أليه فى بعض المواضع وربما أمتع كثيرا .

ويقول : وحاجة الكلام إلى الحلاوة كحاجته إلى الجزالة [٦] ويدعو إلى ترك الوحشى والسوقى فى مواضع كثيرة من بيانه [٧] وعرض لهما ابن المدبر عرضا فقال : لا يعتد بالمعنى الجزل مالم تلبسه لفظا جزلا [٨] وعرض لهما أرسطو فى كتابه الخطابة فذكر أنه « لا ينبغى أن تكون الألفاظ سفسافة ولا مجاوزة فى المتانة مبلغ الأمر الذى يدل عليه فلا تبلغ درجة العامية ولا تحوج تحوج إلى الكلفة المشنوءة ، وذكر أنه « ينبغى أن يلاءم بين اللفظ والمعنى فالمعنى الجزل يعبر عنه بألفاظ جزلة والمعنى الرقيق يعبر عنه بلفظ رقيق [٩]

---

(١) ٣٨٠ / ٣ العقد

(٢) ٣٢ جمهرة أشعار العرب

(٣) ٢٢ وما بعدها من الوساطة

(٤) ٢٩ المرجع

(٥) ١١٠ ج ١ البيان والتبيين

(٦) ٣٠ ج ١ البيان

(٧) ١٠٥ و ١١٠ و ١٧٦ ج ١ المرجع

(٨) ١١ الرسالة العذراء

(٩) راجع الفن الثامن من الخطابة فى الشفاء لابن سينا مخطوط

ألفاظ الشعر .

وألفاظ الشعر فى هذا العصر يظهر فيها أثر القرآن الكريم والحياة الجديدة عذوبة وفصاحة وسلامة من اللحن والخطأ والعجمة والغرابة والوحشية والابتذال فاذا مافتشت فى الشعر الأموى لاتجد ألفاظا تشبه ألفاظ امرىء القيس أو طرفه أو لبيد مثلا فى الغرابة . نعم قد تجد لبعض الشعراء كالأخطل وجرير والفرزدق فى مواطن الفخر والهجاء أو المناقضات بعض الغرابة فى الألفاظ ولكنها لاتبلغ هذا المبلغ الذى بلغته فى ألفاظ الشعر الجاهلى

أغراض الشعر الأموى :

وأغراض الشعر الأموى كثيرة متعددة وهى لاتقتصر على أغراض شعر الجاهليين أو شعر صدر الأسلام فحسب بل إن الحياة الجديدة الأجتماعية والسياسية والأدبية قد أدت إلى خلق أغراض جديدة لم تكن مألوفة من قبل . فقد احتفظ الشعر الأموى بالفنون القديمة التى كانت فى الجاهلية من المدح والهجاء والفخر والرثاء والوصف وإن كانت هذه الفنون تنهج نهجا جديدا او كالجديد وفق ظروف البيئة والعصر والحياة ، كما أضاف الشعر الأموى إلى هذه الفنون والموضوعات أغراضا جديدة لم تكن من قبل

فقد استحدث الشعراء الأمويون الشعر السياسى والغزل العذرى والنسيب القصصى ووصف البلاد المفتوحه والكلام فى بيان العقيدة أو فى الزهد وتناول الحكمة

كما جاروا الشعراء الذين سبقوهم فى الفخر والرثاء والمدح والهجاء والوصف

وسنتكلم بتفصيل على أغراض الشعر الأموى الجديدة والقديمة على السواء

١ — الشعر السياسى وهو لون جديد من الشعر نراه فى عصر بنى أمية وقد كانت نشأته ظاهرة طبيعية لحياة الأمويين الجديدة

كان الشعر الجاهلى يصف الخلافات القبلية . ووصف شعر صدر الاسلام ما كان حول الدعوة الجديدة من خلافات وخصومات اشتعلت نارها بين المشركين . والمسلمين

أما الشعر الأموى أو الشعر السياسى منه فيصف الخصومات السياسية بين

الأحزاب المختلفة فى العصر الاموى من أمويين وزبيريين وشيعة وخوارج .

فكان شاعر بنى أمية الأخطل وشاعر الشيعة الكميت الأسدى وشاعر الزبيريين عبد بن قيس الرقيات وشاعر الخوراج وعمران بن حطان والطرماح بن حكيم. وكان كل واحد من هؤلاء الشعراء يشيد بحزبه ودعاته وأبطاله ويهجو خصومهم السياسيين ويرثى من يسقط شهيدا فى معركة الدفاع عن الرأى والعقيدة وتجد ذلك واضحا فى رائية الأخطل فى عبد الملك أو فى همزية عبد الله بن قيس الرقيات التى يقول منها.

حبذا العيش حين قومى جميع ... لم تفرق أمورها الأهواء
قبل أن تطمع القبائل فى ملك ... قريش وتشمت الأعداء
أيها المشتهى فناء قريش ... بيد الله عمرها والفناء
إن تودع من البلاد قريش ... لا يكن بعدهم لحى بقاء

..

نحن منا النبى الأمى والصديق ... منا التقى والخلفاء
وقتيل الأحزاب حمزة منا ... أسد الله والسنا سناء
وعلى وجعفر ذو الجناحين ... هناك الوصى والشهداء
والزبير الذى أجاب رسول الله ... فى الكرب والبلاء بلاء
والذى نغص ابن دومة ماتو ... حى الشياطين والسيوف ظماء
فأباح العراق يضربهم بالسيف ... صلتا وفى الضراب غلاء
غيبوا عن مواطن مفظعات ... ليس فيها إلا السوف رخاء

كما تجده فى هاشميات الكميت وفى قصائد عمران وقطرى .

ولعلك لاتجهل رائية الأخطل :

خف القطين فراحوا منك أوبكروا ... وأزعجتهم نوى فى صرفها غير

ومنها فى مدح بنى أمية .

حشد على الحق عيافوا الخنا أنف ... إذا ألمت بهم مكروهة صبروا
وإن تدجت على الافاق مظلمة ... كان لهم مخرج منها ومعتصر
أعطاهم الله جدا ينصرون به ... لاجد إلا صغير بعد محتقر

لم يأشروا فيه إذ كانوا مواليه ولو يكون لقوم غيرهم أشروا
شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا

ومن الشعر السياسى ما قاله مسكين الدارمى وقد أوعز اليـــه معاوية حينما عزم على البيعة ليزيد ولكنه تهيب ذلك لكثرة المرشحين ، وكان قد بلغ معاوية ما كرهه من سعيد بن العاص ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر فلما اجتمعوا عنده قال مسكين قصيدة طويلة منها :

ألاليت شعرى ما يقول ابن عامر ومروان أم ماذا يقول سعيد
بنى خلفاء الله مهلا فانما يبوئها الرحمن حيث يريد
إذا المنبر الغربى خلاه ربه فان أمـــير المؤمنين يزيد
على الطائر الميمون والجد صاعد لكل أناس طائر وجدود
فلازلت أعلى الناس كعبا ولاتزل وفود تساميها اليك وفود
ولا زال بيت الملك فوقك عاليـاً تشيد أطناب له وعمود
قدور ابن حرب كالجوابى وتحتها أثاف كأمثال الرئال ركود

فلما انتهى منها قال معاوية ننظر فيما قلت يامسكين ونستخير الله . فلم يتكلم أحد بغير الموافقة

وقال كعب بن جعيل شاعر أهل الشام وتمثل به معاوية فى رده على كتاب لعلى

أرى الشام تكره ملك العراق وأهل العراق لهم كارهينا
وكلا لصاحبه مبغضاً يرى كل ما كان من ذاك دينا
إذا ما رمينا رميناهم ودناهم مثل ما يقرضونا
فقالوا على أمام لنا فقلنا رضينا ابن هند رضينا
وقالوا نرى أن تدينوا له فقلنا ألا لا نرى أن ندينا
ومن دون ذلك خرط القتاد وضرب وطعن يفض الشئونا

وفى رد على عليه ذكر شعراً للنجاشى أحد بنى الحارث بن كعب من شعراء أهل العراق ، منه :

دعاً يامعاوى ما لن يكونا ... فقد حقق الله ما تحذرونا
أتاكم على باهل العراق ... وأهل الحجاز فما تصنعونا

وقال جواس بن القعطل الكلبي :

صبغت أمية بالدماء رماحنا ... وطوت أمية دوننا دنياها
أأمى رب كتيبة مجهولة ... صيد الكماة عليكم دعواها
كنا ولاة طعانها وضرابها ... حتى تجلت عنكم غماها
فالله يجزى لا أمية سعينا ... وعلا شددنا بالرماح عراها
جئتم من الحجز البعيد نياطه ... والشام تنكر كهلها وفتاها
إذ أقبلت قيس كأن عيونها ... حدق الكلاب وأظهرت سيماها

٢ — الغزل العذرى والنسيب القصصى : وأنت تعلم أن الغزل فن جاهلى قديم بدأ نه الشعراء قصائدهم ووصفوا فيه مشاعرهم وأكثروا منه إكثارا شديدا ولكنه غزل كان يمهد للمقصود من القصيدة ولم تكن القصيدة وقفا عليه ولا كان نظمها من أجله فهو وإن لم يكن غزلا صناعيا إلا أنه كالصناعى فى كثير وقد استمر هذا النوع من الغزل فى عصر صدر الأسلام والعصرى الأموى كما تجده فى شعر جرير والفرزدق والأخطل وفى شعر كثير عزة الشاعر المشهور

أما الغزل الذى نريده والذى استحدث فى عصر بنى أمية فهو نوع جديد مستحدث لم يكن مألوفا من قبل ، ظهر فى هذا اللون من الغزل القصصى الذى نجده فى شعر عمر بن أبى ربيعة وأضرابه ممن وصفوا الجمال وذكريات الهوى والحب والشباب فى قصائد قصصية جميلة طريفة . كما ظهر فى الغزل العذرى العفيف البدوى الذى نجـده عند جميل صاحب بثينة وقيس العامرى صاحب ليلى. وسواهما

أما الغزل القصصى فقد نشأ فى مكة والمدينة بين المترفين من أبناء المهاجرين والأنصار وأبناء الغزاة الفاتحين الدين امتلأت أيديهم بالأموال والنعمة وأقاموا بمكة والمدينة لأسباب

سياسية وغير سياسية ينعمون ويطربون . وكان لهم بطانة من الشعراء والمغنين والمغنيات والمضحكين ، وقلما يعجب أمثال هؤلاء من الشعر غير الغزل الذى يطرب منه ويتغنى به . واشتهر من هؤلاء الأحوص من الأنصار وعمر بن أبى ربيعة من قريش ، لكن عمر كان أصرح من الأحوص فى الغزل يذكر أسماء من يشبب بهن ، ويقص قصصاله معهن أكثرها مكذوب مفترى . وله ديوان كبير كله فى هذا النوع من الغزل .

وأما الغزل العذرى العفيف فقد نشأ فى بادية الحجاز فى بنى عذرة وخزاعة بين الشباب المستضعفين المؤثرين التبدى على الهجرة والجهاد غزلا شريفا نزيها عن الفحش ، وعن الكذب على الحسان بما لا يليق بشرف الفتاة البدوية المسلمة لكن أكثر حبهم كان حقيقيا غير متصنع

وقد قيل فى هذا الغزل قصائد مطولة بل دواوين من الشعر لم يؤثر لهاشبيه لا عن الجاهلية ولا عن صدر الاسلام ، وإنما هو نوع نشأ بين شعراء أهل البدو من الاسلاميين . وأشهر هؤلاء الغزليين جميل بن معمر ، وكان يحب بثينة حبا صادقا ، والمجنون العامرى صاحب ليلى وقيس بن ذريح صاحب لبنى وسواهم

فالغزل العذرى إذن — ربيب العصر الاموى ، غذاه ورباه وسهر على نموه وازدهاره ، قال جميل بثينة :

وإنى لأرضى من بثينة بالذى لو ابصره الواشى لقرت بلابله
بلا ، وبأن لا أستطيع ، وبالمنى وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى أواخره لا نلتقى وأوائله

ويقول جميل :

إذا قلت مابى يابثينه قاتلى من الحب قالت ثابت ويزيد
وإن قلت ردى بعض عقلى أعش به مع الناس قالت ذاك منك بعيد
فلا أنا مردود بما جئت طالباً ولا حبها فيما يبيد يبيد

ويقول مجنون ليلى :

ألا أيها البيت الذى لا أزوره ... وإن حله شخص إلى حبيب
هجرتك إشفاقا وزرتك خائفا ... وفيك على الدهر منك رقيب
سأستعتب الأيام فيك لعلها ... بيوم سرور فى الزمان تثوب

ويقول وقد أخذه أبوه إلى الكعبة ، وقال له : تعلق بها وقل اللهم أرحنى من ليلى وحبها ، فلما تعلق بها قال :

يقر بعينى قربها ويزيدنى ... بها شغفاً من كان عندى يعيبها
وكم قائل قد قال تب فعصيته ... وتلك لعمرى توبة لا أتوبها
فيانفس صبرا لست والله فاعلى ... بأول نفس غاب عنها حبيبها

ويقول قيس بن ذريح فى لبنى :

فان يحجبوها أو يحل دون وصلها ... مقالة واش أو وعيد أمير
يحجبوا عينى من دائم البكا ... ولن يذهبوا ماقد يجن ضميرى
إلى الله أشكو ما ألاقى من الهوى ... ومن كرب تعتادنى وزفير

وقال قيس لبنى :

فان تك لبنى قد اتى دون قربها ... حجاب منيع ما اليه سبيل
فان نسيم الجو يجمع بيننا ... ونبصر قرن الشمس حين تزول
وأرواحنا بالليل فى الحى تلتقى ... ونعلم انا بالنهار نقيل
وتجمعنا الارض القرار وفوقنا ... سماء نرى فيها النجوم تجول

ومن ذلك قوله أيضا

فان تكن الدنيا بلبنى تقلبت ... على فللدنيا بطون واظهر
لقد كان فيها للامانة موضع ... وللكف مرتاد وللعين منظر
وللحائم العطشان رى بريقها ... وللمرح المختال خمر ومسكر
كأني لها ارجوحة بين أحبل ... اذ ذكرة منها على القلب تخطر

ومن جيد شعر قيس قوله :

أتبكى على لبنى وأنت تركتها ... وكنت كآتى حتفه وهو طائع
فياقلب صبرا واعترافا بحبها ... ويا حبها قع بالذى انت واقع
ويا قلب خبرنى اذا شطت النوى ... بلبنى وبانت عنك ماأنت صانع
أتصبر للبين المشت مع الجوى ... أم أنت امرؤ ناسى الحياة فجازع
كأن بلاد الله مالم تكن بها ... وان كان فيها الناس وحش بلاقع
أقضى نهارى بالحديث وبالمنى ... ويجمعنى والهم بالليل جامع
نهارى نهار الناس حتى اذا بدا ... لى الليل هزتنى اليك المضاجع
لقد رسخت فى القلب منك مودة ... كما رسخت فى الراحتين الاصابع

أما شعر الغزلين القصاص : كابن أبى ربيعة والأحوص وسواهما فهو كثير وقد خلقه الترف واللهو الذى كان عليه شباب الحجاز فى مكة والمدينة .

يقول عمر بن أبى ربيعة . وقد تذكر الثريا يوما وهو نازح الدار مقيم باليمن:

هيهات من أمة الوهاب منزلنا ... إذا حللنا بسيف البحر من عدن
واحتل أهلك أجيادا فليس لنا ... إلا التذكر أو حظ من الحزن
لا داركم دارنا ياوهب إن نزحت ... نواك عنا ولا أوطانكم وطنى
فلست أملك إلا أن أقول اذا ... ذكرت لا يبعدنك الله ياسكنى
يا وهب ان يك قد شط البعاد بكم ... وفرق الشمل منا صرف ذا الزمن
فكم وكم من دلال قد شغفت به ... منكم متى يره ذو العقل يفتتن
بل ما نسيت ببطن الخيف موقفها ... وموقفى وكلانا ثم ذو شجن
وقولها للثريا يوم ذى خشب ... والدمع منها على الخدين ذوسنن
بالله قولى له فى غير معتبة ... ما ذا أردت بطول المكث فى يمن
إن كنت حاولت دنيا أو نعمت بها ... فما أخذت بترك الحج من ثمن

ويقول :

ثم قالت وسامحت بعد منع ... وأرتنى كفا تزين السوارا

فتناولتها فمالت كغصن حركته الريح عليه فمارا
وأذاقت بعد العلاج لذيذا كجنى النحل شاب صرفا عقارا
ثم كانت دون اللحاف لمشغو ف معنى بها صبوب شعارا
واشتكت شدة الإزار من البهر وألقت عنها لدى الخمارا
حبذا رجعها إليها يديها فى يدى درعها تحل الإزارا

ويقول :

فتأهبت لها فى خفية حين مال الليل واجتن القمر
فأذاقتنى لذيذا خلته ذوب نحل شيب بالماء الخصر(١)
ومدام عتقت فى بابل مثل عين الديك أو خمر جدر(٢)
فتقضت ليلتى فى نعمة مرة ألثمها غير خفر
وأفرى مرمطها عن مخطف ضامر الأحشاء نعم المؤتزر
فلهونا ليلنا حتى إذا طرب الديك وهاج المدكر
حركتنى ثم قالت جزعا ودموع العين منها تبتدر
قم صفى النفس تفضحنى قد بدا الصبح وذا برد السحر

ورائيته مشهورة وستأتى :

٣ — ومن الأغراض الجديدة الشعر الذى يذكرون فيه مبادىء الدين وشعر الحكمة ووصف البلاد المفتوحة ، وذلك كثير فى الشعر الأموى

وقال حندج بن حندج المرى يصف ليل صول :

فى ليل صول تناهى العرض والطول كأنما ليله بالليل موصول
لافارق الصبح كفى إن ظفرت به وإن بدت غرة منه وتحجيل
لساهر طال فى صول تململه كأنه حية بالسوط مقتول

---

(١) الخصر : البارد :

(٢) المدام : الخمر كالمدامة : وسميت كذلك لطول دوامها فى الدن ، جدر : بلدة بين حمص وسلمية .

متى أرى الصبح قد لاحت مخايله ... والليل قد مزقت عنه السراويل
ليل تحير ماينحط فى جهة ... كأنه فوق متن الأرض مشكول
نجومه ركد ليست بزائلة ... كأنما هن فى الجو القاديل

ويقول قطرى :

فصبرا فى مجال الموت صبرا ... فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز ... فيطوى عن أخى الخنع اليراع
سبيل الموت غاية كل حى ... فداعيه لأهل الأرض داع
ومن لا يعتبط يسأم ويهرم ... وتسلمه المنون الى انقطاع
وما للمرء خير فى حياة ... اذا ما عد من سقط المتاع

ويقول مسكين الدارمى :

اصحب الأخيار وارغب فيهم
رب من صاحبته مثل الجرب
واصدق الناس إذا حدثتهم
ودع الكذب لمن شاء كذب
رب مهزول سمين عرضه
وسمين الجسم مهزول الحسب

ومن الشعر الدينى هذه الارجوزة الطريفة التى ذكرها صاحب الأغانى قال : خرج الوليد بن يزيد (١) فقيل له : إن اليوم الجمعه ، فقال : والله لأخطبنهم اليوم بشعر ، فصعد المنبر فخطب فقال:

الحمد لله ولى الحمد ... أحمده فى يسرنا والجهد
وهو الذى فى الكرب أستعين ... وهو الذى ليس له قرين
أشهد فى الدنيا وما سواها ... ان لا إله غيره إلها

---

(١) تولى الخلافه عام ١٢٥ ه وقتل بعد نحو عام

ما إن له فى خلقه شريك قد خضعت لملكه الملوك
أشهد أن الدين دين أحمد فليس من خالفه بمهتد
وأنه رسول رب العرش القادر الفرد الشديد البطش
أرسله فى خلقه نذيرا وبالكتاب واعظا بشيرا
ليظهر الله بذاك الدينا وقد جعلنا قبل مشركينا
من يطع الله فقد أصابا أو يعصه أو الرسول خابا
ثم القران والهدى السبيل قد بقيا لما مضى الرسول
كأنه لما بقى لديكم حى صحيح لا يزال فيكم
إنكم من بعد إن تزلوا عن قصده أو نهجه تضلوا
لا تتركن نصحى فانى ناصح إن الطريق فاعلمن واضح
من يتق الله يجد غب التقى يوم الحساب صائرا إلى الهدى
إن التقى أفضل شىء فى العمل أرى جماع البر فيه قد دخل
خافوا الجحيم إخوتى لعلكم يوم اللقاء تعرفوا ما سركم
قد قيل فى الأمثال لو علمتم فانتفعوا بذاك أن عقلتم
ما يزرع الزارع يوما يحصده وما يقدم من صلاح يحمده
فاستغفروا ربكم وتوبوا فالموت منكم فاعلموا قريب

* * *

أما أغراض الشعر الأموى التى كانت موجودة فى فنون الشعر قبل عصر بنى أمية فهى :

١ — الفخر ، وهو كثير فى الشعر الأموى كشعر الفرزوق وجرير والأخطل وسواهم .

وقد سبقت نماذج له ومنها قصيدة المقنع الكندى :

يعاتبنى فى الدين قومى وإنما ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا

٢ — شعر الحماسة وهو كثير جدا فى هذا العصر كثرة الحروب والثورات قال قطرى بن الفجاءة :

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لن تراعى
فانك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذى لك لم تطاعى
فصبراً فى مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بمستطاع
سبيل الموت غاية كل حى فداعيه لأهل الأرض داع
وما للمرء خير فى حياة إذا ما عد من سقط المتاع

٣ ـ الرثاء وهو كثير فى الشعر الأموى ولا داعى لذكر مثله .

٤ ـ الوصف وقد تنوع بتنوع الحياة ومشاهدها ومناظرها فى البلادالمفتوحة :

قال الفرزدق يصف ذئبا صادفه أثناء سفره فأطعمه من زاده :

وأطلس عسال وماكان صاحباً دعوت لنارى موهناً فأتانى
فلما أتى قلت ادن دونك إننى وإياك فى زادى لمشتركان
فبت أقد الزاد بينى وبينه على ضوء نار مرة ودخان
وقلت له لما تكشر ضاحكا وقائم سيفى من يدى بمكان
تعش فان عاهدتنى لاتخوننى نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما أخيين كانا أرضعا بلبان
ولو غيرنا نبهت تلتمس القرى رماك بسهم أو شباة سنان

٥ ـ الهجاء وقد كان الهجاء فى العصر الجاهلى صادقا غير لاذع ولا مفحش ، وجاء الاسلام فحرم الهجاء إلا ماكان فى المشركين .

فلما جاء عصر بنى أمية وكثرت الخلافات السياسية والدينية والأدبية اتسع الهجاء وامتلاء بالفحش والاقذاع .

وكثرت المهاجاه بين الشعراء . وتشعبت ألوان الهجاء فمن هجاء سياسى بين شعراء الاحزاب إلى هجاء أدبى بين الفرزدق وجرير والأخطل وسواهم هجاء بين القبائل والعصبيات العربيـة وبين العرب والشعوبيين، يقول جورجى زيدان :

ولما أفضى الامر الى معاوية اقتضت سياسته ومصلحته ان يجدد تلك الضغائن فجعل يغرى الشعراء على الطعن بالانصار لانهم اصحاب علي بن ابي طالب خصمه . وكان يفعل ذلك تحت طي الخفاء — ومن الذى اغراهم على ذلك الطعن الاخطل الشاعر التغلبي المشهور . فعظم ذلك على الانصار خصوصاً لانه نصرانى واستعان به معاويه على المسلمين . فغضب متكلم الانصار وشاعرهم وهو يومئذ النعمان بن بشير ودخل على معاوية وانشده قصيده فى الدفاع عن الانصار مطلعها :

معاوى الا تعطينا الحق تعترف   لحى الازد مشدوداً عليها العمائم
ويشتمنا عبد الاراقم خـــلة   وما ذا الذى تجدى عليك الاراقم
فمالى ثأر دون قطع لسانه   فدونك من يرضيه منك الدراهم

ثم تخلص الى الفخر باعمال الانصار وانسابهم وختم القصيدة بالطعن على خلافة معاوية الى ان قال :

وانى لاغضى عن امور كثيرة   سترقى بها يوما اليــك السلالم
اصانع فيهـا عبد شمس وانى   لتلك التى فى النفس منى اكاتم
فمـا انت والأمر الذى لست اهله   ولكن ولى الحق والامر هاشم

فلما سمع معاوية تهديده اظهر ان الاخطل فعل ذلك من عند نفسه وامر ان يدفع اليه ليقطع لسانه . وأوشك ان يفعل لو لم يستجر الاخطل بيزيد بن معاوية فاجاره وارضى النعمان . وعرف الامويون هذا الفضل للاخطل فجعله عبد الملك ابن مروان شاعر الدوله .

وتحولت المهاجاة بين الانصار والمهاجرين الى المشاتمة بين بنى هاشم وبنى امية وانتشر ذلك فى اطراف المملكة الاسلامية . فكان سديف الشاعر يخرج فى جماعة من موالى بنى هاشم فى مكة وشبيب يخرج فى جماعة من موالى بنى امية فيفتخرون ثم يتشاتمون ثم يتجالدون بالسيوف وكان يقال لهم السديفية والشبيبية وكان اهل مكة منقسمين بينهما فى العصبية •

على ان التهاجى السياسى جر الى التهاجى بين الشعراء بقطع النظر عن الاحزاب السياسيه من قبيل المفاخرة أو المعاظله ويختلف سبب هذه المهاجاة باختلاف

الاحوال وقد يكون الغرض منها المقارعة لبيان المقدرة على الهجو ثم يتنافر المتهاجيان الى من يحكم بينهما . كما تهاجى جميل الشاعر المتيم وجواس بن قطنة العذري وتنافسا فى ايهما افضل أباً وحسباً ثم تنافرا الى يهود تيماء [1]

واشهر ضروب المهاجاة فى العصر الأموى المهاجاة بين جرير والفرزدق وبين جرير والأخطل وغيره من الشعراء المعاصرين . والبادىء فى ذلك كله جرير وكان لمهاجاته مع الفرزدق والاخطل شهرة كبيره حتى اصبح حديث القوم فى مجالسهم وموضوع مناقشاتهم فى اى الشاعرين افضل . وانقسم الناس فى ذلك حزبين نسب احدهما إلى جرير وسمى جريريا والآخر الى الفرزدق وسمى فرزدقيا وكثيراً ما احتدم الجدال بين الادباء فى المجالس حتى آل الى الخصام .

وهذه بعض نماذج للهجاء :

قال قعنب بن ضمرة :

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا	منى وما سمعوا من صالح دفنوا
صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به	وان ذكرت بشر عندهم أذنوا
جهلا علينا وجبنا عن عدوهم	لبئست الخلتان الجهل والجبن

وقال عبد الرحمن بن الحكم :

لحا الله قيسا قيس عيلان إنها	أضاعت ثغور المسلمين وولت
فشاول بقيس فى الطعان ولا تكن	أخاها إذا ما المشرفية سلت

وقال مالك بن أسماء فى الهجاء:

لو كنت أحمل خمراً يوم زرتكم	لم ينكر الكلب أنى صاحب الدار
لكن أتيت وريح المسك يفغمنى	وعنبر الهند أذكيه على النار
فأنكر الكلب ريحى حين أبصرنى	وكان يعرف ريح الزق والقار

وقال آخر :

أقول حين أرى كعبا ولحيته	لابارك الله فى بضع وستين

---

(١) الأغانى ١١٢ ج ١٩ .

من السنين تولاها بلا حسب ... ولا حياء ولا قدر ولا دين

وقال الطرماح يهجو بنى تميم :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ... ولو سلكت سبل المكارم ضلت
ولو أن برغوثا على ظهر نملة ... يكر على صفى تميم لولت

٦ ـ الطرديات :

وهو وصف الصيد وأدوات صيده وقد كان موجودا قليلا فى العصر الجاهلى ثم جاء الاسلام فامتنع الشعراء عن النظم فيه ثم أحياه شعراء بنى أمية ويوجد فى شعر قليل من الشعراء كالعرجى والوليد بن يزيد وعمر بن أبى ربيعة وسواهم

٧ ـ وصف الخمر : وأنت تعلم أن ذلك الفن وجد فى العصر الجاهلى فى شعر الأعشى وعمرو بن كلثوم وسواهما ، وإمام هذه الصناعة هو الأعشى ، فلما جاء الأسلام حرم الخمر ووصفها .

وفى عهد بنى أمية أحيا بعض الشعراء كالأخطل هذا الفن ونظموا فيه

يقول جورجى زيدان :

لم يتقن الشعراء وصف الخمر الا فى العصر العباسى لكنهم بداوا بذلك فى العصر الاموى على اثر انغماس الامويين فى القصف والسكر باواخر الدولة وأول من وصفها من المسلمين الوليد بن يزيد الخليفة الخليع السكير ، وقد ذكر الخمر فى الجاهلية عدى بن زيد والاعشى ثم ذكرها الاخطل ووصف الزجاجة بقوله .

وتظل تتحفنا بها قروية ... ابريقها برقاعه ملثوم
فاذا تعاورت الاكف زجاجها ... نفحت فشم رياحها المزكوم

ثم اجاد فى وصفها الوليد بن يزيد بقصيدة قال منها :

من قهوة زانها تقادمها ... فهى عجوز تعلو على الحقب
اشهى الى الشرب يوم جلوتها ... من الفتاة الكريمة النسب

فقــد تجلت ورق جوهرها ... حتى تبدت فى منظر عجب
فهى بغير المزاج من شرر ... وهى لدى المزج سائل الذهب
كانهـا فى زجاجها قبس ... تذكو ضياء فى عين مرتقب

وله فى وصف الخمر اشعار اخذها الشعراء فى اشعارهم سلخوا معانيها ولاسيما ابو نواس فانه سلخ معانى الوليد كلها وجعلها فى شعره واخذ ابو نواس ايضا من حسين بن الضحاك وكان معاصراً له واخذ من والبة وكان استاذه .

٨ — المدح :

وهو من أغراض الشعر منذ الجاهلية الأولى إلا أنه لم يصر طريقا للتكسب والمسألة به إلا فى أواخرها . ولما جاء الأسلام ترخص النبي صلى الله عليه وسلم فى استماعه والاجازة عليه تأييدا لدعوته إذ كان جل مايمدح به خاصا بعمل الرسالة ولكنه صلى الله علية وسلم نهى عن المدح لمجرد الإطراء والتقريظ وفى غير تأييد الحق ، وتورع كثير من خلفائه الراشدين عن سماع المدح الباطل ، ففترت صناعة التكسب بالشعر

وجاء عصر بنى أميه فترخص معاوية فى استماعه قليلا لتأييد دعوته ، وتوسع فى ذلك بنو مروان فاستمعوا له فى حق وفى غـــير حق ، وأجازوا عليه الجوائز السنية ولم يقصر عنهم كثير من ولاتهم ورؤساء الاحزاب فى زمانهـم ، وتسابق الشعراء إلى أبوابهم يمدحونهم فى مبالغة .

وتكسب كثير من الشعراء بالمدح وقصدوا أبواب الخلفاء والأمراء والولاة بالثناء ، وكان لكل خليفة أو أمير أو وال شاعر من الشعراء يمدحه ويتقرب إليه ويشيد بمآثره إشادة بالغة ، واصبح التكسب بالشعر عادة مألوفة ، وكان أكثر الشعراء يتجه نحو بنى امية أصحاب الطول والسلطان . وربما مدح احدهم بنى هاشم او آل الزبير أو غيرهم من اعداء الامويين ثم رغب عنهم الى هؤلاء التماسا لعطائهم أوخوفا من غضبهم لأن الامويين كانوا يغضبون على الشعراء اذا مدحوا سواهم ويتطرقون الى الانتقام منهم بكل وسيلة . فلا غرو اذا راينا حتى شعراء الشيعة ينظمون المدائح فى الامويين . ومن الشعراء من مدح بنى هاشم وبنى امية او ابن الزبير وبنى امية

وقد كان للمدح جوانب سياسية كبيرة ، فشعراء الأحزاب كثيرا ماكانوا يقفون قصائدهم على الأشادة بحق دعوتهم وبطولة دعاتهم

وكان من شعراء بنى أمية : الأخطل م ٩٩ ﻫ وجرير م ١١١ ﻫ والفرزدق م ١١٠ ﻫ ومسكين الدارمى م ٩٠ ﻫ والراعى وابو النجم م ١٣٠ ﻫ الراجز

ومن شعراء العلويين : النعمان بن بشير م ٦٥ ﻫ وأبو الأسود الدؤلى م ٦٩ ﻫ والكميت م ١٢٦ ﻫ وأيمن بن خريم

ومن شعراء بنى الزبير عبد الله بن قيس الرقيات م ٧٥ ﻫ

ومن شعراء الخوارج : عمران بن حطان والطرماح بن حكيم م ١٠٠ ﻫ

ومن شعراء بنى المهلب زياد الأعجم م ١٠٠ ﻫ وحمزة بن بيض م ١٢٠ ﻫ وبيهس الجرمى إلى غير هؤلاء من الشعراء

وقد كان بنو أمية : يبذلون المال بدون حساب على المدح ويقربون الشعراء الذين يمدحونهم إليهم ، ويعفون على من يكون قد فرط منه هفوة فى حقهم إلى غير ذلك من مظاهر العناية ، بل كانوا يطلبون من الشعراء المديح

روى أن الفرزدق ونصيبا كانا عند سليمان بن عبد الملك ، فقال سليمان للفرزدق أنشدنى (وإنما أراد أن ينشده مدحا له) ، فأنشده :

وركب كأن الريح تطلب عندهم لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الليل وهى تلفهم إلى شعب الأكوار من كل جانب.
إذا آنسوا ناراً يقولون ليتها وقد خصرت أيديهم نار غالب

فأعرض سليمان كالمغضب ، فقال نصيب يا أمير المؤمنين ، ألا أنشدك فى رويها ما لعله لايتضع عنها ، فقال هات، فأنشده :

أقول لركب صادرين لقيتهم قفا ذات أوشال ومولاك قارب
قفوا خبرونى عن سليمان إننى لمعروفه من أهل ودان طالب
فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وقد قال سليمان للفرزدق حين أنشده نصيب كيف تراه ؟ قال : هو أشعر أهل جلدته ، ثم قام الفرزدق ، وهو يقول :

وخير الشعر أشرفه رجالا ‏ ‏ وشر الشعر ما قال العبيد

∴

وبعد فهذا نهاية حديثنا عن أغراض الشعر الأموى وفنونه وموضوعاته والله ولى التوفيق :

التكسب بالشعر :

وبعد فأنت فى غنى عن أن أذكر لك ما تعرف وما سبق أن ذكرته من أن الشعراء أخذوا فى العصر الأموى يتكسبون بالشعر ، طلبا للمال أو طمعا فى الجاه أو رغبة فى الانتصار على الخصوم والأعداء

وفتح الخلفاء وأبوابهم للشعراء ، وقربوهم منهم ، وقضوا مطالبهم ، وأغدقوا عليهم العطاء

وتبعا لذلك أكثر الشعر من مدحهم وغالوا فى الثناء عليهم ، وامتلات قصور العظماء بمجالس الشعر والثناء

واتخذ كل خليفة أو أمير أو وال أو عظيم شاعرا له يمدحه ويكسوه حلل الثناء

والأمثلة على ذلك كثيرة جدا ، وقد سبق ما يغنى غن كل بيان

طوائف الشعراء :

والشعراء الأمويون طوائف :

١ ــ أما الأولى فشعراء الغزل القصصى والعذرى وقد علمت رجالها وقرأت الكثير من شعرهم ومن اشهرهم جميل م ٨٠ ﻫ وابن أبى ربيعة م ٩٣ ﻫ وكانت أم أبى ربيعة نصرانية (١)

٢ ـ والثانية الشعراء السياسيون ومن أشهرهم جرير والفرزدق والأخطل والكميت وعبد الله بن قيس الرقيات ، وكان كل من هؤلاء ينتمى إلى حزب سياسى يؤيده وينصره ويشيد بمبادئه

(١) ٢١٦ طبقات الشعراء لابن سلام

٣ ــ والثالثة الشعراء الهجاءون وقد علمت ما كان من أمر الهجاء فى هذا العصر ، والمناقضات التى كانت بين جرير والفرزدق والأخطل وسواهم

اتجاهات الشعراء الفنية :

والشعراء الأمويون أيضا ينقسمون بحسب اتجاهاتهم الفنية إلى طوائف

الأولى : شعراء البادية الذين لم يتأثروا بالحياة الجديدة تأثرا كبيرا ، فظلوا فى نهجهم الفنى على نمط الجاهليين فى نظم القريض أسلوبا وألفاظا وخيالا ومعانى ومن هؤلاء ذو الرمة والرماح

سمع الفرزدق ذا الرمة ينشد فوقف عليه فقال : كيف ترى ما تسمع يا أبا فراس ؟ قال : ما أحسن ما تقول ، قال : فما لى لا أذكر مع الفحول ؟ قال : قصر بك عن غاياتهم بكاؤك فى الدمن ووصف الأبعار والعطن

والثانية : شعراء الأمصار كمكة والمدينة ودمشق والبصرة والكوفة ممن كانوا عربا خلصا . وقد تأثر هؤلاء ببيئتهم وعصرهم وبالقرآن الكريم وبالثقافات التى كانت بينهم فأتى شعرهم حضريا رائعا سلسا سهلا ومن هؤلاء أشهر الشعراء المشهورين

والثالثة: الشعراء الموالى: كنصيب م ١٠٥ ه وعبد بنى الحسحاس وكانوا من عنصر حبشى ، وكزياد الأعجم والبعيث (وأمه أصبهانية وأبى نخيلة وموسى شهوات (وأصله من أذربيجان) وهم من أصل فارسى ، ولاشك أن عناصرهم الأجنبية كان لها أثر فى شعرهم .

طبقات الشعراء الامويين

ويجعل ابن سلام الشعراء الأمويين عشر طبقات :

فالأولى : جرير والفرزدق والاخطل والراعى

والثانية : البعيث والقطامى وكثير وذو الرمة :

والثالثة : سحيم وكعب بن جعيل وعمرو بن احمر وأوس بن معزاء .

والرابعة : نهشل وحميد بن ثور وعمرو بن لجأ والأشهب بن رميلة :

والخامسة : أبو زبيد الطائى والعجير السلولى وابن همام السلولى ونفيع بن لقيط الاسدى :

والسادسة : ابن قيس الزقيات والأحوص وجميل ونصيب

والسابعة : المتوكل الليثى وعدى بن الرقاع وزياد الاعجم وابن مفرغ

والثامنة : عقيل المرى وبشامة المرى وشبيب بن البرصاء وقراد بن حنش

والتاسعة : ابو النجم والأغلب والعجاج ورؤبة وهم من الرجاز

والعاشرة : مزاحم العقيلى وابن الطثرية والقحيف بن سليم العقيلى وابو دؤاد الرؤاسي .

الرواية والرواة

لم تكن العرب تدون شعرها فى الجاهلية فى ديوان أو سفر وإنما كان محفوظا فى الصدور ، تعيه حافظتهم وقلوبهم وأذواقهم وملكاتهم الأدبية الفطرية .

وقد تعجب مما تقرأ عن رواة العرب بعد الاسلام وكثرة ما كانوا يحفظون ، ولكن لاعجب ، فملكات الذكاء والحفظ قوية عند العرب وكانت تعينهم على تخليد الشعر العربى حتى لا يضيع .

ولقد كان الأصمعى يقول : ما بلغت الحلم حتى رويت أثنى عشرة ألف أرجوزة ، وكان خلف اروى الناس للشعر واعلمهم بجيده، وكان خلف مع روايته وحفظه . يقول الشعر فيحسن وينحله الشعراء ويقال إن القصيدة

إن بالشعب الذى دون سلع لقتيلا دمـــه ما يطل

لخلف الأحمر نحلها ابن أخت تأبط شرا . وكذلك كان يفعل حماد يحقق الشعر القديم ويقول . ما من شاعر إلا قد حققت فى شعره أبياتا لجازت عنه إلا أعشى بكر فانى لم أزد فى شعره غير بيت [1] . ويقول المفضل : سلط على الشعر من حماد ما أفسده .

ورغم هذه الرواية والحافظة القوية فقد ضاع الكثير من الشعر العربى الجاهلى وغيره . حتى قال أبو عمرو بن العلاء « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير [2] »

وأصيب الشعر العربى مع الضياع بالافتراء والاختلاق عليه من بعض الرواة لأسباب كثيرة منها العصبية أو الرغبة فى تفادى الأحراج أو سوى ذلك .

ولكن النقاد اهتموا بتمييز الصحيح من المنحول رنبهوا على الكثير من المختلق ، وألفوا كتبا كثيرة جمعوا فيها ماصح من الشعر الجـــاهلى والآثار الأدبية الأخرى .

وكان لكل شـــاعر راوية يحفظ شعره وينشده ويأخذ من الشاعر فن الشعر ومذهبه فى القريض .

فكان امرؤ القيس رواية أبى دؤاد الأيادى . وزهير راوية أوس بن حجر والأعشى راوية المسبب ، كما كان الحطيئة راوية زهير .

هذا وسيأتى ذكر لكثير من رواة الشعر الجاهلى .

وقد اهتم الخلفاء الأمويون باحياء الأدب الجاهـــلى اهتماما كبيرا وأولوا ذلك عنايتهم

وقد عنى الرواة برواية الشعر القديم ومن أشهر هؤلاء حماد الراوية م ١٥٦ وهو أول من جمع أشعار العرب وآدابها وأخبارها

---

(١) راجع ٣/٤٠٢ العقد (٢) ٢/٢٩٤ المزهر

وقرب الخلفاء الرواة إليهم ، واتخذوهم جلساءهم وسمارهم وندمائهم ؛ واستمعوا لرواياتهم وقصصهم

وكان لذلك كله أثر بعيد فى إحياء الشعر الجاهلى وحفظه

رواة الشعر الجاهلى [1]

١ — أبو عمرو ابن العلاء البصرى م ١٥٤ . ولم يترك مؤلفات [2]

٢ — حماد الرواية (٧٥ — ١٥٦ هـ) ، كوفى وليس له مؤلفات [3]

٣ — الخليل بن أحمد بصرى (١٠٠ — ١٧٤ هـ) ، وهو مخترع علم العروض .

٤ — خلف الأحمر بصرى م ١٨٠ هـ ، وليس له مؤلفات ، ونقل عن السيوطى أنه ألف كتاب الجبال وما فيها من شعر ، وله ديوان خاص ، وقيل أنه صاحب لامية العرب المنسوبة للشنفرى [4]

٥ — يونس بن حبيب البصرى م ١٨٢ هـ .

٦ — المفضل الضبى م ١٨٩ هـ ، كوفى وهو أقدم من جمع المختار من شعر العرب فى كتاب (المفضليات) . وأول من فسر الشعر بيتا بيتا ، ويقال أنه أول من جمع أشعار الجاهليين .

٧ — أبو عبيدة بصرى م ٢٠٩ هـ . وله مؤلفات فى اللغة ، ومجاز القرآن والنقائض .

---

(١) راجع بغية الوعاة ـ طبقات الأدباء لابن الانبارى ـ معجم الأدباء لياقوت ـ وفيات الأعيان ـ فوات الوفيات ـ الأغانى ـ الفهرست .

(٢) ٤٢ فهرست .

(٣) ١٣٤ فهرست . ويقول ابن سلام فيه : وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الرواية وكان غير موثوق به (٢٣ طبقات الشعراء)

(٤) ٤ الصناعتين

المناقضات فى العصر الاموى

١ — كان لأحياء العصبية وكثرة الخلافات الدينية والسياسية والاجتماعية والادبية أثر بعيد فى احياء المعارضات فى الشعر العربى فى هذا العصر .

وكانت المنافسة الأدبية عاملا كذلك له أثره فى هذا الميدان .

بدأ هذا العصر بالخلاف بين على ومعاوية وظهور الخوارج التى ظلت ثائرة ساخطة ، لاتريد حكماً ، ولاترضى عن حاكم ، حتى استأصل شأفتها المهلب بن أبى صفرة فى خلافة عبد الملك بن مروان . ثم قام ابن الزبير فى مكة يدعو الى نفسه ويطلب الخلافة ، فكان له جند مناصرون . وهكذا انتثر العقد وانشقت العصا وانتقض الغزل أنكاثاً : وتفرق المسلمون شيعاً ، وتبددوا أحزابا مخلصين أوغير مخلصين ، راغبين فى عرض الحياة الدنيا أو غير راغبين، فاننا نعتقد أن النفس الانسانية فى هذا الزمان هى النفس الانسانية فى كل زمان ، وأن اتجاه الناس إلى الزعماء فى ذلك الحين ، لم يكن كله خالصا عن محض عقيدة أو اقتناع بمذهب وكما يقول القطامى .

والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهى ولأم المخطى الهبل

كان لعلى شعراء ؛ ولمعاوية شعراء ، وللخوارج شعراء ، ثم للزبيريين بعد ذلك شعراء . وأشهر شعراء الشيعة الكميت ، وبرز من شعراء معاويةالأخطل وجرير وابن جعيل ، ومن شعراء الخوارج عمران بن حطان واشاد بآل الزبير عبيد الله ابن قيس الرقيات .

وكان الأخطل لايعنيه من أمر الخلافة الاسلامية شىء إلا ماتدره عليه من أموال . أما شعراء الشيعة فكانوا شلمتسين فى غضبهم وبكائهم ، ولكن قلوب بعضهم كانت تضعف أمام سيطرة الأمويين ، وترجف فرقا من سيفهم المسلول . فقد كانوا إذا انزلق بهم اللسان مرة أو مرتين باتوا بليلة الملسوع ، واعدوا العدة للفرار . وإذا صح مانسب إلى الكميت من رعبه من هشام بن عبد الملك ، وهربه من السجن بعد أن لبس ثياب زوجه ، وتركها خلفه

تلاقى من شياطين السجن ماتلاقى ، والتجائه الى قبر معاوية بن هشام ، واستنقاذ نفسه بمدح بنى امية ؛ ثم استمراره فى مدحهم إلى أخر أيامه ، علمنا ما يفعل الخوف بالعقائد ، وكيف تستل الغرائز شهامة الرجال . يقولون إنه عمل بمذهب التقية ولكننا لانفهم كيف تستباح هذه التقية إلى آخر أنفاس الحياة ؟ وقد حدث هذا بعينه لعبيد الله بن قيس الرقيات شاعر آل الزبير حين أهدر عبد الملك بن مروان دمه ، فتنقل مختفياً فى الأحياء والقبائل ، حتى استعاذ ذليلا بعبد الله بن جعفر فسعى للعفو عنه ، فلما ظفر بالعفو انطلق يهدر بمدح المروانيين كأنما أطلقت سيلا حبيساً !

وكان الفرزدق شيعياً ، ولكنه كان لا يتخذ من عقيدته حلية يعرضها على الناس ولا يجعل من مذهبه شارة حتى يراها كل ناظر ، وله شعر كثير فى مدح بنى أمية ، والقصيدة المنسوبة إليه فى مدح على بن الحسين غير صحيحة النسبة إليه

أما شعراء الخوارج ، فقد زهدوا فى الدنيا وزخرفها ، وسخطوا على الحكم ورجاله ، وانصرفوا إلى عقيدتهم صحيحة أو فاسدة ، يغذونها بأرواحهم ويذودون عنها بسيوفهم وألسنتهم . وسيرة عمران بن حطان رأس شعرائهم سيرة الفوضوى المجاهد الذى باع نفسه لمذهبه

وشعر قطرى بن الفجاءة يصور الفدائية والثقة بالنفس والاستهانة بالموت فى أسلوب ساذج رصين :

وضاربة خدا كريما على فتى أغر نجيب الأمهات كريم
أصيب بدولاب ولم تك موطنا له أرض دولاب ودير حميم
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا تبيح من الكفار كل حريم
رأت فتية باعوا الإله نفوسهم بجنات عدن عنده ونعيم

٢ — وهكذا كانت حال الأحزاب، وهكذا كانت حال شعرائها، ولقد قيل شعر كثير فى نصرة كل حزب ، ولكنه لم يكن شعرا ملتهبا متأججا ، حتى إنه لكثيرا ما كان يفر من الحديث عن الحزبية إلى حديث المديح والهجاء . ولم تكن

المناقضات فى هذا الشعر السياسى شديدة أو كثيرة ، لفتور نفوس الشعراء ، أو لأنهم كانوا مشتتين فى الأقطار بين الشام والعراق والحجاز ، ولبعد الشقة بينهم وعسر الاتصال

والذى وعيناه من مناقضات الشعر السياسى ما ذكره المبرد من أن معاوية أرسل إلى على كتابا كتب فى آخره أبياتا لكعب بن جعيل هى :

أرى الشام تكره ملك العراق ... وأهل العراق له كارهينا
و كلا لصاحبه مبغضا ... يرى كل ما كان فى ذاك دينا
إذا ما رمونا رميناهم ... ودناهم مثلما يقرضونا
فقالوا على إمام لنا ... فقلنا رضينا ابن هند رضينا
وقالوا نرى أن تدينوا له ... فقلنا ألا لا نرى أن ندينا
ومن دون ذلك خرط القتاد ... وضرب وطعن يقر العيونا

فكتب إليه على جواب رسالته ، ثم دعا النجاشى أحد بنى الحارث بن كعب فقال له :إن ابن جعيل شاعر أهل الشام ، وأنت شاعر أهل العراق، فأجب الرجل فقال : ياأمير المؤمنين أسمعنى قوله ، قال : إذن أسمعك شعر شاعر ، فقال النجاشى يجيبه :

دعا يا معاوى ما لا يكونا ... فقد حقق الله ما تحذرونا
أتاكم على بأهل العراق ... وأهل الحجاز فما تصنعونا ؟

٣ — لا نجد كثيرا من المناقضات الدينية السياسية فى هذا العهد، ولكننا نجد نوعا آخر طريفا ، ابتكره معاوية ، وجرى الخلفاء بعده على أثره ، فقد أحيوا العصبية بعد أن أخمد الإسلام نارها ، وأرثوا العداوة بين الشعراء ، وأثاروا بينهم عاصفة من التهاجى والإقذاع ، حتى يصرفوا الناس عما أحدثوه من احداث، وحتى يبعثوا روح الجاهلية الأولى ، التى كان لهم فيها مجد عريق، وشرف ورياسة، وقد كثرت المناقضات الشعرية فى هذا النوع، وطمى سيلها، وهى التى نسميها بالمناقضات الهجائية ولا يقصد بها إلا المباراة فى فنون الهجاء المقذع، والتباهى بمجد الجاهلية وأحسابها وأيامها ، ونبش ما دفنه الاسلام من مثالب القبائل فى عهودها الأولى .

كما يقول المرحوم الجارم بك

فقد ثارت حرب الهجاء ضروساطاحنة بين جرير والفرزدق والبعيث المجاشعي وسبب ذلك أن ناسا من يربوع يقال لهم بنو ذهيل سرقوا إبلا للبعيث فقال جرير قصيدة طويلة يهجو بها البعيث أولها :

طاف الخيال وأين منك لماما ۝ فارجع لزورك بالسلام سلاما

فثار البعيث وعارضه بشعر من الهجاء أوله :

أجرير أقصر لا تحن بك شقوة ۝ إن الشقى ترى له أعلاما

وكان الفرزدق فى ذلك الحين ، قد قيد نفسه ، وحلف أن لا يطلق قيده حتى يحفظ القرآن ، ولكن هجاء جرير للبعيث أقض مضجعه ، وأثار فيه نازعة النجدة ففك قيوده ، وهب ينتصر للبعيث بقصيدة أولها :

ألا استهزأت منى هنيدة أن رأت ۝ أسيرا يدانى خطوة حلق الحجل

وتبعه البعيث بأخرى يهجو جريرا :

أهاج عليك الشوق أطلال دمنة ۝ بناصفة الجونين أو جانب الهجل

فانبرى لها جرير بقصيدة مطلعها :

عوجى علينا واربعى ربة البغل ۝ ولا تقتلينى لا يحل لكم قتلى

ورماه بأخرى أولها :

ألا حى رهبي ثم حى المطاليا ۝ فقد كان مأنوسا فأصبح خاليا

ويرى الباحث فى هذه المعارضات أو النقائض أنها ابتدأت ببحر الكامل ، ثم انتقلت إلى بحر الطويل ، والتزمت فيه قافية واحدة ، حتى نقلها الفرزدق إلى قافية أخرى ، وهو ضرب يعمد إليه المعتز بفنه فى المباراة للعبث بالخصم وإعجازه وتحديه . كما يقول الجارم بك

وكان من أسباب اشتعال المهاجاة ، وتأجج المعارضة بين الفرزدق وجرير ماروا ه الرواة من أن الأخطل فضل الفرزدق على جرير أمام بشر بن مروان أمير الكوفة ، وأرسل قصيدة طويلة يعلن فيها هذا التفضيل أولها :

بكر العواذل يبتدرن ملامتى ۝ والعاذلون فكلهم يلحانى

وفيها يقول :

قبح الإله بنى كليب إنهم   لا يحفظون محارم الجيران
تاج الملوك وفخرهم فى دارم   أيام يربوع مع الرعيان

فأسرع الفرزدق يعاضده فى هجاء جرير :

يا ابن المراغة والهجاء إذا التقت   أعناقه وتماحك الخصمان
يا ابن المراغة إن تغلب وائل   رفعوا عنانى فوق كل عنان

فصال عليهما جرير يقول :

لمن الديار ببرقة الروحان   إذ لا نبيع زماننا بزمان

وفيها يخاطب الأخطل :

أنسيت ويل أبيك غدر مجاشع   وجر جعثن ليلة السيدان ؟
ونسيت أعين والرباب وجاركم   ونوار حيث تصلصل الحجلان !

يقول للاخطل : أنسيت غدر مجاشع ، وهي قبيلة الفرزدق ، بالزبير بن العوام حين استجار بمجاشعى بعد وقعة الجمل ، ثم يذكر بعد ذلك حادثة غريبة ، هى أن غالباً أبا الفرزدق جاور طلبة بن قيس بالسيدان ، وكانت جعثن أخت الفرزدق صديقة لظمياء وكانت إذا أرادت لقاءها صفقت لها بحجل لتجىء إليها ، فاشتهى الفرزدق أن يلتقى بظمياء ، وحدث أن شغلت أخته ليلة بأمر نفسها ، فأخذ حجلها وحركه فجاءت ظمياء كعادتها ، فارتابت بالفرزدق وصاحت ، وعادت إلى رحلها فلما علم فتيان الحى من أهلها أسرعوا فأخرجوا جعثن من خبائها ، ثم سحبوها ليشهروا بها .

وكان من ضروب إثارة المنافسة والمعارضة بين الشعراء ، مارواه أهل الأدب من أن الفرزدق والأخطل وجريراً كانو فى حضرة عبد الملك بن مروان ، فأحضر بين يديه كيساً فيه خمسمائة دينار ، ثم قال : ليقل كل منكم بيتاً فى مدح نفسه ، فأيكم غلب فله الكيس ، فبدأ الفرزدق فقال :

أنا القطران والشعراء جربى   وفى القطران للجربى شفاء

وقال الأخطل :

فان تك زق زاملة فانى أنا الطاعون ليس له دواء

وقال جرير :

أنا الموت الذى آتى عليكم فليس لهارب منى نجاء

فقال عبد الملك : لعمرى إن الموت يأتى على كل شىء ، وقضى له .

ويروون أن الفرزدق قال فى هذا المجلس . النوار طالق إن لم أقل شعراً لا يستطيع ابن المراغة أن ينقضه أبداً ، ولا يجد فى الزيادة عليه مذهباً ، فقال عبد الملك : ما هو ؟ فقال .

فانى أنا الموت الذى هو واقع بنفسك فانظر كيف أنت مزاوله

وما أحد يا ابن الأتان بوائل من الموت إن الموت لاشك نائله

فأطرق جرير ثم قال : أم حزرة طالق ثالثاً إن لم أكن نقضته ورددت عليه ، فقال عبد الملك : هات فقد والله طلق أحدكما لا محالة ، فقال :

أنا البدر يغشى نور عينيك فالتمس بكفيك ياابن القين هل أنت نائله ؟

أنا الدهر يفنى الموت والدهر خالد فجئنى بمثل الدهر شيئاً يطاوله

فقال عبد الملك ، فضلك والله يا أبا فراس وطلق عليك :

٤ — ومعركة الهجاء التى كانت بين الفرزدق وجرير والأخطل والتى استمرت مدة كبيرة بتأثير العصبيات والخلافات السياسية والأدبية أبلغ سبب من أسباب المعارضات فى العصر الأموى .

وقد خلفت لنا هذه المعركة النقائض بين جرير والفرزدق التى جمعها ابو عبيده المتوفى عام ٢٠٩ ﻫ فى كتاب النقائض .

وكان لمعركه الهجاء هذه أثر فى الادب واللغة والشعر وكانت بواعثها السياسية متشعبة وكان بعض الولاة الامويين يذكى من حدتها ، وعلى أى حال فقد خلفت لنا ميراثا أدبيا ضخما ورثناه مع ماورثناه عن العصر الاموى

وقد سميت القصائد التى تبادلها الشاعران فى الهجاء (النقائض) وشاع هذا النوع

من الشعر فى العصر الأموى شيوعا شديدا ، وقد كان معروفا من قبل ولكنه لم يكن كثيرا مطردا، والأصل فى ذلك أن يقول الشاعر قصيدة فينقضها عليه خصمه أى يرد عليها ويلتزم فى ذلك ما التزمه صاحبه من الوزن والقافية غالبا، وكثيرا ما يعرض لنفس تلك المعانى التى قصد اليها الشاعر فينفيها أو يفسدها بأى وجه من الوجوه ، وأول قصيدة عرض فيها الفرزدق لجرير بالهجاء بائيته التى أولها :

ألم ترأنى يوم جو سويقة بكيت فنادتنى هنيدة ماليا
فقلت لها إن البكاء لراحة به يشتفى من ظن أن لاتلاقيا

ثم يمضى الشاعر فى ذكر صاحبه ، ومايجد من حب لها ولوعة لفراقها ، حتى اذا فرغ من ذلك فى أبيات قصيرة التفت الى البعيث الذى استعان به على جرير فهجاه هجاء مرا ووصفه بالضعف والجبن وسوء النسب ، ثم ينتقل الى جرير نفسه فيشتمه ، ويصفه بالذلة والقلة ويفخر عليه بحسبه ونسبه ، ولا يطيل فى هذه المرة ، فرد عليه جرير ببائيته التى أولها :

ألا حى رهبا ثم حى المطاليا فقد كان مأنوسا فأصبح خاليا

وفيها غزل طويل عذب رقيق ، يصلح للغناء ، ثم يعاتب أباه أو جده وأسرته الأدنين لكثرة مايسيئون اليه ويخذلونه ، مع أنه لايلقاهم الا بالود والمعروف والذود عنهم ، ويفرغ بعد ذلك لأسرة الفرزدق فيهجوها لأنها أسرة صناع قيون لاشرف لهم ولا بلاء ، ويفخر بقومه قليلا وبنفسه كثيرا ، ويصف خصومه بالغدر واسلام الجار .

والهجاء بين جرير والفرزدق والأخطل وغيرهم من الشعراء كله على هذا النحو ، فيه فخر واشادة بفضائل الشاعر وقبيلته فى الجاهلية والاسلام ، ثم فيه ذم وتشهير بالخصم وقبيلته فى القديم والحديث ، وفى هذا الشعر جنايات منكرة على الأخلاق والأعراض والدين ، ولكنه على الرغم من هذا كله من أنفع المصادر التاريخية لحياة العرب فى جاهليتهم وإسلامهم ، كما انه مرآة صادقة لأخلاق هذه البيئات من العرب فى القرن الأول للهجرة ، وبفضل هذا الشعر حفظ أكثر اللغة من الضياع

وقد جمع ابو عبيدة م ٢٠٩ ﻫ النقائض وشرحها فى كتاب كبيره ضمنه الكثير من اخبار العرب وايامها ومآثرها ومثالبها .

الغناء فى العصر الاموى

كان للغناء فى العصرى الأموى شأن وأى شأن ، نبغ فيه كثير من المغنين كسعيد بن مسجح وسائب خاسر وجميلة ومعبد وعبد الله بن سريج وعزة الميلاء وسواهم وقد اقتبس هؤلاء كثيرا من الأنغام الفارسية والرومية بتأثير الاختلاط وكثرة الموالى وانتشر الغناء وذاع فى الحجاز حيث الترف واللهو والأموال الكثيرة المتدفقة

وقد أكرم خلفاء بنى أمية وفادة المغنين عليهم ، وأفسحوا مكاناً رحيباً للمغنين فى قصورهم ، واتخذوا منهم ندماء وسماراً ، وأكرموهم وأثابوهم وأجزلوا لهم المنح والمكافات ، وكان لهم معهم مواقف ونوادر لطيفة ، ومساجلات ومسامرات طريفة ، وكتب الأدب والتاريخ العربى حافلة بأخبارهم ، «كالأغانى» لأبى الفرج الأصفهانى و «نهاية الأرب فى فنون العرب» للنويرى و «العقد الفريد» لابن عبد ربه ، وغيرها ، مما يدل بوضوح على تأصل حب الغناء فى قلوبهم . فقد كان لكل خليفة وأمير ووزير وغنى جوار وقيان فى قصره ، يقضى بينهن أوقات فراغه فى السمر واللهو والشراب والغناء والعبث . وكن يحذقن فضلا عن الغناء والعزف فنون الأدب من شعر ورواية وتاريخ .

ويقال إن أول من غنى من الخلفاء عمر بن عبد العزيز ، خلال حكمه بالحجاز إذ غنى بسبع أغان تغزل بها جميعها بسعاد . وكان يتمتع بصوت جميل ، وصنعة محكمة ، وأداء حسن ، وتلحين متقن . ومن غنائه هذا الشعر وهو لجرير ،

ألما صاحبي نزر سعاداً لوشك فراقها وذرا البعادا
لعمرك إن نفع سعاد عنى لمصروف ونفعى عن سعادا
إلى الفاروق ينتسب ابن ليلى ومروان الذى رفع العمادا

ومن غنائه فيها

علق القلب سعاداً عادت القلب فعادا

كلما عوتب فيها أو نهى عنها تمادى
وهو مشغوف بسعدى قد عصى فيها وزاداً

ومن أغانيه هذا الشعر

ياسعاد التى سبتنى فؤادى ورقادى هي لعينى رقادى

ثم هذا الغناء

حظ عينى من سعاد أبداً طول السهاد

ويكذب كثير من الباحثين هذه الروايات المنقولة عن عمر بن عبد العزيز .

ومن الخلفاء الأمويين الذين ولعوا بالغناء وتغنوا به ، يزيد بن عبد الملك . فقد شغف بالمغنية حبابة ذات الصوت الساحر ، وكان ينظم الشعر ويلحنه ويغنيه ومن أشهر أغانيه تغزلا « بحبابة » هذان البيتان ، ولحنهما ثقيل أول :

أبلغ حبابة أسق ربعها المطر ما للفؤاد سوى ذكراكم وطر
إن سار صحبي لم أملل بذكركم أو عرسوا فهموم النفس والفكر

وقد تغنى يزيد بن عبد الملك « بحبابة » بهذين البيتين عندما رآها لأول مرة وهو نازح عن الحجاز ، فأغرم بها ولكنه لم يجرؤ على ابتياعها خوفا من أخيه سليمان بن عبد الملك ، أو من أخيه عمر بن عبد العزيز ، فغناهما بعده « معبد » و « حبابة » ، وغيرهما من مشاهير المغنين والمغنيات . ثم اشترى « حبابة » بعد ذلك وقضى معها زمناً يستمع بها وبصوتها الرخيم ، إلى أن كانت ذات يوم معه تقذف حبة رمان إلى فمها فشرقت وماتت ، فحزن عليها حزناً شديداً .

وكان الوليد بن يزيد شغوفا بالغناء كأبيه ، ذات صوت جميل وصنعة متقنة ، وله مواقف فنية عديدة تدل على طريقة أهل الحجاز ، ومن أغانيه المشهورة هذان البيتان وهما من نظمه وتلحينه

وصفراء فى الكأس كالزعفران سباها التجيبي من عسقلان
تريك القذاة وعرض الانا ء ستر لها دون لمس البنان

أثر الغناء فى الشعر

وللغناء فى الشعر الأموى أثر كبير :

١ — فقد ساعد الغناء على ذيوع الشعر وانتشاره كما ساعد على رواجه

٢ — وقد دفع الغناء الشعراء إلى تهذيب شعرهم حتى يصلح للغناء ويسهل حفظه وإنشاده وترديده ، ولذلك كثرت المقطعات الصغيرة والأوزان الخفيفة .

٣ — وشاعت الرقة والسهولة والوضوح فى الشعر بتأثير الغناء .

٤ — وقرب الغناء الشعر والشعراء الى قصور الخلفاء والأمراء والولاة والأثرياء الى غير ذلك من أثار الغناء فى الشعر

ألوان من الغناء ومجالسه

— ١ —

وأول المغنين طويس المغنى المشهور فيما يقال :

ولما ولى أبان بن عثمان بن عفان المدينة لمعاوية قعد فى بهو له عظيم واصطف له الناس فجاء طويس المغنى وقد خضب يديه واشتمل على دف له وعليه ملاءة مصقولة فسلم ثم قال بأبى وأمى ياأبان الحمد لله الذى أرانيك أميرا على المدينة انى نذرت لله فيك نذرا ان رأيتك أن أخضب يدى واشتمل على دفى وآتى مجلس امارتك واغنيك صوتا قال : يا طويس ليس هذا موضع ذاك قال : بأبى أنت وأمى يا ابن الطيب أبحنى قال : هات يا طويس فحسر عن ذراعيه وألقى رداءه ومشى بين السماطين وغنى .

ما بال أهلك يارباب   خزرا كأنهم غضاب

فصفق أبان بيديه ثم قام عن مجلسه فاحتضنه وقبله بين عينيه

ويروى أن جميلة م ١٢٥ هـ خرجت حاجة، فخرج معها من الرجال المغنين، والنساء والأشراف وغيرهم جماعة ، وحج معها من القيان مشيعات لها ومعظمات لقدرها ولحقها خمسون قينة ، وجه بهن مواليهن معها ، وأعطوهن النفقات وحملوهن على

الإبل فى الهوادج والقباب وغير ذلك ، فأبت جميلة أن تنفق واحدة منهن درهما فما فوقه حتى رجعن . وتخاير من خرج معها فى اتخاذ أنواع اللباس العجيب الظريف والهوادج والقباب ، فلم ير أهل المدينة مثل ذلك الجمع سفرا طيبا ، وحسنا وملاحة

ولما قاربوا مكة تلقاهم سعيد بن مسجح وابن سريج والغريض وابن محرز والهذليون ، وجماعة من المغنين من أهل مكة وقيان كثير ، ومن غير المغنين عمر بن أبى ربيعة والحارث بن خالد المخزومى والعرجى وجماعة من الأشراف فدخلت جميلة مكة وما بالحجاز مغن حاذق ولا مغنية إلا وهو معها وجماعة من الأشراف ممن سمينا وغيرهم من الرجال والنساء . وخرج أبناء أهل مكة من الرجال والنساء ينظرون الى جمعها وحسن هيئتهم .

فلما قضت حجها سألها المكيون أن تجعل لهم مجلساً . فقالت : للغناء أم للحديث ؟ قالوا : لهما جميعاً . قالت : ما كنت لأخلط جدا بهزل ، وأبت أن تجلس للغناء ! فقال عمر بن أبى ربيعة : أقسمت على من كان فى قلبه حب لاستماع غنائها إلا خرج معها إلى المدينة فانى خارج ، فعزم القوم كلهم على الخروج فخرجت فى جمع أكثر من جمعها بالمدينة .

فلما قدمت المدينه تلقاها أهلها واشرافهم من الرجال والنساء ، فدخلت بأحسن مما خرجت منها ، وخرج الرجال والنساء من بيوتهم فوقفوا على أبواب دورهم ينظرون إلى جمعها وإلى القادمين معها . فلما دخلت منزلها وتفرق الجمع إلى منازلهم ، ونزل أهل مكة على أقاربهم وأخوانهم أتاها الناس سلمين . وما استنكف من ذلك كبير ولا صغير .

فلما مضى لمقدمها عشرة أيام جلست للغناء ، فقالت لعمر بن ربيعة . إنى جالسة لك ولأصحابك ، وإذا شئت فعد الناس لذلك اليوم ، فغصت الدار بالأشراف من الرجال والنساء ، فابتدأت جميلة فغنت صوتاً بشعر عمر (١)

---

(١) كان الحارث بن أبى ربيعه ينهى أخاه عن قول الشعر فيأبى أن يقبل منه فأعطاه ألف دينار على ألا يقول شعراً ، فأخذ المال وخرج الى أخواله يلحج وأبين مخافة أن يهيجه مقامه بمكة على قول الشعر . فطرب يوماً فقال هذا الشعر

هيهات من أمة الوهاب منزلنا | إذا حللنا بسيف (١) البحر من عدن
وأحتل أهلك أجيادا(٢) وليس لنا | إلا التذكر أو حظ من الحزن
لو أنها أبصرت بالجزع عبرته | من أن تغرد قمرى على فنن
إذن رأت غير ماظنت بصاحبها | وأيقنت أن لحجا (٣) ليس من وطنى
ماأنس لاأنس يوم الخيف(٤) موقفها | وموقفى وكلانا ثم ذو شجن
وقولها للثريا وهى باكية | والدمع منها على الخدين ذو سنن(٥)
با لله قولى له فى غير معتبة : | ماذا أردت بطول المكث فى اليمن
إن كنت حاولت دنيا أو نعمت بها | فما أصبت بترك الحج من ثمن

فكلهم استحسن الغناء وضج القوم من حسن ما سمعوا . ودمعت عين عمر حتى جرى الدمع على ثيابه ولحيته ؛ ثم أقبلت على ابن سريج فقالت: هات، فاندفع يغنى ورفع صوته بشعر عمر :

أليست بالتى قالت | لمولاة لها ظهرا
أشيرى بالسلام له | إذا هو نحونا نظرا
وقولى فى ملاطفة | لزينب نولى عمرا
وهذا سحرك النسوا | ن قد خبرننى الخبرا

فسمع من ابن سريج فى هذا اللحن من الحسن ما يقال إنه ما سمع مثله ثم قالت لسعيد بن مسجح : هات يا أبا عثمان ، فاندفع فغنى :

قد قلت قبل البين لما خشيته | لتعقب ودا أو لتعلم ما عندى
لك الخير هل من مصدر تصدونه (٦) | يريح كما سهلت لى سبل الورد

---

(١) سيف البحر : ساحله .
(٢) أجياد : موضع بمكة .
(٣) لحج . مخلاف باليمن .
(٤) الخيف . موضع بمنى .
(٥) ذو سنن . ذو طرائق .
(٦) يقال : صدر هو وصدر غيره وأصدره

فلما شكوت الحب صدت كأنما شكوت الذى ألقى إلى حجر صلد

فاستحسن ذلك منه وبرع فيه . ثم قالت : يا معبد هات ، فغنى :

أحارب من حاربت من ذى عداوة وأحبس مالى إن غرمت فأعقل [١]

وإنى أخوك الدائم العهد لم أحل إن أبزاك[٢] خصم أو نبابك منزل

ستقطع فى الدنيا إذا ما قطعتنى يمينك فانظر أى كف تبدل

قالت جميلة . أحسنت يامعبد اختيار الشعر والغناء .

ثم قالت : هات يا بن محرز ، فانى لم أؤخرك لخساسة بك ، ولا جهلا بالذى يجب فى الصناعة ، ولكننى رأيتك تحب من الأمور كلها أو سطها وأعدلها ، فجعلتك حيث تحب واسطة بين المكيين والمدنيين . فغنى .

ثم قالت للغريض : هات ، فاندفع يغنى بشعر عمرو بن شأس الابيات وفى آخرها .

فواندمى على الشباب وواندم ندمت وبان اليوم منى بغير ذم

وإذ إخوتى حولى وإذ أنا شائخ وإذا لاأجيب العاذلات من الصمم

أرادت عراراً [٣] بالهوان ومن يرد عراراً لعمرى بالهوان فقد ظلم

قالت جميلة . أحسن عمرو بن شاس ولم تحسن ، إذا أفسدت غناءك بالتعريض والله ما وضعناك الا موضعك ولا نقصنا من حظك ! فما ذا أهناك !

ثم أقبلت على الجماعة فقالت . ياهؤلاء ، اصدقوه وعرفوه نفسه ليقنع بمكانه فأقبل القوم عليه ، وقالوا له : قد أخطأت إن كنت عرضت . فقال : قد كان

---

(١) يريد فأعقل عنه ، وعقل عنه : اذا غرم ما لزمه من دية

(٢) لم أحل : لم أتغير ، ابزاك خصم : قهرك ، والشعر لمعن بن أوس وهو شاعر فحل من مخضرمى الجاهلية والاسلام .

(٣) هو عرار بن عمرو بن شاس وهو من أمة لعمرو سوداء ، وكان بينه وبين زوج أبيه نزاع وخصام ، فقد كانت تؤذيه وتعيره وتشتمه ، وحاول عمرو أن يصلح ما بينهما فلم يفلح فطلقها .

ذلك ولست به أد . وقام إلى جميله فقبل طرف ثوبها واعتذر ، فقبلت عذرة ، وقالت له . لاتعد .

ثم أقبلت على ابن عائشة فقالت . يا أبا جعفر هات ، فتغنى بشعر النابغة الذى فيه .

سقى الغيث قبرا بين بصرى[1] وجاسم   علته من الوسمى جود ووابل

قالت جميله : حسن ماقلت يا أبا جعفر . ثم أقبلت على نافع و بديح فقالت : أحب أن تغنيانى صوتاً واحد فغنيا جميعاً بصوت واحد ولحن واحد :

ألا يامن يلوم على التصابى   أفق شيئا لتسمع من جوابى
بكرت تلومنى فى الحب جهلا   وما فى حب مثلى من معاب
أليس من السعادة غير شك   هوى متواصلين على اقتراب
كريم نال ودا فى عفاف   وستر من منعمة كعاب[2]

فقالت جميلة . هواكما والله واحد وغناكما واحد ، وأنتما نختما من بقية الكرم وواحد الشرف : عبد الله بن جعفر بن أبى طالب .

ثم أقبلت على الهذليين الثلاثة فقالت . غنوا صوتاً واحداً ، فاندفعوا فغنوا بشعر عنترة العبسى :

حييت من طلل تقادم عهده   أقوى واقفر بعد أم الهيثم
كيف المزار وقد تربع أهلها   بعنيزتين وأهلنا بالغيلم[3]
إن كنت أزمعت الفرق فانما   زمت[4] ركابكم بليل مظلم

قالت : مارأيت شيئاً أشبه بغنائكم من اتفاق أرواحكم .

---

(١) بصرى وجاسم موضعان بالشام .

(٢) ناهدة الثدى .

(٣) عنيزتين موضع . والغلم . موضع فى ديار بنى عبس

(٤) زم البعير . خطمه .

ثم أقبلت على نافع بن طنبورة فقالت . هات يانقش الغضار [1] وياحسن اللسان ، فاندفع يغنى .

ياطول ليلى وبت لم أنم وسادى الهم مبطن سقمى
أن قمت يوما على البلاط [2] فأبـ ـصرت رقاشا وليت لم أقم

فقالت جميلة . حسن والله .

ثم قالت . يامالك هات ، فانى لم أؤخرك لأنك فى طبقة آخرهم ، ولكنى اردت أن أختم بك يومنا تبركا بك ، وكى يكون أول مجلسنا كآخره ، ووسطه كطرفه ، فانك عندى ومعبداً لفى طريقة واحدة ومذهب واحد ، لايدفع ذلك إلا ظالم ، ولا ينكره إلا عاضل [3] ، الحق أقول ، فمن شاء فلينكر ، فسكت القوم كلهم إقراراً لما قالت . واندفع يغنى .

عدو لمن عادت وسلم لسلمها ومن قربت سلمى أحب وقربا
هبينى امرأ إما بريئا ظلمته وإما مسيئاً تاب بعد وأعتبا
أقول ـ التماس العذر لما ظلمتنى وحملتنى ذنبا وما كنت مذنبا :
ليهنئك إشمات العدو بهجرنا وقطعك حبل الوصل حتى تقضبا [4]

قالت جميلة . ليت صوتك يامالك قد دام لنا ودمنا له ! وقطعت المجلس وانصرف عامة الناس وبقى خواصهم .

فلما كان اليوم الثانى حضر القوم جميعاً ، فقالت لطويس . هات ياأباعبد النعيم فابتدأ طويس فغنى .

قد طال ليلى وعاد لى طربى من حب خود [5] كريمة الحسب
غراء مثل الهلال آنسة أو مثل تمثال صورة الذهب

---

(١) الغضار : الطين اللازب الاخضر وهو لقب له .
(٢) البلاط . الأرض ، وقيل الأرض المستوية الملساء .
(٣) العضل . المنع . (٤) تقضب : تقطع
(٥) الخود . الحسنة الخلق الشابة .

صادت فؤادي بجيد مغزلة [١] ترعى رياضاً ملتفة الشعب

فقالت جميلة . حسن والله يا أبا عبد النعيم .

ثم قالت للدلال : هات يا أبا يزيد ، فاندفع فغنى .

قد كنت آمل فيكم أملا والمرء ليس بمدرك أمله
حتى بدا لى منكم خلف فزجرت قلبي فارعوى جهله
ليس الفتى بمخلد أبداً حيا ، وليس بفائت أجله

قالت : حسن والله يا أبا زيد . ثم قالت اهيت . إنا نجلك اليوم لكبر سنك ورقة عظمك . قال : أجل

ثم قالت لبرد الفؤاد ونومة الضحى . هاتيا جميعاً لحناً واحداً فغنيا .

إنى تذكرت فلا تلحنى لؤلؤة مكنونة تنطق

فقالت جميلة : أحسنتما .

ثم قالت لفند ورحمة وهبة الله . هاتوا جميعا صوتا واحدا فانكم متفقون فى الأصوات والألحان ؛ فاندفعوا فغنوا .

أشاقك من نحو العقيق بروق لوامع تخفى تارة وتشوق
وما لى لا أهوى جوارى بربر وروحى إلى أرواحهن تتوق
لهن جمال فائق وملاحة ودل على النساء يفوق

وكان بربر حاضرا ، فقال . جوارى والله على ما وصفتم، فمن شاء أقر ومن شاء أنكر . فقالت جميلة . صدق ثم غنت جميلة بشعر الأعشى

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا واحتلت الغور فالجدين[٢] فالفرعا
واستنكرتنى وما كان الذى نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا
تقول بنتى وقد قربت مرتحلا يارب جنب أبى الأوصاب والوجعا
وكان شىء إلى شىء فغيره دهر ملح على تفريق ما جمعا[٣]

---

(١) المغزلة. الظبية ذات الغزال

(٢) الجدان والفرع . موضعان

(٣) ٢٠٩ / ٨ الأغانى ، ٤٣ / ٥ بلوغ الأدب

فلم يسمع شيء أحسن من ابتدائها بالأمس وختمها فى اليوم الثانى ، وقطعت المجلس ، فانصرف قوم وأقام آخرون .

فلما كان اليوم الثالث اجتمع الناس ، فضربت ستارة وأجلست الجوارى كلهن فضربن وضربت ، فضربن على خمسين وترا ، فتزلزلت الدار ، ثم غنت على عودها ، وهن يضربن على ضربها بهذا الشعر :

فان خفيت كانت لعينك قرة   وإن تبد يوما لم يعممك [1] عارها
من الخفرات البيض لم تر غلظة   وفى الحسب الضخم الرفيع نجارها
فما روضة بالحزن طيبة الثرى   يمج الندى جثجاثها [2] وعرارها
بأطيب من فيها أذا جئت طارقا   وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

فدمعت أعين كثير منهم حتى بلوا ثيابهم وتنفسوا الصعداء، وقالوا بأنفسنا أنت ياجميلة ! ثم قالت للجوارى . اكففن فكففن ، وقالت ياعز غنى ، فغنت بشعر لعمر :

تذكرت هندا وأعصارها [3]   ولم تقض نفسك أوطارها
تذكرت النفس ما قد مضى   وهاجت على العين عوارها [4]
لتمنح رامة منا الهوى   وترعى لرامة أسرارها
إذا لم نزرها حذار العدا   حسدنا على الزور زوارها

فقالت جميلة : ياعز ، إنك لباقية على الدهر ، فهنيئا لك حسن هذا الصوت مع جودة هذا الغناء .

---

(١) لم يعممك . لم يلحقك

(٢) الجثجاث . من أحرار الشجر له زهرة صفراء طيبة ، والعرار نبت طيب الريح وهو النرجس البرى

(٣) الأعصار . جمع عصر ، يريد الأوقات التى يجتمع معها فيها

(٤) العوار . ما عار فى العين من القذى والرمد فأوجعها .

ثم قالت لحبابة وسلامة: هاتيا لحنا واحدا، فغنتا:

كفى حزنا أنى أغيب وتشهد … وما نلتقى والقلب حران مقصد
ومن عجب أنى اذا الليل جننى … أقوم من الشوق الشديد وأقعد
أحن اليكم مثل ما حن نائق … إلى الورد عطشان الفؤاد مصرد (١)
ولى كبدى حرى يعذبها الهوى … ولى جسد يبلى ولا يتجدد

فاستحسن غناؤهما.

ثم أقبلت على خليدة فقالت لها: بنفى أنت غنى، فغنت:

ألا يامن يلوم على التصابى … أفق شيئا لتسمع من جوابى
بكرت تلومنى فى الحب جهلا … وما فى حب مثلى من معاب
أليس من السعادة غير شك … هوى متواصلين على اقتراب
كريم نال ودا فى عفاف … وستر من منعمة كعاب

فاستحسن منها ما غنت. ثم قالت لعقيلة والشماسية. هاتيا فغنتا:

هجرت الحبيب اليوم فى غير ما اجترم … وقطعت من ذى ودك الحبل فانصرم
أطعت الوشاة الكاشحين ومن يطع … مقالة واش يقرع السن من ندم

ثم قالت لفرعة وبلبلة ولذة العيش: هاتين فغنين، فاندفعن بصوت واحد.

لعمرى لئن كان الفؤاد من الهوى … بغى سقما إنى إذن لسقيم
على دماء البدن إن كان حبها … على النأى فى طول الزمان يريم
تــلم ملمات فينسين بعدها … ويذكر منها العهد وهو قديم
فأقسم ما صافيت بعدك خلة (٢) … ولا لك عندى فى الفؤاد قسيم

قالت. أحسنتن وهو لعمرى حسن.

وقالت لسعدة والزرقاء غنيا فغنتا، فاستحسن غناؤهما.

ثم قالت للجماعة غنوا جميعاً، فغنوا، وانفض المجلس وعاد كل إنسان إلى وطنه. فما رئى مجلس ولا جمع أحسن من هذا الأيام الثلاثة!

---

(١) التصريد سقى دون الرى.
(٢) الخلة. الخليلة.

— ٣ —

وقال أبو عبد الله : جلست جميلة يوما ولبست برنسا (١) طويلا ، وألبست من كان عندها برانس دون ذلك ، وكان فى القوم ابن سريج ، وكان قبيح الصلع ، قد اتخذ وفرة (٢) شعر يضعها على رأسه ، وأحبت جميله أن ترى صلعته ، فلما بلغ البرنس إلى ابن سريج قال : دبرت على ورب الكعبة ، وكشف صلعته ووضع القلنسية (٣) على رأسه ، وضحك القوم من قبح صلعته .

ثم قامت جميلة ورقصت وضربت بالعود وعلى رأسها البرنس الطويل ، وعلى عاتقها بردة يمانية ، وعلى القوم أمثالها ، وقام ابن سريج يرقص ومعبد والغريض وابن عائشة ومالك ، وفى يد كل واحد منهم عود يضرب به على ضرب جميلة ورقصها ، فغنت وغنى القوم على غنائها .

ذهب الشباب وليته لم يذهب وعلا المفارق وقع شيب مغرب (٤)
والغانيات يردن غيرك صاحبا ويعدنك الهجران بعد تقرب
إنى أقول مقالة بتجارب حقا ، ولم يخبرك مثل مجرب
صاف الكريم وكن لعرضك صائناً وعن اللئيم ومثله فتنكب

ثم دعت بثياب مصبغة ووفرة شعر مثل وفرة ابن سريج فوضعتها على رأسها ودعت للقوم بمثل ذلك فلبسوا ، ثم ضربت بالعود وتمشت وتمشى القوم خلفها ، وغنت وغنوا بغنائها بصوت واحد :

يمشين مشى قطا البطاح تأودا (٥) قب (٦) البطون رواجح الأكفال

---

(١) البرنس قلنسوة طويلة ، أو كل ثوب رأسه منه ، دراعة كان أو جبة أو ممطراً .

(٢) الوفرة . الشعر المجتمع على الرأس أو ماسال على الأذنين منه

(٣) القلنسية : القلنسوة : مايلبس فى الرأس .

(٤) مغرب . أبيض (٥) تأود الشيء : تعوج ، وتثني

(٦) قلب البطون : القباء الضامرة البطن .

فيهن آنسة الحـــديث حيية ليست بفاحشة ولا متفال [١]
وتكون ريقتها [٢] إذا نبهتها كالمسك فوق سلافة الجريال [٣]

جلست وجلسوا وخلعوا ثيابهم ورجعوا إلى زيهم ، وأذنت لمن كان ببابها فدخلوا ، وانصرف المغنون وبقي عندها من يطارحها من الجوارى :

— ٤ —

وفود ابن مسجح على عبد الملك بن مروان [٤]

قال دحمان الأشقر : كنت عاملا لعبد الملك بن مروان بمكة ، فنمى إليه أن رجلا أسود يقال له : سعيد بن مسجح [٥] أفسد فتيان قريش وأنفقوا عليه أموالهم فكتب إلى : أن اقبض ماله وسيره ، ففعلت .

فتوجـــه ابن مسجح إلى الشام فصحبه رجل له جوار مغنيات فى طريقه ، فقال له . أين تريد ؟ فأخبره خـــبره ، وقال له . أريد الشام ، قال له . فتكون معى ؟ قال . نعم .

فصحوبه حتى بلغا دمشق ، فدخلا مسجدها ، فسألا . من أخص الناس بأمير المؤمنين ؟ فقالوا : هؤلاء النفر من قريش وبنو عمه ، فوقف ابن مسجح عليهم وسلم ثم قال : يافتيان هل فيكم من يضيف رجلا غريبا من أهل الحجاز ؟ فنظر بعضهم إلى بعض — وكان عليهم موعد أن يذهبوا إلى قينة يقال لها « برق الأفق » — فتثاقلوا به إلا فتى منهم تذمم [٦] . فقال . أنا أضيفك وقال لأصحابه . انطلقوا أنتم ، وأنا أذهب مع ضيفى ، قالوا . لا ، بل تجىء أنت وضيفك

---

(١) المتفال : المتغيرة الريح لترك التطيب

(٢) الريق : ماء الفم غدوة قبل الأكل ويؤنث فى الشعر

(٣) الجريال : من أسماء الخمر .

(٤) الأغانى ص ٢٨٢ ج ٣ ، وقصص العرب .

(٥) سعيد بن مسجح أحد الموالى ، مكى أسود ، مغن ؛ متقدم ، كان أول من غنى الغناء العربى بمكة وهو الذى علم ابن سريج والغريض

(٦) تذمم . خشى الذم واللوم .

فذهبوا جميعا إلى بيت القينة ، فلما أتوا بالغداء قال لهم سعيد إنى إنى رجل أسود ولعل فيكم من يقذرنى (١) فأنا أجلس وآكل ناحية وقام . فاستحيوا منه وبعثوا إليه بما أكل ، فلما صاروا إلى الشراب قال لهم مثل ذلك ، ففعلوا به كما فعلوا فى المأكل ، وأخرجوا جاريتين فجلستا على سرير قد وضع لهما ، فغنتا إلى العشاء ، ثم دخلتا ، وخرجت جارية حسنة الوجه والهيئة ، وهما معها ، فجلست على السرير وجلستا أسفل منها عن يمين السرير وشماله ، قال ابن مسجح . فتمثلت هذا البيت .

فقلت أشمس أم مصابيح بيعة (٢) بدت لك خلف السجف (٣) أم أنت حالم

فغضبت الجارية ، وقالت : أيضرب هذا الأسود بى الأمثال ! فنظروا إلى نظرا منكرآ ، ولم يزالوا يسكنونها ، ثم غنت صوتآ . فقلت ؛ أحسنت والله ! فغضب مولاها ، وقال ، أمثل هذا الأسود يقدم على جاريتى ! فقال لى الرجل الذى أنزلنى عنده . قم فانصرف إلى منزلى ، فقد ثقلت على القوم ، فذهبت أقوم فتذمم القوم ، وقالوا لى : بل أقم وأحسن أدبك ، فأقمت وغنت . فقلت . أخطأت والله وأسأت ، ثم اندفعت فغنيت الصوت ، فوثبت الجارية وقالت لمولاها . هذا والله أبو عثمان سعيد بن مسجح ، فقلت . إنى والله أنا هو ، والله لا أقيم عندكم ، فوثب القرشيون . فقال هذا : يكون عندى . وقال هذا : يكون عندى . وقال هذا . بل عندى ! فقلت . والله لا أقيم إلا عند سيدكم — يعنى الرجل الذى أنزله منهم :

ثم سألوه عما أقدمه ، فأخبرهم الخبر . فقال له صاحبه . إنى أسمر الليلة مع أمير المؤمنين ، فهل تحسن أن تحدو ؟ قال . لا ! ولكنى أستعمل

---

(١) قذرت الشيء استقذرته وكرهته .
(٢) البيعة كنيسة النصارى
(٣) السجف بالفتح ويكسر . الستر

حداء . قال : فان منزلى بحذاء منزل أمير المؤمنين ، فان وافقت منه طيب نفس أرسلت إليك .

ومضى إلى عبد الملك ، فلما رآه طيب النفس أرسل إلى ابن مسجح ؛ وأخرج رأسه من وراء شرف القصر ، ثم حدا .

إنك يامعاذ يا بن الفضل إن زلزل الأقدام لم تزلزل
عن دين موسى والكتاب المنزل تقيم أصداغ (١) القرون الميل
للحق حتى ينتحوا للأعدل

فقال عبد الملك للقرشى . من هذا ؟ قال . رجل حجازى قدم على ! قال : أحضره فأحضره وقال له . أحد مجداً ، ثم قال له . هل تغنى غناء الركبان ؟ قال . نعم . قال . غنه . فتغنى . فقال له . فهل تغنى الغناء المتقن . قال . نعم ، قال . غنه . فتغنى .

فاهتز عبد الملك طرباً . ثم قال له . أقسم إن لك فى القوم لأسماء كثيرة ! من أنت ويلك ! قال له . أنا المظلوم المقبوض ماله المسير عن وطنه سعيد بن مسجح قبض مالى عامل الحجاز ونفانى . فتبسم عبد الملك . ثم قال له . قد وضح عذر فتيان قريش فى أن ينفقوا عليك أموالهم ، وأمنه ووصله ، وكتب إلى عامله برد ماله عليه وألا يعرض له بسوء .

---

(١) الصدغ . مابين العين والأذن . والقرنان . جانبا الرأس ، أو الصدغ . الميل ، ومنه « لأقيمن صدغك » أى ميلك .

النقد الادبى

فى العصر الاموى

— ١ —

علمت ما كان من أمر النقد الأدبى فى العصر الجاهلى وصدر الاسلام أما العصر الأموى فقد كان لأحياء الأدب القديم والاهتمام بالشعر والشعراء أثر بعيد فى النقد الأدبى فى هذا العصر

وكانت مجالس النقد كثيرة متشعبة : فى قصور الخلفاء والأمراء والولاة ، وفى مربد البصرة وكناسة الكوفة ، وفى مجالس الشعراء والرواة ، وقد حفظت مصادر الأدب الكثير من أخبار النقد فى هذا العصر الحافل

وكان الخلفاء أنفسهم يفهمون الشعر وينقدونه ويهتمون بالنقد الأدبى كثيرا وخاصة عبد الملك بن مروان .

ويقول عبد الملك بن مروان :

إذا أردتم الشعر الجيد فعليكم برهط أعشى بكر وبالأوس والخزوج وبهذيل [١]

وكان عبد الملك بن مروان عالما بالشعر ناقدا له وتفيض بذكر أخباره فى ذلك كتب الأدب ، ونقده للشعراء كثير ، كنقده لابن الرقيات [٢] ولكثير [٣]

وفى آخر القرن الأول ازدهر الشعر وتعددت مذاهبه الأدبية واشتدت العصبية وكثر التنافس بين الشعراء كثرة الموازنة بينهم وأحكام النقد الأدبى التى يصدرونها على الشعر والشعراء الجاهليين والاسلاميين ، فقالوا : أشعر العرب

---

(١) ٣/٣٨١ العقد

(٢) ١/٤٠٠ العقد

(٣) ٣/٤٣٨ العقد

امرؤ القيس إذا ركب وزهير إذا رغب والنابغة إذا رهب والأعشى إذا طرب(١) واختلفوا فى الجاهليين فقال الفرزدق امرؤ القيس أشعر الناس وقال جرير : النابغة وقال الأخطل : الأعشى ، وقال ابن مقبل : طرفه ، وقال الكميت : عمرو بن كلثوم وقال أبو عبيدة وأيده صاحب الجمهرة : امرؤ القيس ثم زهير والنابغة والأعشى ولبيد وعمرو وطرفه (٢) ، وكان جرير يشبه الأعشى (٣) ؛ والفرزدق بزهير (٤) ، والأخطل بالنابغة (٥) ، وقال الفرزدق لما سمع ابن أبى ربيعة : هذا الذى كانت الشعراء تطلبه فاخطأته وبكت الديار (٦) ، وورد مثل ذلك عن جرير (٧) وقال جميل لعمر ، والله ما خاطب النساء مثل مخاطبتك أحد (٨) ، وفضل ابن ابى عتيق عمر فقال : أشعر قريش من دق معناه ولطف مدخله وسهل مخرجه ومتن حشوه وتعطفت حواشيه وأنارت معانيه (٩) ؛ وقال ينقده. أنت لم تنسب بالنساء وإنما تنسب بنفسك (١٠) ، وقال نصيب : جميل إما منا وعمر أوصفنا للنساء وكثير أبكانا على الدمن وأمدحنا للملوك (١١) ، وقال ، أما أصدقنا فى شعره فجميل وأما أكذبنا

---

(١) ١١١ حلية الكميب ، وتروى بروايات مختلفة [٥١١ خزانة الادب ، ٥٨ ج ٩ الأغانى ، ٣٨٠ و ٤١٣ ج ٣ العقد ، ١٩٣ حضارة الأسلام فى دار السلام] ؛ وهذه الرواية تروى عن كثير أو نصيب [٧٨ ج ١ العمدة] ، وعن ابن أبى طرفة مع حذف امرىء القيس وزيادة وعنترة إذا كلب [٧٨ ج ١ العمدة] وعن الاصمعى [٣٣ جمهرة أشعار العرب]

(٢) ٤٥ الجمهرة (٣) ١٨٠ الشعر والشعراء

(٤) ١٨٦ المرجع

(٥) ١٨٩ المرجع وراجع ٣٠ طبقات الشعراء لابن سلام

(٦) ٣٤ و ٦٤ ج ١ الأغانى وراجع ١٦ ج ٤ العقد

(٧) ٤٥ ج ١ الأغانى

(٨) ٤٩ و ١٢٩ ج ١ الأغانى (٩) ٤٦ ج ١ الأغانى

(١٠) ٤٦ ج ١ المرجع (١١) ١٢٧ ج ١ الأغانى

فعمر وأما أوصفنا للنساء فكثير [١] ، ونقد قول الكميت « تكامل فيها الدل والشنب » [٢] ، كما نقد كثير عمرا والأحوص ونصيبا [٣] ، وقال كثير فى نسيب جميل : هذا والله هو الشعر المطبوع وما كنت إلا راوية لجميل ولقد أبقى للشعراء مثالا تحتذى عليه [٤] ، ونقد جرير قول الأحوص « يقر بعينى مايقر بعينها » [٥] ، وحسد الفرزدق ليلى الأخيلية على شعرها « ومخرق عنه القميص الخ » [٦] وقال فى جرير : ما أحوجنى مع فسوقى إلى رقه شعره وأحوجه مع عفافه إلى صلابة شعرى [٧] ، ونقد الجعدى [٨] ، وهكذا تناول النقد الشعر ومذاهبه وكثيرا مما يتصل به

ولكن النقد على أى حال لم يكن له مناهج معروفة وكانوا ربما أخطأوا فيه كما أخطأ الفرزدق فى نقد بيت جرير [٩] .

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا

فقال . ولو كان ساكنه قردا ، فقال جرير : لو أردت هذا لقلت « ما كانا » وكان لمربد البصرة مقام كبير فى حركة النقد فى هذه الفترة الحافلة ، وكان مألف الأشراف [١٠] ، ويقول الجارود : عليكم بالمربد فانه يطرد الفكر ويجلو البصر ويجلب الخبر ويجمع بين ربيعة ومضر [١١]

وابتدأ القرن الثانى فازداد النقد فيه دقة وتحليلا وعمقا ، وكان أئمة اللغة

---

(١) ١٤١ ج ٢ المرجع
(٢) ٣٣٥ ج ١ الكامل للمبرد
(٣) ٣٣٢ و ٣٣٣ ج ١ الكامل
(٤) ١٦ ج ٤ العقد
(٥) ١١٣ ج ١ الأغانى
(٦) ١٢١ الكشكول
(٧) ٢٧ الشعر والشعراء ، ١٠٣ ج ٤ زهر
(٨) ٤٣ طبقات الشعراء لابن سلام
(٩) ١٥٥ ج ١ اليتيمة
(١٠) ٢١٠ ج ٢ العقد
(١١) ٢٢٣ ج ١ البيان والتبيين

وشيوخها ينقدون الشعر عن صناعة وتثقيف ويحللون نصوصه من جميع نواحيها طبعا وبنية وتركيبا وفناو أوزانا وقوافى ، ومنهم . أبو عمرو ابن العلاء م ١٥٤ ، وحماد الرواية ١٥٦ ه ، وخلف م ١٨٢ ه ، والمفضل م ١٨٩ ، ويونس ، وأبو عمرو الشيبانى ، وأبو زيد الانصارى م ٢٠٦ ه ، وأبو عبيدة م ٢٠٨ والأصمعى م ٢١٦ ه ، وابن الأعرابى م ٢٣١ ه ، وكانوا جميعا يروون اللغة والغريب والشعر والنسب والأخبار والنوادر مع تفاوت فى الميول [1] والاتجاهات

(١) راجع ٢٢٤ جـ ٣ البيان والتبيين

ألوان من النقد
فى هـــذا العصر

— ١ —

وفد أعرابي من شعراء المجانين على نصر بن سيار بشعر تغزل فيه بمائة بيت ومدحه ببيتين . فقال له نصر . والله ماتركت قافيـة لطيفة ولا معنى إلا شغلت به نسيبك دون مدحك . ثم غدا عليه بعد ذلك بشعر يقول فيه :

هـل تعرف الدار لأم العمر دع ذا وحبر مدحة فى نصر

فقال له نصر : لاذاك ولاذاك (١)

— ٢ —

وسمع عبد الله بن عمر قول الحطيئة .

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خيرنار عنـدها خير موقد

فقال ، ذاك رسول الله إعجابا بالبيت (١)

وكان الناس يستحسنون قول الأعشى

تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق

فلما قال الحطيئة .

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجـد خيرنار عندها خير موقد

سقط بيت الأعشى (٣)

— ٣ —

وقال ابو عمروا بن العلاء :

---

(١) ٢٠٧ جـ ٤ العقد الفريد

(٢) ٣٨٠ جـ ٣ العقد (٣) ٣٦ جـ ٢ البيان

ختم الشعر بذى الرمة وفتح بامرى القيس [١]

وقال الأصمعى : ختم الشعر بالرماح [٢]

وكان ذو الرمه فصيحا بليغا وكان عصمه بن مالك راويته [٣] . والرماح شاعر فصيح مقدم مخضرم من شعراء الدولتين وجعله ابن سلام فى الطبقة السابعة وقرن به عمر بن لجأ والقحيف العقيلى والعجير السلولى [٤] وحدث ابو داود قال : سمعت شيخا عالما من غطفان يقول ان الرماح أشعر غطفان فى الجاهلية والاسلام وكان خيرا لقومه من النابغة لم يمدح غير قريش وقيس ، وبنو ذبيان تزعم أن الرماح آخر الشعراء [٥]

وأنشد أبو حاتم شعرا لقطرى وقال : هذا والله الشعر لا مايتعللون به من شعر المخانيث [٦]

— ٤ —

واجتمع جرير والفرزدق عند الحجاج ، فقال : من مدحنى منكما بشعر يوجز فيه ويحسن صفتى فهذه الخلعة له ، فقال الفرزدق :

فمن يأمن الحجاج – والطير تتقى عقوبته – إلا ضعيف العزائم

فقال جرير :

فمن يأمن الحجاج : أما عقابه فمر ، وأما عقده فوثيق
يسر لك البغضاء كل منافق كما كل ذى دين عليك شفيق

فقال الحجاج للفرزدق : ما عملت سيئا ؛ إن الطير تتقى الصبي والخشبة ، ودفع الخلعة إلى جرير .

---

(١) ٣/٢٥٥ البيان ، ١/١٥١ البيان ايضا .

(٢) ٣/١٩٧ المرجع .

(٣) ١٢٤ ذيل الأمالى

(٤) ٢/٨٦ الأغانى (٥) ٢/٨٨ الأغانى

(٦) ٤/١٦٢ زهر

— ٥ —

واجتمع جرير والفرزدق فى مجلس عبد الملك بن مروان فقال الفرزدق : النوار بنت مجاشع طالق ثلاثا إن لم أقل بيتا لا يستطيع ابن المراغة [1] أن ينقضه أبدا ولا يجد فى الزيادة عليه مذهبا ، فقال عبد الملك . ما هو ؟ فقال .

فانى أنا الموت الذى هو واقع بنفسك ، فانظر كيف أنت مزاوله
وما أحد يابن الأتان بوائل من الموت، إن الموت لاشك نائله [2]

فاطرق جرير قليلا ثم قال . أم حزرة طالق منه ثلاثا إن لم أكن نقضته وزدت عليه ، فقال عبد الملك . هات ، فقد والله طلق أحد كما لا محالة ، فأنشد .

أنا البدر يغشى نور عينيك فالتمس بكفيك يابن القين هل أنت نائله [3]
أنا الدهر يفنى الموت والدهر خالد فجئنى بمثل الدهر شيئا يطاوله

فقال عبد الملك : فضلك والله يا أبا فراس وطلق عليك ، فقال الفرزدق : فما يرى أمير المؤمنين ؟ فقال : وايم الله لا تريم [4] حتى تكتب إلى النوار بطلاقها ، فتأبى ساعة ، فزجره عبد الملك ، فكتب بطلاقها وقال فى ذلك :

ندمت ندامة الكسعى لما غدت منى مطلقة نوار [5]

---

(١) المراغة : لقب أم جرير ، لقبها به الفرزدق ، وهو فى الأصل الأتان .

(٢) وأل يئل : التجأ إلى موضع ونجا .

(٣) القين . الحداد والجمع قيون ، جاء فى الشعر والشعراء فى ترجمة الفرزدق «كان لصعصعة (جد الفرزدق) قيون ، منهم جبير ووقبان وديسم ، فلذلك جعل جرير مجاشعا (قوم الفرزدق) قيونا ، وكان جرير ينسب غالب بن صعصعة (والد الفرزدق) إلى جبير .

(٤) رام المكان ، ورام منه . برحه .

(٥) من أمثال العرب « أندم من الكسعى » وهو غامد بن الحرث الكسعى ، وذلك أنه اتخذ قوسآ وخمسة أسهم ، وقصد إلى مورد حمر وحشية وكمن لهـا ، فمر به قطيع فرمى عيراً منها : فنفذ فيه السهم وجازه وأصاب الجبل وأورى =

وكانت جنتى فخرجت منها   كآدم حين أخرجه الضرار [1]
ولو أنى ملكت يدى ونفسى   لكان إلى للقدر الخيار

— ٦ —

واجتمع جرير والفرزدق والأخطل فى مجلس عبد الملك بن مروان، فأحضر بين يديه كيساً فيه خمسمائة دينار وقال لهم: ليقل كل منكم بيتاً فى مدح نفسه، فأيكم غلب فله الكيس، فبدر الفرزدق فقال.

أنا القطران والشعراء جربى   وفى القطران للجربى شفاء

فقال الأخطل.

فان تك زق زاملة فانى   أنا الطاعون ليس له دواء [2]

فقال جرير:

أنا الموت الذى آتى عليكم   فليس لهارب منى نجاء

فقال عبد الملك خذ الكيس، فلعمرى إن الموت يأتى على كل شىء.

— ٧ —

وأخذوا على الفرزدق قوله:

إذا ألتقت الأبطال أبصرت وجهه   مضيئا، وأعناق الكماة خضوع [3]

فقالوا. أساء القسمة وأخطأ الترتيب، وإنما كان يجب أن يقول. « أبصرته ساميا وأعناق الملوك خضوع، أو. وأبصرت لونه مضيئا وألوان الكماة كاسفة »

= ناراً، فظن أنه قد أخطأه، فرمى ثانيا وثالثاً ورابعاً وخامساً، وهو فى كلها يظن خطأه فعمد إلى قوسه فكسرها، ثم بات فلما أصبح نظر فاذا الحمر مطرحة مصروعة وأسهمه بالدم مضرجة، فندم وقطع إبهامه.

(١) ضاره ضرارا ومضارة: خالفه.

(٢) الزق. السقاء، والزاملة. الدابة التى يحمل عليها من الابل وغيرها.

(٣) الكماة جمع كمى كغنى. وهو الشجاع المتكمى فى سلاحه أي المتغطى به

— ٨ —

وعابوا على الأخطل قوله فى عبد الملك بن مروان .

وقد جعل الله الخلافه منهم لأبيض لاعارى الخوان ولا جدب (١)

فقالوا . لو مدح به حرسيا (٢) لعبد الملك لكان قد قصر به

وقال جرير يهجو الأخطل :

إن الذى حرم المكارم تغلبا جعل الخلافة والنبوة فينا
مضر أبى وأبو الملوك فهل لكم يا آل تغلب من أب كأبينا
هذا ابن عمى فى دمشق خليفة لو شئت ساقكم إلى قطينا (٣)

فلما بلغ عبد الملك بن مروان قول جرير قال : مازاد ابن المراغة على أن جعلنى شرطيا ، أما إنه لو قال . « لو شاء ساقكم إلى قطينا » لسقتهم إليه كما قال .

— ٩ —

وعابوا على الأحوص قوله لعبد الملك

وأراك تفعل ماتقول و بعضهم مذق الحديث يقول مالا يفعل (٤)

فقالوا . إن الملوك لاتمدح بما يلزمها فعله كما تمدح العامة ، وإنما تمدح بالاغراق والتفضيل بما لايتسع غيرهم لبذله

— ١٠ —

ودخل عبيد الله بن قيس الرقيات على عبد الملك بن مروان ، فأنشده قصيدة يمدحه فيها حتى بلغ قوله :

يأتلق التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب (٥)

---

(١) الخوان . مايؤكل عليه الطعام .

(٢) الحرسى . واحد حرس السلطان

(٣) القطين . الخدم والأتباع .

(٤) مذق بمنى ممذوق ، من مذقه كنصر . إذا خلطه .

(٥) ائتلق البرق وتألق . لمع .

فقال له عبد الملك : يابن قيس ، تمدحنى بالتاج كأنى من العجم وتقول فى مصعب بن الزبير :

إنما مصعب شهاب من اللـ ـه تجلت عن وجهه الظلماء (١)

فأعطيته المدح بكشف الغمم ، وجلاء الظلم ، وأعطيتنى من المدح ما لا فخر فيه ، وهو اعتدال التاج فوق جبينى الذى هو كالذهب فى النضارة

قال قدامة بن جعفر فى كتابه « نقد الشعر » : ووجه عتب عبد الملك إنما هو من أجل أن هذا المادح عدل به عن بعض الفضائل النفسية التى هى العقل والعفة والعدل والشجاعة ، إلى ما يليق بأوصاف الجسم فى البهاء والزينة .

— ١١ —

ودخل ذو الرمة على عبد الملك بن مروان فأنشده قصيدة مطلعها .

ما بال عينك منها الدمع ينسكب كأنه من كلى مفرية سرب (٢)

وكان بعين عبد الملك رمش (٣) فهى تدمع أبدا ، فتوهم أنه خاطبه أو عرض به فقال . وما سؤالك عن هذا يا جاهل ؟ فمقته وأمر باخراجه .

— ١٢ —

وأنشد عبد الملك قول نصيب

أهيم بد عدما حييت فان أمت فواحزنا من ذايهيم بها بعدى

فقال بعض من حضر : أساء القول ، أيحزن لمن يهيم بها بعده ؟ فقال عبد الملك الجيد أن يقول:

أهيم بدعد ما حييت فان أمت فلا صلحت دعدلذى خلة بعدى (١)

---

(١) الشهاب . شعلة من نار ساطعة ، والماضى فى الأمر .

(٢) كلى جمع كلية أو كلوة بضم الكاف فيهما ، مفرية . مشقوقة ، من فراه يفريه إذا شقه ، وسرب الماء كفرح . سال ، فهو سرب .

(٣) الرمش تفتل فى الشعر وحمرة فى الجفون مع ماء يسيل

(٤) الخله . الصداقة لا خلل فيها

وقال كثير عزة :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل

فقال بعض الناس : إن كان يحبها فلماذا ينسى ذكرها ؟ ألا قال كما قال مجنون بنى عامر :

فلا خفف الرحمن ما بى من الهوى ولا قطع الرحمن عن حبها حبى

فما سرنى أنى خلى من الهوى ولو أن لى ما بين شرق إلى غرب

وأنشد عدى بن الرقاع الوليد بن عبد الملك قصيدته التى أولها .

عرف الديار توهما فاعتادها من بعد ما شمل البلى أبلادها (١)

وعنده كثير — وقد كان يبلغه عن عدى أنه يطعن على شعره ويقول : هذا شعر حجازى مقرور إذا أصابه قر الشام (٢) جمد وهلك — فأنشده إياها حتى أتى على قوله

وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها (٣)

فقال له كثير : لو كنت مطبوعاً أو فصيحاً أو عالماً لم تأت فيها بميل ولا سناد فتحتاج إلى أن تقومها، ثم أنشد :

نظر المثقف فى كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منآدها (٤)

فقال له كثير : لا جرم (٥) إن الأيام إذا تطاولت عليها عادت عوجاء، ولأن تكون مستقيمة لا تحتاج إلى ثقاف أجود لها ، ثم أنشد :

---

(١) اعتادها . أعاد النظر إليها مرة بعد أخرى لدروسها ، حتى عرفها ، وأبلاد جمع بلد بالتحريك وهو الأثر .

(٢) القر البرد . (٣) السناد عيب من عيوب القافية .

(٤) الثقاف . ما تعدل به الرماح ، وثقف الرمح . عدله ، والكعوب جمع كعب وهو ما بين الأنبوبين من القصب ، والمنآد . المعوج .

(٥) لا جرم ، قال الفراء . هى كلمة كانت فى الأصل بمنزلة لابد ، ولا محالة فجرت على ذلك وكثرت حتى تحولت إلى معنى القسم وصارت بمنزلته حقاً .

وعلمت حتى ما أسائل واحدا عن علم واحدة لكى أزدادها

فقال كثير : كذبت ورب البيت الحرام ، فليمتحنك أمير المؤمنين بان يسالك عن صغار الأمور دون كبارها حتى يتبين جهلك ، وما كنت قط أحمق منك الآن حيث تظن هذا بنفسك ، فضحك الوليد ومن حضر ، وقطع بعدى ابن الرقاع حتى ما نطق .

وقال رجل كان يديم الأسفار ، سافرت مرة إلى الشام على طريق البر ، فجعلت أتمثل بقول القطامى .

قد يدرك المتأنى بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

ومعى أعرابى قد استاجرت منه مركبى ، فقال ، ما زاد قائل هذا الشعر على أن ثبط الناس عن الحزم ، فهلا قال بعد قوله هذا .

وربما ضر بعض الناس بطؤهم وكان خيراً لهم لو أنهم عجلوا(١)

والقطامى أخذ معنى بيته هذا من قول عدى بن زيد العبادى .

قد يدرك المبطىء من حظـــه والخير قد يسبق جهـد الحريص

وعدى نظر إلى قول جمانة الجعفى .

مستعجل والمكث أدنى لرشده ولم يدر فى استعجاله مايبادر

— ١٣ —

وأخذوا على الكميت قوله يمدح النبى صلى الله عليه وسلم .

إلى السراج المنير أحمـــد ، لا تعـدل بى رغبة ولا رهب

عنه إلى غـــيره ، ولو رفع النــــاس إلى العيون وارتقبوا

وقيل أفرطت ، بل قصدت ولو عنفنى القـــائلون أو ثلبوا (٢)

---

(١) وروى .

وربمـــا فات قوما جل أمرهم من التأنى وكان الحزم لو عجلوا

(٢) ثلبه كضربه : صرح بالعيب فيه وتنقصه .

إليك يا خير من تضمنت الـ أرض ولو عاب قولى العيب (١)
لج بتفضيلك اللسان ولو أكثر فيك الضجاج والصخب (٢)

فقالوا ، من هذا الذى يقول له فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم أفرطت أو يعنفه أو يثلبه أو يعيبه حتى يكثر عليه فيه الضجاج والصخب ؟ وهو كله خطأ منه وجهل بموقع المدح ، وهذا لو كان قاله بين المشركين وفى صدر الاسلام لعل العذر كان يتسع له فيه .

وقد اعتذر له معتذر واحتج محتج بأن قال : لم يرد النبى صلى الله عليه وسلم خاصة بهذا الخطاب . وإنما أراد اهل بيته ، لأنه قال فيهم من الشعر ماقال ولأن بنى أمية كانت تعنف من يمدحهم وتنكر أشد الإنكار على من يغرق فى وصفهم والثناء عليهم .

. .

« ويقال إن أهجى بيت قاله شاعر قول الأخطل فى بنى يربوع رهط جرير .

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأمهم بولى على النار

لأنه قد جمع فيه ضروباً من الهجاء ، فنسبهم إلى البخل بوقود النيران لئلا يهتدى بها الضيفان ، ثم البخل بايقادها إلى السائرين والسابلة ، ورماهم بالبخل بالحطب ، وأخبر عن قلتها ، وان بولة تطفئها ، وجعلها بولة عجوز وهى أقل من بولة الشابة ، ووصفهم بامتهان أمهم وابتذالها فى مثل هذا الحال ، يدل بذلك على العقوق والاستخفاف ، وعلى أن لاخادم لهم ، وأخبر فى أضعاف ذلك ببخلهم بالماء .

(١) العيب جمع عيوب كصبور .
(٢) ضاجه مضاجة وضجاجا بالكسر : جادله وشاره وشاغبه ، والاسم الضجاج بالفتح .

وقال الأصمعى : اغزل بيت قول امرىء القيس :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربى بسهميك فى أعشار قلب مقتل (١)

وحكى عن الوليد بن يزيد بن عبد الملك أنه قال : لم تقل العرب بيتا أغزل من قول جميل بن معمر .

لكل حديث بينهن بشاشة وكل قتيل عندهن شهيد

وفضلته بهذا البيت سكينة بنت الحسين بن على رضوان الله عليهم ، وأثابته به دون جماعة من حضر من الشعراء (٢) ،

وقال بعضهم . الأحوص من أغزل الناس بقوله .

إذا قلت إنى مشتف بلقائها وحم التلاقى بيننا زادنى سقما (٣)

وقال غيره . بل جميل بقوله .

يموت الهوى منى إذا ما لقيتها ويحيا إذا فارقتها فيعود

وقال آخر : بل جرير بقوله

فلما التقى الحيان ألقيت بالعصا ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

والأحوص عندهم أغزلهم فى هذه الأبيات الثلاثة لزيادته سقما إذا التقى بالمحبوب

وقال الحاتمى : أغزل ما قالته العرب قول أبى صخر الهذلى :

فياحبها زدنى جوى كل ليلة ويا سلوة الأيام موعدك الحشر

— ١٥ —

وقال عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده : إذا رويتهم شعراً فلا تروهم إلا مثل قول العجير السلولى :

---

(١) ذرفت العين: سال دمعها، بسهميك. مستعار لعينيها، ويقال قلب أعشار، وقدر أعشار: أى مكسرة عشرة جمع عشر بالكسر وهو القطعة التى تنكسر منها، أراد أن قلبه كسر ثم شعب كما تشعب القدر ، وهناك معنى آخر ، وهو : أنه أراد بسهميها هنا سهمى قداح الميسر وهما المعلى والرقيب ، فالمعلى سبعة أنصباء ، وللرقيب ثلاثة ، فاذا فاز الرجل بهما غلب على جزور الميسر كلها وأعشار على هذا جمع عشر بالضم . والمقتل : المذلل غاية التذليل

(٢) انظر الخبر فى الأغانى ج ١٤ ص ١٦٦ (٣) حم: قدر

يبين الجار حين يبين عنى ... ولم تأنس إلى كلاب جارى
وتظعن جارتى من جنب بيتى ... ولم تستر بستر من جدارى
وتأمن أن أطالع حين آتى ... عليها وهى واضعة الخمار
كذلك هدى آبائى قديما ... توارثه النجار عن النجار

— ١٦ —

وقال يوما فى مجمع من الشعراء . يامعشر الشعراء ، تشبهوننا بالأسد الأبخر ، والجبل الوعر ، والملح الأجاج ، ألا قلتم كما قال كعب الأشقرى .

فقل للجيم يالبكر بن وائل ... مقالة من يلحى أخاه ومن يزرى
فلو كنتم حيا صميما نفيتم ... بخيلكم بالرغم منه وبالصغر
ولكنكم ياآل بكر بن وائل ... يسودكم من كان فى المال ذا وفر
هو المانع الكلب النباح ، وضيفه ... خميص الحشا يرعى النجوم التى تسرى

— ١٧ —

وكان عبد الملك إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفا على رأسه ينشده .

إنا إذا مالت دواعى الهوى ... وأنصت السامع للقائل
وأصطرع القوم بألبابهم ... نقضى بحكم عادل فاصل
لانجعل الباطل حقا ولا ... نلظ دون الحق بالباطل (١)
نخاف أن تسفه أحلامنا ... فنخمل الدهر مع الخامل

— ١٨ —

وكان يتمثل فى الحروب عند كل لقاء بقول شبيب بن البرصاء .

دعانى حصن للفرار فساءنى ... مواطن أن يثنى على فاشتما

---

(١) نلظ : نلح ونجمد ونتشدد .

فقلت لحصن نح [١] نفسك إنما يذود الفتى عن حوضه أن يهدما
تأخرت أستبق الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما
سيكفيك أطراف الأسنة فارس إذا ريع نادى بالجوار وبالحمى
إذا المرء لم يغش المكاره أوشكت حبال الهوينى بالفتى أن تجذما [٢]

— ١٩ —

ولما لاذت به زوجه عاتكة بنت يزيد حين خرج لحرب مصعب تريد منعه فأبى فبكت وبكت معها جواريها، جلس وقال: قاتل الله كثيرا، والله لكأنه يرانى ويراك يا عاتكة حيث يقول.

إذا ما أراد الغزو لم تثن همه حصان عليها عقد در يزينها [٣]
نهته فلما لم تر النهى عاقه بكت فبكى مما شجاها قطينها [٤]

ثم نهض، فكان فى خروجه قتل مصعب

وعيب على أبى محجن الثقفى قوله فى وصف قينة [٥]

وترفع الصوت أحيانا وتخفضه
كما يطن ذباب الروضة الغرد [٦]

— ٢٠ —

وقال عبد الملك بن مروان: ماهجانى أحد بأوجع من بيت هجانى به الزبيرو هو

فان تصبك من الأيام جائحة لم نبك منك على دنيا ولادين

وقال بلال بن جرير: سألت أبى أى شىء هجيت به أشد عليك قال قول البعيث

---

(١) نح: أبعد.
(٢) تجذم. أصله تتجذم. أى تنقطع.
(٣) الحصان: العفيفة.
(٤) القطين. الخدم، من قطنه بمعنى خدمه.
(٥) الجارية المغنية
(٦) ذباب الروضة هو النحل

وكل كليبي صحيفة وجهـــه   أذل لأقدام الرجال من النعل

— ٢١ —

وقدم عمر بن أبي ربيعة المدينة فأقبل إليه الأحوص ونصيب ، فجعلوا يتحدثون ثم سألها عمر عن كثير عزة فقالا : هو ههنا قريب ، فقاموا نحوه فألفوه جالسا فى خيمة له ؛ فتحدثوا مليا وأفاضوا فى ذكر الشعراء ، فاقبل كثير على عمر فقال له إنك لشاعر لولا أنك تشبب بالمرأة ثم تدعها وتشبب بنفسك ، أخبرنى ياهـذا عن قولك .

ثم اسبطرت تشتد فى أثرى   تسال أهل الطواف عن عمر [1]

أتراك لو وصفت بهذا هرة أهلك ألم تكن قد قبحت وأسات وقلت الهجر [2] ؟ إنما توصف الحرة بالحياء والاباء والبخل والامتناع ، ألا قلت كما قال هذا يعنى الأحوص .

أدور ولولا أن أرى أم جعفر   بأبياتـكم مادرت حيث أدور
وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى   وإن لم يزر لابد أن سيزور
لقد منعت معروفها أم جعفر   وإنى إلى معروفها لفقـــير

فانكسرت نخوة عمر بن أبي ربيعة ، ودخلت الأحوص أبهة وعرفت الخيلاء فيه ، فلما استبان كثير ذلك فيه ، قال : أبطل آخرك أولك ، أخبرنى عن قولك .

فان تصلى أصلك وإن تبينى   بهجر بعد وصلك لاأبالى

أما والله لو كنت حرا لباليت ولو كسر أنفك ، ألا قلت كما قال هذا الأسود وأشار إلى نصيب .

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب   وقل إن تملينا فما ملك القلب

فانكسر الأحوص ودخلت نصيبا زهوة ، فلما نظر أن الكبرياء قد دخلته التفت إليه وقال . وأنت يابن السوداء أخبرنى عن قولك .

---

(١) اسبطرت . أسرعت ، تشتد . تعدو .

(٢) الهجر : القبيح من الكلام .

أهيم بدعد ماحييت فان أمت　　فواكبدى من ذا يهيم بها بعدى

أهمك — ويحك — من يهيم بها بعدك ؟ فلما أمسك كثير اقبل عليه عمر، فقال له : قد أنصتنا لك فاسمع ، أخبرنى عن تخيرك لنفسك وتخيرك لمن تحب حيث تقول .

ألا ليتنا ياعز من غير ريبة　　بعيران نرعى فى الخلاء ونعزب(١)
كلانا به عر فمن يرنا يقل　　على حسنها جرباءتعدى وأجرب(٢)
إذا ماوردنا منهلا صاح أهله　　علينا فما ننفك نرمى ونضرب
وددت (وبيت الله) أنك بكرة　　هجان وأنى مصعب ثم نهرب(٣)
نكون بعيرى ذى غنى فيضيعنا　　فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

فقد تمنيت لها ولنفسك الرق والجرب والرمى والطرد والمسخ ، فأى مكروه لم تمن لها ولنفسك ؟ لقد اصابها منك قول القائل « معاداة عاقل خير من مودة أحمق » فجعل يختلج جسده كله ، وقام القوم يضحكون .

∴

أما الموازنات الأدبية فقد سبق ذكر الكثير منها مما وقع بين الشعراء وفى مجالس الخلفاء وستأتى موازنات كثيرة بين شعراء الغزل وبين الفرزدق وجرير والأخطل

ومن أشهر الأدباء النقاد فى هذا العصر :سكينة بنت الحسين ، وعبد الملك بن مروان ، ولهما مجالس كثيرة فى النقد وتفضيل الشعراء .

وسنفرد عبد الملك بالتأليف فى كتاب مستقل سيصدر قريبا ان شاء الله

---

(١) نعزب : نبعد فى المراعى .

(٢) العر بالفتح والضم : الجرب ، وداء يتمعط منه وبر الابل .

(٣) البكر : الناقة الفتية ، وناقة هجان : بيضاء كريمة ، والمصعب . الفحل الذى يترك فلا يركب

شعراء الحماسة

الأمويون

قعنب — حريث النبهانى — شعيث جواس — عبد الرحمن بن الحكم — زياد الأعجم - ليلى الأخيلية — الحزين- أعشى بن أبى ربيعة - الكميت - الأخطل طخيم الأسدى — ابو عطـــاء السندى — سعـــد بن ناشب — قطرى ابن الفجاءه — سوار بن المضرب السعدى — زفر بن الحارث الكلابى « تابعى » - القتال الكلابى - الأحوص - الطرماح - زيادة الحارثى - حريث بن عناب النبهانى - عويف القوافى الفزارى - بشير بن المغيرة - أبو صخر الهذلى - أرطاة بن سهية - عقيل بن علفة المرى - ابو الأبيض العبسى - هدبة بن الخشرم - قوال الطائى - وضاح اليمن - الفرزدق - العديل العجلى - محمد بن بشير - الشمردل - أرطاة بن سهية - العجير السلولى - عبد الله بن الزبير — منقذ الهلالى - الأبيرد - شبيب بن البرصاء - عبد الله بن همام السلولى - المقنع الكندى - عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر - المتوكل الليثى - يزيد بن الحكم - الصلتان العبدى - الصمة بن عبد الله - ابن الدمينة الخثعمى - ابن أذينة - العرجى - ابن المسور - عمر بن ابى ربيعة - الحارث المخزومى — كثير — نصيب — الحكم الخضرى - ابو جميل راوية هدبة وروى كثير لجميل - عملس - زميل — منقذ الهلالى - ابو الغول الطهوى - مضرس بن ربعى - طريح

أوائل الكتب المؤلفة فى الشعر والشعراء

ولقد عنى العلماء منذ مطلع القرن الثالث الهجرى بالتأليف فى الشعر والشعراء، وأخرجوا فى ذلك الكثير من المؤلفات، فقد ألف فى الشعر والشعراء، وطبقاتهم وفى دراسات أشعارهم كثير من العلماء الذين أخرجوا أنفس المؤلفات فى هذه الناحية، ويمكننا أن نعرض عليك أسماء هذه المؤلفات الان التى لم يحاول أحد معرفتها أو الإلمام بها من قبل وها هى ذى :

١ — كتاب الأربعة فى أخبار الشعراء، وكتاب صناعة الشعر لأبى هفان المهزمى م ١٩٥ ﻫ (١) .

٢ — كتاب الشعر والشعراء لأبى دعامة العبسى أحد من انقطع إلى البرامكة (٢) .

٣ — كتاب الشعر والشعراء لأبى عبيدة م ٢٠٩ ﻫ (٣) .

٤ — طبقات الشعراء لأبى المنعم (٤) .

٥ — كتاب الشعراء لعبيد الله بن أبى سعيد الوراق (٤) .

٦ — كتاب الشعر للأصمعى م ٢١٦ ﻫ (٥)، وله كتاب معانى الشعر ٦، ولابن أخته عبد الرحمن كتاب معانى الشعر (٧)، وللمفضل كتاب معانى الشعر (٨)، وكذلك لابن كناسة م ٢٠٧ ﻫ (٩)، وابن الأعرابى م ٢٣١ ﻫ (١٠)، والاشناندانى م ٢٥٧ ﻫ (١١)،

---

(١) ٢٠٧ فهرست، ٢٨٨ / ٤ معجم الأدباء .

(٢) ٧١ فهرست . (٣) ٧٩ فهرست .

(٤) ١٥٨ فهرست . (٥) ٢٢١ الوسيط .

(٦) ٨٢ فهرست (٧) ٨٣ فهرست (٨) ١٠٢ فهرست :

(٩) ١٠٥ فهرست : (١٠) ١٠٣ فهرست .

(١١) ٨٩ و ١٢٣ فهرست :

وكذلك ابن السكيت (١) م ٢٤٤ هـ ، وابن قتيبة [١١٥ فهرست] :

٧ — أخبار الشعراء للمدائنى م ٢٢٥ هـ (٢) .

٨ — طبقات الشعراء الجاهليين ، وطبقات الشعراء الاسلاميين لمحمد بن سلام الجمحى م ٢٣١ هـ (٣) :

٩ - طبقات الشعراء لاسماعيل بن يحي بن المبارك اليزيدى (٤) .

١٠ - كتاب طبقات الشعراء وكتاب ألقاب الشعراء لأبى حسان الزيادى م ٢٤٣ هـ (٥) :

١١ - كتاب الشعراء وأنسابهم وكتاب الشعراء وطبقاتهم لأبى جعفر محمد بن حبيب م ٢٤٥ هـ (٦) .

١٢ - طبقات الشعراء لدعبل م ٢٤٦ هـ (٧) .

١٣ - الشعر والشعراء لمحمد بن عبد الله الخثعمى (٨) ، وهو شاعر عاصر البحترى ، وله كتاب أدب الشعر (٩) .

١٤ - كتاب الشعراء للقاسم بن سلام (١٠) .

١٥ - عد رسائل فى أخبار الشعراء للزبير بن بكار م ٢٥٦ هـ (١١) .

---

(١) ١٠٨ فهرست (٢) ٣١٦ ج ٥ معجم الأدباء

(٣) راجع ٦٥ فهرست .

(٤) ٧٦ فهرست ، ووالده يحي م ٢٠٢ هـ وأستاذ المأمون .

(٥) ١٦٠ فهرست ، ١٤٥ ج ٣ معجم الأدباء .

(٦) ١٥٥ فهرست ، ٤٧٦ ج ٦ معجم الأدباء . وله كتاب معانى جرير [١٥٩ فهرست] (٧) ٢٢٨ فهرست ، ١٩٧ ج ٤ معجم الأدباء .

(٨) ١٥٩ فهرست . (٩) ٢٤٣ فهرست .

(١٠) ١٠٦ فهرست .

(١١) ١٦١ فهرست ، وميلاد الزبير عام ٢١٨ هـ .

١٦ — عدة رسائل فى الشعر والشعراء لحماد بن إسحاق الموصلى و[١].

١٧ — كتاب الشعر والشعراء لابن المرزبان [٢].

١٨ — كتاب الشعر والشعراء وكتاب طبقات الشعراء، وكتاب الاغانى لعمر ابن شبة (١٧٢ — ٢٦٢ هـ [٣])

١٩ — كتاب الشعر والشعراء لأبى جعفر محمد بن أحمد البرقى م ٢٧٤ هـ [٤]

٢٠ - كتاب الشعر والشعراء لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (٢١٣ - ٢٧٦ هـ [٥])

٢١ - كتاب أخبار الشعراء لابن أبى خيثمة م ٢٧٩ هـ [٦].

٢٢ - كتاب الشعراء القدماء والاســـلامية لأبى الحسن على بن يحيى المنجم ٢٧٥ هـ [٧]

٢٣ - أخبار الشعراء لمحمد بن يحيى بن أبى منصور المنجم [٨] وهو أخو علي ابن يحيى المنجم .

٢٤ - الجامع فى الشعر وأخبارهم لأحمد بن أبى طاهر طيفور (٢٠٤ - ٢٨٠ هـ [٩])

٢٥ - الشعر والشعراء لأبى حنيفة الدينورى م ٢٨٢ هـ [١٠]

٢٦ - الروضة ، والكامل ؛ وقواعد الشعر : والبلاغة ، للمبرد (٢١٠ - ٢٨٥ هـ [١١])

---

(١) ٢٠٤ فهرست . (٢) ٢١٤ فهرست .

(٣) ١٦٣ فهرست ، ٤/١٩٤ معجم الأدباء .

(٤) ٢/٣١ معجم الأدباء (٥) ١١٦ فهرست . (٦) ٣٢١ فهرست .

(٧) ٢٠٥ فهرست ؛ ٤٥٩ جـ ٥ معجم الادباء ٥١ جـ ٢ وفيات .

(٨) ٢٠٥ فهرست . (٩) ٢١٠ فهرست ١/١٥٥ معجم الأدباء

(١٠) ١١٦ فهرست ، ١٢٧ جـ ١ معجم الأدباء

(١١) ٨٨ فهرست ، وقد جمع فى الروضة أشعارا للمحدثين من أبى نواس إلى من عاصرهم المبرد [راجع ١٢٢ المثل السائر] ، وينقد صاحب العقد اختياراته فى هذا الكتاب [١٤١ جـ ٤ العقد] .

٢٧ - معانى الشعر: للبحترى م ٢٨٤ ﻫ، والثعلب م ٢٩١ ﻫ. ولثعلب « قواعد الشعر » أيضا [١].

٢٨ - كتاب البارع وهو اختيار شعر المحـــدثين، وكتاب اختيار الشعراء الكبير لأبى عبد الله هارون بن على المنجم (٢٥١ - ٢٨٨ ﻫ [٢])

٢٩ - طبقات الشعراء لابن نجيم [٣].

٣٠ - الشعر والشعراء لعلى بن مرثد [٤]

٣١ - الشعر والشعراء لمحمد بن احمـــد بن الحرون، وله كتاب المطابق والتجنيس أيضا [٥]

٣٢ طبقات الشعراء المحدثين وكتاب أشعار الملوك لابن المعتز م ٢٩٦ ﻫ [٦] وله رسالة فى نقد أبى تمام [٧]

٣٣ — الشعر والشعراء وكتاب الأربعة وكتاب الورقة وكتاب من سمى من الشعراء عمرا، لأبى عبد الله محمد بن داود بن الجراح (٢٤٣ — ٢٩٦ ﻫ [٨]).

---

(١) ١٠ و ١١ فهرست.

(٢) ٢٠٦ فهـــرست، ٤٨٥ معجم الشعراء، ٢٣٥ ج ٦ معجم الأدباء، ١/١٣١ وفيات.

(٣) ص ١ طبقات ابن المعتز

(٤) ٧١ فهرست.

(٥) ٢/٢١٢ فهرست، ٢٧٩ ج ٦ معجم الأدباء

(٦) ١٦٩ فهرست و ٢٢١ ج ٣ شذرات، ٤٦٢ ج ١ وفيات.

(٧) ٣٠٧ - ٣١٩ الموشح، ولقدامة كتاب الرد على ابن المعتز فيما خطأ فيه أبا تمام [٢٠٤ ج ٦ معجم الأدباء]

(٨) ١٨٦ فهرست، وورد اسم كتاب الورقة فى الموازنة للآمدى كثيرا [٥ و٨ و ٦١] وكان ابن داود من علماء الكتاب فاضلا عارفا بالأيام والأخبار [٢٥٥ ج ٥ تاريخ بغداد، ١٨٥ فهرست]، ووالده صاحب الزمام فى عهد المتوكل [٤٣ ج ١ الفرج بعد الشدة]

٣٤ — كتاب الباهر فى أخبار شعراء مخضرمى الدولتين ليحيي بن على المنجم [٢٤١ - ٣٠٠ هـ (١)] ، ولابنه أحمد ذيل عليه (٢) .

٣٥ — كتاب الإشـــارة فى أخبار الشعراء لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر [٢٢٢ — ٣٠٠ هـ (٣)] .

٣٦ طبقات الشعراء الجاهليين لأبى خليفة الفضل بن الحباب الجمحى م ٣٠٥ هـ (٤)

٣٧ — مناقضات الشعراء لابن بسام م ٣٠٢ هـ (٥) .

٣٨ — الشعر والشعراء وكتاب عيار الشعر لابن طباطبا العلوى م ٣٢٢ هـ (٦) .

٣٩ — كتاب صناعة الشعر الأدب لأبى زيد البلخى م ٣٢٢ هـ (٧)

٤٠ — الشعر والشعراء لابن السراج م ٣١٦ هـ (٨) .

٤١ — الباهر فى الاختيار من أشعار المحدثين عارض به روضة المبرد ، والشعر والشعراء (لم يتم) ، ومحاسن أشعار المحدثين لجعفر بن حمدان الموصلى (٢٤٠ - ٣٢٣ هـ (٩))

٤٢ — أخطاء أبى تمام لأبى العباس الثقفى أحمد بن عبيد الله بن عمـار القطربلى الـكاتب المعروف بالفريد ، أبان فيه أخطاء أبى تمام وما فى شعره من هجين اللفظ وبعيد الاستعارة (١٠) ، ونقده الآمدى (١١) فى كتاب مستقل (١٢) ألحقه بالموازنة ، وتوفى ابن عمـار عام ٣١٤ هـ (١٣)

(١) ٢٠٦ فهرست ، ٢٨٨ جـ ٧ معجم الأدباء ، ٢٠٨ جـ ٣ وفيات .
(٢) ٢٠٦ فهرست . (٣) ١٧٠ فهرست .
(٤) ١٦٥ فهرست . (٥) ٢١٤ فهرست ، ٤٥ جـ ٢ وفيات .
(٦) ١٩٦ فهرست . وللآمدى م ٣٧١ هـ كتاب ما فى عيار الشعر لابن طباطبا من الخطا وكتاب تبيين غلط قدامـــة فى نقـــد الشعر [٥٨ جـ ٣ معجم الأدباء] . (٧) ١٩٨ فهرست (٨) ٩٣ فهرست
(٩) ٢١٣ فهرست ، ٤١٩ جـ ٢ معجم الأدباء (١٠) ٦٢ الموازنة
(١١) ٦٢ — ٦٩ من الموازنة
(١٢) ٥٨ جـ ٣ معجم الأدباء ، ١٢٥ الموازنة ، ٢٢١ فهرست
(١٣) راجع ترجمته فى ٢٥٢ — ٢٥٣ جـ ٤ تاريخ بغداد

٤٣ — كتاب طبقات الشعراء بالأندلس لعثمان بن ربيعة الأندلسى ذكره الحميدى قريبا من سنة ٣١٠ ﻫ (١).

وسوى ذلك من شتى المؤلفات فى هذا الباب.

دواوين الشعراء

ولشعراء صدر الاسلام وعصر بنى أمية دواوين كثيرة مطبوعة، ومنها دواوين طبعت عدة مرات.

وسأذكر هنا الطبعات القديمة لبعض هذه الدواوين.

فنها ديوان للامام على بن أبى طالب وقد طبع مراراً وهو مرتب على حروف المعجم وطبع ببولاق عام ١٢٥١ ﻫ

وديوان أبى محجن الثقفى الصحابى وشرحه لأبى هلال الحسن بن سهل وقد طبع فى مدينة ليدن سنة ١٣٠٣ للهجرة من ضمن المجموعة المسماة بالطرف العربية وديوان مختارات شعراء العرب وبه خمسون قصيدة وهو مطبوع بمطبعة أبى زيد بمصر سنة ١٣٠٦ وديوان عمر بن أبى ربيعه المتوفى سنة ٩٣ وجميع شعره فى النسيب ولم يمدح أحدا ولذا قال له سليمان بن عبد الملك لم لا تمدحنا فقال انما أمدح النساء لا الرجال وقد طبع هذا الديوان بمصر سنة ١١٣١. وديوان الفرزدق المتوفى بالبصرة سنة ١١٠ بعد أن عاش نحو مائه سنة وقد تم طبعه بمدينة باريس سنة ١٨٧٥ الميلاد وطبع بمصر عدة طبعات. وديوان جرير المتوفى سنة ١١١ باليمامة وقد طبع بمصر. وديوان مجنون ليلى وهو شاعر إسلامى وقد طبع سنة ١٢٩٤ بمطبعة بولاق. وديوان ذى الرمة المتوفى سنة ١١٧ للهجرة. وديوان العجاج وديوان ابنه رؤبة المتوفى سنة ١٤٥ وليس فيهما الا اراجيز. والمفضليات وهى أشعار مختارة جمعها للمهدى المفضل الضبى وقد طبعت بمدينة ليبسيك طنة ١٨٨٥ للميلاد:

---

(١) ٨ ج ٢ كشف الظنون

وديوان الحماسة وهو ديوان جمع فيه أبو تمام ما اختاره من أشعار العرب ورتبه على عشرة أبواب: الحماسة والمراثى والادب والنسيب والهجاء والاضافات والصفات والسير والملح ومذمة النساء وهو مطبوع مع شرحه لأبى زكريا يحي الشهير بالخطيب التبريزى سنة ١٢٩٦ بمطبعة بولاق فى سفرين وطبع عدة طبعات أخرى وطبع مختصر له مع شرح مناسب

بعض أشهر كتب الادب والتراجم

الأغانى لأبى الفرج ٣٥٦ ه‍ — حماسة ابى تمام ٢٣١ ه‍

شعراء النصرانية وهو قسمان كل قسم أجزاء جاهلى وأسلامى .

مراتب النحويين لابى الطيب اللغوى ٣٥١ ه‍ مخطوط بمكتبه تيمور باشا

نزهة الالبا فى طبقات الأدباالانبارى م ٥٧٧ ه‍. الصلة لابن بشكوال م ٥٧٨

دمية القصر للباخرزى م ٤٦٧ ه‍

خريدة القصر لعماد الدين الاصفهانى م ٥٩٦ ه‍

تاريخ بغداد ١٤ مجلدا للخطيب البغدادى م ٤٦٣ ه‍

اللالى فى شرح أمالى القالى للبكرى م ٤٨٧ ه‍

قلائد العقيان لابن خاقان م ٥٣٥ ه‍

تاريخ دمشق لابن عساكر منه سبع وثلاثون مجلد بدار الكتب مخطوطة

معجم الأدباء لياقوت م ٦٢٦ ه‍ عشرون جزاء

شرح مقامات الحريرى للشريشى م ٦٠٩ ه‍

أخبار العلماء باخبار الحكماء للقفطى م ٦٤٦ ه‍

اللباب فى معرفة الأنساب لابن الاثيرم ٦٢٠ صاحب الكامل فى التاريخ

تهذيب الاسماء واللغات للنووى م ٦٧٦ ه‍

خلاصة اسماء رجال الحديث للخزرجى من علماء القرن العاشر

وفيات الأعيان لابن خلكان م ٦٨١ ه‍

الوافى بالوفيات للصفدى م ٧٦٤ ه‍

سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون لجمال الدين بن نباته المصرى م ٧٦٨ ه‍

الطبقات الكبرى للشافعية لابن السبكى م ٧٩٩ ﻫ

الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة للعسقلانى م ٨٥٢ ﻫ

الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع للسخاوى من علماء القرن التاسع

حياه الحيوان للدميرى م ٨٠٨ ﻫ

خزانة الأدب للبغدادى م ١٠٩٣ ﻫ تلميذ الشهاب الخفاجى م ١٠٦٩

معاهد التنصيص للعباسى م ٩٦٠

نفح الطيب للمقرى م بعد ١٠٤١ ﻫ

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد سنة ١٠٨٩

خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر للمحبي م ١١١٢ ﻫ

خبايا الزوايا للشهاب الخفاجى م ١٠٦٩ ﻫ

سلافة العصر لابن معصوم م ١١٠٤ ﻫ

طبقات الصحابة ـ أسد الغابة ـ لابن الأثير

ومن الكتب الحديثة عن الشعراء ومختارات شعرهم :

مختارات البارودى الشاعر الكبير

كتاب شعراء النصرانية جمعه وصححه الاب لويس شيخو اليسوعى . اربعة اقسام فى شعراء الجاهلية مطبوع فى بيروت سنة ١٨٩٠ للميلاد . وقد جمع السيد توفيق البكرى كتابا جليلا فى المختار من اراجيز العرب مفسر اللغريب وشارحا للمعانى ومبيناً للمقاصد طبعه سنة ١٣١٣ للهجرة : وقد صنف ايضا كتابا نافعا سماه فحول البلاغة قال فى أوله: « هذا سفر وضعناه فى المختار من شعر ثمانية من فحول الشعراء وأئمه البلاغة وامراء الكلام وهم مسلم بن الوليد صريع الغوانى وابو نواس الحسن بن هانىء وأبو تمام حبيب بن أوس الطائى وأبو عبادة البحترى وابن الرومى على بن عباس وابن المعتز وابو الطيب احمد المتنبي وابو العلاء المعرى » وقد طبعه بالمطبعة الأميرية سنة ١٣٠٣ للهجرة

الرجز فى العصر الاموى

١ — كان الشعر الجاهلى قبل أن ينتقل إلى النهضة الفنية الواسعة على يد مهلهل وامرىء القيس كان كله رجزا ، ينطق الشاعر بالبيت أو البيتين فيما يعرض له من شئون الحـــياه ، كالأبيات التى تؤثر عن د.يد بن زيد والعنبر بن عمرو بن تميم وأعصر بن سعد والمتوعر بن ربيعه وسواهم [1]

ولكن هذا الرجز كان خاليا من آثارالتهذيب ، وخمل شأنه ببدء النهضة الفنية فى الشعر على يد امرىء القيس وسواه

٢ — ثم جاء الأغلب العجلى ، فاتخذالرجز صناعةفنية ونظم وأجاد فيه فكان الأغلب أول من طول شعر الرجز ,ويرى بعض النقاد كالجمحى وغيره أنه أول من رجز ، وينفى ذلك ابن رشيق لأن الأغلب أدرك عصر الرسول (ص) وليس بقديم جدا مع ان الرجز كان قبله . ويذكر أبو عبيدة أن العجاج هو أول من أطال الرجزوقصده وشبب فيه وذكر الدياروا ستوقف الصحاب عليها واستوصف مافيها وبكى على الشباب ووصف الراحلة ، كما فعلت الشعراء بالقصيدة فكان فى الرجاز كامرىء القيس فى الشعراء وارجوزته « قد جبر الدين الاله فجبر » نحو من مائةبيت وهى موقوفة مقيدة [2] ، ويؤيد ابن قتيبة أن الأغلب هو أول من أطال الرجز [3] وهو الصحيح . وأما العجاج فقد انتقل بالرجز خطوة جديدة فسار فيه على نهج الشعراء فى القصيدة

٣ — واشتهر بعد الأغلب من الرجاز : العجاج وابنه رؤبه ، وأبو نخيله ، وأبو النجم ، ودكين ، والأغلب

***

(١) ٢٩٤ و ٢٩٥ ج ٢ المزهر ، ١٨ — ٢١ طبقات الشعراء .

(٢) راجع فى ذلك كله ص ٢/٢٠١ المزهر ، ٢٤٥ وما بعدها طبقات الشعراء

(٣) ٢٢٥ الشعر والشعراء

ومن الرجازين فى العصر الأموى : العجاج ، ورؤبة م ١٤٥ ﻫ ؛ وأبو النجم العجلى وكان بالكوفة وراجز العجاج وأرجوزته « الحمد لله الوهوب المجزل » أجود أرجوزة للعرب كما يقول ابن قتيبة [1] ومدح هشام بن عبد الملك ، وتوفى عام ١٣٠ ﻫ

ومن الرجاز : دكين ومدح عمر بن عبد العزيز وهو وال على المدينة

والأغلب الراجز أشهرهم وهو من المخضرمين وأول من أطال الرجز وكان الرجل قبله يقول البيت والبيتين إذا فاخر أو شاتم كما يقول ابن قتيبة [2]

(١) ٢٣٢ الشعر والشعراء

(٢) ٢٣٥ الشعر والشعراء

خاتمة

وبعد فهذا هو نهاية كتابنا الجديد « الحياة الأدبية بعد ظهور الاسلام » وسنتبعه بكتاب ثان عنوانه « أعلام الأدب فى عصر بنى أمية » نحلل فيه حياة وأدب جميع الشعراء والكتاب والخطباء والأدباء الأمويين وآثارهم الفنية وخصائصهم ومنزلتهم الأدبية بين أعلام الأدب والشعر فى هذا العصر العظيم.

وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

١١ ربيع الأول ١٣٦٩ — أول يناير ١٩٥٠

محمد عبد المنعم خفاجى
الأستاذ فى كلية اللغة العربية

تقدير ملكي كريم

كان المؤلف قد رفع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم حفظه الله نسخة من كتابه « ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان »

فتلقى من معالى كبير الأمناء الخطاب الآتى :

ديوان كبير الامناء

حضرة المحترم الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

أتشرف بابلاغ حضرتكم أنى رفعت إلى السدة العلية الملكية النسخة التى قدمتموها لحضرة صاحب الجلالة الملك من مؤلفكم « ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان»

فتفضل أعزه الله فأولاها حسن القبول ، وإنى أتشرف بابلاغ حضرتكم ذلك مع الشكر السامى .

وتفضلوا حضرتكم بقبول وافر الاحترام . كبير الأمناء

تحريراً فى ٢١ يوليو ١٩٤٩ عبد اللطيف طلعت

(إمضاء)

وإنى لأنتهز هذه الفرصة فأرفع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الفاروق المفدى حفظه الله أصدق آيات الولاء وأعمق شعائر الاجلال والاخلاص والوفاء مع الدعاء لجلالته بأن يحفظ الله عرشه ويؤيد ملكه ويكلأه ويرعاه لمجد الوطن والعروبة والشرق والاسلام ، وأن يديمه ملاذا للثقافة والعلم والحضارة ؟

محمد عبد المنعم خفاجى

الاستاذ بكلية اللغة العربية

مطبوعات المؤلف

١ — شرح البديع لابن المعتز نشر مطبعة الحلبي ١٩٤٥ — ١٣٦ صفحة
٢ — رسائل ابن المعتز فى النقد والأدب والإجتماع نشر مصطفى الحلبي ١٩٤٦ — ١٤٤ صفحة
٣ — قواعد الشعر لثعلب شرح المؤلف ونشر مصطفى الحلبي ١٩٤٨
٤ — التشبيه فى شعر ابن المعتز وابن الرومى ط ١٩٤٨ المطبعة الفاروقيه
٥ — الشعر العربى أوزانه وقوافيه نشر مصطفى الحلبي ١٩٤٨-١٣٠ صفحة
٦ - فن الشعر : دراسات فى العروض نشر مطبعة محمود صبيح بالأزهر ط ١٩٤٩ - جزءان
٧ - فصيح ثعلب والشروح التى عليه ط ١٩٤٩ — مكتبة التوحيد بدرب الجماميز - ٤٠٠ صفحة
٨ - الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى نشر محمود توفيق ١٩٤٩ -٢٧٦ صفحة
٩ - أعلام الشعر الجاهلى - مكتبة الحسين التجارية ١٩٤٩ - بالاشتراك مع استاذ - ١٢٥ صفحة
١٠ - ابن المعتز وتراثه فى الادب والنقد والبيان - مكتبة الحسين التجارية ١٩٤٩ - ٤٠٠ صفحة
١١ — الشعراء الجاهليون- مكتبة الحسين التجارية ط ١٩٤٩ - ٢٠٠ صفحة
١٢ - أحلام الشباب ديوان شعر - دار الانوار ط ١٩٤٩
١٣ - شرح متن التلخيص - مكتبة الحسين التجارية ١٩٤٩
١٤ — حكومة القاضى الجرجانى فى النقد الادبى -ط صبيح ١٩٤٩
١٥ - شرح الايضاح فى علوم البلاغة - ٦ أجزاء- نشر مكتبة الحسين التجارية ١٩٤٩
١٦ - الحياة الأدبية بعد ظهور الاسلام - نشر مكتبة الحسين ١٩٤٩-٦٠٠ صفحة
١٧ - مرشد البيان فى البلاغة - دار الأنوار ١٩٤٩
١٨ توبة شاعر البطولة - دار الانوار ١٩٤٩
١٩ — وحى العاطفة ديوان شعر ط١٩٣٦
٢٠ — نشيد الصحراء ط ١٩٤٧

تحت الطبع :

١ — أعلام الادب فى عصر بنى أمية — ٤٠٠ صفحة

٢ — التجديد فى الشعر العربى — ٣٠٠ صفحة

٣ — مختارات من الأدب الحديث — خمسة أجزاء

٤ — الشاعر الخالد ابن هانى شاعر المعز الفاطمى .

٥ أعلام الادب العباسى — بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور حسن جاد المدرس بكلية اللغه العربية — ٦٠٠ صفحة

٦ — عبد الملك بن مروان الخليفة الأديب الناقد — بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور حسن جاد .

ابن المعـــــتز

وتراثه فى الأدب والنقد والبيان
تأليف محمد عبد المنعم خفاجى

نشرت جريدة المصرى كلمة عن هذا الكتاب جاء فيها

هذا سفر جديد ، ألفه محمد عبد المنعم خفاجى الأستاذ بكلية اللغة العربيـــة ، ونشرته مكتبة الحسين التجارية لصاحبها محمود توفيق بالقاهرة، فى أربعمائة صحيفة من الحجم الكبير على ورق أبيض مصقول .

تناول مؤلفه فيه ابن المعتز الخليفة العباسى الشاعر الأديب الكاتب والناقد العالم المؤلف المتوفى ٢٩٦ هـ ، وحياته وشعره وأدبه وآثاره فى النقد والبيـــان بالدراسة والتحليل والنقد .

وهو أول كتاب يؤلف وينشر فى الأدب العربى عن ابن المعـــتز وآثاره الفنية والأدبية والعلمية .

ويمتاز بدقة البحث ؛ وعمق الدراسة وتنوعها ، وتعدد ألوان التجديد فى مناهج النقد الأدبى ، وبكثرة المصادر المخطوطة والمطبوعة .

وقد صدره مؤلفه بكلمـــة عن الفاروق ، وفيض رعايته وتشجيعه وعطفه على النهضة الفكرية والعلمية والأدبية .

ولاشك أنه جهد كبير يستحق مؤلفه عليه الثناء والتقدير .

دراسة ونقد لكتاب :

الشعراء الجاهليون

هذا كتاب جديد حقا، جديد فى بابه وفنه ومنهجه وموضوعه ، ولست اقصد بذلك أن المؤلف قد خلق موضوعه من عند نفسه او ابتكر مادة الكتاب من خياله، فالكتاب هو عرض شيق ، ودراسات واسعة للشعراء الجاهليين ولأشهر القصائد الجاهلية . وقد كتبها المؤلف ونشرها لتكون مرجعا من مراجع البحث الأدبى فى العصر الجاهلى ، وهى مرجع حقا ولكنها مع ذلك شيء آخر نحن أحوج اليه . لايكاد القارىء يبدأ فيه حتى يستغرقه جماله وفنه وبهجته ، ويستأثر بعقله وقلبه جميعا . سهولة فى تأليف الألفاظ . وتنسيق الجمل ، وقوة وبراعة فى ترتيب الموضوعات وشرح المسائل ومناقشة الآراء والنظريات المختلفة، تجدها كلها مؤلفة فى هذا الكتاب تأليفا يوافق طبعك وسليقتك، ويشعرك الحاجة إلى دراسة الأدب العربى وإلى الانتاج فيه ويورثك الرغبة الدافعة إلى قراءة الأدب والوقوف على آثاره .

وكنت مازلت اعتقد أن الكتاب الحقيق بهذا الاسم والجدير بالعناية والاحتفال هو الذى يعلمنا من الدرس ما يشعر قلوبنا حب الأدب ويبث فينا روحه ، ويحملنا على العناية بتا ريخنا الأدبى وحضارة أسلافنا الأدبية والعقلية؛ وروح المؤلف وشخصيته الخصبة التى يمتاز بها تضفى على الكتاب هذا اللون وتطبعه بهذا الطابع وترفعه إلى مقام الجودة بين الأمثلة الفاضلة التى تظفر بها المكتبة العربية بين حين وحين .

وهذا هو ميزة المؤلف فى كل ما ينشره من البحوث والموضوعات فمهما يكن شأن الموضوع الذى يكتب فيه والفن الذى يعالجه فان عقله المبتكر وتفكيره الطيع يضفيان عليه من طابع الجدة والأناقة ما يميزه عن كل ماهناك من البحوث والموضوعات .

ولست فى حاجة إلى التدليل على شىء مما أقول فان هـــذا الكتاب يسرنى أن أقدمه لقراء العربية جميعا

لقد قرات الكتاب فشعرت شعورا قويا بحاجة المكتبة العربية لا إليه وحده بل إلى دراسات الاستاذ المؤلف للعصور الأدبية كلها، والبيئات العربية المختلفة فالاستاذ عبد المنعم خفاجى هو فى رأيى خير من يناط الأمل به فى درس هذه العصور والبيئات وآثارها الأدبية وخصائصها البيانية أسأل الله أن يطيل أجله ويبارك ثمره وينفع به الطلاب جميعا ؟ محمد على هدية - مدرس

دراسة وتحليل لكتاب:

التشبيه فى شعر ابن المعتز وابن الرومى

١ ــ هذا كتاب جديد فى النقد والموازنة، وهو بحث طريف فى الأدب، طريف فى بابه وفنه ومنهجه وموضوعه. ومؤلفه الفاضل الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي أديب معروف بعمق نظره، وقوة ملاحظته، ورسوخ قدمه فى العلم، وبسعة إطلاعه وبراعته الفائقة فى تحليل المعانى، وقدرته على التعبير الواضح البليغ، وهو مع ذلك شديد الحياة جم الادب موفور الكرامة غنى بعلمه وفضله عن المجد الكاذب والشهرة الزائفة، وتقرأ الجملة الاولى من المقدمة فتشعر بهذه الميزات كلها تبرز بروزا واضحا لا غموض فيه « أسأله أن يودع صدورنا نور الحكمة، ويشعر قلوبنا عز الحق، وأعوذ به من العجب بما أحسن، كما أعوذ به من التكلف لما لا أحسن. وأسأله من التوفيق ما يعصمنا من الحيرة، ويهدينا سواء السبيل ».

٢ ــ وعبد الله بن المعتز خليفة أدركته حرفة الادب منذ صغره. وشعره صورة صادقة لنفسه، وصورة صادقة لعصره، وصورة صادقة للفن الخالص والادب العالى، وهو من مراجع الادب والسياسة والإجتماع، فوق أنه ثروة فنية عظيمة. والمؤلف قد جلى الناحية الفنية فى شعره فى كتابه: التشبيه، وأفاض فى شرحها إفاضة الباحث الموهوب.

٣ ــ ونحن بازاء فحل آخر من فحول الشعر والادب لم يكن كصاحبه ذا نعمة وجاه وترف، بل عاش طول حياته على الكفاف لا يكاد يجد حاجته الضرورية ولم يكن حظه من الدهر إلا هذه الموهبة الفنية التى لا تغنى عن الفقر شيئاً، وان أبدعت للتاريخ والفلسفة والأدب قصيدا خالدا عميقا، لا يزل مجالا للبحث واختلاف الرأى؛ إلى يومنا هذا.

ذلكم هو ابن الرومى وقد أنصفه المؤلف فى كتابه، وهو عندى خليق بذلك ولم يزل فى حاجة إلى مزيد من الانصاف. ولاشك أن هذه الدراسة الفنية لشعر ابن الرومى جديدة كل الجدة عميقة كل العمق.

والكتاب آية من آيات المؤلف، وطرفه نادرة من طرفه، لاسبيل إلى الشك فى عمقها وجدتها وحسن عرضها، وأنا أسأل الله له التوفيق؛ ولطلابه حسن الانتفاع به ؟ محمد هدية — مدرس

فهرست

الايضاح فى علوم البلاغة

للخطيب القزوينى [٦٦٦-٧٣٩] ﻫ

كتاب الخطيب : « الايضاح » أهم كتب البلاغة، وأحفلها بالبحوث والدراسات والآراء والمذاهب

وهو فوق ذلك أمثل كتب البلاغة أسلوبا، وأجملها بيانا، وأوفاها بحثا، وقد جمع فيه المؤلف كثيرا من آراء ونظريات المتقدمين فى البلاغة، وخاصة : عبد القاهر الجرجانى أمام البلاغة م ٤٧١ﻫ، والسكاكى فيلسوفها المتوفى عام ٦٢٦ ﻫ

وكتاب الايضاح هو الكتاب الدراسى المقرر فى شتى كليات اللغة والأدب فى الشرق العربى

وقد قام محمد عبد المنعم خفاجى الأستاذ بكلية اللغة بعمل جليل، هو شرح الكتاب شرحا جديدا ضافيا، فى ستة أجزاء كبيرة

وقد حرص فى شرحه على تلخيص آراء المتقدمين وتوضيحها ودراستها ونقدها وأعظم عمل فى هذا الكتاب فوق ذلك هو ذكر جميع المصادر والمراجع وشرح الشواهد وذكر مصادرها وموضع الشاهد فيها، فوق ما فيه من تحقيقات علمية واسعة وتعليقات فى غاية الأهمية لعلماء البلاغة ودراسيها

وفى آخر كل جزء من أجزاء هذا الشرح بحوث ضافية ودراسات جديدة فى البلاغة ومؤلفاتها وعلمائها، مما لم يسبق إليه أحد

وقد ظهر من الكتاب جزآن وسيظهر الجزء الثالث بعد أسبوع

أما الثلاثة الأجزاء الباقية فستظهر خلال شهر واحد إن شاء الله .

ومن الله التوفيق والعون والسداد ؟

٧ يناير ١٩٥٠

يظهر قريبا للمؤلف :

١ - التجديد فى الشعر العربى

٢ - أعلام الأدب فى عصر بنى أمية

٣ - الجزء الثالث من شرح الأيضاح

نشر

مكتبة الحسين التجارية

لصاحبها

محمود توفيق

المطبعة الفاروقية الحديثة
شارع محمد بك فريد بالناصرية

استدراك

تذكر هنا بعض أخطاء مطبعية وتترك باقيها اعتمادا على فطنة القارىء وثقته

الصفحة	السطر	الكلمة	صحتها
٤	١٧	واحد	اثنين
١١	١٧	كراعة	كراع
١١	١٤	له	لله
١٣	٣	متعابين	متحابين
١٥	١٢	اقتبسه	اقتبه
٢٢	١٠	وثم	وتم
٢٢	١١	لذى	الذى
٣١	٢	النجارى	البخارى
٤٥	٢	شيئا	شيبا
٤٦	٣	قدر	قدروا
٥٣	٨	أنزل	نزل
٥٨	٣	السفد	السفلى
٦٠	٩	بالقواوير	بالقوارير
٦٩	٢	نمازج	نماذج
٨٠	٧	مايزع	ولعثمان مايزع
١٢٩	٨	محمد	محمدا
١٣٠	٣	الهجرة	البعثة
١٣٠	٨	وأنا واحد	وأنا واحدا
١٣٣	١٤	ريب	ريب فيه
١٣٣	١٨	على	عالى
١٣٤	١٤	الحديث	الحكيم
١٣٤	٢٠	ظهرت	ظهر
١٣٨	١	رتى	أرتى
١٣٩	٤	واعنى	راعنى
١٣٩	١٤	هذه	هذه أزهد

الصفحة	السطر	الكلمة	صحتها
١٤٠	١٤	يكفيك	يكفك
١٤٩	١١	أيها	أيها الناس
١٦٣	١٦	أباك	أبويك
١٥٤	١٢	مصتما	مصمتا
١٥٤	٢٢	وقاس	وقاص
١٦٩	١٧	فان	أفان
١٧٣	١٣	أحد	أحدا
١٧٤	١٠	اطلحة	على طلحة
١٧٤	١١	أهل على	أهل
١٧١	١٠	يدا	يد
١٧٨	١٤	إلا	إلى
١٨١	٧	محمد	محمدا
١٨٧	٦	علم	ظلم
١٨٧	١٨	فعندنا	فعدنا
١٨٩	١	إذ	إذا
١٨٩	٦	فتردريه	فتزدريه
١٩١	٣	ينسيننى	ينسينى
١٩٥	٢١	دراثه	ردائه
٢٠٠	٢	الدثاء	الرثاء
٢٠١	١٦	والحمد	والجمد
٢٠٧	٥	البرجى	البرجمى
٢٠٨	٩	أسابها	أسبابها
٢٠٩	١٨	ذلك	وغير ذلك
٢١١	١	كثير	كثر
٢١١	١١	عرض	عن عرض

الصفحة	السطر	الكلمة	صحتها
٢١٧	١	الأخلاف	الأحلاف
٢١٧	١٣	بيبشته	ببيشة
٢١٩	٩	الوصف	الرصف
٢٢٠	١٢	وفد	وفدت
٢٢٩	٨	الزمار	الذمار
٢٢٩	١٢	كذلك	كذاك
٢٣٤	٢٢	الجنج	الحجاج
٢٣٥	٤	يتمدحو	يتمدحون
٢٣٥	١٣	قلت	قلته
٢٣٨	١٦	ومثلي	ومثل
٢٤٣	٦	فاستادعى	فاستعدى
٢٤٣	١٢	هم	في
٢٤٥	١٩	منهلا	منهم
٢٤٧	١٠	ينسى - متصرا	ينهى - متنصرا
٢٥٤	٩	بمسبق	بمستبق
٢٥٦	٣	المشتركين	المشركين
٢٦٠	٦	إن	وإن
٢٦٠	١٦	أكثرهم	أكثر
٢٦٨	٧	فان هجاتم	إن هجرتم
٢٧١	١٥	ينجد	وينجد
٢٧٤	١	قولي	لقولي
٢٧٤	٤	يهدر	يهد
٢٧٦	١١	يلبسن	يلبس
٢٧٨	١٠	ذراصيها	ذراعيها
٢٨٠	١٣	والعود	العود
٢٨١	١٢	حق	حتى
٢٨٢	٢	ببشة	ببيشة
٢٨٩	٤	وإذا	وإذ
٢٩٦	٥	غير	غيب
٣٠٠	١١	وكان	وكما
٣٠١	٣	أجادوا	أجاد
٣٠١	٤	أجادى	أجادوا
٣٠٢	١٣	بمالي	بنصال
٣٠٣	٢٠	وقال	وقال :
٣٠٥	١٦	فيؤنيها	فيؤذيها
٣٠٩	٨	الله	فلله
٣٠٩	١٤	محبوكا	محبوك
٣٢٩	١٣	هذا	هذه
٣٣١	١٩	غير	وغير
٣٣٣	٦	اللحن	النحو
٣٣٣	١١	صوتا	سوطا
٣٣٦	١٦	ثم ته	ثلاثة
٣٣٩	٧	وأذن	وأذان
٣٤٨	١٩	البرية في	البرية
٣٤٨	٢٠	ويتناشدوا	ويتناشدون
٣٤٩	١٢	المماليك	الممالك
٣٥٠	٢	الأمويين	الأمويون
٣٥٠	٢٠	يتهاجيا	يتهاجيان
٣٥٢	١١	والمهاجاة	المهاجاة
٣٥٣	٤	والنحوين	والنحويون
٣٥٤	٥	لغاتهم	لغلتهم
٣٥٤	٦	ويكون	وكان
٣٥٥	٢٠	عن	على
٤٠٣	٢١	وفيان	وفيات
٣٥٥	٢٢	في الأدب	بالأدب
٣٧٣	١٥	ستكوا	سكتوا

الصفحة	السطر	الكلمة	صحتها
٢٧٥	١	سائل	سأل
٣٧٨	٨	الفجر	الفخر
٣٧٨	١٣	العرب	العربى
٣٨٦	٩	للاحتياط	للاختلاط
٣٨٧	٨	لأزنكم	لأنكم
٣٨٩	١١	وانظل	وانظر
٣٩٣	٩	والهو	ولهو
٣٩٨	١١	فاستجبوا	فاستجلبوا
٤٠٠	١	تضيق	تضق
٤٠٤	١٨	بها	بهذا
٤٠٦	٤	عليه	عليها
٤١٠	١٢	ضائعا	ضالعا
٤١٦	١٤	كان	كانت
٤٢٠	١٠	لغته	فلغته
٤٢١	٢	تابث	ثابتة
٤٢٢	١٦	بن	بن أبى وقاص
٤٢٣	٨	أدراك	أدارك
٤٢٣	٢٣	شكل	شكى
٤٣٧	١٠	الملك	الملك بن
٤٣٩	٨	هاتها	قال : هاتها
٤٤٣	٢	دنت إليها	دنت
٤٤٧	١١	ذاك	أن
٤٥٠	٩	أبى	بنى أبى
٤٥٥	٢٠	ضرا	ضر
٤٥٨	٥	إذ	إذا
٤٥٩	١٠	منهـا	منها
٤٦١	٨	بالبنين	بالبين
٤٧٤	١	يهزم	يهزهم
٤٧٥	١	أبى	أبى ربيعة
٤٧٦	٣	قيما	قيمها
٤٧٦	١٢	تمت	لم تمت
٤٨٠	١٤	القمطار	القماطر
٤٨٩	١	السحر هم	السحر
٤٩١	٣	مسته	مسسته
٤٩٣	٢	عبد	عبيد الله
٥١٠	٢٢	بجيد	بجيده
٥٢٠	١٩	ذات	ذا.
٥٢٣	١٠	أو	أن
٣٢٣	٢٠	ربيعة	أبى ربيعة
٥٢٦	١٨	الفرق	الفراق
٥٢٧	١٤	لهنئك	ليهنك
٥٢٩	١٦	أما	إذا
٥٣٢	١٢	فصحوبه	فصحبه
٥١٢	٤	الجاهلى	الجاهلى والاسلامى

ملحق للكتاب

موازنات أدبية :

بين قصيدتين

من عيون الشعر الجاهلي

١ - أما الأولى فهي معلقة عمرو بن كلثوم (٥٠٠ - ٦٠٠ م) المشهورة :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ... ولا تبقي خمور الأندرينا

وأما الثانية فهي مجهرة أمية بن أبي الصلت (٥٥٠ - ٦٢٤)

عرفت الدار قد أقوت سنينا ... لزينب إذ تحل بها قطينا

٢ - والقصيدة الأولى ملحمة تاريخية تصور المجد القديم لتغلب قبيلة الشاعر وملاحمها الحربية التي انتصرت فيها على أعدائها ، وهي فريدة في نوعها فهي جديدة حقا بأن تسمى ملحمة ، وهي تصوير قوي رائع لمجد القبيلة ومفاخرها وأيامها ومنها يوم خزازى ، وإشادة بنفوذها ومكانتها وتهديد لأعدائها وتنبيه للملك عمرو بن هند حتى لا يطيع بهم الوشاة ويتحيز لبكر شقيقة تغلب ومزاحمتها في النفوذ والمجد والسلطان ، وقد بدأها الشاعر بوصف الخمر مما يعد ميزة فريدة لها ، ثم انتقل الى موضع القصيدة وهو الفخر ، وختمها بقوله :

لنا الدنيا ومن أمسى عليها ... ونبطش حين نبطش قادرينا

ملأنا البر حتى ضاق عنا ... ونحن البحر نملؤه سفينا

إذا بلغ الرضيع لنا فطاما ... تخر له الجبابر ساجدينا

وأنت تعلم أن عمرو بن كلثوم ارتجل بعضها أمام الملك عمرو بن هند وهو الجزء الذي هدد فيه أعداء تغلب وحذر الملك من الاستماع للوشاة والميل معهم على تغلب ، ومنه :

أبا هند فلا تعجل علينا ... وأنظرنا نخبرك اليقينا

بأنا نورد الرايات بيضا ... ونصدرهن حمرا قد روينا

ثم أكمل القصيدة كلها ، وأنشدها في سوق عكاظ وقد عدتها تغلب مجدا لها وملحمة تاريخية تصور تاريخها فاعتزت بها اعتزازاً كثيراً ويقال إنها أضافت

إليها الكثير حتى بلغت أبياتها نحو الألف بيت حتى قال بعض البكريين فيها :

ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمـــرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذكان أولهم يا للرجال لشعر غير مسئوم

وأما المجهرة فقد تحدث فيها أمية عن مجد قبيلة ثقيف وهى من أمهات القبائل العربية وصاحبة النفوذ والسيادة فى الطائف ، وافتخر بها وصور مكانتها ووراثتها لمجد الآباء والأجداد ، ولم يبدأها بوصف الخمر كما فعل عمرو بن كلثوم بل بدأها كما يبدأ الشعراء قصائدهم فوصف فى مطلعها أطلال محبوبته « زينب » وعفاءهـــا ولعب الرياح المعصرات بها ، ثم انتقل إلى موضوع القصيدة نفسها من الفخر بمجد القبيلة وشرف الآباء فقال فيما قال :

ورثنـــا المجد عن كبرى نزار فأورثنا مآثرنـــا البنيـــا
وكنا حيثما علمت معد أقمنا حيث ساروا هاربينا
وتخبرك القبائل من معد إذا عدوا سعـاية أولينـا
بأنـا النـازلون بكل ثغر وأنا الضاربون إذا لقينـا

إلى آخر ما ذكره من الفخر بأسرته وقومه ومجدهم ومنابتهم وما أرصدوه لريب الدهر من الخيل والرماح والسيوف والشيب والشبان ووراثتهم المجد عن كبرى نزار إلى غير ذلك من مظاهر الكبرياء والعزة والسيادة التى أضافها أمية إلى قومه . ولا ندرى شيئاً عن التاريخ الأدبى للقصيدة وإن كنا نرجح أن الشاعر نظمها فى مفاخرة من المفاخرات التى تحدث كثيراً بين القبائل العربية وخاصة فى العصر الجاهلى .

٣ ـ وتتفق القصيدتان فى كثير من وجوه الشعر والشاعرية :

تتفقان فى الموضوع وفى الوزن والقافية . كما تتفقان فى خيالهما والمبالغة الواضحة فيهما .

وتتفقان فوق ذلك فى هذه السهولة الواضحة الغالبة عليهما وخاصة عند ما ينتقل الشاعران إلى الغرض الأصلى من قصيدتيهما وهو الفخر ، وليست هذه السهولة الفنية بغريبة على الشاعرين : فارتجال عمرو لقصيدته ومقام الفخر يقتضيان السهولة ، ونشأة أمية فى الطائف وحياته فيها بين الزروع والفاكهة والجو الجميل

والهواء الطلق وتنقله بين الشام واليمن ومكة والمدينة كل ذلك جعله يعيش فى ظلال قسط من الحضارة صقلت مواهبه الأدبية وطبيعته الفنية فظهر أثر ذلك فى شعره وضوحاً وسهولة وإسجاحاً وصقلا فنيا رائعا .

وتتفق القصيدتان فوق ذلك فى كثير من معانى الشعر وأساليبه ، ومن مظاهر هذا التشابه هذه المعانى والأبيات :

ا ـ قال عمرو :

ورثنا المجد قد علمت معد نطاعن دونه حتى يبينا (١)

وقال : ورثنا مجد علقمة بن سيف :

وقال :

ورثناهن (٢) عن آباء صدق ونورثها إذا متنا بنينا

فقال أمية :

ورثنا المجد عن كبرى نزار فأورثنا مآثرنا البنينا

وتستطيع أن توازن بين البيتين الأخيرين إذا علمت أن وراثة المجد فى بيت امية أبلغ فى الفخر من وراثة الخيول فى بيت عمرو ، وإن كانت وراثة الخيول من أسباب المجد لأن الخيل وركوبها واتخاذها عتادا دليل الشجاعة والبطولة وحب النضال ، وقول أمية « فأورثنا مآثرنا البنينا » أبلغ من قول عمرو : « ونورثها إذا متنا البنينا » لأن أمية ذكروا أن أبناءهم ورثوا هذا المجد عن آبائهم سواء كان الآباء قد ماتوا أم لا يزالون أحياء ؛ فهم قد ورثوه فعلا ، أما عمرو فقال إن الأبناء يرثون الخيل بعد موت الآباء فهم لم يرثوه فى حياتهم فكأنهم لايعرفون بالشجاعة إلا بعد موت الآباء وهذا قصور فى الفخر . وقال أمية : « البنينا » وقال عمرو «بنينا » فشهرهم أمية وأبان عن عددهم وقال عمرو « اصدق » فدل على شجاعتهم أو وضوح نسبهم وهى زيادة لانظير لها فى قول أمية .

---

(١) أى حتى يظهر الشرف لنا .

(٢) الضمير يعود إلى الافراس فى بيت سابق .

وقد أخذ أمية لفظ «قد علمت معد» من قول عمرو فقال :

وكنا حيثما علمت معـــد أقمنا حيث ساروا هاربينا

ب — ويقول عمرو : « وأنا المهلكون إذا ابتلينا » أى نهلك أعداءنا ونبيدهم إذا اختبرنا بقتالهم فيقول أميه : وأنا الضاربون إذا التقينا . فتجد قول عمرو أبلغ حيث نص على إهلاك الأعداء ولم يذكر أمية إلا الضرب وإن كان يكنى به عن الشجاعة والأقدام والعزيمة والجد فى طلب الأعداء ولكنه على أى حال لم يصور نتيجة الحرب كما صورها عمرو بقوله : « المهلكون »

جـ - ويقول عمر : «وأنا المانعون لما أردنا» ، ويروى « الحاكمون بما أردنا» فيقول أمية «وأنا المانعون اذا أردنا» .

د - ويقول عمرو :

ونشرب إن وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا

ويروى من المجمهرة :

وأنا الشاربون الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطيناً

ويقول عمرو :

بفتيان يرون القتل مجدا وشيب فى الحروب مجربيناً

وقد روى من المجمهرة :

وفتيانا يرون القتل مجدا وشيبا فى الحروب مجربينا

٤ — وتمتاز المعلقة : بتنوع أغراضها ، وبطولها ، وسهولتها وأنها ملحمة تاريخية وتصوير لمجد تغلب القومى والحربى ، وبما فيها من وصف للخمر ، وهى على أى حال وباعتراف نقاد الأدب القديم من أشهر القصائد الجاهلية ، ولذلك وضعوها مع المعلقات ، وقال ابن قتيبة فيها « وهى من جيد شعر العرب » .

أما قصيدة أمية فقد وضعها فى منزلة أدبية بعد منزلة المعلقات حيث رتبوها فى المجمهرات . والمجمهرات سبع قصائد من الشعر الجاهلى رواها أبو زيد الانصارى فى الجمهرة وأصحابها هم .

ا ـ عبيد بن الابرص ومجمهرته مشهورة ومطلعها :

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيـات فالذنوب

أو : عيناك دمعها سروب (١) كأن شأنيهما شعيب

وتشتهر باختلاف وزنها واضطرابه ، وهى قاصرة على الحكمة ومنها :

والمرء ماعاش فى تكذيب طول الحياة له تعذيب

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لايخيب

ويغلب عليها صبغة التدين وروح الايمان :

ب — عدى بن زيد ، ومطلع مجمهرته :

أتعرف رسم الدار من أم معبد نعم ورماك الشوق قبل التجلد

وتشبه معلقة طرفة فى وزنها وقافيتها وروح الحكمة السارية فيها كما تتفق معها فى بعض الأبيات ، ويغلب عليها روح التدين ، ومنها :

فنفسك فاحفظها عن الغى والردى متى تغوها يغو الذى بك يقتدى

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقـارن يقتدى

والبيت الأخير نجده فى معلقة طرفه أيضا .

ج ـ النمر بن تولب ، ومطلع مجمهرته :

تأبد من أطلال عمرة مأسل :

وتغلب عليها روح الحكمة ، ومنها :

يود الفتى طول السـلامة والغنى فكيف ترى طول السلامة يفعل

دعانى الغوانى عمهن وخلتنى لى اسم فما أدعى به وهو اول

د ـ أميه بن أبى الصلت ، ومجمهرته معروفة

وهى وقف على الفخر

ه ـ بشر بن أبى خازم : ومجمهرته فى الفخر بقومه وبطولتهم وعزهم ، ومطلعها

لمن الديار غشيتها بالأنعم تعـدو معالمها كلون الأرقم

---

(١) سروب كثيرة الجريان . الشعيب : المزادة

و — خداش بن زهير ، ومجمهرته فى الفخر بقومه أيضا ومطلعها :

أمن رسم أطلال بتوضح كالسطر

ز عنترة وقصيدته :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

يعدها البعض من المعلقات والآخرون من المجمهرات وهى على أى حال فى الفخر حيث وصف فيها الشاعر بطولته وشخصيته بوضوح.. وهذه القصائد السبع :

ا — من الناحية التاريخية نجد أن اصحابها لم يعيشوا فى عصر واحد: فعدى توفى نحو عام ٥٦٥ م وعبيد عام ٥٥٥م وأمية عام ٦٢٤ وعنترة عام ٦١٥ م الخ مما يؤكد لنا أنه لم تلاحظ الناحية التاريخية فى ترتيبها

ب — ومن ناحية موضوع هذه القصائد نجد أن ثلاثا منها فى الحكمة وأربعا فى الفخر ، مما يؤكد أنها لم ترتب بحسب موضوعاتها .

جـ — فلم يبق إلا أنها رتبت بحسب جودتها الفنية ومنزلتها الادبية ، ومن غير شك فان شاعرية هؤلاء الشعراء وخصائص الشاعرية فى هذه القصائد تكاد تكون فى منزلة واحدة مما يبدو بوضوح للناقد الدارس .

فهذه القصائد السبع يشبه بعضها بعضا فى النواحى الفنية والقيمة الأدبية وتكاد تكون متساوية فى حكم النقد الأدبى السليم ، وهى لاتحتل الذروة بين قصائد العصر الجاهلى وانما تلى هذه القصائد السبع الجياد المشهورة « المعلقات » ويليها كثير من القصائد التى لاتبلغ منزلة المجمهرات الأدبية .

ومن الغريب أن تخلو مجمهرة أمية من هـذه الصبغة الدينيه التى اشتهر بها أمية ، ويبدو أنه نظمها فى أوائل عهده بالشعر وفى عصر الشباب مما يتضح من تقليده فيها لعمرو بن كلثوم ومعلقته

وقد يكون السبب الذى جعل أمية ينظم مجمهرته محتذيا فيها عمرا هو إعجابه بمعلقته وروايته لها أو تأثره بعمرو خاصة من بين الشعراء الجاهليين

ومعلقة عمرو يرى فيها الدكتور طه حسين فى كتابه « الأدب الجاهلى » أنه لايمكن أن تكون هى أو أكثرها جاهليه

ويذكر أن الرواة قد شكوا فى بعضها وإن عمرا نفسه قد أحيط بطائفة من الأساطير ويرجح انتحال المعلقة وهى ومعلقة الحارث بن حلزة .

والمعلقة نفسها خير رد على هذا الراى فهى صورة لحياة جاهلية لاشك فيها وتمثل حياة عمرو نفسه تمام التمثيل ، والشخصية الفنية فى المعلقة شبيهة تمام الشبه بالآثار الفنية القليلة التى ثبتت صحتها لعمرو مما ورد فى الحماسة وسواها .

٦ — وبعد فنستطيع أخيرا أن نقول أن أمية نظم مجمهرته متأثرا فيها بعمرو ومعلقته ، وأنه قلد عمرا تقليدا فنيا واضحا لالبس فيه ، والتقليد الفنى ليس ببعيد على الشعر الجاهلى ولا بغريب فيه ؛ وكما قلد الشعراء المحدثون من تقدمهم من أئمة الشعر العربى فقد كان الشاعر الجاهلى يقلد من سبقه من الشعراء

وسنبسط حديث التقليد والتجديد فى الشعر الجاهلى فى بحث آخر .

الطبع والصنعة

فى الشعر الجاهلى

بين القدامى والمحدثين من النقاد خلاف كبير فى تحديد معنى الطبع والصنعة: يرى الأولون أن التهذيب الفنى للاسلوب هو الصنعة ، فالمصنوع هو المثقف المهذب من الشعر أما الطبع فهو خلو الأثر الأدبى من آثار التجويد والتنقيح ، ويرى الآخرون أن شعور الشاعر بنفسه حد بين الطبع والصنعة ، فاذا كان الشعر صادقا مؤثرا فهو من شعر الطبع ، وإلا فهو مصنوع متكلف ، والأديب المطبوع عندهم من كان غير مقلد فى معناه أو فى لفظه ، وكان صاحب موهبة فى نفسه وعقله لا فى لسانه فقط

ورأى المحدثين المعاصرين من النقاد اصطلاح جديد فى معنى الطبع والصنعة. وأرى أن الأولى فى تحديد معناهما أن نجمع بين الرأين الذين يتلاقيان ولا يتناقضان ، فالطبع هو الملكة القادرة فى نفس الشاعر والأديب التى توحى إليه بفنه وأدبه وحى الفطرة والطبيعة واستجابة لعواطفه ومشاعره دون تكلف وتعب فى الصوغ أو استجداء لترف الاسلوب والصناعة ، أما الصنعة فهى إحساس

الشاعر أو الأديب بآثار الجمال الفني وترف الأداء وزخرف الاسلوب ، وحبه لهذا الجمال والترف والزخرف ؛ وهيامه الفني بها ، وقصده إليها ، وتعمده لها في شعره ، حتى ليطلب الفن للفن ، ويستلهم الجمال للجمال ، ويستوحي الشعر من ملكاته الفنية التي استبدت بها هذه النزعة ، مما يطغى على نفس الشاعر وشعوره وعواطفه وإحساسه بالحياة .

ويجمع جمهور النقاد في القديم والحديث على عيب الصنعة والتصنيع .

وسموا المصنعين من الشعراء في العصر الجاهلي عبيد الشعر ، وعابوا شعرهم ، قال الاصمعي الأديب الراويه الناقدم ٢١٦ ه : زهير والنابغة وأشباههما عبيد الشعر ، وقال : الحطيئة ـ وهو شاعر إسلامي مشهور ـ عبدلشعره ، قال الجاحظ إمام الأدباء والنقادم ٢٥٥ ه : عاب الأصمعي شعره حين وجده كله متخيرا مستويا لمكان الصنعة والتكلف والقيام عليه ، وكان الأصمعي يستحسن التفاوت في الشاعرية لأنه مظهر الطبع وخلو الشعر من آثار الصناعة ، وعلى هذا الرأي يسير بعض المحدثين ممن يرى أن التفاوت في شعر الشاعر دليل على عبقريته وطبعه ، ويعده النقاد الآية الناطقة على شاعرية المتنبي وعظيم مكانته في الشعر

ولقد كان الشعر العربي أثرا للفطرة والبديهة ، واستجابة لمشاعر الشاعر وشعوره بالحياة في الجاهلية وكان أكثره ارتجالا أو مايشبه الارتجال ، ينظمه الشاعر على البديهة ، ويأتي به عفو الخاطر ، ترد إلى ذهنه المعاني وتتتابع ، فتنثال عليه الألفاظ وتأتيه الأساليب شعرا وشعورا وسحرا وجمالا : كل ذلك في سهولة وتدفق وفطرة دون تثقيف وتهذيب وتنقيح ، حتى قال الجاحظ : وكل شيء للعرب فانما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام ، وليس هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجالة فكرة ، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام وإلى جملة المذهب والعمود الذي إليه يقصد ، فتأتيه المعاني أرسالا وتنثال عليه الألفاظ انثيالا ،

وفي العصر الجاهلي بدأ لون جديد من ألوان التهذيب والصنعة في الشعر على يد أوس وزهير وتلاميذهما .

كان أوس بن حجر من أصحاب التنقيح وكان يسمى محبرا لحسن شعره ، وتتلمذ عليه زهير ، وكان طفيل الغنوى كذلك ، وكان النمر بن تولب من أصحاب التثقيف والتهذيب ، وكان أبو عمرو بن العلاء الناقد الراوية م ١٥٤ ه يسميه الكيس لحذقه بالشعر ، والنقاد يعدون النابغة الذبيانى أيضا من المصنعين ، ويقول أنصار الصنعة إن امرأ القيس أيضا كان يثقف شعره ويعيد النظر فيه فيسقط رديئه ويثبت جيده ، وكان امرؤ القيس راوية أبى دؤاد الأيادى وكان يلوذ به فى شعره ويتوكأ على معانيه كثيرا ، ولكن شعر امرىء القيس ينفى عنه الصنعة والتصنيع ، وفرق بين أن يجىء عفوا فى شعره بعض آثار الصناعة الفنية وأن يكون مصنعا ينحت فنه كما ينحت الفنانون تماثيلهم

وأبرز رجال هذه المدرسة على أى حال هو زهير ، قال بعض النقاد : عمل سبع قصائد فى سبع سنين وكان يسميها الحوليات ، كان زهير يصنع الحوليات على وجه التثقيف والتهذيب ، يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها ـ خوفا من النقد والنقاد ـ بعد أن يكون قد فرغ من عملها فى ساعة أو ليلة ، وقيل كان ينظم القصيدة فى شهر ثم لا يزال يهذبها حتى يمر عليها الحول ، وقيل : بل كان يعمل القصيدة فى ستة أشهر ويهذبها فى ستة أشهر ، وقال الجاحظ : كان زهير يسمى كبار قصائد الحوليات . وقد سار تلامذة زهير على نهج أستاذهم كالحطيئة الشاعر الاسلامى وسواه

وكان هذا المذهب الفنى فى الشعر الجاهلى ـ مذهب الصنعة والتصنيع ـ أثر التنافس بين الشعراء وقيام الأسواق الأدبية كعكاظ وسواه بالحكومة الأدبية بينهم وكان النابغة تقام له قبة فى عكاظ ويتحاكم إليه الشعراء ، كما كان أثر التكسب بالشعر واتخاذه وسيلة للثراء وعكوف الشعراء المصنعين على تجويد مدائحهم ليستخرجوا بها سنى الهدايا والألطاف من ممدوحيهم ، وكان ارتباط الشعر الجاهلى بالغناء ورغبة بعض الشعراء فى التجويد والتجديد فى المعانى من أسباب نشأة هذا المذهب الفنى أيضا

وإذا نظرنا إلى الشعر الجاهلى نفسه وجدنا الفرق كبيرا بين آثار أصحاب الطبع والبديهة كطرفة وامرىء القيس ومهلهل وآثار الشعراء المصنعين

والمعلقات السبع وهى من أشهر القصائد الجاهلية فى البلاغة الأدبية وأحفلها

بمواهب الشاعرية والفن والخيال وخصب المملكات ، كلها من آثار الطبع الأدبى الموهوب ، وليس فيها شىء من مظاهر الصناعة الفنية ، فمعلقة امرىء القيس أروع صورة لحياة الشاعر وترفه ولهوه ، ومعلقة عمرو بن كلثوم ملحمة تاريخية تصور التاريخ القومى والحربى والسياسى لقبيلة الشاعر « تغلب » ومعلقة عنترة حديث عذب جميل بين الحب والحرب والبطولة ، ومعلقة زهير دعوة للسلام ووصف لأهوال الحرب وقسوتها على الناس والبشرية ، ويكاد يكون زهير فيها أشبه شىء بالمطبوع ، ويكاد أسلوبه فيها يبعد عن الصنعة وآثارها الفنية .

وشتان بين معلقة زهير هذه وبين قصيدة النابغة :

كلينى لهم ياأميمة ناصب وليل أقاسيه بطىء الكواكب

أو قصيدة أخرى لزهير نفسه هى :

صحاالقلب عن سلمى وأقصر باطله وعرى أفراس الصبا ورواحله

لبعد ما بين الأثر المطبوع والأثر المصنوع ؟